

تجويد خط العرب

في عصور العربية الزاهرة

الجزء الأول

المصباح إلى

عصر صدر الإسلام

تأليف

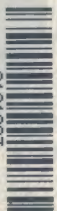
أحمد زكي صفوت

وكيل كلية دارالعلوم بمسرة القاهرة سابقاً

المكتبة العلمية



Bibliotheca Alexandrina



0101083

تجمل خط العرب في عصور العرب في الزاهرة

الجزء الأول

العصر الحجري
عصر صدر الإسلام

تأليف

أحمد زكي صموت

وكيل كلية دار العلوم جامعة القاهرة سابقا

المكتبة العلمية

مبهرات - إسكندرية

تصدير

الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم على ما أوليتني من نعمك السابغة ، وآلائك الضافية ، وأصلى وأسلم على رسولك المجتبي ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وبعد : فلا مراء أن خطب العرب في عصور ازدهار اللغة مرآة يتجلى فيها ما حباهم الله من ذلاقة اللسان ، وعذوبة البيان ، ومعرض يتمثل فيه نتاج قرائعهم ، وثمرات ألبابهم ، في كثير من مناحي القول ، وإنها لتمدّ - بعد القرآن الكريم والحديث الشريف - مثالا ساميا للبلاغة العربية ، ونموذجا قويا يحثه التأديب في تقويم قلبه للموجّ ، وشحذ لسانه الكليل ، وهي فوق ذلك ممين فياض يستقي منه مؤرخ الأدب العربي ما يمين له من آراء ، ومادة غزيرة يستنبط منها ما يقفه عليه البحث من فكر .

وقد نظرت فوجدت تلك الخطب مبمّرة منشورة في كتب الأدب والتاريخ ، لا يؤلف بينها نظام ، ولا يضم أشتاتها كتاب ، فإذا ما شئت أن تتعرف صورة الخطابة في عصر

من المصور ، أو تترجم لخطيب من خطباء العربية ، ألفت الطريق أمامك وعرة شائكة ، وأنفقت وقتاً مديداً في التنقيب عن خطيب في بطون الأسفار ، بله ما يعترضك من مشاق في تحرير ألفاظها ، وتحقيق عباراتها ، لما نالها من عبث النساخ والطباع ، من التصحيف والتحريف الذي ينهم معه معناها ، ويستغرق به تفهمها .

كل أولئك حدّا بي أن أعبد السبيل لشدة الأدب العربي إلى ذلك التراث النفيس ، الذي يتوقون إلى الارتواء من مناهله المذبة ، فلا يكادون يُسِفِغونها ، وَيَصْبُون إلى اجتناء ثماره الشهية ، فتحول دونها الأشواك ، وفيهم من درس اللغات الإفرنجية ، وتزود من أفكار الغربيين وآراءهم بقسط وفير ، ولكنه تموزة جزالة اللفظ ، ورصانة الأسلوب .

استخرت الله ، فجمعت كل ما أثر عن العرب في عصور العربية الزاهرة ، من خطب ووصايا من مظانها - على قدر ما هداني إليه اطلاعي - وضمنت إليها ما دار في مجالس الملوك والخلفاء والرؤساء ، من حوار ومجاوبة ، أو جدال ومناظرة ، مما يدخل في باب الخطب ، وينتظم في سلكها ، وأودعتها ذلك السفر كي يكون لها ديوانا جامعا ، ومرجعا عاما ، يسهل مراجعتها فيه ، وسميته : جهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة .

وبوّتته أربعة أبواب في ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : ويحوى الباب الأول في خطب الجاهلية ، والباب الثاني في خطب صدر الإسلام .

الجزء الثاني : ويحوى الباب الثالث : في خطب العصر الأموي .

الجزء الثالث : ويحوى الباب الرابع : في خطب العصر العباسي الأول ، وذيل الجهرة ، في خطب متفرقة .

وإذ كان الشريف الرضى رحمه الله قد أفرد خطب الإمام على كرم الله وجهه بمؤلف خاص ، وهو : « نهج البلاغة » والإمام أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور ، قد جمع في مؤلفه : « بلاغات النساء » طائفة قيّمة من كلام بليغات النساء ، وطرائف أقوالهن . رأيت أن قلى ما ورد في هذين السفرين الجليلين بمخّافيره ، ليس على الحقيقة إلا ضمهما إلى كتابى ، وتضخيمه بهما ، ولذلك اجتزأت بإيراد جملة صالحة مما جاء فيهما ، مما استدعاه المقام .

ولم أقصر على إيراد الخطبة بإحدى الروايات الواردة فيها ، بل عيّنت بالتوفيق بين الروايات المختلفة ، وإتمام بعضها من بعض ، لما فى ذلك من زيادة الفائدة للقارى ، فإذا ما رأيت الخطبة مروية بصورتين يتبين فيهما الاختلاف ، أو ردت الصورتين جميعا .

وقد ضبطت ألفاظها ضبطاً وافياً ، وعقبت كل خطبة بذكر مصادرها التى نقلتها عنها ، كما ذيلتها بشرح يفسر غريب ألفاظها ، ويحلّ مستغلق كلماتها ، وأوردت فيه كل ما تمس إليه الحاجة فى فهمها ، من تَبَيُّذ تاريخية توضح المقامات التى أقيمت فيها ، إلى ما هنالك .

ولست أستطيع أن أصور للقارى مقدار ما عانيت من المتاعب فى ردّ كثير من الألفاظ إلى أصولها الصحيحة ، بعد نقلها على كلّ وجه ممكن ، حتى تخلص من شوائب التشويه الشائن ، القاشى فى كتب الأدب والتاريخ .

وإنى أقدم كتابى هذا إلى أبناء العربية الشريفة ، وفاء بما لما فى عنق من حق واجب ، وصنيعة مشكورة ، واقه أسأل أن يجعله خالصاً لوجه الكريم ، وأن ينفع به النفع المرجو منه ، وأن يمدنى بروح منه ؛ ويظلى بظلال الصعة

والعافية ، حتى أصدر ما اعتزمت إصداره بعد تمام هذا الكتاب إن شاء الله ،
وهو كتاب : « جمهرة رسائل العرب في عصور المربية الزاهرة »

كي تكمل حلقة النثر العربي في تلك العصور ، إنه المستعان ، عليه توكلت
وإليه أنيب ؟

أحمد زكي صفوت

حرر بالقاهرة في { ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ هـ
يوليو سنة ١٩٣٣ م



فهرس

مآخذ الخطب في هذا الجزء

الأمالي لأبي عليّ القالى	: الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى	: الرابع - السابع - الثامن - الحادى
صبح الأعشى لأبى العباس القلقشندى	: عشر - الرابع عشر - الخامس عشر
نهاية الأرب لشهاب الدين النويرى	: الجزء الأول - الثانى
عيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى	: الثالث - الخامس - السابع
الكامل لأبى العباس البرد	: المجلد الثانى
العقد الفريد لابن عبد ربه	: الجزء الأول - الثانى
زهر الآداب لأبى إسحق الحصرى	: الثالث
البيان والتبيين للجاحظ	: » »
نهج البلاغة للشريف الرضى	: » »
شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد	: المجلد الأول - الثانى - الثالث - الرابع
أمالى السيد المرتضى	: الجزء الأول - الثانى
مجمع الأمثال لأبى الفضل الميدانى	: » » »
جمهرة الأمثال لأبى هلال الصكرى	: » » »
خزانة الأدب لمبد القادر البندادى	: » » »

تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر : الجزء الثاني - الثالث - الرابع - الخامس -

ابن جرير الطبري : السادس

تاريخ الكامل لابن الأثير : الجزء الأول - الثاني - الثالث

مروج الذهب للمسعودي : » » - الثاني

الإمامة والسياسة لابن قتيبة : » »

المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء : » »

معجم البلدان لياقوت الحموي : » الثامن

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام : » الأول - الثاني

السيرة الحلبية لابن برهان الدين الحلبي : » »

: إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني

: بلاغات النساء لابن أبي طاهر طيفور

: شرح العميون ، شرح رسالة ابن زيدون

: لابن نباتة المصري

: أنباء نبياء الأبناء لابن ظفر المكي

: الحاسن والأضداد للجاحظ

: الشعر والشعراء لابن قتيبة

: شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون

: بلوغ الأرب للسيد محمود شكرى : الجزء الأول - الثالث

: الألويسى

: مفتاح الأفكار للشيخ أحمد مفتاح

الباب الأول

الخطب الوصايا

في

العصر الجاهلي

الخطب

إصلاح مرثد الخير

بين سُبَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَبَيْنَ مَيْمَنَ بْنِ مَثُوبٍ

كان مرثد الخير بن يَنْكَفَ قَيْلًا ، وكان حَدِيبًا على عشيرته ، محبًا لصلاحهم ،
وكان سُبَيْعُ بْنُ الْحَارِثِ^(١) ومَيْمَنُ بْنُ مَثُوبٍ بن ذِي رَعَيْنٍ تنازعا الشرف ، حتى تشاحنا ،
وخيف أن يقع بين حبيهما شرٌّ ، فافتقاني جذماما^(٢) ، فبعث إليهما مرثد ، فأحضرهما
ليصلح بينهما ، فقال لهما :

(١) أغرط عرس ، وعرس هو ذو جفث .

(٢) الجذم : الأصل وكذا الجفر .

١ - مقال مرثد الخير

إِنَّ التَّخَبُّطَ^(١) وَأَمِطَّاءَ الْمَجَاجِ^(٢) ، وَأَسْتَحْقَابَ^(٣) الْعَبَاجِ ، سَيِّفُنَا
 عَلَى شَفَا هُوَّةٍ ، فِي تَوَرُّدِهَا^(٤) بَوَارِ الْأَصِيلَةِ^(٥) ، وَأَقِطَاعِ الْوَسِيلَةِ ، فَتَلَفِيًا أَمْرًا كَمَا
 قَبْلَ أَنْ تِكَاثَ^(٦) الْعَمْدِ ، وَأَعْلَالِ الْعَمْدِ ، وَتَشْتِ الْأَلْفَةِ ، وَتَبَايُنِ الشُّمَةِ^(٧) ،
 وَأَنْتَا فِي فُسْحَةِ رَافِيَةٍ^(٨) ، وَقَدَمِ وَاطِدَةٍ^(٩) ، وَالْمَوْدَةِ مُثْرِبَةٍ^(١٠) ، وَالْبُقْيَا
 مُرِخَةٍ^(١١) ، قَدْ عَرَفْتُمْ أَنْبَاءَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْعَرَبِ : يَمْنُ عَصَى
 النَّصِيحِ ، وَخَالَفَ الرَّشِيدَ ، وَأَصْنَى إِلَى التَّقَاطُرِ ، وَرَأَيْتُمْ مَا آَلَتْ إِلَيْهِ عَوَاقِبُ
 سُوءِ سَمِيهِمْ ، وَكَيْفَ كَانَ سَيُورُ^(١٢) أُمُورِهِمْ ، فَتَلَفُوا الْقُرْحَةَ^(١٣) قَبْلَ
 تَقَافِمِ الثَّأِي^(١٤) ، وَأَسْتَحْقَالِ^(١٥) الدَّاءِ ، وَإِعْوَازِ الدَّوَاءِ ، فَإِنَّهُ إِذَا سَفِكَتِ
 الدَّمَاءُ ، أَسْتَحْكَمَتِ الشَّخَنَاءُ ، وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الشَّخَنَاءُ ، تَقَضَّيَتْ^(١٦) هُرَى
 الْإِبْقَاءِ ، وَشَمِلَ^(١٧) الْبَلَاءُ .

-
- (١) التخبط : ركوب الرجل رأسه في الشر خاصة ، أو السير على غير هدى . (٢) ركب فلان هجاج (غير مصروف) ، ووهج مينا على الكسر : أى ركب رأسه . (٣) الاستحقاب : استعمال من الحقيبة أو من الحقاب ، فأما الحقيبة ، فأي يحمل الرجل فيه متاعه من خرج أو غيره ، والحقاب : يرمي تشبه به المرأة وسطها (والبرم غيط فيه لوتان) ، وهذا مثل : إما أن يكون أراد أنه احتزم بالهجاج أو جعله في وهاته . (٤) التورد : الإشراف على الماء وغيره ، دخله أو لم يدخله . (٥) الأصل .
 (٦) انتقاض : (والأنكاث جمع نكت ، وهو مايقص من الجبال ليعاد ثانية) . (٧) القرابة .
 (٨) ناعمة من الرفاهية . (٩) ثابتة . (١٠) مصلة . (١١) ممكنة قد أمكنت من مرضها ،
 أى من جنبها وناحيتها ، يقال قد أعرض لك الناقى فارمه ، أى أمكنتك من مرضه . (١٢) عاقبة .
 (١٣) الجرح . (١٤) السى والى : الإفساد والجراح والقتل ونحوه . (١٥) اشتداده ، وهو أن يصير مثل الفحل . (١٦) تقطعت . (١٧) من بابى فرح ونصر .

٢ - مقال سبيع بن الحرث

فَقَالَ سَبِيعُ :

أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّ عَدَاوَةَ بَنِي الْقَلَاتِ ^(١) لَا تُنْزِلُهَا إِلَّا سَاءَةً ^(٢) ، وَلَا تَنْفِيهَا الرِّقَاةُ ، وَلَا تَسْتَقِلُّ ^(٣) بِهَا الْكَفَاةُ ، وَالْحَسَدُ الْكَامِنُ ، هُوَ الدَّاءُ الْبَاطِنُ ، وَقَدْ عَلِمَ بَنُو أَبِينَا هَوْلَاءُ ، أَنَا لَهُمْ رِدْءٌ ^(٤) إِذَا رَهَبُوا ، وَغَيْثٌ إِذَا أَجْدَبُوا ، وَعَصْدٌ إِذَا حَارَبُوا ، وَمَفْرَعٌ إِذَا نَكَبُوا ، وَأَنَا وَإِيَاهُمْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

إِذَا مَا عَلَوْا فَالَوْا أَبُونَا وَأَمْنَا وَلَيْسَ لَهُمْ عَالِينَ أُمَّ وَلَا أَبُ

٣ - مقال ميثم بن مشوب

فَقَالَ مَيْثَمُ :

أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّ مَنْ تَفَسَّ عَلَى ابْنِ أَبِيهِ الرَّعَامَةَ ، وَجَدَبَهُ ^(١) فِي الْمَقَامَةِ ^(٢) ، وَاسْتَكْثَرَ لَهُ قَلِيلَ الْكَرَامَةِ ، كَانَ قَرِيفًا ^(٣) بِاللَّامَةِ ، وَمَوْئِبًا عَلَى تَرْكِ الْأَسْتِقَامَةِ ، وَإِنَّا وَافِدٌ مَا نَعْتَدُ لَهُمْ بَيْدَرٍ إِلَّا وَقَدْ نَالَهُمْ مِنَّا كِفَاؤُهَا ، وَلَا نَذْكُرُ لَهُمْ حَسَنَةً إِلَّا وَقَدْ تَطَلَّعَ مِنَّا إِلَيْهِمْ جَزَاؤُهَا ، وَلَا يَتَفَقَّأُ لَهُمْ عَلَيْنَا ظِلٌّ نِعْمَةٍ إِلَّا وَقَدْ قُوِبِلُوا بِشَرِّوَاهَا ^(٤) ، وَتَحْنُ بَنُو فَخْلٍ مُقَرَّمٌ ^(٥) ، لَمْ تَعْمُدْ بِنَا الْأُمَهَاتُ وَلَا يَهْمُ ، وَلَمْ تَنْزِعْنَا أَعْرَاقُ الشَّوْءِ وَلَا إِيَاهُمْ ، فَتَلَامَ مَطُ ^(٦) الْخُدُودِ ، وَخَزَرُ الْعُيُونِ ^(٧)

(١) الملة: الضرة ، وبنو القلات بنو أمهات شق من رجل واحد ، (والأخفاف : من أهم واحدة والآباء شق) . (٢) جمع آس ، وهو الطيب . (٣) تنهض بها وتعملها . (٤) عون . (٥) عابه . (٦) المجلس . (٧) خليقا . (٨) مثلها . (٩) القرم : السيد ، وأقرمه : جعله قرما . (١٠) مد . (١١) الخزر أن ينظر الرجل إلى أحد عرضيه . يقال إنه ليتخازرلى : إذا نظر إليه بمؤخره ولم يستقبله بنظره .

وَالْجَنيفُ^(١) وَالنَّصَرُ، وَالبَّأُو وَالتَّكْثُرُ؟ أَلِكَثْرَةِ عَدَدٍ، أَمْ لِفَضْلِ جَلَدٍ، أَمْ لِعُلُولِ مُعْتَقَدٍ^(٢)؟ وَإِنَّا وَإِيَّاهُمْ لَكَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

لَا إِبْنَ عَمِّكَ، لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسْبٍ عَنِّي، وَلَا أَنْتَ دِيَانِي فَتَخْزُونِي^(٣)

وَمَقَاطِعُ الْأُمُورِ ثَلَاثَةٌ : حَرْبٌ مُبِيرَةٌ^(٤)، أَوْ سَلْمٌ قَرِيرَةٌ، أَوْ مُدَاجَاةٌ وَغَفِيرَةٌ^(٥).

٤ - مقال مرثد الخير

فَقَالَ الْمَلِكُ :

لَا تُنْشِطُوا^(٦) عَقْلَ الشَّوَارِدِ، وَلَا تُقْصِحُوا الْعُونَ الْقَوَاعِدَ^(٧)، وَلَا تُورَثُوا^(٨) نِيرَانَ الْأَحْقَادِ، فَيَهِيََا الْمَتَلَفَةُ الْمُسْتَاصِلَةُ، وَالْجَائِعَةُ^(٩) وَالْأَلِيلَةُ^(١٠)، وَعَفُوا بِالْحَلَمِ، أَبْلَادَ^(١١) الْكَلَمِ، وَأُنْيِبُوا إِلَى السَّبِيلِ الْأَرْشَدِ، وَالْمَنْهَجِ الْأَقْصَدِ، فَإِنَّ الْحَرْبَ تُقْبِلُ بِزُرْجٍ^(١٢) الْغُرُورِ، وَتُدْبِرُ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَلِكِ :

أَلَا هَلْ أُنَى الْأَقْوَامَ بِذُنَى نَصِيحَةٍ حَيَوَتْ بِهَا مَنَى سُبَيْمًا وَمِيْمًا
وَقُلْتُ أَعْلَمَا أَنَّ التَّدَابِيرَ غَادَرْتُ عَوَاقِبُهُ لَلذَّلِّ وَالْقُلُ جُرُومَهَا
فَلَا تَقْدَحَا زَنْدَ الْعُقُوفِ وَأَيُّيَا عَلَى الْعِزَّةِ الْقَمَاصِ^(١٣) أَنْ تَهْدَمَا
وَلَا تَجْنِيَا حَرْبًا تَجْرُ عَلَيْكَ عَوَاقِبُهَا يَوْمًا مِنَ الشَّرِّ أَشَمَّا

(١) التكبر، وكذا البأو. (٢) اعتقد خبيثة ومالا : اعتنهما. (٣) لا : أراد قد، فحذف اللام الخافضة اكتفاءً بالتي تليها، والبيان القائم بالأمر، وتخزوني : تسوسني. (٤) مهلكة. (٥) مسائرة وغفران. (٦) نشط المقة : عقدتها، وأنشطها حلها، والمقل ككتب جمع مقال، وهو الحبل. (٧) هو مثل، وأصله في الإبل، يقال : لقمته الناقة إذا حملت، وألقوها القمل، ثم ضرب ذلك مثلا للحرب إذا ابتدأت، واليون جمع حوان، وهي الثيب. يقال للحرب حوان إذا كان قد قوتل فيها مرة بعد مرة (٨) تذكروا. (٩) الاستصصال. (١٠) الكل. (١١) الأبلاد : الآثار، جمع بلد (كالنوب جمع نوب). (١٢) السحاب الذي تحفره الريح والزينة. (١٣) العاقبة.

فَإِنَّ جُنَاةَ الْحَرْبِ لِلْحَيْنِ عُرْضَةٌ تَفُوقُهُمْ مِنْهَا الذُّعَافُ الْمُقَشَّمَا^(١)
حَذَارٍ ، فَلَا تَسْتَنْبِثُوهَا ، فَإِنَّهَا تَقَادِرُ ذَا الْأَنْفِ الْأَشْمُ مُكَشَّمَا^(٢)
قَالَا : لَا ، أَيُّهَا الْمَلِكُ . بَلْ تَقْبَلُ نُصْحَكَ ، وَتُطِيعُ أَمْرَكَ ، وَتُطْفِئُ النَّارَ^(٣) ،
وَتَحُلَّ الضَّغَائِنَ ، وَتَتَوَبَّ إِلَى السَّلَامِ .
(الأمال : ١ : ٩٢)

هـ — طريف بن العاصي والحارث بن ذيان يتفاخران

عند بعض مقاول حمير

أَجْتَمَعَ طَرِيفُ بْنُ الْعَاصِي أَلَدُوسَى ، وَالْحَارِثُ بْنُ ذِيانٍ — وَهُوَ أَحَدُ الْمُعَمَّرِينَ —
عِنْدَ بَعْضِ مَقَاوِلِ^(١) حَمِيرٍ ، فَتَفَاخَرَا . فَقَالَ لِلْمَلِكِ الْحَارِثُ : يَا حَارِثُ ! أَلَا تَخْبِرُنِي بِالسَّبَبِ
الَّذِي أَخْرَجَكُمُ عَنْ قَوْمِكُمْ حَتَّى لَحِقْتُمُ بِالنَّيْمِ بْنِ عُثْمَانَ ؟ قَالَ : أَخْبِرُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ . خَرَجَ
هَجِينَانُ^(٢) مِنْ بَرِّ عِيَانٍ غَنَمًا لِمَا ، فَتَشَاوَلَا^(٣) بِسَيْفَيْهِمَا ، فَأَصَابَ صَاحِبُهُمْ عَقِبَ صَاحِبِنَا ،
فَمَاتَ^(٤) فِيهِ السَّيْفُ ، فَزَفَ^(٥) ، فَمَاتَ ، فَسَأَلُونَا أَخْذَ دِيَةِ صَاحِبِنَا دِيَةَ الْهَجِينِ ، وَهِيَ
نِصْفُ دِيَةِ الصَّرِيحِ^(٦) ، فَأَبَى قَوْمِي ، وَكَانَ لَنَا رِبَالًا^(٧) عَلَيْهِمْ ، فَأَيْنَا إِلَّا دِيَةَ الصَّرِيحِ ،
وَأَبَوْنَا إِلَّا دِيَةَ الْهَجِينِ ، فَكَانَ أَسَمُ هَجِينَا ذُهَيْنَ بْنَ زَبْرَاءَ ، وَأَسَمُ صَاحِبِهِمْ عَنَقَشَ بْنَ
مُهَيْرَةَ ، وَهِيَ سُودَاءُ أَيْضًا^(٨) ، فَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ بَيْنَ الْحَيَيْنِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُ :

(١) تفوقهم : تسميتهم للقواق بالضم (وهو ما بين الحلبتين) والضعاف : الدم ، أو سم ساعة (وسم ذعاف)
والمقشَّم : المخلوط . (٢) هو مثل : أي لا تخرجوا نبيثها ، وهو ما يخرج من البئر إذا حفرت : يريد
لا تثيروا الحرب ، ومكشما : مقطوعا . (٣) المداوة والتشناه . (٤) جمع مقول ، والمقول والقيل
هو الذي دون الملك الأعظم . (٥) الهجين : عربي ولد من أمة ، أو من أبوه خير من أمه (والمقرف :
الذي أمه عربية ، وأبوه ليس بعربي) . (٦) تفاربا . (٧) أفسد . (٨) زحف الرجل إذا
سال دمه حتى يصفى . (٩) الصريح : الخالص النسب . (١٠) زيادة . (١١) كذا في الأصل ،
ولم يتقدم الحكم على شيء بالسود ، فلعل الأصل : « ذهين بن زبراء وهي سوداء » .

حُلُومَكُمْ يَا قَوْمَ لَا تُعْزِبْنَهَا^(١) وَلَا تَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ بِالتَّدَابُرِ
وَأُدُّوا إِلَى الْأَقْوَامِ عَقْلَ ابْنِ عَمِّهِمْ وَلَا تُزْهِقُوا سَبَّةً فِي الْمَشَارِ^(٢)
فَإِنَّ أَبْنَ زَبْرَاءَ الَّذِي قَادَ لَمْ يَكُنْ بِدُونِ خَلِيفٍ أَوْ أُسَيْدٍ بِنِ جَابِرٍ^(٣)
فَإِنْ لَمْ تُطَاوُوا الْحَقَّ فَالْسَيْفُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، وَالسَيْفُ أَجُورُ جَابِرٍ
فَتَظَاهَرُوا^(٤) عَلَيْنَا حَسْداً ، فَاجْمَعُ ذُووُ الْحِجْبِيِّ مَنَا أَنْ نَلْحَقَ بِأَمْنِ بَطْنِ مِنَ الْأَزْدِ ،
فَلَحَقْنَا بِالنَّيِّرِ بْنِ عَثْمَانَ ، فَوَاللَّهِ مَا قَتَّ^(٥) فِي أَعْضَادِنَا ، فَأَبْنَا عَنْهُمْ ، وَلَقَدْ أَمَّا زَنَا^(٦)
صَاحِبَنَا وَمِ رَاغُونَ .

فوثب طريف بن العاصي من مجلسه ، فجلس بإزاء الحرث ، ثم قال :
تالله ما سمعتُ كالْيَوْمِ قولاً أبعدَ من صواب ، ولا أقربَ من خَطَلٍ^(٧) ، ولا أجلبَ
لَقَدَّعٍ^(٨) من قول هذا ؛ والله أيها الملك ما قتلوا بهجيتهم بَذَجًا^(٩) ، ولا رَقُوعًا به دَرَجًا ،
ولا أَنْطُوا^(١٠) به عَقْلًا ، ولا أَجْتَمَعُوا^(١١) به خَشَلًا^(١٢) ، ولقد أخرجهم الخوف عن أصلهم ،
وأجلام عن محلهم ، حتى أَسْتَلَانُوا خَشُونَةَ الْإِزْعَاجِ ، ولجئوا إلى أضيقِ الْوِلَاجِ^(١٣) :
قُلَا وَذُلَا .

فقال الحارث : أسمع يا طريف ، إني والله ما إخالك كَفًّا غَرَبَ^(١٤) لسانك ،
ولا مُنْهِنَهَا^(١٥) شِرَّةَ نَزَوَانِكَ ، حتى أسطو بك سَطَوَةً تَكْفُفُ طِمَاحَكَ ، وتردَّ

(١) لاتجديها - وأحزب : بعد وأبعد . (٢) العقل : الدية ، يقال : عقلت فلانا إذا غرمت
ديته ، وعقلت عن فلان إذا غرمت عنه دية جنائيه . وأرقت صرا : كلفته ذلك . (٣) فاد يفود :
مات (وفاد يفيد : تبخر) . (٤) تظاهروا . (٥) أوهن وأضعف . (٦) انثارت : أدركت منه ثأري
(وأصله انثأرت) . (٧) خطأ . (٨) الكلام القبيح ، أقنع له إذا أحمه كلاما قبيحا .
(٩) البليغ : الحروف ، فارسي مرب . (١٠) لغة في أعطوا . (١١) صرعوا .
(١٢) الخشل : شجر المقل (الدوم) وهذه أمثال كلها ، يريد أنهم لم ينالوا ثأره . (١٣) الولاغ الباب ،
وجسمه الولاغ ، وهي أيضا التواصي والأزقة . (١٤) غرب الشيء : حده . (١٥) نهته عن الأمر فنهته :
كفه وزجره فكف ، والشرية : الحقة ، والنزوان : الوثوب .

جَاحَكَ ، وَتَكْنَيْتَ تَنْزَعَكَ ^(١) ، وَتَقَمَّ نَسْرُكَ .

فقال طريف : مهلا يا حارث ، لا تَمْرِضِ لَطُفَةَ ^(٢) اسْتِنَانِي ، وَدَرْبَ ^(٣) سِنَانِي ، وَغَرْبَ شَبَابِي ، وَبِيسَمِ ^(٤) سِيَابِي ، فَتَكُونَ كَالْأُظْلَى ^(٥) الْمَوْطُوءِ ، وَالْمَجْتَبِ الْمَوْجُوءِ ^(٦) .
فقال الحارث : إياي تخاطب بمنزل هذا القول ؟ فوالله لو وطئتكَ لَأَسَخْتُكَ ^(٧) ، ولو وَهَضْتُكَ ^(٨) لَأَوْهَضْتُكَ ^(٩) ، ولو فَفَحْتُكَ ^(١٠) لَأَفْدْتُكَ .

فقال طريف متمللاً :

وَإِنَّ كَلَامَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ لَكَالْتَبْلِ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا
أَمَّا وَالْأَنْصَابُ الْحُجُوبَةُ ، وَالْأَنْصَابِ ^(١١) لِلنَّصُوبَةِ ، لَنْ لَمْ تَرْبَعْ عَلَى ظِلْمِكَ ^(١٢) ،
وَتَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ ، لَأَدْعَنَّ حَزَنَكَ سَهْلًا ، وَغَمْرَكَ صَحْلًا ^(١٣) ، وَصَفَاكَ ^(١٤) وَحَلًا .

فقال الحارث : أَمَا وَالله لو رُمْتَ ذَلِكَ لَمُرُغْتَ بِالْحَضِيضِ ^(١٥) ، وَأَغْصَصْتَ
بِالْجَرِيضِ ^(١٦) ، وَضَاقَتْ عَلَيْكَ الرُّحَابُ ، وَتَقَطَّعَتْ بِكَ الْأَسْبَابُ ، وَلَأَلْفَيْتَ لَنِّي ^(١٧)

(١) التسرع إلى الشر . (٢) طحمة السيل دففته ، واستن القرس قص وعدا المرحة ونشاطه

شوطاً أو شوطين ، والاستنان : النشاط ، استن القرس : جرى في نشاطه على سذنه في جهة واحدة .

(٣) الدرب : الحلة ، وكذا القرب . (٤) المكواة . (٥) الأظل : أسفل خف البعير .

(٦) المجب : أصل الذنب والموجوء : المدقوق (من وجأ التيس : دق عروق خصيه بين حجرين ولم يخرجهما شيئاً بالنصاء) . (٧) أساعه : جملة يسبح (أو يسوخ في الأرض) أي يفوس . (٨) كمرتك .

(٩) صرعتك صرعة لا تقوم منها . (١٠) فقهه بيسفه : تناوله . (١١) الأنصاب : حجارة كانت

حول الكعبة تنصب فيها عليها ويذبح لغير الله تعالى ، وقيل الأنصاب حجارة نصبت وعيدت من دون الله

جمع نصب ، وقيل النصب جمع نصاب . (١٢) ربع يربع : كف ، وظلغ ظلماً غمز في شيء ، واربع

على ظلمك أي إنك ضعيف فافته ما لا تطيقه وكف . (١٣) الغمر : الماء الكثير ، والفصل : الماء القليل

(وكذا الضمضاح) . (١٤) الصفا : جمع صفاة وهي الحجر الصلد الضمغم أو الصفا بمعنى الصفو .

(١٥) أسفل الجبل . (١٦) الجريض : النصة من الجرض ، وهو الرقيق يفص به يقال جرض بريقه

يجرض ابتله بالجهد على هم وحزن ، وفي المثل : حال الجريض دون القريض ، يضرب للأمر يقدر عليه أخيراً

حين لا يتفع . قاله جوشن الكلابي حين منه أبوه من الشر فرض حزناً حتى أشرف على الهلاك ، فرق له وقال

انطق بما أحبيت : فقال ذلك . (١٧) لنن : الملق بالمطروح .

تَهَادَاهُ الرُّوَامِسُ^(١) . بِالسَّهْبِ الطَّامِسِ^(٢) .

فَقَالَ طَرِيفُ : دُونَ مَا نَاجَتْكَ بِهِ نَفْسُكَ مُقَارَعَةُ أَبْطَالٍ ، وَحِيَاضُ أَهْوَآلٍ ،
وَحَفْزَةُ^(٣) إِعْجَالٍ ، يُمْنَعُ مَعَهُ تَطَامُنُ الْإِمْتِهَالِ .

فَقَالَ الْمَلِكُ : إِيَّهَا^(٤) عَنَّا ! فَأَرَأَيْتَ كَالْيَوْمِ مَقَالَ رَجُلَيْنِ لَمْ يَفْصِيَا^(٥) ، وَلَمْ
يُثْلِيَا^(٦) ، وَلَمْ يَلْصُوا^(٧) ، وَلَمْ يَقْتُوا^(٨) .

(الأمال ١ : ٧٣)

(١) الروامس : الرياح التي ترمس أي تدفن . (٢) المستوى من الأرض ، والطامس : الدارس
(كالطامس) (٣) الحفز : الدفع . (٤) إياها : كلمة زجر بمعنى حسبك (وإليه : أمر . كلمة
استزادة واستنطاق) . (٥) لم يشتا . قصبه يقصبه إذا وقع فيه وأصله القطع . (٦) ثلّبه : عابه .
(٧) لصاه : قلّقه . (٨) قتاه : قلّقه بأسر عظيم .

وفود العرب

يعزون سلامة ذا فائش بآبن له مات

نشأ لسلامة ذى فائش ابنٌ كَأَ كُلِّ أَجْنَاءِ الْقُلُولِ ، وَكَانَ مَسْرُورًا بِهَ يَرْشَحُهُ لِمَوْضِعِهِ ،
فَرَكِبَ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَسًا صَحْبًا ، فَسَكَبَا بِهِ فَوْقَ صَهْ^(١) ، فَجَزَعَ عَلَيْهِ أَبُوهُ جَزْعًا شَدِيدًا ، وَامْتَنَعَ
مِنَ الطَّعَامِ ، وَاحْتَجَبَ عَنِ النَّاسِ ، وَاجْتَمَعَتْ وَفُودُ الْعَرَبِ بِبَابِهِ لِيَحْزُوهُ ، فَلَامَهُ نَصْحَاؤُهُ
فِي إِفْرَاطِ جِزْمِهِ ، فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَقَامَ خُطْبَاؤُهُمْ يُؤَسِّسُونَهُ^(٢) ، وَكَانَ فِي الْقَوْمِ الْمَلِيبُ
ابْنُ عَوْفٍ ، وَجُمَاعَةُ بْنُ أَفْلَحٍ ، فَقَامَ الْمَلِيبُ فَقَالَ :

٦ - خطبة الملبب بن عوف

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ الدُّنْيَا تَجُودُ لِمَنْ سَلَبَ ، وَتَعْطِي لِمَنْ أَخَذَ ، وَتَجْمَعُ لِمَنْ شَتَّتْ ، وَتُنْخَلِي لِمَنْ لَتَمِرَ ،
وَتَزْرِعُ الْأَحْزَانَ فِي الْقُلُوبِ ، بِمَا تَفْجَأُ بِهِ مِنْ اسْتِرْدَادِ الْوُهُوبِ ، وَكُلِّ مَصِيبَةٍ مَخْطَأَتِكَ
جَلَلٌ^(٣) ، مَا لَمْ تُدْزِنْ الْأَجَلَ ، وَتَقْضِ الْأَمَلَ ، وَإِنْ حَادَثَا أَلَمٌ بِكَ ، فَاسْتَبِدْ^(٤) بِأَقْلَاكَ ،
وَصَفِّحْ عَنْ أَكْثَرِكَ ، لِمَنْ أَجَلَ النِّعَمِ عَلَيْكَ ، وَوَدَّ تَنَاهَتْ إِلَيْكَ أَنْبَاءُ مَنْ رَزَى
فَصَبْرَ ، وَأَصِيبَ مَا غَفَرَ ، إِذْ كَانَ شَوْى^(٥) فِيهَا يُرْتَقَبُ وَيُحْذَرُ ، فَاسْتَشْعِرِ الْيَأْسَ مِمَّا
فَاتَ ، إِذْ كَانَ ارْتِجَاعُهُ مُتَمَنِّعًا ، وَمَرَامُهُ مُسْتَصْعَبًا ، فَلَيْشَى مَا ضُرِبَتْ الْأُمَى ، وَفَزِعَ
أَوَّلُ الْأَبَابِ إِلَى حَسَنِ الْعَزَاءِ .

(١) وقص صفة : كسرهما . (٢) أساء تأسية : عزاء ، وأصله : أن يقول له لك أسوة بفلان وفلان . (٣) الجلل : العظيم والمقبر وهو هنا بالمرئى الثاني . (٤) البدة بالقسم : التصيب ، واستبد به : جعله نصيبه . (٥) الشوى : المين اليسير ورذال المال .

٧ — خطبة جمادة بن أفلح

وقام جُمَادَةُ فقال : « أيها الملك ، لا تَسْرِ قَلْبِكَ الجَزَعُ على ما فات ، فَيَنْقَلِ دَهْنُكَ عن الاستعداد لما يَأْتِي ، وَنَاضِلُ عَوَارِضِ الحَزْنِ بالأُنْفَةِ عن مضاهاة^(١) أُنْصَالِ أَهْلِ وَفِي^(٢) الْمُقُولِ ، فَإِنَّ العِزَّاءَ لُحْزَمَاءَ الرُّجَالِ ، وَالْجَزَعُ لِرَبَّاتِ الْحِجَالِ^(٣) ، وَلَوْ كَانَ الجَزَعُ يَرُدُّ فَائِئًا ، أَوْ يُجِنِّي تَالِفًا ، لَكَانَ فِعْلًا دَنِيئًا ، فَكَيْفَ وَهُوَ مُجَانِبٌ لِأَخْلَاقِ ذَوِي الْأَبَابِ ، فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ عما يَنْهَافُ^(٤) فِيهِ الْأَرْدَلُونَ ، وَصَنْ قَدْرَكَ عَمَّا يَرْكَبُهُ الْخُحُوسُونَ ، وَكُنْ على قَعَةٍ أَنْ طَمَعَكَ فِيمَا اسْتَبَدَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ ، ضِلَّةً كَأَحْلَامِ النَّيَّامِ » .

(الأمال ٢ : ١٠١)

٨ — تساؤل عامر بن الظرب وحممة بن رافع

عند أحد ملوك حمير

اجتمع عامر بن الظَّرِبِ الْقُدْرَانِي ، وَحُمَّةُ بْنُ رَافِعِ الدَّوْسِيِّ عند ملك من ملوك حمير ، فقال : نساء لا حتى أسمع ما تقولان . قال عامر لحممة : أين تحب أن تكون أياديك ؟ قال : عند ذِي الرَّثِيَّةِ^(٥) الْعَدِيمِ ، وَذِي الْخَلَّةِ^(٦) الْكَرِيمِ ، وَالْمَسْرُ الْغَرِيمِ ، وَالْمُسْتَضْمَفِ الْهَضِيمِ . قال : من أحق الناس بالمت ؟ قال : الْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ ، وَالضَّمِيمُ الصَّوَّالُ ، وَالْعَمِي الْقَوَّالُ . قال : فمن أحق الناس بالمنع ؟ قال : الْحَرِيصُ الْكَانِدُ^(٧) ، وَالْمُسْتَمِيدُ^(٨) الْحَاسِدُ ، وَالْمُلْحِفُ الْوَاجِدُ . قال : فمن أجدر الناس بالصنعة ؟ قال : من إذا أُعْطِيَ شَكَرَ ، وَإِذَا

(١) مشكلة . (٢) ضف . (٣) والجمال جمع حجلة (يفتحين) ، وهي القبة وموضع يزين بالياباب والستور لعمروس . (٤) التفات : التتابع . (٥) الرثية : وجع المفاصل واليدين والرجلين (الروماتزم) . (٦) الخلة الحاجة . (٧) الكاند : الذي يكفر النعمة ، والكثود الكفور : (إن الإنسان لربه لكنود) . (٨) المستيد والمستير : المستطلى .

مُنِعَ عَدْرٌ ، وَإِذَا مُوْطِلَ صَبَرَ ، وَإِذَا قَدَّمَ الْمَهْدُ ذَكَرَ . قال : من أكرم الناس عشرة ؟ قال : من إن قُوبَ مَنَعَ ، وإن بَمَدَّ مَدَحَ ، وإن ظَلِمَ صَفَحَ ، وإن ضُوقَ سَمَحَ ، قال : من ألأم الناس ؟ قال : من إذا سَأَلَ خَضَعَ ، وإذا سُئِلَ مَنَعَ ، وإذا مَلَكَ كَتَمَ ^(١) ، ظَاهِرُهُ جَشَعَ ^(٢) ، وباطنه طَبَعَ ^(٣) . قال : فن أحلم الناس ؟ قال : من عفا إذا قَدَرَ ، وأَجَلَ إذا اتَّصَرَ ، ولم تُطْفِئِ عِزَّةَ الظُّفْرِ . قال : فن أحزم الناس ؟ قال : من أخذ رِقَابَ الأمور بيديه ، وجعل العواقب نُصَبَ عَيْنِهِ ، ونَبَذَ التَّهَيُّبَ دَبْرَ أُذُنِهِ ^(٤) ، قال : فن أخرق الناس ؟ قال : من ركب الخطار ^(٥) ، واعتسف ^(٦) العِثَارَ ، وأسرع في البِدَارِ ، قبل الاقتدار . قال : فن أجود الناس ؟ قال : من بذل المجهود ، ولم يَأْسَ على المهود . قال : فن أبلغ الناس ؟ قال : من جَلَّى المعنى الزَّيْرَ ^(٧) ، باللفظ الوجيز ، وطَبَّقَ ^(٨) المفصل قبل التحزير . قال : فن أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من تحلَّى بالعفاف ، ورضى بالكفاف ، وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف . قال : فن أشقى الناس ؟ قال : من حسد على النعم ، وتسخط على القِسَمِ ، واستشعر الندم ، على فوت ما لم يُحْتَمَ . قال : من أغنى الناس ؟ قال : من استشعر اليأس ، وأبدى التجمل للناس ، واستكثر قليل النعم ، ولم يَسْخَطْ عَلَى القِسَمِ . قال : فن أحكم الناس ؟ قال : من صَمَتَ قَادَ كَرٍّ ، ونظر فاعتبر ، ووَعِظَ فازدجر . قال : من أجهل الناس ؟ قال : من رأى الخُرْقَ مَغْمَاً ، والتجاوز مَغْرَمًا .

(الأمالي ٢ : ٢٨٠)

٩ — خطبة عامر بن الظرب العدواني وقد خطبت ابنته

خطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظرب العدواني ابنته عَمْرَةَ فقال :

- (١) تقيض . تكتع جلده إذا تقيض أى عمك بخيل . (٢) الجشع : أسوأ الحرص . (٣) اللبس . (٤) جعلت الشيء دبر أذن : إذا لم ألقت إليه . (٥) جمع خطر ، وهو الإشراف على الهلاك . (٦) الاعتساف : ركوب الطريق على غير هداية وركوب الأمر على غير معرفة . (٧) الصب . (٨) التطبيق : أن يصيب السيف المفاصل فيفصلها لا يجاوزها .

« يا صمعة إنك جئت تشتري منى كبدي ، وأرحم ولدي عندي ، مننتك ، أو بمتك ،
النكاح خير من الأئمة^(١) ، والحبيب كفه الحبيب ، والزوج الصالح أبٌ بعد أب ،
وقد أتكحتك خشية ألا أجد مثلك ، أفر من السراى العلانية ، أنصح ابنا ، وأودع^(٢)
ضيعة قويا ، ثم أقبل على قومه قتال :

« يا مشر علوان : أخرجت من بين أظهركم كرميتمكم ، على غير رغبة عنكم ،
ولكن من خطأ له شيء جاءه ، رب زلزم فضه بجديد سوله ، ولولا قسم ~~فله~~
على قدر الجلود ، ما أدرك الآخر من الأول شيئا يعيش به ، ولكن الذي أرسل الحيا^(٣) ،
أنبت للرعى ، ثم قسسه^(٤) أكل كل قم بقله ، ومن الماء جرعة ، إنكم ترون
ولا تعلمون ، لن يرى ما أصف لكم إلا كل ذي قلب واع^(٥) ، ولكل شيء راع ،
ولكل رزق ساع ، إما أكيس وإما أحمق ، وما رأيت شيئا إلا سمعت حسه ،
ووجدت مسه ، وما رأيت موضوعا إلا مصنوعا ، وما رأيت جائيا إلا داعيا ، ولا غائما
إلا خائبا ، ولا نعمة إلا ومعها بؤس ، ولو كان يُميت الناس الداء ، لأحيام الدواء ، فهل
لكم في العلم العليم ؟ قيل ما هو ؟ قد قلت فأصبت ، وأخبرت فصدقت ، فقال : أمورًا
شقي ، وشيئا شيا ، حتى يرجع الميت حيا ، ويمود لا شيء شيئا ، ولذلك خلقت الأرض
والسموات ، فتولوا عنه راجسين ، فقال : وَيْلُهَا^(٦) نصيحة لو كان من يقبلها .

(مجمع الأمثال ١ : ٢١١ ، البيان والتبيين ٢ : ٢٧ ، والمقد القرين ٣ : ٢٢٢)

١٠ — حديث بعض مقال حير مع ابنه

وما دار بينه وبينهما من المسألة حين كبرت سنه

كان لرجل من مقال حير ابنان ، يقال لأحدهما عمرو ، وللآخر ريعة ، وكانا قد

(١) الأباى : اللين لأزواج لهم من الرجال والنساء الواحد منهما أيم كجيد ، سواء كان تزوج من
قبل أم لم يتزوج ، وامرأة أيم بكرا كانت أو ثيبا ، وقد آتت تقيم أيا وأيمة وأيوما ، وفي الحديث :
« أنه كان يتعوذ من الأئمة » . (٢) الحيا : المطر . (٣) الأكل : ما ياكل والرزق . (٤) حافظ .
(٥) يقال للمستجاد ويلمه . أى ويل لأمة ، كقولهم : لأب لك يريدون لأب لك فركبه وجعلوه كالشيء الواحد .

برعا في الأدب والعلم ، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره ، وأشق^(١) على الفناء ، دعاها رَيْبِلُو^(٢) عقولهما ، ويعرف مبلغ علمها ، فلما حضرا : قال لمرو - وكان الأكبر - أخبرني عن أحب الرجال إليك ، وأكرمهم عليك . قال : « السيد الجواد ، القليل الأنداد ، الماجد الأجداد ، الراسي الأوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرماد ، الكثير الحساد ، الياسل الذؤاد^(٣) ، الصادر الزؤاد » قال : ما تقول ياربيمة ؟ قال : ما أحسن ما وصف ! وغيره أحب إلى منه ، قال : ومن يكون بعد هذا ؟ قال : « السيد الكريم ، اللانع للحریم ، المفضل الحليم ، القمقام^(٤) الزعيم ، الذي إن لم فعل ، وإن سئل بذل » .

قال : أخبرني يا عمرو بأبض الرجال إليك ؟ قال : البرم^(٥) القيم ، المستخذي^(٦) للخصم ، الميطان^(٧) النهيم ، العمي البكيم ، الذي إن سئل منع ، وإن هُدد خضع ، وإن طلب جشع^(٨) .. قال : ما تقول ياربيمة ؟ قال : غيره أبض إلى منه . قال : ومن هو ؟ قال : الثنوم الكذوب ، الفاحش التصوب ، الرغيب عند الطعام ، الجبان عند الصدام .

قال : أخبرني يا عمرو : أمة للنساء أحب إليك ؟ قال : الحرز كولة^(٩) الفناء^(١٠) ، المنكورة^(١١) الجيدة ، التي يشقى السقيم كلامها ، ويبرى الوصيب^(١٢) لئامها ، التي إن أحسنت إليها شكرت ، وإن أسأت إليها صبرت ، وإن استعنت بها^(١٣) أعنت ، الفائرة الطرف ، الطفلة^(١٤) الكف ، العميمة الرذف . قال : ما تقول ياربيمة ؟ قال : نعت فأحسن ! وغيرها أحب إلى منها . قال : ومن هي ؟ قال : « الفتانة العينية ،

(١) أشقى عليه : أشرف . (٢) ليختبر . (٣) من ذاد عنه : إذا دفع . (٤) السيد (ويضم) . (٥) البرم : من لا يدخل مع القوم في الميسر . (٦) الخاضع المستكين ، والخصم : المخاصم . (٧) من هم بطنه ، أو الرغيب لا يفتي من الأكل . (٨) الجشع : أسوأ الحرص . (٩) المرتجة الأرداف . (١٠) الملتفة الجسم . (١١) الملطوية الخلق من النساء والمستديرة الساقين ، والجيدة : من الجيد بالتحريك ، وهو طول الرقة ، وأدقها مع طول . (١٢) المريض . (١٣) استعنته : طلب إليه العتي (الرضا) وأحبته أطباء التهجى . (١٤) الناعمة .

الاسيلة^(١) الخدين ، الكاعب^(٢) التدين ، الرذاح^(٣) الوركين ، الشاكرا لقليل ،
للماعدة للخليل^(٤) ، الرخيمة^(٥) الكلام ، الجماء^(٦) العظام ، الكريمة الأخوال
والأعمام ، القذبة اللثام^(٧) .

قال : فأى النساء إليك أبغض يا عمرو ؟ قال : القنات^(٨) الكذوب ، الظاهرة
الصوب ، الطوافة^(٩) المبوب^(١٠) ، العابة القطوب ، السبابة الوئوب ، التى إن ائتمنها
زوجها خاتنه ، وإن لان لها أهاتنه ، وإن أرضاها أعصبتنه ، وإن أطاعها عصته ، قال :
ما تقول يا ريعة ؟ قال : بنس والله المرأة ذكر ! وغيرها أبغض إلى منها . قال : وأيتن^(١١)
التى هى أبغض إليك من هذه ؟ قال : السليطة^(١٢) اللسان ، المؤذية للجيران ، الناطقة
بالبهتان ، التى وجهها عابس ، وزوجها من خيرها آيس ، التى إن عاتبها زوجها وترته^(١٣) ،
وإن ناطقها اتهرته . قال ريعة : وغيرها أبغض إلى منها . قال : ومن هى ؟ قال : التى
شقى صاحبها ، وخزى خاطبها ، واقتضع أقاربها . قال : ومن صاحبها ؟ قال : مثلها
فى خصالها كلها ، لا تصلح إلا له ، ولا يصلح إلا لها . قال : فصفه لى . قال : الكفور
غير الشكور ، القنم الفجور ، الملبوس الكالح^(١٤) ، الحرون الجامح ، الراضى بالمهوان ،
الختال المنان ، الضيف الجنان ، الجمد^(١٥) البنان ، القثول غير القمول ، الملول غير
الوصول ، الذى لا يرع^(١٦) عن المحارم ، ولا يردع عن المظالم .

قال : أخبرنى يا عمرو : أى الخليل أحب إليك عند الشدائد ، إذا التقى الأقران
للتجالد ؟ قال : الجواد الأنيق ، الحصان العتيق ، الكفيت^(١٧) العريق ، الشديد الوثيق ،
الذى يفوت إذا هرب ، ويلحق إذا طلب . قال : نعم الفرس والله نمت ! قال : فما تقول

(١) الأسيل من الخلود : الطويل المسترسل . (٢) كعب التدى : نهـ . (٣) الثقيلة البجيزة الضخمة
الوركين . (٤) الزوج . (٥) اللينة الكلام . (٦) التى ليس لفظها حجم . (٧) المراد
موضع اللثام ، فهو على حذف مضاف . (٨) التمام . (٩) الكثيرة الاتقياء ، والميوب : الريح المثيرة
لغبار . (١٠) الطويلة . (١١) أحفظته وأعصيته . (١٢) كالج : تكثر فى عبوس .
(١٣) كناية عن البخل . (١٤) ورع : كورث كف . (١٥) السريع .

يا ربيعة ؟ قال : غيره أحب إليّ منه . قال : وما هو ؟ قال : الحصان الجَوَاد ، السَّيْلَس
الْقِيَاد ، الشَّهَم الفَوَاد ، الصَّبُور إذا سرى ، السابق إذا جرى .

قال : فأى الخليل أبغض إليك يا عمرو ؟ قال : الْجُمُوح الطَّمُوح ، النِّكُول^(١)
الأنُوح^(٢) ، الصَّنُول^(٣) الضعيف ، المَّلُول العنيف ، الذى إن جاريته سبقته ، وإن طلبته
أدركته . قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : غيره أبغض إليّ منه . قال : وما هو ؟ قال :
البطىء الثقيل ، الحرُّون السَّكِيل ، الذى إن ضربته قَمَص ، وإن دنوت منه تَمَسَّ^(٤) ،
يدركه الطالب ، ويقوته المارب ، وَيَقْطَع بالصاحب . قال ربيعة : وغيره أبغض إليّ منه .
قال : وما هو ؟ قال : الْجُمُوح الخَبُوط^(٥) ، الرِّكَوْض الخَرْوُوط^(٦) ، الشَّمُوس الصَّرُوط^(٧) ،
الْقَطُوف^(٨) فى الصمود والمبوط ، الذى لا يُسَلِّم الصاحب ، ولا ينجو من الطالب .

قال : أخبرنى يا عمرو أى العيش أَلَدُّ ؟ قال : عيش فى كرامة ، ونعيم وسلامة ،
واغْتِباق^(٩) مُدَامَة . قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : نِعمَ التَّيْسُ والله وصف ! وغيره
أحب إليّ منه . قال : وما هو ؟ قال : عيش فى أمن ونعيم ، وعِزٍّ وغنى عيم ، فى ظل
نجاح ، وسلامة مساء وصباح ، وغيره أحب إليّ منه . قال : وما هو ؟ قال : غِنَى دائم ،
وعيش سالم ، وظلٌّ ناعم .

قال : فما أحب السيوف إليك يا عمرو ؟ قال : الصَّقِيلُ الحَسَام ، الباتر المَجْدَام^(١٠) ،
الماكِض السَّطَام^(١١) المُرْهَف^(١٢) الصَّمْصَام^(١٣) ، الذى إن هزرتَه لم يَكْبُ^(١٤) ، وإذا
ضربت به لم يَنْبُ^(١٥) . قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : نعم السيف نعت ! وغيره أحب

(١) النكول : الذى ينكل من قرنه . (٢) الكثير الزحير . (٣) كثير الصنيل : وصنيل
الفرس : صهيله . (٤) شمس القرس ، منع ظهره : فهو شامس وشموس . (٥) الكثير الخبط :
وهو السير على غير هدًى . (٦) الخروط : الدابة الجموح تجتنب رُسْها من يد مسكها ثم تمضى .
(٧) الكثير الضراط . (٨) قطعت الدابة : شاق مشياً فهي قطوف . (٩) اغتبق : شرب
التبوق ، وهو ما يشرب بالعى ، والمدامة : الخمر كاللدام . (١٠) من الجمل : وهو القطع . (١١) الحد .
(١٢) رَهف السيف ، وأرْهفه : رققه . (١٣) السيف لا ينثى كالصمصامة . (١٤) لم يَمْشُ .
(١٥) لم ينكل من الضريبة .

إلى . قال : وما هو ؟ قال : الحسام القاطع ، ذو الرؤق اللامع ، الظمان الجائع ، الذى إن هرزته هتَكَ^(١) ، وإذا ضربت به بَتَكَ^(٢) . قال : فما أبض السيوف إليك يا عمرو ؟ قال : القَطَارُ^(٣) الكَهَمُ^(٤) ، الذى إن ضرب به لم يقطع ، وإن دُجج به لم يَنْخَع^(٥) . قال : فما تقول يا ربعة ؟ قال : بئس السيف والله ذكر ! وغيره أبض إلى منه . قال : وما هو ؟ قال : الطَّبِيعُ^(٦) أَلَدَّانُ^(٧) ، المِعْدَدُ^(٨) المَهَانُ .

قال : فأخبرنى يا عمرو : أى الرِّمَاحِ أحبُّ إليك عند المِرَاسِ ، إذا أعتكر ألباسُ ، وأُشْتَجِرَ أَلَدَّاسُ^(٩) ؟ قال : أحبها إلى المَارَنُ^(١٠) المُنْقَفُ ، المَقُومُ المَخْطَفُ^(١١) ، الذى إذا هرزته لم ينطف ، وإذا طعنت به لم ينقص . قال : ما تقول يا ربعة ؟ قال : « نِعَمَ الرمح نعت ! وغيره أحبُّ إلى منه » . قال : وما هو ؟ قال : الذابل^(١٢) النِّصَالُ ، المَقُومُ النَّصَالُ ، المَأْخِى إذا هرزته ، النافذ إذا هرزته .

قال : فأخبرنى يا عمرو عن أبض الرِّمَاحِ إليك ؟ قال : الأعصل^(١٣) عند الطمان ، المثلَّم السَّنان ، الذى إذا هرزته انطف ، وإذا طعنت به انقص . قال : ما تقول يا ربعة ؟ قال : بئس الرمح ذكر ! وغيره أبض إلى منه . قال : وما هو ؟ قال : الضميف المَهْزِ^(١٤) : اليا بَسُ الكَرْزِ^(١٥) ، الذى إذا أكرهته انحطم ، وإذا طعنت به انقص . قال : انصرفا ، الآن طأب لى الموت » . (الأمالي ١ : ١٥٢)

(١) مزق . (٢) قطع . (٣) الذى لا يقطع ، وهو مع ذلك حديث الطبع . (٤) سيف كهام : كليل . (٥) لم يبلغ التخاع . (٦) من الطبع : أى الصدا . (٧) الذى لا يقطع . (٨) القصير الذى يمتن فى قطع الشجر وغيرها . (٩) الطمان : دعه إذا طعنت . (١٠) المارن : مالان من الرمح ، والمُنْقَفُ : المسوى بالثقاف ، وهو مائى به الرماح . (١١) الخطف بضم فسكون : الضمر ، وإخطاف الحشى : انطواؤه ، ومته فرس غطف الحشى : أى ضامره ، ورجل غطف كذلك ، ورجل غطف أى دقيق . (١٢) قنا ذابل : أى دقيق لاصق باليوط (بكسر اللام ، واليوط : قشر القنات) ، والمسال : التشديد الاضطراب إذا هرزته ومته السلان بالتحريك ، وهو عدو فيه اضطراب ، والسنلان قريب منه . (١٣) اللتوى : الموج . (١٤) مهزه كتمه : دفعه . (١٥) الكزازة : الليس والانتباض كز فهو كز .

١١ - إحدى ملكات اليمن وخاطبوها

وذكروا أن ملكة كانت سبأ^(١) ، فأتاها قوم يخطبونها ، قالت : ليصف كل رجل منكم نفسه ، وليصدق وليؤجز ، لأتقدم إن تقدمت ، أو أدع إن تركت ، على علم ، فتكلم رجل منهم يقال له مُدْرِك ، فقال : « إن أبي كان في العز الباذخ^(٢) ، والحسب الشامخ ، وأنا شَرِس الخليفة ، غير رَعِيد^(٣) عند الحقيقة » قالت : لاعتكَب على الجنْدَل فأرسلتها مثلاً^(٤) ، ثم تكلم آخر منهم ويقال له ضَبِيس بن شَرِس فقال : « أنا في مال أُنَيْث^(٥) ، وخلق غير خبيث ، وحسب غير عثيث^(٦) ، أحذو النعل بالنعل ، وأجزى القرض^(٧) بالقرض » فقالت : لا يسرك غائباً من لا يسرك شاهداً ، فأرسلتها مثلاً . ثم تكلم آخر منهم ، يقال له شَمَّاس بن عباس فقال : « أنا شماس ابن عباس ، معروف بالندى والباس ، حسن الخلق في سَجِيَّة ، والعدل في قَضِيَّة ، مالى غير محذور على القُلِّ والكُثْر ، وبابى غير محبوب على الصُّرِّ واليُسْرِ ، قالت : الخير متَّبِع والشر محذور ، فأرسلتها مثلاً . ثم قالت : اسمع يا مدرك ، وأنت يا ضبيس ، لن يستقيم معكما معاشرَة لشير حتى يكون فيكما لين عَرِيكة^(٨) ، وأما أنت يا شماس ، فقد حَلَّتْ منى محل الأهرع^(٩) من السكَّانة^(١٠) ، والواسطة^(١١) من القِلادة ، لِدَمَانَةٍ^(١٢) خلقت ، وكرم طباعك ، ثم اسع بمجدٍ أودع^(١٣) ، فأرسلتها مثلاً ، وتزوجت شماسا .

(مجمع الأشبال ٢ : ١١٨)

(١) سبأ : بلدة باليمن . (٢) المال : الرعي . (٣) الرعيد : الجبان . (٤) قال الميداني : « يضرب في الأمر الذي إذا وقع لامرء له ، قاله أبو عمرو » . (٥) كثير : عظيم . (٦) لم أجد في كتب اللغة وصفاً من مادة عث هل فعيل ، وإنما الذي فيها « رجل عث بفتح العين أى ضئيل الجسم » وسياق اتقواصل يرجح أن الوصف الذي هنا فعيل ، وأرى أن معناه مشين معيب من عث العثة الصوف إذا أكلته فهو عثيث بمعنى مشوث . (٧) القرض : القطع . (٨) المريكة : الطبيعة ، ورجل لين المريكة : أى سلس الخلق . (٩) الأهرع آخر سهم في الكنانة ودبها كان أو جيداً أو هو أفضل سهامها لأنه يدخر لشدة أو هو أردوها ، والمراد هنا الثاني . (١٠) واسطة المقد : الجوهرة الفاخرة التي تجمل وسطه . (١١) الدماناة : السهولة .

١٢ - رواد مذحج يصفون ما ارتادوا من المراعى

عن أشياخ من بنى الحرث بن كعب قالوا :

« أَجْدَبَتْ بِلَادَ مَذْحِجٍ فَأَرْسَلُوا رُؤَادًا ^(١) ، مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلًا ، فَبَعَثَتْ بَنُو زَيْدٍ رَائِدًا ، وَبَعَثَتْ النَّخْعُ رَائِدًا ، وَبَعَثَتْ جُفَيْفُ رَائِدًا ، فَلَمَّا رَجَعَ الرُّوَادُ قِيلَ لِرَائِدِ بْنِ زَيْدٍ : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ أَرْضًا مُوشِمَةً ^(٢) الْبِقَاعِ ، نَاتِحَةً النَّقَاعِ ^(٣) ، مُسْتَحْلَسَةً النَّيْطَانِ ^(٤) ضَاكِكَةً الْقُرَيَّانِ ^(٥) وَاعْدَةً ^(٦) وَأَحْرَ بَوَاقِهَا ، رَاضِيَةً أَرْضُهَا عَنْ سَمَائِهَا . وَقِيلَ لِرَائِدِ جُفَيْفٍ : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ أَرْضًا جَمَّتِ السَّمَاءُ ^(٧) أَقْطَارُهَا ، فَأَمْرَعَتْ أَصْبَارُهَا ^(٨) ، وَدَبَّتْ أَوْعَارُهَا ^(٩) ، فَبَعْلُنَانِهَا غِغَةً ^(١٠) وَظَهْرَانِهَا غَدَقَةً ^(١١) ، وَرِيَاضُهَا مُسْتَوْسِقَةٌ ^(١٢) ، وَرَقَاقُهَا رَارِخٌ ^(١٣) ، وَوَاطِئُهَا سَارِخٌ ^(١٤) ، وَمَاشِيهَا ^(١٥) مَسْرُورٌ ، وَمُضَرِّمُهَا ^(١٦) مَحْسُورٌ . وَقِيلَ لِلنَّخْعِ مَا وَرَاءَكَ ؟ فَقَالَ : « مَذَاحِي ^(١٧) سِيلٌ ، وَزَهَاهُ ^(١٨) لَيْلٌ ،

- (١) الرواد : جمع رائد ، وهو المرسل في طلب الكلأ . (٢) أوشمت الأرض : إذا بدا فيها شيء من النبات (وأوشمت السماء : إذا بدا فيها برق) . (٣) البقاع : جمع نقع (كشمس) وهو الأرض الحرة الطين يستمتع فيها الماء ، وناخعة : أى راضية ، من النخع وهو خروج المرق من الجلد . (٤) النيط ، والنيط ، والنط ، والنطاط : للمطمئن الواسع من الأرض وجهه غوط (بالضم) وأغواط وغيطان ، وغياط ، واستحلس التبت : إذا غطى الأرض أو كاد يغطيها . (٥) القرينان : مجارى الماء من الربو إلى الرياض جمع قرى كفى . (٦) أى تمد تمام نباتها وغيرها ، وأحر : أغلق . (٧) السماء هنا : المطر ، يريد أن المطر جاد بها ، فطال التبت ، فصار المطر كأنه قد جمع أكنافه . (٨) مرع الوادى مثلث الرء مراعاة وأمرع : أعشب وأعصب فهو مريع ومرع ، وأصبارها : فواحها جمع صبر بالكسر والنخم . (٩) دبّت : لينت . (١٠) البطنان : جمع بطن ، وهو التفاض من الأرض أى للمطمئن منها ، وغغقة : ندية . (١١) الظهران : جمع ظهر ، وهو ما ارتفع يسيرا ، وغدقة : كثيرة البلل والماء . (١٢) منتظمة . (١٣) الرقاق : الأرض اللينة من غير رمل ، ورارخ : مفرط اللين ، يقال : ربحت المجين إذا كثرت مائه ، وراخ المجين يريخ . (١٤) أى تسوخ رجلاه في الأرض من لينها ، وتسوخ وتسوخ واحد . (١٥) الماشى : صاحب الماشية ، ماشى الرجل وأمشى : كثرت ماشيته . (١٦) المصرم : الفقير المقل . (١٧) مذاحى : جمع مذحى اسم مكان من دحا الأرض يدحوها ويدحها دحوا : أى بسطها . (١٨) الزهاه : الشخص ، وإنما جعل نباتها زهاه ليل لشدة خضرته .

وَعَثِلَ^(١) يَواصِي غَيْلًا ، قَد ارْتَوَتْ أَجْرَازُهَا^(٢) ، وَدُمَّتْ عَرَازُهَا^(٣) ، وَالتَبَدَّتْ أَقْوَازُهَا^(٤) ، فَرَايْدُهَا أَتَقِ^(٥) وَرَاعِيهَا سَنَقِ^(٦) فَلَا قَضَضَ وَلَا رَمَضَ^(٧) ، عَازِيُهَا^(٨) لَا يُفْرَعُ ، وَوَارِدُهَا لَا يُنْكَعُ^(٩) ، فَاخْتَارُوا مَرَادَ^(١٠) النَّخْمِ . (الأمال : ١ : ١٨٣)

١٣ - مادار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر

وبين عامر بن جوين الطائي

وفد عامر بن جُوَيْنَ الطائي على المنذر بن النعمان الأكبر ، جد النعمان بن المنذر ، وذلك بعد انقضاء ملك كِنْدَةَ ، ورجوع الملك إلى تَخَم ، وكان عامر قد أجاز امرأ القيس ابن حَجْر ، أيام كان مقبياً بِالْجَبَلَيْنِ^(١) ، وقال كلمته التي يقول فيها :

هَذَاكَ لَا أُعْطَى مَلِيكَاً ظَلَامَةً وَلَا سَوْقَةً حَتَّى يَثُوبَ ابْنُ مَنَدَلَهَ^(٢)

(١) الغيل : الماء الجاري على وجه الأرض ، ويواصي : يواصل . (٢) الأجزاء : جمع جرز (بضمين) وهي التي لم يصيبها المطر ، أو التي قد أكل نباتها ، أو التي لا تثبت . (٣) دمت : لين (وروى دمت كفتح) ودمت : لان ، والنزاز : الأرض الصلبة . (٤) الأقواز جمع قوز (كشمس) : وهو المستدير من الرمل . (٥) أي معجب بالمرعى . (٦) من سقى كفتح أي بشم وانخم ، وراعيها : الذي يرعاهها . (٧) القفض : الحصى الصغار ، يريد أن النبات قد غطي الأرض فلا ترى هناك قضضا ، والرمض : أن يحصى الحصى والحجارة من شدة الحر ، يقول : ليس هناك رمض ، لأن النبات قد غطي الأرض . (٨) العازب : الذي يمزب بإبله أي يمد بها في المرعى . (٩) أي لا يمنع . (١٠) أي مرعى . (١١) الجبلان : سلمى وأجأ (كجبل) شرق المدينة ، وهما لُجَيٌّ ، قال رجل من بني سلمان جاور في طي :

ألفت مساكن الجبلين إني رأيت الفوث يألفها الغريب

(والفوث قبيلة من طيء) . (١٢) قال صاحب اللسان : « ابن مندلة رجل من سادات العرب ، قال عمرو بن جوين فيما زعم السيرافي ، أو امرؤ القيس فيما حكى الفراء :

وآليت لا أعطى مليكا مقادق ولا سوقة حتى يثوب ابن مندله »

وقال الميداني في شرح المثل « لاغزو إلا الصقيب » - ج ٢ : ص ١٣١ - : « يقال عقب الرجل : وهو أن يغزو مرة ثم يبقى من سنته ، وأول من قال ذلك حجر بن الحارث بن عمرو أكل المرار (أبو امرئ) =

وكان المنذر ضَعِيفًا عليه ، فلما دخل عليه قال له : يا عامر ، لَسَاءَ مَثْوَى أَثْوِيته رَبِّكَ وَثَوِيَّكَ^(١) ، حين حاولت إصْباةَ طَلَّتِهِ^(٢) وغالفتَهُ إلى عشيره ، أما والله لو كنتَ كَرِيمًا لَأَثْوِيته مُكْرَمًا مَوْقَرًا ، ولجانبته مُسَلَّمًا ، فقال له : آيبتَ اللعن^(٣) لقد عَلِمْتُ

(= القيس) وذلك أن الحرث بن مندلة ملك الشام ، وكان من ملوك سليح من ملوك الضجاعم (سليح كجريح قبيلة باليمن ، والضجاعم كانوا ملوكا بالشام) وهو الذي ذكره مالك بن جوين الطائي في شعره فقال :

هناك لا أعلى رئيسا مقادة ولا ملكا حتى يشوب ابن مندلة

وكان قد أغار على أرض نجد ، وهى أرض حجر بن الحارث هذا ، وذلك على عهد هيرام جور ، وكان بها أهل حجر فوجد القوم غلوا ، (الخلوف بالضم : اللين ذهبوا من الحى ، ومن حضر منهم أيضا) ووجد حجرا قد غزا أهل نجران ، فاستاق ابن مندلة مال حجر ، وأخذ امرأته هند الهنود (وهى هند بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية) ووقع بها فأحبها ، وكان آكل المرار شيخا كبيرا ، وابن مندلة شابا جميلا ، فقالت له : التباء التباء ، فإن ورائك طالبا حثيثا ، وجما كثيرا ، ورأيا صليبا ، وحزما وكيدا ، فخرج ابن مندلة مغذا إلى الشام (أى مسرعا) فلما رجع حجر وجد ماله قد استيق ، ووجد هنداً قد أخذت ، فقال : من أغار عليكم ؟ قالوا ابن مندلة ، قال : مذكم ؟ قالوا : ثمانى ليال ، فقال حجر : لاغزو إلا التصقيب ، فأرسلها مثلاً يعنى فزوه الأول والثانى .

ثم جسد في طلب ابن مندلة ، حتى دفع إلى واد دون منزل ابن مندلة فكن فيه ، وبث سدوس ابن شيان ، فقال له . اذهب متكررا إلى القوم حتى تعلم لنا علمهم ، فانطلق حتى انتهى إلى ابن مندلة ، ثم رجع إلى حجر فحدثه بحديث امرأته مع ابن مندلة ، فضرب حجر يده على المرار (والمرار كغراب : شجرة مرة إذا أكلت منها الإبل تقلصت مشافرها) فأكل منها من الغضب ، فسمت العرب آكل المرار ، (وقيل : آكل المرار هو أبوه الحارث) ، ثم خرج حتى أغار على ابن مندلة فقتله ثم قتل هنداً وأنشأ يقول :

إن من يلمن النساء بشيء يمد هند لجاهل مغرور

كل أنثى وإن تبيت منها آية الحب ، حبا يحيمور

(والحيصور : كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ، ويضمحل كالسراب ، وكالذي ينزل من الهواء في شدة الحر كمنسج المنكبوت) .

وذكر أبو الفرج الأصمغاني هذه القصة في الأغاني (١٥ : ٨٢) ولكنه روى أن الذى أغار على حجر هو زياد بن الهبولة قال : « ثم إن زياد بن الهبولة بن عمرو بن عوف من ضجعم بن حاطة بن سعد ابن سليح التقضاعى أغار عليه وهو ملك في ربيعة بن زار ، وكان قد غزا بريعة البحرين فبلغ زيادا غزاه فاقبل حتى أغار على ملكة حجر فأخذ مالا كثيرا وسبي امرأة حجر . . . إلى آخر القصة » .

(١) ثوى المسكان وبه : نزل ، وأثواء : أضافه ، والمثوى : المنزل ، والثوى : كنى البيت المهيبا له ، والضيف وهو المراد هنا . (٢) الطلة المجوز ، وصبا الرجل مال إلى الجهل والفتوة وأصبته المرأة والمراد حاولت رد هزه السالف إليه . (٣) آيبت اللعن : تحية جاهلية أى آيبت أن تأتى ما تلحن به .

أجابه أدَدٌ^(١) إلى لأعرُها جاراً ، وأكرمها جواراً ، وأمنعها داراً ، ولقد أقام وافراً ،
 وزال شاكراً ، فقال له المنذر : « يا عامر ، وإنك لتضالُ هَضْبِيَّاتٍ أَجَا ذَاتَ الْوِبَارِ^(٢) ،
 وَأُفْنِيَّاتٍ سَلَى ذَاتَ الْأُغْفَارِ^(٣) ، مَا نَمَاتِكَ مِنَ الْمَجَرِ^(٤) الْجَرَّارِ ، ذِي الْقَدَدِ الْكَثَارِ^(٥)
 وَالْحَصْنِ وَاللِّهَارِ^(٦) وَالرَّمَاحِ الْخَرَّارِ^(٧) ، وَكُلِّ مَاضِي الْفِرَارِ^(٨) ، يَبْدُ كُلِّ مِسْتَعْرِ كَرِيمٍ
 هَجْرٌ^(٩) ؟ قَالَ عامر : أَيْتُ الْعَن ، إِنْ بَيْنَ تِلْكَ الْمُحْضِيَّاتِ وَالرُّعَى^(١٠) وَالشُّكْبِ
 وَالْمُصْدَانِ^(١١) لَقَتَيْنَا أَبْطَالًا ، وَكُهُولًا أَزْوَالًا^(١٢) ، يَضْرِبُونَ الْقَوَانِسَ^(١٣) وَيَسْتَنْزِلُونَ
 الْقَوَارِسَ ، بِالرَّمَاحِ الْمَدَاعِيسِ^(١٤) لَمْ يَنْبَغُوا الرُّعَاءَ^(١٥) ، وَلَمْ تُرْشِّحْهُمْ^(١٦) الْإِمَاءُ ، قَالَ
 الْمَلِكُ : يَا عامرَ لَوْ قَدْ تَجَاوَبْتَ الْخَلِيلَ فِي تِلْكَ الشُّعَابِ صَهِيلًا ، كَانَتْ الْأَصْوَاتُ قَفَقَةً^(١٧)
 وَصَلِيلًا ، وَفَرَّ الْمَوْتُ^(١٨) ، وَأَعْجَزَ الْقَوْتُ ، فَتَقَارَشْتَ الرَّمَاحُ^(١٩) وَحَيَّ السِّلَاحُ ،
 لَتَسَاقَى قَوْمُكَ كَأَسَا لَا تَحْوَى بَعْدَهَا ، فَقَالَ مَهْلًا أَيْبَيْتُ الْعَن ، إِنْ شَرَابَنَا وَبَيْلَ ،

- (١) هو أدد بن زيد بن يشجب (بضم الياء) بن عريب (بفتح العين) بن زيد بن كهلان بن سبأ
 ابن يشجب بن عريب بن قحطان ، وهو أدد : هم ملجح وطوي والأشعر .
 (٢) الوبار : شجرة حامضة شائكة . (٣) الغفر بالتحريك : صفار الكلب .
 (٤) المجر : الجيش العظيم . (٥) الكثير . (٦) الحصن : جمع حصان ، وهو القرس الذكر ،
 والمهارة : جمع مهر ، وهو ولد القرس . (٧) الحرار والأحرار : جمع حر ، وهو خيار كل شيء .
 (٨) الفرار : حد الرمح والسهم والسيوف . (٩) يقال هو مسر حرب : أي موقد ذارها كأنه
 آلة لسر الحرب أي ليقادها ، والتجار : الأصل .
 (١٠) الرعان : جمع رعن (كشمس) وهو أنف يتقدم الجبل ، والجبل الطويل ويجمع أيضا هل
 رهون .

- (١١) الشب : بالفتح الجبل ، وبالكسر : الطريق في الجبل ، وسيل الماء في بطن أرض ، أو ما انفرج
 بين الجبلين ، المصد (كشمس وكفت) والمصاد (كسحاب) الهضبة العالية وجمعه أمصدة ومصدان .
 (١٢) أزوال : جمع زول ، وهو الشجاع . (١٣) القوانس : جمع قونس كجسر ، والقونوس
 والقونوس : أهل بيضة الحديد . (١٤) المداعس : جمع مدعس ، وهو الرمح الذي لا ينثني .
 (١٥) الرعاء : بالضم والكسر ، الرعاة : جمع راع . (١٦) الترشيح : التريية .
 (١٧) القفقه : حكاية صوت السلاح ، وتحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت .
 (١٨) ففر الموت فاه : أي فقه . (١٩) تقارشت الرماح : تداخلت في الحرب .

وَحَدَّثَنَا أَلِيلٌ ^(١) ، وَمُعْجَمَتَا صَلِيبٍ ^(٢) ، وَلِقَاءُ نَا مَهْيَبٍ ، قَالَ لَهُ : يَا عَامُ إِنَّهُ لَقَلِيلٌ بِجَاهِ الصَّخْرَةِ الصَّرَاءِ ^(٣) عَلَى وَقْعِ اللَّلاطِيسِ ^(٤) ، قَالَ : آيَةُ الْعَنَنِ ، إِنَّ صَفَاتَنَا عِزُّ الْمَرَادِيسِ ^(٥) ، قَالَ : لَا وَفِظَنٌ قَوْمُكَ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ . ثُمَّ لَا تُغْفِيَهُمْ بِعُذْرَتِهَا رَقْدَةً لَا يَهْبُ رَاقِدُهَا ، وَلَا يَسْتَقِظُ هَاجِدُهَا ^(٦) ، قَالَ لَهُ عَامِرٌ : إِنْ الْبَنَى أَبَادَ عَمْرًا ^(٧) ، وَصَرَعَ حُجْرًا ^(٨) ، وَكَانَا أَعَزَّ مِنْكَ سَلَامَانَا ، وَأَعْظَمَ شَأْنَا ، وَإِنْ لَقِينَا لَمْ تَلَقْ أَنْكَسَا

(١) ساد ، وأله تأيلاً حده . (٢) عجم المود كنصر : إذا عضه ليعرف صلابته من خوره ، والمجم اسم مكان منه وصلب أى صلب ، وهو كناية عن شدة ومنهم . (٣) صخرة صراء : صماء . (٤) اللطيس : كنب ، والملطاس : المذول الغليظ لكسر الحجارة . (٥) الصفاة : الحجر الصلد الضخم ، ويقال ناقة عبر أسفار (بتثنية العين) أى قوية على السفر تشق مامرت به ، تقطع الأسفار عليها ، وكذا الرجل الجريء على الأسفار الماضى فيها القوى عليها ، والمرداس : شيء صلب عريض تلك به الأرض ، ورددسا دكها به ورددس الحجر بالحجر (كنصر وضرب) كسره ، ومعنى العبارة إن صفاتنا تحتل ذلك المراديس فلا تتحطم تحنها ، كناية عن صلابتهم وشدةهم . (٦) المجهود : النوم .

(٧) هو عمرو بن المنذر بن ماء الساء ملك الحيرة ، وكان يلقب مضطرب الحجارة لشدة ملكه ، وقوة سياسته (وهو عمرو بن هند) وأمه هند بنت الحارث بن عمرو عمة امرئ القيس بن حجر بن الحارث ، وكان سبب قتله أنه قال يوماً لجلسائه : هل تعلمون أن أحداً من العرب يأفك أن تحم أمه أمى ؟ قالوا : مانعرفه إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي ؟ فإن أمه ليل بنت مهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب وائل ، وزوجها كلثوم بن عتاب ، وابنها عمرو ، فسكت مضطرب الحجارة على ما فى نفسه وبعث إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ، ويسأله أن تزور أمه أمه ، فقدم عمرو بن كلثوم في فرسان من بني تغلب ، وومه أمه ليل ، فنزل على شاطئ الفرات ، وبلغ عمرو بن هند قدومه ، فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات ، وأرسل إلى وجوه أهل ملكته ، فصنع لهم طعاماً ، ثم دعا الناس إليه ففقر إليهم الطعام على باب السراق ، وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه في السراق ، ولأمه هند قبة في جانب السراق ، وليل أم عمرو ابن كلثوم معها في القبة . وقد قال مضطرب الحجارة لأمه إذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق إلا الطرف فحشى خدمك منك ؟ فإذا دنا الطرف فاستخدى ليلى ومرها فتناولك الشيء بعد الشيء ، ففعلت هند ما أمرها به ابنها ، فلما استدعى الطرف ، قالت هند ليلى : ناولينى ذلك الطبق . قالت لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها ، فألحت عليها ، فقالت ليلى : وإذلاه يا آل تغلب فسمها وابنها عمرو بن كلثوم ، فثار الدم في وجهه والقوم يشربون ، فصرف عمرو بن هند الشر في وجهه وثار ابن كلثوم إلى سيف ابن هند وهو معلق في السراق وليس هناك سيف غيره فأخذه ، ثم ضرب به رأس مضطرب الحجارة فقتله ، وخرج فتأذى يا آل تغلب فانتهبوا ماله وخيله ، وسبوا النساء ، وساروا فلمحقوا بالحيرة (تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٩٧) . (٨) هو حجر بن الحارث (أبو امرئ القيس) وقد تقدم خبره .

ولا أغسأ^(١) ، فهَبْشَ وَضَائِمَكَ وَصَنَائِمَكَ^(٢) ، وَهَمْ إِذَا بَدَاكَ ، فَتَعْنِ الْأَتَى قَسَطُوا^(٣) عَلَى الْأَمْلَاكِ قَبْلَكَ ، ثُمَّ أَتَى رَاحِلَتَهُ فَرَكِبَهَا ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

تَعْلَمْ (أَبَيْتَ اللَّغْنَ) أَنْ قَتَانَنَا تَزِيدَ عَلَى عَمْرِ الثَّقَافِ تَصْعَبُ^(٤)
أَتُوْعِدُنَا بِالْحَرْبِ ؟ أَمْكَ هَابِلُ رُوَيْدَكَ بَرَقًا ، لَا أَبَا لَكَ ، خُلِبَا^(٥)
إِذَا خَطَرْتَ دُونِي جَدِيلَةً بِالْقَنَا وَحَامَتِ رِجَالُ الْفَوْثِ دُونِي تَحْدَبَا^(٦)
أَبَيْتُ الَّتِي تَهْوَى ، وَأَعْطَيْتُكَ الَّتِي تَسُوقُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ أَخْرَجَ أَكْهَبَا^(٧)
فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَارَنَا فَأَنْتِ تَعْتَرِفُ رِجَالًا يُذِيلُونَ الْحَدِيدَ الْمُقَرَّبَا^(٨)
وَأِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَهُمْ فِي مَجَالِمِهِمْ رَأَيْتَ لَهُمْ جَمْعًا كَثِيفًا وَكَوْكَبَا^(٩)
وَدَّ كَرَّكَ الْقَيْشَ الرَّحَى جِلَادُهُمْ وَمَلَعَى بِأَكْنَفِ السَّيْرِ وَمَشَرَبَا^(١٠)
فَأَغْضَى عَلَى غَيْظٍ وَلَا تَرْمِ الَّتِي تَحْكُمُ فِيكَ الزَّاعِيَّ لِلْحَرْبَا^(١١)
(ذيل الأملأ ص ١٧٩)

- (١) الأَنْكَاسُ : جمع نكس بالكسر وهو انفضيف ، والأغسأ : جمع غس بانضم وهو الضعيف أيضا .
(٢) هَبْشَ : جمع ، والوضائع : جمع وضية ، أثقال القوم وما يأخذها السلطان من الخراج والعشور .
والصنائع : جمع صنعة : يقال هو صنعة فلان ، وصنيمه إذا اصطفه وأدبه وخرجه وورياه ، والمئى : فتجهز للحرب ، واجمع الأموال اللازمة لذلك واحشد رجالك للمدربين على القتال . (٣) أى جاروا .
(٤) الثَّقَافُ : مائسوى به الرماح . (٥) هبلته أمه (كفرج) فقدته ، والبرق الخلب : المطمع المخلف .
(٦) خطر الرجل بسيفه وورعته : رفعه مرة ووضعه أخرى ، وجديلة والفوْث من طيى ، وتحلب به تعلق ، وتحلب عليه تعطف . (٧) الخرج كسبب : لونان من بياض وسواد خرج كفرج فهو أخرج ، وظلم أخرج : وهو الذى لون سواده أكثر من بياضه كلون الرماد ، والكهبة : الدمة (السواد) أو غيرة مشربة سوادا ، كهب كفرج وكرم فهو أكهب وكاهب . (٨) ازداره : زاره (افضل من الزيارة) واعترف الثى عرفه ، وأذال ثوبه : إذا أطال ذيله قاله كثير :
على ابن أبي الماسى دلائل حصيته أجاد المسدى سردها فأذالها

والخديد : الدروع ، وثى مقرب : أى موعج معطوف ، يريد أنها دروع مزرودة (الزرد والورد بالفتح) : تداخل خلق الدرع بعضها فى بعض (والمئى تجده أبطالا قد لبسوا الدروع السابتة المزرودة ، وهناك معنى آخر وهو : يقال أذال فرسه إذا أهانه ؛ والخديد : أى القرس الخديد السير أى السريع ، والمعقرب الشديد الخلق المجتمع . وعمار مقرب الخلق أى ملازم مجتمع شديد ، فالمئى : تجده أبطالا يجهدون فى ميدان القتال أنفاسهم كرا وصولا على الأعداء . (٩) الكوكبة : الجماعة . (١٠) السدير والخوونق : قصران بناهما النعمان الأكبر بالبحرة . (١١) الرمح الزاعى : هو الذى إذا هز كان كموه يجرى بعضها فى بعض لايته ، والمغرب : المنهد .

١٤ - قيس بن رفاعه والحارث بن أبي شمر الغساني

كان قيس بن رفاعه يقدُّ سنة إلى الثمان اللّخى بالعراق ، وسنة إلى الحارث ابن أبي تميم الغساني بالشّام^(١) ، قال له يوماً وهو عنده : يا بن رفاعه ، بلغتْ أنك تتخلّ الثمان^(٢) على ؟ قل :

« وكيف أضله عليك أبيت ؟ فقلت : قتاك أحسن من وجهه ، ولا تُك أشرف من أبيه ، ولأبوك أشرف من جميع قومه ، ولشمالك أجود من يمينه ، ولحِرْمانك أنفع من نَدَاه ، ولقليلك أكثر من كثيره ، ولإيداك^(٣) أغزر من غديره ، ولكرسيك أرفع من سريره ، ولجدولك أغرّ من بحوره ، وليومك أفضل من شهره ، ولشهرك أمدُّ من حوله ، ولحلوك خير من حُبّه^(٤) ، ولزَنُك أودى من زنده ، ولجندك أعزّ من جنده ، وإنك لمن غسان أرباب الملوك ، وإنه لمن ظلم الكثير الثنوك^(٥) ، فكيف أضله عليك ؟ » .

(الأمال : ١ : ٢٦١ ومروج الذهب : ١ : ٢٩٨)

١٥ - قيس بن خفاف البرجمي وحاتم طيء

أتى أبو جُبَيْل قيس بن خفاف البرجمي حاتم طيء ، في دماء حملها عن قومه ، فأسلموه^(٦) فيها ، وعجز عنها ، فقال : والله لآتين من يحملها عني ، وكان شريقاً شاعراً ، فلما قدم عليه قال : « إنه وقت بين قومي دماء فتوا كلوها ، وإنى حملتها في مالي وأملي ،

(١) كان المناذرة ملوك الحيرة من نهم ، والنسابة : ملوك الشام من الأزد . فكلامهما من أصل يني ، وكان بينهما أحقاد وأصقان وحروب . (٢) الثمان بن النذر . (٣) الحقب بالضم وبضمين : ثمانون سنة أو أكثر ، والدمر ، والسنة أيضاً . (٤) الثنوك بالضم والفتح : الحق . (٥) وذكر المسمودي أن هذا المعنى كان بين حسان بن ثابت الأنصاري ، وبين الحارث بن أبي شمر . (٦) غفلوه .

فَقَدَّمْتُ مَالِي ، وَكُنْتُ أُمْلَى ، فَإِنْ تَحْمِلُهَا فَرُبَّ حَقٍّ قَدْ قَضَيْتَهُ ، وَهَمٌّ قَدْ كَفَيْتَهُ ،
وَإِنْ حَالَ دُونَ ذَلِكَ حَائِلٌ لَمْ أَذْمِ يَوْمَكَ ، وَلَمْ أَيْأَسْ مِنْ غَدِكَ . ثُمَّ أَنشَأُ يَقُولُ :

حَلَمْتُ دِمَاءَ الْبَرَاكِيمِ بَجْمَةٍ فَبَيْتُكَ لِمَا أَسْلَمْتَنِي الْبَرَاكِيمِ ^(١)
وَقَالُوا (سَقَاهَا) لِمَ حَلَمْتَ دِمَاءَنَا فَقُلْتُ لَهُمْ يَكْفِي الْحِمْلَةَ حَاتِمٌ ^(٢)
مَتَى آتَاهَا فِيهَا يَقُلْ لِي مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَمَسْهَلًا أَخْطَأْتُكَ الْأَشْأَامَ ^(٣)
فِيحْمِلُهَا عَنِّي ، وَإِنْ شِئْتَ زَادَنِي زِيَادَةٌ مَنِّ حَنْتَ إِلَيْهِ الْمَكَارِمَ
يَعِيشُ الْبَنْدَى مَا عَاشَ حَاتِمٌ طَلِيٌّ فَإِنْ مَاتَ قَامَتِ لِلْغَنَاءِ مَا تَمَّ
يُنَادِينَ مَاتَ الْجُودُ مَتَكَ فَلَا نَرَى بِحَيًّا لَهُ مَا حَامَ فِي الْجَوْءِ حَاتِمٌ
وَقَالَ رِجَالُ أَتَهَبُ الْعَامُ مَالَهُ فَقُلْتُ لَهُمْ إِنِّي بِذَلِكَ عَالِمٌ ^(٤)
وَلَكِنَّهُ يَسْأَلُ مِنْ أَمْوَالِ طَلِيٍّ إِذَا جَلَّفَ الْمَالَ الْحَقُوقُ الْوَلَايِمُ ^(٥)
فَيَمْلِكُ فِيهَا الْفَنَى وَكَأَنَّهُ لِتَصْنِيفِهِ تِلْكَ الْعَطِيَّةُ جَارِمٌ ^(٦)
بِذَلِكَ أَوْصَاءَ عَدِيٍّ وَحَشَرَ حُجَّ وَوَعَدْتُ وَعَبَدْتُ اللَّهَ تِلْكَ التَّهَامُ ^(٧)

فَقَالَ لَهُ حَاتِمٌ : إِنْ كُنْتُ لِأَحِبُّ أَنْ يَأْتِيَنِي مَتَكَ مِنْ قَوْمِكَ ، هَذَا مِرْبَاعِي ^(٨) مِنْ
النَّارَةِ عَلَى بَنِي تَيْمٍ ، فَخُذْهُ وَافِرًا ، فَإِنْ وَفَى بِالْحِمْلَةِ ، وَإِلَّا أَكَلْتُهَا لَكَ ، وَهُوَ مَائِتَانِ بَعِيرٍ
سِوَى بَنِيهَا وَفَصَالَهَا ، مَعَ أَيِّ لَا أَحِبُّ أَنْ تُؤَيِّسَ قَوْمَكَ بِأَمْوَالِهِمْ ، فَضَحَكَ أَبُو جُبَيْلٍ
وَقَالَ : لَكُمْ مَا أَخَذْتُمْ مِنَّا ، وَلَنَا مَا أَخَذْنَا مِنْكُمْ ، وَأَيُّ بَعِيرٍ دَفَعْتَهُ إِلَيَّ ، لَيْسَ ذَنْبُهُ
فِي يَدِ صَاحِبِهِ ، فَأَنْتَ مِنْهُ بَرِيءٌ ، فَدَفَعْنَا إِلَيْهِ وَزَادَهُ مَائَةُ بَعِيرٍ ، فَأَخَذَهَا وَانصَرَفَ رَاجِعًا
إِلَى قَوْمِهِ . فَقَالَ حَاتِمٌ فِي ذَلِكَ :

(١) الْبَرَاكِيمُ مِنْ تَيْمٍ . (٢) السَّهَاءُ : السَّهْفُ . وَالْحِمْلَةُ : اللَّيْثَةُ يَحْمِلُهَا قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ .
(٣) الْأَشْأَامُ : ضِدُّ الْأَيْمَانِ . (٤) أَتَهَبُ الْمَالَ : جَمْلُهُ نَهْبًا يَفَارُ عَلَيْهِ . (٥) أَيُّ جَرَفَهُ وَانْتَقَصَهُ .
(٦) جَرَمَ الرَّجُلُ (يَفْتَحِيهِ) : أَذْنَبَ كَأَجْرَمَ . (٧) جَمْعُ قَقَامٍ : وَهُوَ السِّدُّ . (٨) الْمِرْبَاعُ : رُبْعٌ
لِلْفَنِيَّةِ ، وَكَانَ يَخْتَصُّ بِهِ قَائِدُ النَّارَةِ وَفَارِسُهَا .

أَتَانِي الْبَرْجِيُّ أَبُو جُبَيْلٍ لِمَهْرٍ فِي حَالَتِهِ طَوِيلٍ
قَلْتُ لَهُ خُذِ الْمِرْبَاعَ رَهْوًا فَإِنِّي لَسْتُ أَرْضَى بِالْقَلِيلِ^(١)
عَلَى حَالٍ ، وَلَا عَوَّدْتُ نَفْسِي عَلَى عِلَاتِهَا عِلَلِ الْبَخِيلِ
فَخَذَهَا لَهَا مَائَتًا بِسِرٍّ سَوَى النَّابِ الرَّذِيَّةِ وَالْفَصِيلِ^(٢)
فَلَا مَنَ عَلَيْكَ بِهَا ، فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَنَ يُزْرِى بِالْجَزِيلِ
فَأَبَ الْبَرْجِيُّ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ أَعْبَاءِ الْحَالَةِ مِنْ قَتِيلِ
يَجْرُ الْقِيلُ بِنَفْضٍ مِذْرَوِيهِ خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ حَمَلٍ ثَقِيلِ^(٣)

(ذيل الأمال ، ٢٢ ، والأغانى ، ٧ : ١٤٥)

١٦ - مقال قبيصة بن نعيم لامرئ القيس بن حجر

قدم على امرئ القيس بن حجر الكِنْدِيُّ بعد مقتل أبيه رجال من قبائل بني أسد
وفيه قبيصة بن نعيم يسألونه المنوع عن دم أبيه^(١) ، فخرج عليهم في قباء وخفّ وعمامة
سوداء - وكانت العرب لا تنعم بالسواد إلا في التَّراتِ - فلما نظروا إليه قاموا له ، وبَدَرَ
إليه قبيصة فقال :

« إِنَّكَ فِي الْحُلِّ وَالْقَدَرِ ، والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تُحَدِّثُهُ أَيَّامُهُ ، وتَنَقَّلُ بِهِ
أَحْوَالُهُ ، بحيث لا تحتاج إلى تذكير من واعظ ، ولا تبصير من مجرب ، ولك من سُوِّدَ
مَنْصِبِكَ ، وشَرَفَ أَهْرَاقُكَ^(٢) ، وكرم أَصْلِكَ فِي الْعَرَبِ ، تُحَدِّدُ^(٣) يَحْتَمِلُ مَا حُمِّلَ عَلَيْهِ

(١) يقال : آتَيْكَ بِهِ رَهْوًا أَيَّ آتَيْكَ بِهِ عَفْوًا سهلاً لا احتباس فيه . (٢) اللقطة المسنة ، والرذية : مؤثت الرذى ، وهو الضعيف من كل شيء ومن أثقله المرض . (٣) المذروان . أطراف الألية بلا واحد أو هو المذرى ، ومن الرأس ناحيته ، ويقال جاء يغضى مذكرويه . أى باغيا متهددا .

(٤) وكانت بنو أسد (وهم من المضربة) خاضعة للملوك ككتنة ، وآخر ملك عليهم هو حجر أبو امرئ القيس ، وقد ثاروا عليه وقتلوه لأنه كان قد صف في حكمه لهم ، واشتط عليهم في الإتاوة التي يؤدونها إليه . (٥) الأعراف : جمع عرق وهو أصل كل شيء . (٦) المحدد : الأصل .

من إقالة العترة ، ورجوع من المغفرة ، ولا تتجاوز المهم إلى غاية إلا رجعت إليك ، فوجدت عندك من فضيلة الرأي ، وبصيرة الفهم ، وكرم الصنع ، ما يطول رغباتها ، ويستغرق طلباتها ، وقد كان الذي كان من الخطب الجليل ، الذي تمت رزيقته زياراً والمين ، ولم تخصص بذلك كنفة دوننا ، فحرف البارح كان لجبر ، التاج والمنة فوق الجبين الكريم ، وإخاء الحمد وطيب الشيم ، ولو كان يُفدى هالك بالأفسى الباقية بعده لما بخلت كرامتنا بها على مثله ، ولكنه مضي به سبيل لا يرجع أخراه على أولاه ، ولا يلحق أقصاه أدناه .

فأحد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال ثلاث :
 إما أن اخترت من بنى أسد أشرفها بيتاً ، وأعلاها في بناء للكومات صوتاً ، فقدناه إليك بنسبة^(١) ، تذهب مع شفرات حُسامك يباقي قصرته^(٢) ، فنقول : رجل امتحن بهالك عزيز ، فلم يستل سخيمته^(٣) إلا تمكينه من الانتقام . أو فداء بما يروح^(٤) على بنى أسد من نسما ، فهي ألوف تجاوز الحسبة ، فكان ذلك فداء رجعت به القضب^(٥) إلى أجفانها ، لم يرددها تليط الإحن^(٦) على البرآء . وإما أن وادعتنا إلى أن تضع الحوامل ، فنسئل الأزر ، ونعتقد الخمر فوق الرايات .

فيكي امرؤ القيس ساعة ، ثم رفع رأسه فقال :

(١) النسخ : سير عريض تشد به الرحال ، والنقطة من نسمة . (٢) القصرة : أصل المتق .

(٣) السخيمة : الحقد . (٤) يرجع ، وأراح الإبل : ردها إلى المراح بالضم أى المأوى ، والنعيم

الإبل وللشاء ، أو غاص بالإبل ، وهو المراد هنا . (٥) السيوف . (٦) الإحن : جمع إحنة ، وهي الحقد .

١٧ - رد امرؤ القيس عليه

« لقد علمت العرب أنه لَا كُفَّ، لِحُجْرٍ فِي دَمٍ، وَأَنَّى لَنِ اعْتَاضَ بِهِ جَمَلًا وَلَا نَاقَةً، فَأَكْتَسَبَ بِهِ سُبَّةَ الْأَبَدِ، وَفَتَّ الْمَضِدَّ ^(١)، وَأَمَّا النَّظَرَةُ ^(٢) فَقَدْ أَوْجِبَتْهَا الْأَجِنَّةُ فِي بَطْنُونِ أُمَمَاتِهَا، وَلَنْ أَكُونَ لِعَطَبِهَا سَبِيًّا، وَسَتَعْرِفُونَ طَلَائِعَ كِنْدَةَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، تَحْمِلُ فِي الْقُلُوبِ حَقْنًا، وَفَوْقَ الْأَسْنَةِ عَلَقًا ^(٣) » :

إِذَا جَالَتْ الْحَرْبُ فِي مَازِقٍ تُصَافِحُ فِيهِ الْمَنَاسِيَا النُّفُوسَا
أَنْتَقِيمُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ ؟ »

قَالُوا : « بَلْ نَنْصَرِفُ بِأَسْوَأِ الْإِخْتِيَارِ، وَأَيْلَى الْاجْتِرَارِ، بِمَكْرُوهِ وَأَذْيَةٍ، وَحَرْبٍ وَبَلِيَّةٍ » ثُمَّ نَهَضُوا عَنْهُ وَقَبِيصَةً يَتَمَثَّلُ :

لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَوْخِمَ الْوَرْدَ إِنْ عَدَّتْ كِتَابُنَا فِي مَازِقِ الْحَرْبِ تُنْمَطِرُ ^(٤)
فَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ : « لَا وَاقَهُ، وَلَكِنْ أَسْتَمْدِ بِهِ، فَرُؤُودُنَا، يَنْفَرُجُ لَكَ دُجَاهَا
عَنْ فُرْسَانِ كِنْدَةَ وَكِتَابِ خَيْرٍ، وَقَدْ كَانَ ذِكْرُ غَيْرِ هَذَا بِي أَوَّلَى، إِذْ كُنْتُ نَازِلًا
بِرَبِيِّ ^(٥)، وَلَكِنَّكَ قُلْتَ فَأَوْجِبْتَ » فَقَالَ قَبِيصَةُ : « مَا يُتَوَقَّعُ فَوْقَ قَدْرِ الْمُنَاطَبَةِ
وَالْإِعْتَابِ ^(٦) » فَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ : « هُوَ ذَاكَ » .

(مَسْبُوحُ الْأَمْثَلِ ٢ : ٢١٦ وَالْأَغْنَى ٨ : ٧٢ وَالْمَثَلُ السَّائِرُ ١٠١)

(١) فَتَّة : كَسْرُهُ، وَهُوَ كُنَايَةٌ مِنَ الْفَضْفَضِ وَالْوَهْنِ . (٢) الْإِهْمَالُ . (٣) أَيْ دَمًا .

(٤) تَسْتَوْخِمُهُ : أَيْ يَجْعَلُهُ وَغِيْمًا . (٥) الرَّيْعُ : الْمَنْزِلُ . (٦) أَصَحُّهُ : أَرْضَاهُ .

١٨ - خطبة هاني بن قبيصة الشيباني

قَالَ هَانِيُّ بْنُ قَبِيصَةَ الشَّيْبَانِي يَحْرُسُ قَوْمَهُ يَوْمَ ذِي قَارٍ (١) :

« يَا مَعْشَرَ بَكْرٍ ، هَالِكٌ مَذْذُورٌ ، خَيْرٌ مِنْ نَاجٍ فَرُورٍ ، إِنَّ الْخَذَرَ لَا يُنْجِي
مِنَ الْقَدَرِ ، وَإِنَّ الصَّبْرَ مِنْ أَسْبَابِ الظَّفَرِ ، الْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّنِيَّةُ ، اسْتِقْبَالُ الْمَوْتِ خَيْرٌ
مِنِ اسْتِدْبَارِهِ ، الطَّنُّ فِي ثَغْرِ (٢) النُّحُورِ ، أَكْرَمُ مِنْهُ فِي الْأَعْجَازِ وَالظُّهُورِ ،
يَا آلَ بَكْرٍ ، قَاتِلُوا فَا لِلنَّيَا مِنْ بَدْرٍ » .
(الأمال ١ : ٩٢)

١٩ - خطبة عمرو بن كلثوم

« أما بعد : فإنه لا يخبر عن فضل المرء أصدق من تركه تركية نفسه ، ولا يعبر عنه
في تركية أصحابه أصدق من اعتماده إياهم برغبته ، وإثمانه إياهم على حرمتهم » .
(البيان والتبيين ٢ : ٦٩)

٢٠ - أكرم بن صيفي يعزى عمرو بن هند عن أخيه

وعزى أكرم بن صيفي عمرو بن هند ملك العرب عن أخيه فقال له :
« إِنَّ أَهْلَ هَذِهِ الدَّارِ سَفَرٌ لَا يَحْلُونَ عَقْدَ الرَّحَالِ إِلَّا فِي غَيْرِهَا ، وَقَدْ أَتَاكَ
مَا لَيْسَ بِمَرْدُودٍ عَنْكَ ، وَارْتَمَلَ عَنْكَ مَا لَيْسَ بِرَاجِعٍ إِلَيْكَ ، وَأَقَامَ مَعَكَ مَنْ سَيَظُنُّ
عَنْكَ وَيَدْعُوكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، فَأَمْسِ عِظَةً وَشَهِدْ عَدْلَ ، فَجَعَلَكَ بِنَفْسِهِ ،

(١) كان من أعظم أيام العرب وأبلغها في توهمين أمر الأعاجم ، وهو يوم لبى شيبان ، وكان
أبروز أغزاهم جيشا ، فظفر بنو شيبان ، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب من المعجم .
(٢) جمع ثغرة بالضم : وهي فقرة النحر بين الترقوتين (والثغرة بالفتح : كل حودة مفتحة) .

وأبقى لك عليك حكته؛ واليوم غنية، وصديق أهلك ولم تأته، طالت عليك غيبته،
وستسرع عنك رحلته؛ وغدا لاتدرى من أهله، وسيأتيك إن وجدك، فما أحسن الشكر
للمنعم، والتسليم للقادر، وقد مضت لنا أصول نحن فروعها، فما بقاء الفروع بعد أصولها،
واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف منها، وخير من الخير معطيه، وشر من الشر
فعله .

(العقد الفريد ٢ : ٣٥ ، نهاية الأرب ٥ : ١٦٤)

٢١ — خطبة قس بن ساعدة الإيادي

خطب قس بن ساعدة الإيادي بسوق عكاظ ، فقال :

« أيها الناس : اسمعوا وعُوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو
آت آت ، ليل داج^(١) ، ونهار ساجر ، وسما ذات أبراج ، ونجوم تزهّر^(٢) ، وبحار
تزخر^(٣) ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة^(٤) ، وأنهار مجرأة . إن في السماء خبيرا ،
وإن في الأرض خميرا ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا فأقاموا ، أم تركوا
فناموا ؟ يقسم قس بالله أقسا لا أنم فيه : إن لله ديننا هو أرضى له ، وأفضل من
دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكرا . وروى أن قسا أنشا بعد ذلك
يقول :

في الداهيين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر

(١) مظلم . (٢) تضيء وتتلاألأ . (٣) تمتلئ وترتفع . (٤) ملحوة : أى مبسوطة ،
ولأنما قال مدحاة لمراعاة السجع .

ورأيت قوى نحوها تمضى الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضى إلّ ولا من الباقين غابر^(١)
أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر

(صبح الأحرى ١ : ٢١٢ ، وإعجاز القرآن ١٢٤ ، البيان والتبيين ١ : ١٦٨ ،
الأغاني ١٤ : ٤٠ ، المقدم الفريد ٢ : ١٥٦ ، ومجمع الأشبال للعبدانى ١ : ٧٤)

٢٢ — قس بن ساعدة عند قيصر

وكان قس بن ساعدة ينفذ على قيصر ويزوره ، فقال له قيصر يوماً : ما أفضل
العقل ؟ قال : معرفة المرء بنفسه ، قال : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند علمه ،
قال : فما أفضل المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه ، قال : فما أفضل المال ؟ قال :
ما قفى به الحقوق . (الأمال ٢ : ٩٢)

٢٣ — خطبة المأمون الحارثى

قد المأمون الحارثى فى نادى قومه ، فنظر إلى السماء والنجوم ، ثم أفكر طويلاً ،
ثم قال : « أرفعون أسماعكم ، وأصغوا إلى قلوبكم ، يَبْلُغُ الوعظُ منكم حيث أريد ،
طَمَحَ^(٢) بالأهواء الأشرُّ ، وَرَانَ^(٣) على القلوب الكدر ، وطغى^(٤) الجهلُ النظر ،
إن فيما ترى لَمُتَبَرِّأَ المَنَ اعتبر ، أرض موضوعة ، وسما مرفوعة ، وشمس تَطْلُعُ وتَقْرُبُ
ونجوم تسرى فتَقْرُبُ ، وقر تَطْلُعُ النحور ، وَتَمَحَقُّ أديار الشهور ، وعاجز مُثَرِّبُ
وَحَوْلُ مُكْدٍ^(٥) ، وشاب مُحْتَضَرُ ، وَيَفِنَ^(٦) قد غبر ، وراحلون لا يثوبون ، وموقوفون

(١) مقيم . (٢) ارتفع وعلا وذهب . (٣) غلب . (٤) أظلم . (٥) رجل حول :
شديد الاحتيال ، وأكلى : لم ينجح ، وأصله من أكلى إذا حفر فصادف الكدية (بضم الكاف) وهى
الصفاء العظيمة الشديدة . (٦) الذى يموت حثا ، وهو مأخوذ من الخفرة كأنه حصد أخضر ،
واليفن : الشيخ الكبير .

لَا يُقَرِّطُونَ^(١) ، وَمَطَرٌ يَرْسَلُ بِقَدَرٍ ، فَيُحْيِي الْبَشَرَ ، وَيُورِقُ الشَّجَرُ ، وَيُطْلِعُ الثَّمَرَ ، وَيَنْبِتُ الزَّهَرَ ، وَمَاءٌ يَتَفَجَّرُ ، مِنَ الصَّخْرِ الْأَيَّ^(٢) ، فَيَصْدَعُ الْمَدَرَ ، عَنْ أَفْئَانِ الْخَضَرِ ، فَيُحْيِي الْأَنْامَ ، وَيُشِيْعُ السَّوَامَ ، وَيُنْمِي الْأَنْعَامَ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لِأَوْضَحِ الدَّلَائِلِ عَلَى الْمَدِيرِ الْقَدَرِ ، الْبَارِئِ لِلصُّورِ . بِأَيِّهَا الْعَقُولُ النَّافِرَةُ ، وَالْقُلُوبُ النَّائِرَةُ^(٣) ، أُنِّي تَوَافِكُونَ ، وَعَنْ أَى سَبِيلٍ تَعْمَهُونَ ، وَفَى أَى حَيْرَةٍ تَهَيِّمُونَ ، وَإِلَى أَى غَايَةٍ تُوَفِّضُونَ^(٤) ، لَوْ كُشِفَتِ الْأَغْطِيَةُ عَنِ الْقُلُوبِ ، وَتَجَلَّتِ الْفِشَاوَةُ عَنِ الْعَيُونِ ، لَمَرَّحَ الشَّكُّ عَنِ الْيَقِينِ ، وَأَفَاقَ مِنْ نَشْوَةِ الْجَهَالَةِ مَنْ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ .

(الأمال ١ : ٢٧٦)

٢٤ - بين مهلهل بن ربيعة ومرة بن ذهل بن شيبان

لَمَّا قَتَلَ جَسَّاسٌ^(٥) بِنَ مَرَّةَ بِنَ ذُهْلَ الشَّيْبَانِي كَلَيْبَ^(٦) بِنَ رَبِيعَةَ التَّفَلَّحِي ، نَشَرَ أَخُوهُ مُهْلَهْلٌ^(٧) ، وَاسْتَعَدَّ لِحَرْبِ بَكْرِ ، وَجَمَعَ إِلَيْهِ قَوْمَهُ ، فَأَرْسَلَ رَجَالًا مِنْهُمْ

(١) يَقْلَمُونَ . (٢) الصَّلب . (٣) النَّائِرَةُ النَّافِرَةُ ، نَارَتْ ثَوْرًا بَفَتْحِ التَّوْنِ ، وَنَوَارًا بَفَتْحِهَا وَكَسْرِهَا : نَفَرَتْ . (٤) تَسْرَعُونَ .

(٥) وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ الْبُيُوسَ بِنْتَ مَتَقْدِ الْغَنَمِيَّةِ خَالَةَ جَسَّاسٍ كَانَ لَهَا جَارٌ مِنْ جَرَمٍ يُقَالُ لَهُ سَعْدُ بْنُ شَمِيسَ ، وَكَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ يُقَالُ لَهَا سَرَابٌ ، وَكَانَ كَلَيْبٌ قَدْ حَمَى أَرْضًا مِنْ أَرْضِ الْعَالِيَةِ ، فِي أَنْفِ الرَّبِيعِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَرَعَاهُ أَحَدٌ إِلَّا إِبِلَ جَسَّاسٍ لِمَصَادَرَةٍ بَيْنَهُمَا - وَكَانَتْ جَلِيلَةً بِنْتُ مَرَّةَ أُخْتِ جَسَّاسٍ تَحْتَ كَلَيْبٍ - فَخَرَجَتْ سَرَابٌ فِي إِبِلِ جَسَّاسٍ تَرَعَى فِي حِمَى كَلَيْبٍ ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا كَلَيْبٌ فَأَنْكَرَهَا فَرَمَاهَا بِسَهْمٍ فَأَصَابَ ضَرْعَهَا ، فَوَلَتْ حَتَّى بَرَكَتْ بَنَفَاءَ صَاحِبِهَا وَضَرْعَهَا يَشْخَبُ دَمًا وَلَبِنًا ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا صَرَخَ بِاللَّيْلِ ، فَخَرَجَتْ الْبُيُوسُ فَضَرَبَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا ، وَنَادَتْ وَادَّاهَ وَسَمِعَهَا جَسَّاسٌ فَسَكَنَهَا ، وَقَالَ لَهَا : لِيَقْتُلَنَّ هَذَا فَحَلَّ أَعْظَمَ مِنْ نَاقَةِ جَارِكَ ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَوَقَّعُ غُرَّةَ كَلَيْبٍ حَتَّى أَمَكَّتْهُ مِنْهُ الْفُرْصَةُ فَقَتَلَهُ ، وَنَشِبَتْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْحَرْبِ (حَرْبِ الْبُيُوسِ) بَيْنَ بَكْرِ وَتَغْلِبَ ابْنَيْ وَائِلِ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَبَنُو شَيْبَانَ بَطْنٌ مِنْ بَكْرِ .

(٦) اسْمُهُ وَائِلُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ حَارِثَ بْنِ زَهْرٍ بْنِ جِشْمَ بْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبَ بْنِ عَمْرِو بْنِ غُثَمَ بْنِ تَغْلِبَ بْنِ وَائِلِ ، وَإِنَّمَا لُقِبَ كَلَيْبًا لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا سَارَ أَخَذَ مَعَهُ جِرْوَةً كَلْبٍ ، فَإِذَا مَرَّ بِرَوْضَةٍ أَوْ مَوْضِعٍ يَسْجِبُهُ ، ضَرَبَهُ ثُمَّ أَقْبَاهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ وَهُوَ يَصِيحُ وَيَمُوتُ ، فَلَا يَسْمَعُ هَوَاهُ أَحَدٌ إِلَّا تَجَنَّبَهُ وَلَمْ يَقْرِبِهِ ، وَكَانَ يُقَالُ كَلَيْبٌ وَائِلٌ ثُمَّ اخْتَصَرُوا فَقَالُوا كَلَيْبٌ فَتَغْلِبَ عَلَيْهِ . (٧) اسْمُهُ عَدِيُّ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ الْمَهْلَهْلُ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ هَلَلَهُ لِلشَّمْرِ : أَى أَرْضِهِ .

إلى بنى شيان ، فَأَتَوْا مَرَّةً بَنَ دُهل بن شيبان « أبا جساس » وهو في نادي قومه ،
فقالوا له :

« إِنَّكُمْ أَتَيْتُمْ عَظِيماً بِقَتْلِكُمْ كَلْبِيّاً بَنَابٍ ^(١) مِنَ الْإِبِلِ ، فَقَطَعْتُمُ الرِّجِمَ ، وَانْتَهَكْتُمُ
الْحُرْمَةَ ، وَإِنَّا كَرِهْنَا الْعَجَلَةَ عَلَيْكُمْ دُونَ الْإِعْذَارِ إِلَيْكُمْ ، وَنَحْنُ نَعْرِضُ عَلَيْكُمْ خِلَالاً أَرْبَعاً ،
لَكُمْ فِيهَا مَخْرَجٌ ، وَلَنَا فِيهَا مَقْنَعٌ ، فَقَالَ مَرَّةً : وَمَا هِيَ ؟ قَالُوا : نُحْيِي لَنَا كَلْبِيّاً ، أَوْ تَدْفِعُ
إِلَيْنَا جَسَاساً قَاتِلَهُ فَنَقْتُلُهُ بِهِ ، أَوْ هَمَّاماً ^(٢) فَإِنَّهُ كَفَّاهُ ، أَوْ تَمَكَّنْنَا مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنْ
فِيكَ وَفَاءٌ مِنْ دَمِهِ ، فَقَالَ : « أَمَّا إِحْيَائِي كَلْبِيّاً ، فَهَذَا مَا لَا يَكُونُ ، وَأَمَّا جَسَاسٌ فَإِنَّهُ غَلَامٌ
طَلَمَنَ طَعْنَةً عَلَى عَجَلٍ ، ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ ، فَلَا أَدْرِي أَىُّ الْبِلَادِ احْتَوَى عَلَيْهِ ، وَأَمَّا هَمَامٌ
فَإِنَّهُ أَبُو عَشْرَةٍ ، وَأَخُو عَشْرَةٍ ، وَهَمَّ عَشْرَةٍ ، كُلُّهُمْ فُرْسَانُ قَوْمِهِمْ ، فَلَنْ يَسْلُوهُ لِي ، فَأَذْفَعُهُ
إِلَيْكُمْ يُقْتَلُ بِحَرْبَةٍ ^(٣) غَيْرِهِ . وَأَمَّا أَنَا فَهَلْ هُوَ إِلَّا أَنْ تَجُولَ الْخَلِيلَ جَوْلَةً غَدًا ، فَأَكُونَ
أَوَّلَ قَتِيلٍ بَيْنَهُمَا ؟ فَإِذَا تَمَجَّلَ الْمَوْتُ ، وَلَكِنْ لَكُمْ عِنْدِي خَصْلَتَانِ : أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَمُؤَلَّاهُ
بَنِي الْبَاقُونَ ، فَعَلَّقُوا فِي عُنُقِ أَهْلِهِمْ شَتْمَ نَسْعَةٍ ، فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى رَحَالِكُمْ ، فَاذْجُوه ذَنْجَ
الْجَزُورِ ، وَإِلَّا فَأَلْفُ نَاقَةٍ سَوْدَ الْخَدَقِ ، حُمْرُ الْوَبَرِ ، أَقِيمْ لَكُمْ بِهَا كَفِيلاً مِنْ بَنِي وَائِلٍ ،
فَنَقُضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا : لَقَدْ أَسَاتَ ، تَبَدَّلْ لَنَا وَلَدُكَ ، وَتَسْمُونا اللَّبَنَ مِنْ دَمِ كَلْبٍ ؟ »
وَنَشَبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ .

(المقد القريني ٣ : ٧٨ ، والكامل لابن الأثير ١ : ١٩٠ ، والأغاني ٤ : ١٤١)

٣٥ — منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين

لَمَّا أَسَنَّ أَبُو بَرَاءَ : عامر بن مالك بن جعفر بن مُلَعب الأَسِنَّةَ ، تَنَازَعَ فِي
الرِّيَاسَةِ عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر ، وَعَلَقْمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ الْأَحْوَصِ
ابن جعفر .

(١) الناقة المسنة . (٢) هو همام بن مرة أخو جساس ، وكان نديماً لهما .

(٣) الجريرة : الجريمة .

فقال علقمة : كانت لجدي الأحوص ، وإنما صارت لملك بسبه ، وقد قعد عك عنها ، وأنا استرجعتها ، فأنا أولى بها منك ، فشري^(١) الشر بينهما ، وسارا إلى النافرة . فقال علقمة : إن شئت نافر تك ، فقال عامر قد شئت . والله إني لأكرمك منك حببا^(٢) ، وأثبت منك نسبا ، وأطول منك قصب^(٣) .

فقال علقمة : والله لأنا خير منك ليلاً ونهاراً ، فقال عامر : والله لأنا أحب إلى نساءك أن أصبحَ فيهنَّ منك ، أنا أنحرُ منك للقاج^(٤) ، وخير منك في الصباح ، وأطعم منك في السنة الشياح^(٥) .

فقال علقمة : أنا خير منك أثراً ، وأخذ منك بصرأ ، وأعزُّ منك قفراً ، وأشرفُ منك ذِكراً^(٦) . فقال عامر : ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد ، وبصري ناقص ، وبصرُك صحيح ، ولكني أنا فرك ، إني أسمى منك ممة^(٧) ، وأطولُ منك قمة ، وأحسنُ منك لمة^(٨) ، وأجمدُ منك جمّة^(٩) ، وأسرعُ منك رنحة ، وأبعدُ منك همة . فقال علقمة : أنت رجلٌ جسيم ، وأنا رجلٌ قضيف^(١٠) ، وأنت جميل ، وأنا قبيح ، ولكني أنا فرك يابأي وأعمأي . فقال عامر : آباؤك أعمأي ، ولم أكن لينا فرك بهم . لكني أنا فرك ، أنا خيرُ منك عقيباً ، وأطعم منك جدبا . فقال علقمة : قد علمت أن لك عقيباً ، وقد أطعمت طيباً ، ولكني أنا فرك ، إني خيرُ منك ، وأولى بالخيرات منك .

فخرجت أمُّ عامر - وكانت تسمع كلامهما - فقالت : يا عامر نافرهُ ، أيكما أولى بالخيرات . قال عامر : إني والله لأزكبُ منك في الحماة ، وأقتلُ منك للكماة^(١١) ،

(١) استطار . (٢) الحبب : ما تنمده من مغاعر آبائك ، أو الشرف الثابت في الآباء ، أو الكرم ، أو الشرف في الفعل أو الفعل الصالح . (٣) القصب : عظام اليدين والرجلين ونحوها ، كناية عن طول قامته . (٤) الأبل : واحدتها لقوح . (٥) الشياح : القسط . (٦) السمة : القرابة ، ويروي أنا أنبئ منك أمة ، أي أكثر قوما . (٧) اللمة : الشعر المجازز شمة الأذن .

(٨) مجمع شعر الرأس . (٩) نحيف من القصف ، وهو النحافة . (١٠) جمع كمي ، وهو الشجاع .

وَحَبِيرُ مَنْكَ لِقَوْلِي وَالْمَوْلَاةُ : قَالَ لَهُ عُلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَبَرٌّ ، وَإِنَّكَ لَنَاجِرٌ ، وَإِنِّي لَوْلَدٌ ، وَإِنَّكَ لَمَاقِرٌ ^(١) ، وَإِنِّي لَمَعْفٌ ، وَإِنَّكَ لَمَاهِرٌ ، وَإِنِّي لَوَفِيٌّ ، وَإِنَّكَ لَنَادِرٌ ، فَنَفِمْ تُفَاخِرُنِي يَا عَامِرُ؟ فَقَالَ عَامِرُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَنْزِلُ مِنْكَ لِلْقَفْرِ ^(٢) ، وَأُنَحِرُ مِنْكَ لِلْبَكْرَةِ ^(٣) وَأُطْعِمُ مِنْكَ لِهَبْرَةِ ^(٤) ، وَأُطْعِمُنُ مِنْكَ لِلشُّغْرَةِ . فَقَالَ عُلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَكَلِيلُ الْبَصْرِ ، نَكِيدُ النَّظَرَ ، وَثَابُ حَلْيَ جَارَاتِكَ بِالسَّحَرِ .

فَقَالَ بَنُو خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ - وَكَانُوا يَدُأُ مَعَ بَنِي الْأَحْوَصِ حَلْيَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ - لَنْ تُطِيقَ عَامِرًا ، وَلَكِنْ قُلْ لَهُ أَنَا فَرَكْ بَحِيرَنَا وَأَقْرَبْنَا إِلَى الْخِيَرَاتِ . فَقَالَ لَهُ عُلْقَمَةُ هَذَا الْقَوْلُ ، فَقَالَ عَامِرُ : عَيْزٌ ^(٥) وَتَيْسٌ ، وَتَيْسٌ وَعَيْزٌ . فَذَهَبَتْ مِثْلًا . نَعَمْ ، حَلْيَ مِائَةِ مِثْلِ الْإِبِلِ إِلَى مِائَةِ مِثْلِ الْإِبِلِ يُعْطَاهَا الْحَكَمَ ، أَيُّنَا نَفَرَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ أَخْرَجَهَا ، فَعْمَلُوا ذَلِكَ ، وَوَضَعُوا بِهَا رَهْنًا مِنْ أَبْنَائِهِمْ حَلْيَ بَدَى رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ خَزِيمَةُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْوَحِيدِ ، فَسَى « الضَّمِينِ » .

وَخَرَجَ عُلْقَمَةُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي خَالِدٍ ، وَخَرَجَ عَامِرُ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي مَالِكٍ ، وَجَمَلًا مُنَافَرَتَهُمَا إِلَى أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَلَمْ يَقْلُ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ، وَكَرِهَ ذَلِكَ لِحَالِهِمَا وَحَالِ عَشِيرَتِهِمَا ، وَقَالَ : أَنْتُمَا كَرَكَيْتُمَا الْبَعِيرَ الْأَذْرَمَ ^(٦) ، قَالَا : فَأَيُّنَا الْيَمِينُ ؟ قَالَ كِلَا كَا يَمِينُ ، وَأَبِي أَنْ يَقْضَى بَيْنَهُمَا . فَانْطَلَقَا إِلَى أَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ فَأَبَى أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمَا - وَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ تَحْكُمُ إِلَى قُرَيْشٍ - فَأَتِيَا عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ بْنِ حُذَيْفَةَ ،

(١) رجل عاقِر: لم يولد له ولد . (٢) القفرة: الفقر . الخلاء من الأرض . (٣) البكرة :

الفتية من الإبل . (٤) الهبرة : قطعة مجتمعة من اللحم . هبرة قطعة قطعا كبارا ، وهبر له من اللحم هبرة قطع قطعة . (٥) البعر : الحمار وعلب على الوحش ، وهو أقوى من التيس ، أى مثل وإنيك كالبعير والتيس ، أو على الأقل كالتيس والمنز ، إذ التيس أقوى على النطاح من العنز ، وفي المثل : « كان عنزا فاستتيس » أى صار تيسا . يضرب القليل الضعيف يصير عزيزا قويا .

(٦) درم النظم : وراه اللحم حتى لم يبق له حجم ، وامرأذ درماء لاتستين كموبها ومراقها ، وكل ماغطاه اللحم والحجم وغنى حجمه فقد درم .

فَأَبَى أَنْ يَقُولَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ، فَأَتَيَا غَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ التَّمَنِي ، فَرَدَّهُمَا إِلَى حَرَمَلَةَ ابْنِ الْأَشْعَرِ الْمُرِّي ، فَرَدَّهُمَا إِلَى هَرَمِ بْنِ قُطَيْبَةَ بْنِ سَنَانَ الْفَزَارِيِّ ، فَانْطَلَقَا حَتَّى نَزَلَا بِهِ ، وَقَدْ سَاقَا الْإِبِلَ مَعَهُمَا حَتَّى أَشْتَتَ وَأَرْبَعَتَ ، لَا يَأْتِيَانِ أَحَدًا إِلَّا هَابَ أَنْ يَقْضَى بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ هَرَمٌ : لِمَرَى لِأَحْكَمَ بَيْنَكُمَا نَمَّ لَا فُضِّلَنَ ، فَأَعْطِيَانِي مَوْثِقًا أَطْمِئِنُّ إِلَيْهِ أَنْ تَرْضِيَا بِمَا أَقُولُ ، وَتُسَلِّمَا مَا قَضَيْتُ بَيْنَكُمَا ، وَأَمْرُهُمَا بِالْانْصِرَافِ ، وَوَعْدُهُمَا ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ قَابِلٍ ، فَانْصَرَفَا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْأَجَلَ خَرَجَا إِلَيْهِ ، وَأَقَامَ الْقَوْمَ عِنْدَهُ أَيَّامًا .

فَأَرْسَلَ هَرَمٌ إِلَى عَامِرٍ فَأَتَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِهِ عُلَمَةٌ ، فَقَالَ يَا عَامِرُ : قَدْ كُنْتُ أَرَى لَكَ رَأْيًا ، وَأَنْ فِيكَ خَيْرًا . وَمَا حَبَسْتُكَ هَذِهِ الْأَيَّامَ إِلَّا لِتَنْصَرِفَ عَنْ صَاحِبِكَ ، أَتَنَافَرُ رَجُلًا لَا تَفْخَرُ أَنْتَ وَقَوْمُكَ إِلَّا بِأَبَائِهِ ! فَمَا الَّذِي أَنْتَ بِهِ خَيْرٌ مِنْهُ ؟ فَقَالَ عَامِرٌ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ أَنْ لَا تَفْضَلَ عَلَيَّ عُلَمَةً ، فَوَاللَّهِ لَنْ فَعَلْتُ لَا أَفْلِحُ بَعْدَهَا أَبَدًا . هَذِهِ نَاصِيَتِي فَاجْزُئْهَا وَاحْتَكِمْ فِي مَالِي ، فَإِنْ كُنْتُ لَا بَدَ فَاعْلَا ، فَسَوْ يَبْنِي وَيَبْنِي ، قَالَ : انْصَرِفْ فَسَوْفَ أَرَى رَأْيِي . فَخَرَجَ عَامِرٌ وَهُوَ لَا يَشْكُ أَنْهُ يَنْفَرُهُ ^(١) عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عُلَمَةٍ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِهِ عَامِرٌ ، فَأَتَاهُ ، وَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِعَامِرٍ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ عُلَمَةً بِمَا رَدَّ بِهِ عَامِرٌ ، وَانْصَرَفَ وَهُوَ لَا يَشْكُ أَنْهُ سَيَفْضَلُ عَلَيْهِ عَامِرًا . ثُمَّ إِنْ هَرَمًا أَرْسَلَ إِلَى بَنِيهِ وَبَنِي أَبِيهِ : إِنِّي قَاتِلُ غَدَا بَيْنَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ مَقَالَةً ، فَإِذَا فَضَلْتُ فَلْيَطْرُدْ بَعْضُكُمْ عَشْرَ جَزَائِرَ ، فَلْيَنْحَرِّهَا عَنْ عُلَمَةٍ ، وَيَطْرُدْ بَعْضُكُمْ عَشْرَ جَزَائِرَ ، يَنْحَرِّهَا عَنْ عَامِرٍ ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ النَّاسِ لَا تَكُونُ لَهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَأَصْبَحَ هَرَمٌ مُجْلِسٌ بِمَجْلِسِهِ ، وَأَقْبَلَ النَّاسَ ، وَأَقْبَلَ عُلَمَةَ وَعَامِرَ حَتَّى جَلَسَا ، فَقَامَ هَرَمٌ فَقَالَ : يَا بَنِي جَعْفَرٍ ، قَدْ تَحَا كَمَا عِنْدِي ، وَأَنَا كَمَا كَرَكَبْتِي

(١) أَنْفَرَهُ عَلَيْهِ وَنَفَرَهُ عَلَيْهِ : قَضَى لَهُ عَلَيْهِ بِالْعُلَمَةِ .

البحير الأدرم : تقعان إلى الأرض معا ، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه ،
وكلاهما سيد كريم ، وعهد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر ، فنحروها حيث أمرهم
هرم ، وفرقوا الناس ، ولم يفضل هرم أحدا منهما على صاحبه ، وكره أن يقل ، وهما ابنا عم
فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيين شرا .

(الأغاني ١٥ : ٥١ ، وصبح الأعشى ١ : ٣٨٢ ، وشرح الميون ١٠٦ ، والمسنة ١ : ٢٨)

أشرف العرب بين يدي كسرى

قال كسرى^(١) لنعمان بن النذر يوماً : هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ قال نعم ، قال فبأي شيء ؟ قال : من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ، ثم اتصل ذلك بكال الرابع ، فاليبت من قبيلته فيه ، ويُنسب إليه ، قال فاطلب ذلك ، فطلبه فلم يصبه إلا في آل حذيفة بن بدر ، وآل حاجب بن زُرارة ، وآل ذى الجذنين ، وآل الأشعث ابن قيس بن كِنْدَةَ ، فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائهم ، وأقدم لهم الحكم والمدول ، وقال : ليتكلم كل منكم بما أثر قومه وليصدق ، فكان حذيفة بن بدر الفزاري أول متكلم ، وكان السن القوم ، فقال :

٣٦ — مقالة حذيفة بن بدر الفزاري

« قد علت العرب أن فينا الشرف الأقدم ، والأعزّ الأعظم ، ومأثرة^(٢) للصنيع الأكرم ، فقال من حوله : ولم ذلك يا أخا فزارة ؟ فقال : ألسنا الدعائم التي لا ترام ، والبرز الذي لا يُضام ، قيل صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال :

فَزَارَةُ بَيْتِ الْبِرِّ ، وَالْبِرُّ فِيهِمْ فَزَارَةُ قَيْسٍ ، حَسْبُ قَيْسٍ نِصَاحُهَا
لَهَا الْبِرَّةُ الْقَمَسَاءُ وَالْحَسْبُ الَّذِي بَنَاهُ لِقَيْسٍ فِي الْقَدِيمِ رَجَالُهَا

(١) هو كسرى أنوشروان ، حكم من سنة ٥٣١ إلى ٥٧٨ ميلادية .

(٢) المأثر بالفتح والغم : المكرمة المتوارثة .

فِيهَا قَدْ أَعْيَا الْقُرُونُ الَّتِي مَضَتْ مَآرُ قَيْسٍ تَجِدُهَا وَقَالَهَا
وَهَلْ أَحَدٌ إِلَّا هَزَّ يَوْمًا بِكَفِّهِ إِلَى الشَّمْسِ فِي تَجَرِّي النُّجُومِ يَنَالُهَا
فَإِنْ يَصْلُحُوا يَصْلُحْ لِدَاكَ جَمِيعًا وَإِنْ يَفْسُدُوا يَفْسُدْ مِنَ النَّاسِ حَالُهَا

٢٧ — مقال الأشعث الكندي

ثم قام الأشعث الكندي - وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة ونعيم لقرايته من
النعمان بن النضر - فقال : قد علمت العرب أنا قاتل عديدها الأكره ، وزحفها الأكبر ،
وإننا لنفيك الكروبات ، وممدن الكرمات ، قالوا : ولم يا أخا كندة ؟ قال : لأننا
ورثنا ملك كندة ، فاستغلنا بأفئادنا^(١) ونقلنا منكبه الأعظم ، وتوسطنا بحبوحه
الأكرم ، ثم قام شاعرهم فقال :

إِذَا قَسَتْ آيَاتُ الرِّجَالِ بَيْنَنَا وَجَدْتَ لَنَا فَضْلًا قَلَى مِنْ يَفَاخِرِ
فَنَ قَالَ كَلَّا أَوْ أَنَا بِمُخْطَلِّ يُنَافِرُنَا فِيهَا فَنَحْنُ نَخَاطِرِ
تَمَالَوْا قَوَا كَيْ يَلِمَ النَّاسُ أَيْنَا لَهُ الْفَضْلُ فَمَا أَوْرَثَهُ الْأَكَابِرِ

٢٨ — مقال بسطام الشيباني

ثم قام بسطام الشيباني ، فقال : قد علمت العرب أنا بناة بيتها الذي لا يزول ،
ومفريس عزها الذي لا يحول ، قالوا ولم يا أخا شيبان ؟ قال : لأننا أدر كهم النار ،
وأضر بهم للنسك الجبار ، وأقومهم للحكم ، وألدهم لفخضم ، ثم قام شاعرهم ،
فقال :

(١) جمع قبه : وهو ما كان شمساً فينسخه الظل .

لَقَمَرِي بِسَطَامٍ أَحَقُّ بِفَضْلِهَا وَأَوَّلُ بَيْتِ الْمَرْزُوقِ الْقَبَائِلِ
 فَسَائِلُ - أَيْتِ الْعَن - عَنْ عَزْ قَوْمِهَا إِذَا جَدَ يَوْمَ الْفَخْرِ كُلُّ مُنَاقِلِ ^(١)
 أَلَسْنَا أَعَزَّ النَّاسِ قَوْمًا وَنُصْرَةً وَأَضْرَبَهُمُ الْكَيْشُ بَيْنَ الْقَبَائِلِ ^(٢)
 وَقَائِعُ غُرٍّ كُلُّهَا رَبِيعِيَّةٌ تَذِلُ لَهَا عِزًّا رِقَابُ الْمَحَافِلِ
 إِذَا ذُكِرَتْ لَمْ يَنْكُرِ النَّاسُ فَضْلَهَا وَعَادَّ بِهَا مِنْ شَرِّهَا كُلِّ وَائِلِ ^(٣)
 وَإِنَّا مُلُوكُ النَّاسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِالنَّاسِ إِحْدَى الزَّلَازِلِ

٢٩ - مقال حاجب بن زرارة

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي ، فقال : قد علمت مَعَدَّةُ أَنَا فَرَعٌ ^(١) دِعَامِيَّهَا ،
 وَقَادَةُ زَحِيَّهَا ، قَالُوا : وَلَمْ ذَاكَ يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ ؟ قَالَ : لِأَنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ عَدِيدًا ،
 وَأَنْجَحُهُمْ طَرًّا وَلَيْدًا ، وَأَنَّا أَعْطَاهُمُ الْجَزِيلَ ، وَأَتَمَلَّهُمُ الْفَتِيلَ ، ثُمَّ قَامَ شَاعِرُهُمْ ،
 فَقَالَ :

لَقَدْ عَلِمْتُ أَبْنَاءَ خِنْدِفٍ أَنَّنَا لَنَا الْعِزُّ قَدْ مَافِي الْخَطُوبِ الْإِوَائِلِ ^(٢)
 وَأَنَا كِرَامُ أَهْلٍ مَجْدٍ وَتَرْوَةٍ وَعِزٍّ قَدِيمٍ لَيْسَ بِالْمُتَضَائِلِ
 فَكَمْ فِيهِمْ مِنْ سَيِّدٍ وَابْنِ سَيِّدٍ أَغْرَ تَجْيِيبِ ذِي فَصَالٍ وَنَائِلِ ^(٣)
 فَسَائِلِ (أَيْتَتِ الْعَن) عَنَا فَإِنَّا دَعَاؤُكُمْ هَذَا النَّاسِ عِنْدَ الْجَلَالِ ^(٤)

(١) أَيْتَتِ الْعَن : تَحِيَّةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، أَيْ أَيْتٌ أَنْ تَقُلَّ امْرَأَةٌ لِمَنْ عَلَيْهِ . وَالْمُنَاقِلَةُ فِي الْمَعْلَقِ : أَنْ تَحْتَضِرَ

أَخْرَجَ وَمِثْلُكَ . (٢) الْكَيْشُ : سَيْدُ الْقَوْمِ وَقَادَتُهُمْ . (٣) لَا جَبِي ، مِنْ وَالٍ إِلَيْهِ يَتَلَّ وَالَا .

(٤) فَرَعٌ كُلُّ شَيْءٍ : أَمْلَاهُ . (٥) خَتَفٌ : هِيَ أُمُّ مَدْرُوكَةٍ ، وَمُطَابَقَةٌ وَقَعَةُ أَبْنَاءِ الْيَاسِ بْنِ مَضَرٍ

بَنِي زُرَّارٍ مِنْ مَدَدِ بْنِ حَنْظَلَةَ . (٦) الْقَمَالُ : اسْمُ الْقَمَلِ الْحَسَنِ ، وَالْكَرَمِ . (٧) أَيْ الْأُمُورِ الْجَلِيلَةِ

٣٠ — مقال قيس بن عاصم السعدي

ثم قام قيس بن عاصم السعدي ، فقال : لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرمات
دَعَاثُمْ ، وأثبتهم في النائيات مَقَادِمَ ، قالوا : ولم ذاك يا أخا بني سعد ؟ قال : لِأَنَا
أَذَرَكُهُمُ النَّارَ ، وَأَمْتَنَهُمُ الْجَارَ ، وَأَنَا لَا تَنْفَكُ^(١) إِذَا حَلَلْنَا ، وَلَا نُرَامُ إِذَا حَلَلْنَا ،
ثم قام شاعرهم فقال :

لَقَدْ عَلِمْتُ قَيْسٌ وَحِنْدِفُ أَنَّنَا وَجُلُّ تَمِيمٍ وَالْجَمِيعُ الَّذِي تَرَى^(٢)
يَأْتَانَا عِمَادُ فِي الْأُمُورِ وَأَنَا لَنَا الشَّرَفُ الضَّخْمُ الْمُرَكَّبُ فِي النَّدَى
وَأَنَا لُيُوثُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَأْزِقٍ إِذَا جُزَّ بِالْبَيْضِ الْجَاجِمُ وَالطَّلَا^(٣)
فَنَ ذَا يَوْمِ الْفَخْرِ يَمْدُلُ عَاصِمًا وَقَيْسًا إِذَا مَرَّتْ أُلُوفٌ إِلَى الْعَلَا
فَمِيزَاتٍ قَدْ أَعْيَا الْجَمِيعُ فَعَالَهُمْ وَقَامُوا يَوْمَ الْفَخْرِ مَسْنَاءَ مَنْ سعى
فَقَالَ كَدَرِي حِينَئِذٍ : لَيْسَ مِنْهُمْ إِلَّا سَيِّدٌ يَصْلُحُ لِمَوْضِعِهِ ، وَأَسْنَى حِيَاءِهِمْ ، وَأَعْظَمُ
صِلَاتِهِمْ ، وَكَرَّمَ مَآبَهُمْ .
(صبح الأضواء ١ : ٣٧٧ والأغاني ١٧ : ١٠٥)

(١) لَا تَنْفَكُ وَلَا تَجِبُن . (٢) قَيْسُ بْنُ عِمْلَانَ بْنِ مَضَرَ . (٣) الطَّلَا : جَمْعُ طَلِيَّةٍ ،

وَمِنْ الْمَقَى .

وفود العرب على كسرى

قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم : فافتخر النعمان بالعرب ، وفضلهم على جميع الأمم ، لا يستثنى فارس ولا غيرها ، فقال كسرى - وأخذته عزة الملك - يا نعمان ، لقد فكرتُ في أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت في حالة من يقدّم على من وفود الأمم ، فوجدت للروم حظاً في اجتماع ألفتها ، وعظم سلطانها ، وكثرة مدائنها ، ووثيق بنيانها ، وأن لها ديناً يبين حلالها وحرامها ، ويردّ سفيتها ، ويقيم جاهلها ، ورأيت الهند نحواً من ذلك في حكمتها وطبها ، مع كثرة أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعتها ، وطيب أشجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عددها ، وكذلك الصين في اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها ، وفروسيها وحماتها في آلة الحرب ، وصناعة الحديد ، وأن لها مدناً يجمعها ، والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال في الماش ، وقلة الرّيف^(١) والثمار والحصون ، وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس ، لهم ملوك تضمّ قواصيمهم ، وتدبر أمرهم ، ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير في أسردين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوّة ، ومع أن مما يدلّ على مهانتها وذلّها ، وصفر همتها تحيّلهم^(٢) التي همّ بها مع الوحوش النافرة ، والطير الحائرة ، يقتلون أولادهم من الناقة ، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها ، فأفضل طعام ظفّير به ناعمهم لحوم الابل ، التي يماضها كثير من السباع ، لثقلها ، وسوء طعمها ، وخوف دنائها ، وإن قرى أحدهم ضيفاً عدّها مكرمه ،

(١) الرّيف : أرض فيها زرع وغصب ، والسّعة في المأكّل والمشرب . (٢) حل المسكان وبه

يجل بالكسر والفتح .

وإن أطعم أكلة عدّها غنيمة ، تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم ، ما خلا هذه التَّنُوخِيَّة التي أسس جدّي اجتماعها ، وشدّ ملكتها ، ومنعها من عدوّها ، فجري لها ذلك إلى يومنا هذا ، وإن لها مع ذلك آثاراً ولَبُوساً^(١) ، وقرى وحصونا ، وأموراً تشبه بعض أمور الناس - يعنى اليمين - ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الدّلة والقِلَّة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس ، قال النعمان : أصلح الله الملك . حقّ^(٢) لأمة الملك منها أن يسمو فضلها ، ويعظم خطبها ، وتلو درجتها ، إلا أن عندى جواباً فى كلّ ما نطق به الملك ، فى غير ردّ عليه ، ولا تكذيب له ، فإن أمتنى من غضبه نطقت به ، قال كسرى : قل فأنت آمن .

٣١ - خطبة النعمان بن المنذر

قال النعمان : أما أمتك أيها الملك ، فليست تُنَازِعُ فى الفضل ، لموضعها الذى هى به : من عقولها وأحلامها ، وبَسَطَةِ محلها ، وَبُحْبُوحَةِ عزّها ، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأما الامم التى ذكرت ، فأى أمة تَقْرِيها بالمرب إلا فَضَلَّتْها . قال كسرى بماذا ؟ قال النعمان : بِمِزَّها ، وَمَنْعَتِها ، وحسن وجوها ، وبأسها ، وسخاها ، وحكمة ألسنتها ، وشدة عقولها ، وأفتها ، ووفائها .

فأما عزّها ومنعتها ، فإنها لم تنزل مجاورة لآبائك الذين دَوَّخوا البلاد ، ووطدوا الملك ، وقادوا الجند ، لم يعلّم فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ، حصونهم ظهور خيلهم ، وِيَهَادِم الأرض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف ، وَعُدَّتُهُم الصبر ، إذ غيرها من الأمم إنما عزها من الحجارة والطين وجزائر البحور .

وأما حسن وجوها وألوانها ، فقد يُعرَفُ فضلهم فى ذلك على غيرهم : من الهند والنحرفة ، والصين المُنَحَفَقِ ، والترك المشوّهة ، والزوم المُقَشَّرِ .

(٢) حق لك أن تقبل كل ما وحقت أن تقبله معنى .

(١) اللبوس .

وأما أنسابها وأحسابها ، فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيراً من أولها ، حتى إن أحدهم ليُسأل عن وراء أبيه ذنباً^(١) ، فلا ينسبه ولا يعرفه ، وليس أحد من العرب إلا يسى آباءه أبا قاباً ، حاطوا بذلك أحسابهم ، وحفظوا به أنسابهم ، فلا يدخل رجلٌ في غير قومه ، ولا ينسب إلى غير نسبه ، ولا يذُى إلى غير أبيه .

وأما سخاؤها ، فإن أديانهم رجلا ، الذى تكون عنده البكرة^(٢) والناَب^(٣) ، عليها بلاغة^(٤) في نحوله^(٥) وشيحه^(٦) وريته^(٧) ، فيطرقه الطارق ، الذى يكفى بالقلدة^(٨) ، ويمتري بالشربة ، فيفقرها له ، ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الاحدوة وطيب الذكر .

وأما حكمة السنهم ، فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم وروثوق كلامهم ، وحسن ووزنه وقوافيه ، مع معرفتهم الأشياء ، وضرهم للأمثال ، وإبلاغهم في الصفات ، ما ليس لشيء من السنة الأجناس ثم خيلهم أفضل الخيل ، وناوهم أعف النساء ، وليأسهم أفضل اللباس ، ومعادنهم الذهب والفضة ، وحجارة جبالهم الجزع^(٩) ، ومطايهم التى لا يبلغ على مثلها سقر ، ولا يقطع بمثلها بلد قفر .

وأما دينها وشرعتها ، فإنهم متمسكون به ، حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم أشهراً حرماً ، وبلداً محرماً ، وبيتاً محجوجاً ، ينسكون فيه مناسكهم ، ويذبحون فيه ذبائحهم ، فيقتل الرجل قاتل أبيه أو أخيه ، وهو قادر على أخذ ثاره ، وإدراك رغبته^(١٠) منه ، فيحجزه كرمه ، ويمنعه دينه عن تناوله بأذى .

(١) هو ابن عمى دنيا بضم الدال وكسرهما مع التنوين ، وبكسرهما بلا تنوين : أى لحماً .

(٢) الناقة المستنة . (٣) البلاغ : الكفاية . (٤) الحمول والأحمال جمع حمل .

(٥) القطة من الشيء . (٦) الجزع ويكسر : الخرز اليماني الصفي في سواد وبياض ، تشبه

به اليمون . (٧) اللذ .

وأما وفاؤها ، فإن أحدم يَلْحَظُ اللحظة ، وَيُؤَيِّدُ الإيمانَ ، فعلى وَلَتْ^(١) وعقده ، لا يَحْلُهَا إِلَّا خُرُوجَ نَفْسِهِ ، وإن أحدم يرفع عودًا من الأرض فيكون رهنًا بِدَيْنِهِ ، فَلَا يَفْلُتُ^(٢) رَهْنُهُ ، وَلَا يُخَفَّرُ^(٣) ذمته ، وإن أحدم يلبسه أن رجلا استجار به وعسى أن يكون ناثيا عن داره ، فيصاب ، فلا يرضى حتى يُفَقِيَ تلك القبيلة التي أصابته ، أو تَفْقِيَ قبيلته ، لما أَخْفَرَ من جواره ، وإنه ليلجأ إليهم المجرم لِلْحَدِيثِ ، من غير معرفة ولا قرابة ، فتكون أنفسهم دون نفسه ، وأموالهم دون ماله .

وأما قولك أيها الملك يَتَذَوَّنُ أولادهم ، فإنما يفعله من يفعله منهم بالإناث أُنْفَةً من المار ، وَغَيْرَةٍ من الأزواج .

وأما قولك إن أفضل طعامهم لحوم الإبل - عَلَى ما وصفت منها - فاستركوا ما دونها إلا احتقارًا لها ، فَعَمَدُوا إلى أجلها وأفضلها ، فكانت مراكبهم وطعامهم ، مع أنها أكثر البهائم شحوما ، وأطيبها لحومًا ، وَأَرْقَاهَا أَبْنَاءًا ، وَأَقْلَاهَا غَائِلَةً^(٤) ، وأحلاها مَضْفَةً ، وإنه لا شيء من اللُحْمَانِ يُعَالَجُ مَا يُعَالَجُ به لحمها إلا استبان فضلها عليه .

وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضًا ، وتركهم الانقيادَ لرجل يسوسهم ويجمعهم ، فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا أُنِسَتْ من نفسها ضَعْفًا ، وتخوفت سُهْوَ عَدُوِّهَا إليها بالزحف ، وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد ، يُعْرِفُ فَضْلَهُمْ عَلَى سائر غيرهم ، فَيَلْتَوْنُ إليهم أمورهم ، وينقادون لهم بأزمته ، وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكًا أجمعين ، مع أنهم من أداء الخراج وَالْوَلْتُ^(٥) بِالصَّنَفِ .

(١) عهد . (٢) خلق الرهن : استحققه المرتب ، وذلك إذا لم يفتك في الوقت للشروط .

(٣) خفر به وأخفزه : نقض عهده وغفره . (٤) شرا . (٥) الوط : الضرب الشديد بالرجل على الأرض .

وأما الذين اتى وصفها الملك ، فإنما أتى جدّ الملك إليها الذى ^(١) أناء ، هند غلبة الحبش له ، على ملك متيق ، وأمر مجتمع ، فأناء مسلوباً طريداً مستصرخاً ، ولولا ما وتير به من يليه من العرب ، لمال إلى مجال ، ولوجد من يبيد الطمان ، ويتنضب للأحرار من غلبة العبيد الأشرار .

فمجب كسرى لما أجابه النعمان به ، وقال : إنك لأهل لموضعك من الرياسة فى أهل إقليمك ، ثم كساد من كسرتيه ، وسرحه إلى موضعه من الحيرة .

فلما قدم النعمان الحيرة ، وفى نفسه ما فيها مما سمع من كسرى ، من تنقص العرب ، وتهجين ^(٢) أمرهم ، بث إلى أكرم بن صيفي ، وحاجب بن زرارة التميميين ، وإلى الحرث بن عبادة ، وقيس بن مسعود البكرين ، وإلى خالد بن جعفر ، وعقبة بن علالثة ، وعامر بن الطفيل العامريين ، وإلى عمرو بن الشريد الشلى ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، والهارث بن ظالم المرمى ، فلما قدموا عليه فى التلورتنى ، قال لهم : قد عرفتم هذه الأعاجم ، وقرب جوار العرب منها ، وقد سمعت من كسرى مقالات ، تخوفت أن يكون لها غور ، أو يكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خوفاً ، كبعض طماطيتيه ^(٣) ، فى تأديتهم اخراج إليه ^(٤) ، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله ، فاقصص عليهم مقالات كسرى ، وما رده عليه ، فقالوا : أيها الملك ، وفقك الله ! ما أحسن ما رددت ! وأبلغ ما حاجته به ! فرنا بأمرك ، وادعنا إلى ماشئت . قال : إنما أنا رجل منكم ، وإنما ملكك وعزّت بكمائكم ، وما يتخوف من ناحيتكم ، وليس شيء أحبّ إلىّ مما سدّد الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم ، وأدام به عزّكم ، والرأى أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط ، وتنطلقوا إلى كسرى ، فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم

(١) هو سيف بن ذى يزن . (٢) تقييح واستهجان ، والمحنة من الكلام : ما يمييه .

(٣) رجل ططم وططى « بكسر الطاءين » وطططاني « بضمها » : فى لسانه نجمة . (٤) كان القرس يعفون عرب الحيرة من دفع الأتاوة مقابل أن يقوموا بجماعتهم من كل غارة من نواحيهم .

بما حضره ، ليملم أن العرب هل غير ماظن^(١) ، أو حَدَّثَتْهُ نفسه ، ولا ينطق رجل منكم بما يُغضبُهُ ، فإنه ملك عظيم السلطان ، كثير الأعوان ، مُتَرَفٍّ ، مُتَجَبِّ بنفسه ، ولا تنخزلوا^(٢) له انخزال الخاضع الدليل ، وليكن أمرٌ بين ذلك ، تظهر به وثاقة حلومكم ، وَفَضْلُ منزلتكم ، وعظيم أخطاركم ، وليكن أوَّل من يبدأ منكم بالكلام أكرم ابن صفي ، ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها ، فإنما دعاني إلى التقدمة إليكم ، على يميل كلَّ رجل منكم إلى التقدم قبل صاحبه ، فلا يكون ذلك منكم ، فيجِدَ في آدابكم مَطْمَناً ، فإنه ملك مترف ، وقادر مُسَلِّطٌ ، ثم دعاهم بما في خزائنه من طرائف حلل الملوك ، كل رجل منهم حُلَّةٌ وعمَّه عمامة ، وَخَتَمُهُ بياقوتة ، وأمر لسكل رجل منهم بنجبية مَهْرِيَّة^(٣) وفرس نجبية ، وكتب معهم كتاباً :

« أما بعد : فإن الملك ألقى إلى من أمر العرب ما قد علم ، وأجبتُهُ بما قد فهم ، بما أحبت أن يكون منه على علم ، ولا يَتَلَجَّجُ في نفسه أن أمة من الأمم التي احتجرت دونه بمملكتها ، وَهَمَّت ما يليها بفضل قوتها ، تلبها في شيء من الأمور ، التي يتميز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة ، وقد أوفدت إليها الملك رهطاً من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم ، فليسمع الملك ، وَلْيَفِيضْ عن جفاء إن ظهر من منطقهم ، وليكرمنى بِلِ كرامهم ، وتمجبل سراحهم ، وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشارهم . »

فخرج القوم في أَهْبَتِهِمْ حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفعوا إليه كتاب النعمان فقراه ، وأمر بإئزازهم إلى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم ، فلما أن كان بعد ذلك بأيام ، أمر مَرَّازِبَتَهُ^(٤) وَوَجُوه أهل مملكته ، لحضروا وجلسوا على كراسي ، عن يمينه

(١) الانخزال : مشية في تناقل . (٢) النجيب : البعير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين ، والمهرية : نسبة إلى مهرة بن حيدان ، حتى تنسب إليه الإبل النجبية . (٣) جمع مَرَّازِيان ، بفتح الميم وضم الزاي ، هو الرئيس من الفرس .

وشماله ، ثم دعا بهم على الولاء^(١) والراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه ، وأقام
الترجمان^(٢) ليؤدّي إليه كلامهم ، ثم أذن لهم في الكلام .

٢٢ - خطبة أكرم بن صيفي

قام أكرم بن صيفي فقال :

« إنَّ أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعماها نفعاً ، وخير
الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة ، والكذب مهوأة ، والشر
لجاجة^(٣) ، والحزم مرَّ كَبَّ صعب ، والعجز مركب وطىء . آفة الرأى الهوى ، والعجز
مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر ، حسن الظنَّ ورعة ، وسوء الظن عصمة ، إصلاح
فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراى ، من فسدت بطانته كان كالفاس بالماء ، شرُّ
البلاد بلاد لا أمير بها ، شرُّ الملوك من خافه البرىء ، المرء يعجز^(٤) لا المعالة^(٥) ، أفضل
الأولاد البررة ، خير الأعوان من لم يراه بالنصيحة ، أحقُّ الجنود بالنصر من حسنت
سريره ، يكفيك من الزاد ما بلفك الخلل ، حسبك من شرِّ سماعة ، الصمت حكم^(٦)
وقليل فاعله ، البلاغة الإيجاز ، من شدَّد نقره ، ومن تراخى تألّفه .

فتمجّب كسرى من أكرم ، ثم قال : ونحك^(٧) يا أكرم ما أحكمك وأوثق
كلامك ! لولا وضّك كلامك في غير موضعه . قال أكرم : الصدق ينبي ذنك
لا الوعيد . قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى .

قال أكرم : ربّ قول أغدّ من صولٍ .

(١) التابع والتوال ، مصدر والى . (٢) ترجمان : يفتح التاء وضم الجيم ويضمهما
ويفتحهما . (٣) أى أصله اللجاجة ، وهى تماحك الخصمين وتماديهما . (٤) من بابي ضرب
وسم . (٥) المعالة : الخيلة . (٦) الحكم : الحكمة (وآتيته الحكم صيباً) . (٧) ويح : كلمة
رحمة ، (وويل : كلمة طلاب) ، وقيل هما بمعنى واحد .

٣٣ — خطبة حاجب بن زرارة

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي فقال :

« وَرَى ^(١) زَنْدَكَ ، وَعَلَتْ يَدَكَ ، وَهَيْبَ سُلْطَانِكَ ، إِنَّ الدَّيْبَ أُمَةٌ قَدْ غَلَطَتْ
أَكْبَادَهَا ، وَاسْتَحْصَدَتْ ^(٢) مِرْيَتَهَا ، وَمُنِعَتْ دِرْسُهَا ^(٣) ، وَهِيَ لَكَ وَامِقَةٌ مَا تَأَلَّفَتْهَا ،
مُسْتَرْسَلَةٌ مَا لَا يَنْتَهَا ، سَامِعَةٌ مَا سَاعَتْهَا ، وَهِيَ الْعَلَقَمُ مَرَارَةٌ ، وَالصَّابُ ^(٤) غَضَاضَةٌ ^(٥) ،
وَالْعِصْلُ حَلَاوَةٌ ، وَالْمَاءُ الزُّلَّالُ ^(٦) سَلَاةٌ ^(٧) ، نَحْنُ وَفُودُهَا إِلَيْكَ ، وَالسَّنْهَى لَدَيْكَ ،
ذَمْتُنَا مَحْفُوظَةٌ ، وَأَحْسَابُنَا مَمْنُومَةٌ ، وَعِشَارُنَا فِينَا سَامِعَةٌ مَطِيحَةٌ ، إِنْ نَوَّيْتُ لَكَ حَامِدِينَ خَيْرًا
فَلَيْكَ بِذَلِكَ عَوْمٌ مَحْمَدْتَنَا ، وَإِنْ نَذَمْتُ لَمْ نُحْصَ بِالْقَدَمِ دُونَهَا . »

قال كسرى : يا حاجب ، ما أشبه جبر التلأل بألوان صخرها ، قال حاجب :
بل زئير الأسد بصوتها ، قال كسرى : وذلك .

٣٤ — خطبة الحارث بن عباد

ثم قام الحارث بن عباد البكري ، فقال :

دامت لك الملكة باستكمال جزيل حظها ، وعلو سنائها ، من طال رشاهه ^(٨) ،
كثُرَ مَتْنَعُهُ ^(٩) ، ومن ذهب ماله ، قلَّ مَنَعُهُ . تناقل الأفاويل يَعْرِفُ اللَّبَّ ، وهذا

-
- (١) وري الزند بفتح الراء وكسرهما وريا ورية فهو وار وورى : خرجت ناره . وأوريته ووريته
واستوريته ، والزند : المود الذي يفتح به النار جمعه زناد وأزند وأزناد . (٢) استحصد الحبل :
استحكم ، والمره : طاقة الحبل ، والقوة : العقل . كناية عن قوتهم . (٣) الدرة : اللين كالدر .
(٤) عصارة : شجر مر . (٥) هي احتمال المكروه . واللذة والمقتضة . (٦) ماء زلال :
سريع المرف في الخلق بارد عذب صاف سهل سلس . (٧) سهولة . السلس : السهل اللين اللين .
(٨) الرشاه : الحبل . (٩) المتع : نزع الماء من البئر .

مقام سَيُوجِفُ^(١) بما ينطق به الرَّكْبُ ، وتعرف به كُنْهَ حَالِنَا الْعَجَمِ والعرب ، ونحن جيرانك الأدنون ، وأعوانك المئينون ، خيولنا بَجَّة ، وجيوشنا فحمة ، إن استنجدتنا فغير رُبُضٍ^(٢) ، وإن استطرقتنا^(٣) فغير جُهْضٍ^(٤) ، وإن طلبتنا فغير غُضْصٍ^(٥) ، لا ننثني لِدَعْرِ ، ولا نَنْتَكِرُ لدهر ، رماحننا طوال ، وأعمارنا قصار .

قال كسرى : أنفس عزيزة وأمة ضعيفة ، قال الحرث : أيها الملك وأنى يكون لضعيف عزّة أو لصغير مرّة ! قال كسرى : لو قَصَرَ عَمْرُكَ ، لم نَسْتَوِلِ عَلَى لسانك نَفْسُكَ . قال الحرث : أيها الملك إن الفارس إذا حمل نفسه عَلَى السكينة مُقَرَّرًا بنفسه عَلَى الموت ، فهي مَنِيَّةٌ استقبلها ، وَجِنَانٌ استدبرها ، والعرب تعلم أنى أبثت الحرب قُدْمًا^(٦) ، وأحبسها وهي تَصَرَّفُ بها ، حتى إذا جاشت نارها ، وَسَمَرَتْ لظاها ، وكشفت عن ساقها ، جَعَلَتْ مَقَادَهَا رُمْحِي ، وَبَرَقَهَا سِنِي ، وَرَعْدَهَا زَيْبِي ، ولم أَقْصُرْ عَنْ خَوْصِ خَضْخَضِهَا^(٧) ، حتى أُنْقَمَسَ فِي عَمْرَانِي لُجْجِهَا ، وأكون فُلُكًا لفرسانى إِلَى مُجْبُوْحَةٍ كَبَشْهَا^(٨) ، فاستمطرها دَمًا ، وَأَثْرُكُ حُمَاتَهَا جَزَرٌ^(٩) السَّبَاعِ وَكُلُّ نَسَرِ

(١) وجف الفرس والبير دنا ، وأوجفته : أعديته ، يقال : أو جف فأعجب (فأ أو جفتم عليه من غيل ولا ركاب) أى ما أعلم .

(٢) يقال : رجل ربض من الحاجات لا ينهض فيها ، وهو هنا جمع ربوض بالفتح من ربضت الشاة كبركت الناقة : أى لا تنقاس من نصرتك ولا تهجم . (٣) استطرقة فحلا : طلبته منه ليضرب في إبله ، هذا هو الأصل ، والمراد استعنت بنا . (٤) أجهضت الناقة والمرأة ولدها : أسقطته ناقص الخلق ، والسقط : جهيض ، وجمعه جهض ، أى أن فعلنا إذا ضرب النياق (نسكحها) لم تأت بجهض بل تنتج ، والمراد أنه إن استجد بهم أثمر ذلك الاستجداء ولم يخب . (٥) من النفض ، وهو النوم ، يقال ما غمضت ، ولا اغمضت ، ولا غمضت ، فالوصف من الأول غامض ، وللمبالغة غوض ، والجمع غضر أى فلا ننام من نصرتك . (٦) القدم : المضي أمام أمام ، وهو يمشي القدم : إذا مضى في الحرب . والقدم : المقدم الشجاع . وفي الحديث « طوبى لعبد مبر قدم في سبيل الله » . (٧) الخضاض : نفض أسود رقيق تنأ به الإبل الجرب (ولعله خضاضها) بضم الحاء ، والخضاض : المكاد الكثير الماء . (٨) سيد القوم وقائدهم . (٩) أى قطعا .

قَشَمَ^(١) . ثم قال كسرى لمن حضره من العرب : أ كذالك هو ؟ قالوا : فماله أنطق
من لسانه .

قال كسرى : ما رأيت كاليوم وفداً أحشد ، ولا شهوداً أوفد .

٣٥ - خطبة عمرو بن الشريد

ثم قام عمرو بن الشريد الشلبي ، فقال :

« أيها الملك ، نِمَ بالكَ ، وَدام في السرور حالكَ ، إن عاقبة الكلام مُتَدَبِّرَةٌ ،
وَأشكال الأمور مُتَعَبِّرَةٌ ، وَفي كثيرٍ ثِقَلَةٌ ، وَفي قليلٍ بُلْغَةٌ ، وَفي الملوك سُورَةٌ^(٢) العز ،
وَهَذَا مَنْطِيٌّ لَهُ ما بعده ، شَرُفَ فِيهِ مَنْ شَرُفَ ، وَخَلَّ فِيهِ مَنْ خَلَّ ، لَمْ تَأْتِ لَضِيكَ ،
وَلَمْ نَقِدْ لِسَخَطِكَ ، وَلَمْ تَعْرِضْ لِرِفْدِكَ^(٣) ، إِنْ فِي أَمْوَالِنَا مُنْقَدًا^(٤) ، وَعَلَى عِزَّتِنَا
مُمْتَدًا ، إِنْ أُرِيتُنَا^(٥) نَارًا أَتَقْنَا ، وَإِنْ أُوْدِ^(٦) دهر بنا اعتدلنا ، إِلَّا أَنَا مع
هَذَا لجوارِكَ حافظون ، وَلَيْنَ رَأَمَكَ كَافِحُونَ ، حَتَّى يُحَمَّدَ الصِّدْرُ^(٧) وَيُسْتَطَابَ
الْخَبَرُ » .

قال كسرى : ما يقوم قصدُ مَنْطِقِكَ بإفراطِكَ ، وَلَا مَدْحُكَ بِذَمِّكَ ، قال عمرو :
كفى بقليلِ قصدي هادياً ، وَبأيسرِ إفراطِي مُخْبِراً ، وَلَمْ يُلَمْ مَنْ غَرَبَتْ نَفْسُهُ عما يعلم ،
وَرَضَى مِنَ الْقَصْدِ بما بلغ . قال كسرى : ما كلُّ ما يعرف المرء ينطق به .
اجلس .

(١) من . (٢) سورة المجد : أثره وعلامته ، وسورة السلطان : سطوته (والسورة المنزلة)
بالضم . (٣) الرغد : المطاء . (٤) انتقد الدراهم قبضها . (٥) أوفدنا . (٦) اعوج .
(٧) الرجوع .

٣٦ - خطبة خالد بن جعفر الكلابي

ثمَّ قام خالد بن جعفر الكلابي فقال :

« أحضر الله الملك إسماعداً ، وأرشده إرشاداً ، إنَّ لكلَّ مَنْطِقِ فُرْصَةً ، ولكلِّ حاجة غَصَّةً ، وَعيُّ المنطق أشدُّ مِنْ عِيِّ الشُّكُوتِ ، وَعِثَارُ القول أنْكَارُ^(١) مِنْ عِثَارِ الوَعْثِ^(٢) . وما فُرْصَةُ المنطق عندنا إلَّا بِمَا نَهْوَى ، وَغَصَّةُ المنطق بما لَّا نَهْوَى غَيْرُ مُسْتَسَاغَةٍ^(٣) ، وتركى ما أعلم مِنْ نَفْسِي ، وَبِعِلْمٍ مِنْ تَعْنِي أَنِّي له مُطِيقٌ ، أحبُّ إِلَيَّ مِنْ تَكْلِفِي ما أَخْوَفُ وَبِخَوْفٍ مِنْي ، وقد أَوْفَدْنَا إِلَيْكَ ملكنا النعمان ، وهو لك مِنْ خَيْرِ الْأَعْوَانِ ، وَنِعْمَ حَامِلُ المَرْوُوفِ والإِحْسَانِ ، أَنْفَسْنَا بِالطَّاعَةِ لَكَ بِأَخَصَةٍ^(٤) ، وَرَقَابِنَا بِالنَّصِيحَةِ خَاضِعَةً ، وَأَيْدِينَا لَكَ بِالْوَفَاءِ رَهِينَةً . »

قال له كسرى : نطقت بعقل ، وَتَمَوَّتَ بِفَضْلٍ ، وعلوت بِذَيْلٍ .

٣٧ - خطبة علقمة بن علاثة العامري

ثمَّ قام علقمة بن علاثة العامري فقال :

« نَهَجَتْ^(١) لَكَ سَبِيلُ الرِّشَادِ ، وَخَضَعَتْ لَكَ رِقَابُ الْعِبَادِ ، إنَّ لِلْأَقَاوِيلِ مَنَاهِجَ ، وَلِلْآرَاءِ مَوَالِجَ^(٢) وَلِلْمَوَاصِي مَخَارِجَ ، وَخَيْرُ القول أَصْدَقُهُ ، وَأَفْضَلُ الطَّلِبِ أَنْجَحُهُ ، إنا وإنْ كَانَتْ الْحُبَّةُ أَحْضَرْتَنَا ، وَالْوَفَادَةُ قَرَّبَتْنا ، فَلَيْسَ مِنْ حَضْرِكَ مِنَّا بِأَفْضَلٍ مِنْ عَزَبِ عَنَّاكَ ، بَلْ لَوْ قِسَّتْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، وَهَلَّتْ مِنْهُمْ مَاعِلُنَا ، لَوَجَدْتَ لَهُ فِي آبَائِهِ

(١) نكأ العدو ونكاه نكابة : قتل وجرح ، وأنكأ : أى أشد نكابة وفهرا . (٢) الوعث : المكان السهل اللين تغيب فيه الأقدام والطريق السر . (٣) أساغ النصبة ابتليها ، وساغ الشراب : سهل يدخله في الخلق . (٤) خاضعة ومقررة ، ينجح بالحق أقر به وخضع له . (٥) وضعت . (٦) مداخل ، جميع موالج . كجلس ، ولج يلج واوجا ولجة .

دُنْيَا ، أُنْدَادًا وَكَفَاءً ، كُلُّهُمْ إِلَى الْفَضْلِ مَنْسُوبٌ ، وَبِالشَّرَفِ وَالشُّوْءِ (١) مَوْصُوفٌ ،
وَبِالرَّأْيِ الْفَاضِلِ وَالْأَدَبِ النَّافِذِ (٢) مَعْرُوفٌ ، يَنْجِي حِمَاهُ ، وَيَرْوِي نَدَامَاهُ (٣) ، وَيَذُودُ
أَعْدَاهُ ، لَا تَحْمَدُ (٤) نَارُهُ ، وَلَا يَحْتَرِزُ مِنْهُ جَارُهُ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ : مَنْ يُبَيِّلُ الْعَرَبَ يَعْرِفُ
فَضْلَهُمْ ، فَاصْطَنَعَ (٥) الْعَرَبُ ، فَلَيْسَ الْجِبَالُ الرَّوَاسِي عِزًّا ، وَالْبَحُورُ الزَّوَاخِرُ طُمِيًّا (٦) ،
وَالنَّجُومُ الزَّوَاهِرُ شَرَفًا ، وَالْحَصَى عُدْدًا ، فَإِنْ تَعْرِفَ لِمَ فَضْلُهُمْ يُعْزِّزُوكَ ، وَإِنْ
تَسْتَصْرِخُهُمْ (٧) لَا يَخْذُلُوكَ .

قال كسرى : وخشى أن يأتي منه كلام يحمله على السخط عليه - حَبَبُكَ
أُبْلِغْتَ وَأَحْسَنْتَ .

٣٨ - خطبة قيس بن مسعود الشيباني

ثُمَّ قَامَ قَيْسُ بْنُ مَسْعُودٍ الشَّيْبَانِيُّ ، فَقَالَ :

« أَعْلَابُ اللَّهِ بِكَ الْمُرَاشِدُ ! وَجَنِّبَكَ الْعَصَائِبُ ! وَوَقَّاكَ مَكْرَهُهُ الشَّصَائِبُ (٨) !
مَا أَحَقَّنَا - إِذْ أَتَيْنَاكَ - بِإِسْمَاعِكَ مَا لَا يُخْنِقُ صَدْرَكَ ، وَلَا يَزْرِعُ لَنَا حَقْدًا فِي قَلْبِكَ !
لَمْ نَقْدَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ لِمُسَامَاةٍ ، وَلَمْ نَنْسَبْ لِمُعَادَاةٍ ، وَلَكِنْ لَتَعْلَمَ أَنْتَ وَرَعِيَّتُكَ وَمَنْ حَضَرَكَ مِنْ
وَفُودِ الْأُمَمِ ، أَنَا فِي الْمَنْطَلِقِ غَيْرُ مُخْجِمِينَ ، وَفِي النَّاسِ غَيْرُ مُقْصِرِينَ ، إِنْ جُورِينَا فَنُفِيرُ
مُسَبِّوْقِينَ ، وَإِنْ سُوْمِينَا فَنُفِيرُ مَنُؤَلِيْنَ » .

(١) السَّوْدُ يَفْتَحُ اللَّيَالِ وَالسُّوْدُ بَضْمَا وَالسُّودَ وَالسِّيَادَةَ . (٢) الظَّاهِرُ أَثَرُهُ .

(٣) نَدَاىَ . جَمَعَ نَدْمَانٌ ، وَهُوَ النَّدِيمُ ، وَجَمَعَ النَّدِيمَ نَدَمَاءُ ، وَنَادَمَهُ : جَالَسَهُ عَلَى الشَّرَابِ (نَدْمَانٌ
بِمَعْنَى مُنَادِمٍ مَصْرُوفٌ ، لِأَنَّ مَوْثِقَهُ نَدْمَانَةٌ ، أَمَا نَدْمَانٌ بِمَعْنَى نَادِمٍ فَلَا يَصْرِفُ لِأَنَّ مَوْثِقَهُ نَدَى :

كُلُّ فُلَانٍ فَهُوَ أَتْنَاهُ فَعِلَ فَعِيرٌ وَصَفَ النَّدِيمَ بِالنَّدْمَانِ)

(٤) خَدٌ : كَتَمَهُ وَسَمِعَ . (٥) اخْتَرَعَ وَاصْطَفَى . (٦) طَمَى الْمَاءَ يَطْمِي عَلَيْهِ عِلًا ، وَالتَّنْبَتُ

طَالُ وَالْبَحْرُ امْتَلَأَ ، وَهِيَ عِلَتٌ . (٧) تَسْتَجِدُّ بِهِمْ . (٨) جَمَعَ شَصِيَّةٌ ، وَهِيَ الشَّدَّةُ .

قال كسرى : غير أنكم إذا عاهدتم غير وافين (وهو يمرضُ به في تركه الوفاء بضمانه السواد^(١)) قال قيس : أيها الملك ما كنتُ في ذلك إلا كغوافٍ غدير به ، أو كخافر أخيرٍ بذمتِهِ . قال كسرى : ما يكون لضعيف ضمان ، ولا لدليل خفارة ، قال قيس : أيها الملك : ما أنا فيما أخير من ذمتي أحقُّ يلازمي العار منك فيما قتل من رعيته ، وأتُهِك من حرمتك ، قال كسرى : ذلك لأن من اتعن الخيانة^(٢) ، واستنجد الأئمة ، ناله من الخطأ ما نالني ، وليس كل الناس سواء ، كيف رأيت حاجب بن زرارة ، لم يحكم قواه ، فيبرم ، ويمهد فيؤني ، ويمد فينجز ، قال وما أحقُّه بذلك ، وما رأيت إلا لي ، قال كسرى : القوم بزل^(٣) فأفضلها أشدها .

٣٩ خطبة عامر بن الطفيل العامري

ثم قام عامر بن الطفيل العامري فقال :

« كثر فنون النطق ، ولَبِسُ القول أعمى من حديد^(١) الظلاء ، وإنما الفخر في الفعـال ، والمبـجـز في النـجـدة ، والسودد مطاوعة القدرة^(٢) ، وما أهلك بقدرنا ، وأبصرنا بفضلنا ، وبالحزمي^(٣) إن أدالت^(٤) الأيام ، وثابت الأعلام أن تحدث لنا أموراً لها أعلام^(٥) . قال كسرى : وما تلك الأعلام ، قال مجتمعت^(٦) الأحياء من ربيعة ومضر ، على أمر يذكر قال كسرى : وما الأمر الذي يذكر ؟ قال : مآل علم بأكثر مما خبّرني به خبر ، قال كسرى : متى تكاهنت يا بن الطفيل ؟ قال : لست بكاهن ، ولستني بالمرح

(١) أي سواد العراق . (٢) الخيانة والخونة : جميع خائن . (٣) البازل : الجمل في السنة التاسعة ، والرجل الكامل في تجربته جميع بزل وبزل . (٤) الليل المظلم والظلمة . (٥) أي أن يأتي المرء ما يقدر عليه ، فإن ذلك يبلغه السودد . (٦) خليق وجدير . (٧) نصرتنا . (٨) أي مشهورة . (٩) اجتماع .

طاعن ، قال كسرى : فإن أتاك آت من جهة عينك الموراء ما أنت صانع ؟ قال :
ما هيبتني في قتلى بدون هيبتني في وحي ، وما أذهب عيني عيث^(١) ، ولكن
مطأوعة العيث .

٤٠ - خطبة عمرو بن معد يكرب الزبيدي

ثم قام عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، فقال :

« إنما المرء بأصمريه : قلبه ولسانه ، فبلاغ المنطق الصواب ، وملاك النجعة^(٢)
الارتياح ، وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبر خير من اعتساف
الخبرة ، فاجتنب^(٣) طاعتنا بلفظك ، واكتظم بادرتنا بملك ، وألن لنا كفك بلسان
لك قيادنا ، وإنا أناس لم يؤقس^(٤) صفاتنا قواع مناصير^(٥) من أراد لنا قضا ، ولكن
منعنا حمانا من كل من رام لنا هضما »

٤١ - خطبة الحارث بن ظالم المري

ثم قام الحارث بن ظالم المري ، فقال :

« إن من آفة المنطق الكذب ، ومن لوم الأخلاق اللق ، ومن خطل الرأي خفة
الملك المستط ، فإن أعلمناك أن مواجعتنا لك عن الائتلاف ، وأقيادنا لك عن تصاف ،
فما أنت لقبول ذلك منا بحليق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق ، ولكن الوفاء بالمهود ،
وإحكام ولث المقود ، والأمر بيننا وبينك معتدل ، ما لم يأت من قبلك
ميل أو زل » .

(١) الإقصاء . (٢) النجعة : طلب الكلا في موضعه . (٣) اجتنب . (٤) الوقس :

انتشار الجرب في البدن ، والتوقيس : الإجراب ، أي لم يخش صفاتنا ويؤثر فيها . (٥) جمع منقار ،

وهو حديدة كالفأس ينقر بها . (٦) أصله الأكل بطراف الأسنان .

قال كسرى : من أنت ؟ قال الحرث بن ظالم ، قال إن في أسماء آبائك لدليلاً على
خلة وفائك ، وأن تكون أولى بالنذر ، وأقرب من الوزر . قال الحارث : إن في الحق
منقصة . والسرور التناقل ^(١) ، ولن يستوجب أحد الحلم إلا مع القدرة ، فلننشبه أفعالك
بجسلك ، قال كسرى : هذا فتى القوم

ثم قال كسرى : قد فهمت ما نطقت به خطاباً لكم ، وتفطن فيه متكلموكم ، ولولا أني
أعلم أن الأدب لم يُتقَّفْ أودَّ لكم ، ولم يُحكَم أمركم ، وأنه ليس لكم ملك يجمعكم ،
فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباحية ، فننطق بما استولى على ألسنتكم ، وغلب
على طباعكم ، لم أجز لكم كبراً مما تكلمتم به ، وإنى لأكره أن أجبه وفودى ،
أو أحنق صدورهم ، والذى أحب من إصلاح مُدَبَّرِكُمْ ، وتأنف شواذكم ، والإعذار إلى
الله فيما بيني وبينكم ، وقد قبلت ما كان في منطلقكم من صواب ، وصدحت عما كان فيه
من خلل ، فانصرفوا إلى ملككم ، فأحسنوا موازرتهم ، والتزموا طاعته ، واردعوا سفاهكم
واقبوا أودهم ، وأحسنوا أديهم ، فإن في ذلك صلاح العامة . (المقد الفريد ١ : ١٠١)

٤٢ - مخالس بن مزاحم وقاصر بن سلمة عند النعمان بن المنذر

كان مُخَالِسُ بْنُ مَزَاحِمٍ الْكَلْبِيُّ ، وقاصِرُ بْنُ سَلَمَةَ الْجُدَارِيُّ يَسَابُ النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ ، وكان بينهما عداوة ، فأتى قاصر إلى ابن فَرْقَتَيْ وهو عمرو بن هند أخو النعمان ابن المنذر ، وقال : إن مخالساً هكاك ، وأشدّه في ذلك ألياماً ، فلما سمع عمرو ذلك أتى النعمان ، فشكا مخالساً وأشدّه الأليام ، فأرسل النعمان إلى مخالس : فلما دخل عليه قال : « لَا أَمَّ لَكَ ! أَهْجُوا إِسْرًا هُوَ مَيْتًا خَيْرٌ مِنْكَ حَيًّا ، وهو سقياً خَيْرٌ مِنْكَ حَمِيحًا . وهو غائباً خَيْرٌ مِنْكَ شَاهِدًا ؟ فَيَجْرُمُهُ مَاءُ الْمَزْنِ ^(١) ، وَحَقٌّ أَبِي قَابُوسٍ ^(٢) ، لَنْ لَاحَ لِي أَنْ ذَلِكَ كَانَ مِنْكَ . لَأَنْزِعَنَّ غُلَصَمَتَكَ مِنْ قَفَاكَ ، وَلَا طَمِعَتَكَ لِحْمِكَ » .

قال مخالس : « أَيْتُ الْهَمْنُ ! كَلَا ، وَالَّذِي رَفَعَ ذِرْوَتَكَ بِأَعْمَادِهَا ، وَأَمَاتَ حُمَاكَ بِأَكْمَادِهَا ، مَا بُلِّغْتَ غَيْرَ أَقَاوِيلِ الْوُشَاةِ ، وَتَمَأَّمُ الْقُصَاةِ ، وَمَاهُجُوتُ أَحَدًا ، وَلَا أَهْجُوا إِسْرًا ذَكَرْتَ أَبَدًا ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِحَدِّكَ الْكَرِيمِ ، وَعِزِّ يَتِّكَ الْقَدِيمِ ، أَنْ يَنَالَنِي مِنْكَ عِقَابٌ ، أَوْ يَفَاجِئَنِي مِنْكَ عَذَابٌ ، قَبْلَ الْفَحْصِ وَالْبَيَانِ ، عَنْ أَسَاطِيرِ أَهْلِ الْبُهْتَانِ » . فدعا النعمان قاصراً فسأله ، فقال قاصر : « أَيْتُ الْهَمْنُ ! وَحَقَّكَ لَقَدْ هَجَاهُ وَمَا أُرَوِّئُهَا سِوَاهُ » فقال مخالس : « لَا يَأْخُذُنَّ أَيُّهَا الْمَلِكُ مِنْكَ قَوْلُ إِسْرِي آفِكَ ^(٣) ، وَلَا تُورِدْنِي سَبِيلَ الْمَهَالِكِ . وَاسْتَدِلُّ عَلَى كَذْبِهِ بِقَوْلِهِ : إِنِّي أُرَوِّقُهُ مَعَ مَا تَعْرِفُ مِنْ عِدَاوَتِهِ » ، فعرف النعمان صدقه فأخرجهما .

فلما خرجا ، قال مخالس لقاصر : « شَقِيَّ جَدُّكَ ، وَسَقُلَ خَدُّكَ ، وَبَطَلَّ كَيْدُكَ ، وَلاَحَ لِقَوْمِ جُرْمِكَ ، وَطَاشَ عَنِّي سَهْمُكَ ، وَلَأَنْتَ أَضْيَقُ حِجْرًا مِنْ قَقَّازٍ ^(٤) ، وَأَقْلُ قُوًى مِنَ الْحَامِلِ عَلَى الْكَرَّازِ ^(٥) » فأرسلها مَثَلًا . (جمع الأمثال ١ : ١٤٠)

(١) المزن : السحاب أو أبيضه أو ذو الماء ، جمع مزنة . (٢) يعني نفسه وأبو قابوس كنية . (٣) كذاب . (٤) الجبر : العقل ، والقتاز : كرمان ، وشداد : طائر أو صنار الصافيير ومن قول حسان بن ثابت :

لَا يَأْسُ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولِ وَمِنْ قَصْرِ جِسم اليقال وأحلام الصافيير

(٥) الكرراز : الكيش يحمل خرج الراعى ، أى أقل قوى من الراعى يحمل زاده على الكيش ، وهو مثل يضرب لمن يرى بالآزم .

٤٣ - ضمرة بن ضمرة عند النعمان بن المنذر

قيل إن رجلاً من بني نعيم يقال له ضمرة بن ضمرة، كان يُقبر على مسالِح^(١) النعمان بن المنذر، حتى إذا عِيلَ صبر النعمان، كتب إليه أن أدخل في طاعتي، ولك مائة من الإبل، فقبلها وأتاه، فلما نظر إليه أزدراه - وكان ضمرة دَمِيماً - فقال: تسمع بالأميديد^(٢) لا أن تراه^(٣). فقال ضمرة: مهلاً أيها الملك. إن الرجال لا يـُكـالُون بالصِّيمان^(٤). وإنما المرء بأصغرني قلبه ولسانه. إن قاتلَ قاتلَ يَحْتَنان. وإن نطق نطق ببيان. قال: صدقت لله درك، هل لك علم بالأمور والأولج فيها؟ قال: والله إني لأبرم منها للسَّحُول^(٥). وأقضى منها للقتول. وأحبلها حتى تحول، ثم أنظر إلى ما يتول. وليس للأمور بصاحب. فمن لا ينظر في المواقب. قال: صدقت، لله درك! فأخبرني: ما العجز الظاهر، والفقر الحاضر، والداء العمياء^(٦)، والدعوة السوءاء؟ قال ضمرة:

«أما العجز الظاهر. فالشابُّ القليل الحيلة. الأزومُ لِحَلِيلَةٍ. الذي يحوم حولها. ويسمع قولها. فإن غَضِبَتْ تَرَضَّاهَا. وإن رَضِيَتْ تَفْدَّاهَا. وأما الفقر الحاضر فالمرء لا تشبع نفسه. وإن كان من ذهب خِلْهُ^(٧). وأما الداء العمياء: فجار السوء، إن كان فوقك قَهْرَكَ، وإن كان دونك هَمَزَكَ^(٨). وإن أعطيته كفرَكَ، وإن منعتَه شتمَكَ، وإن كان ذلك جارك، فأخْلِ له دارَكَ، وعَجِّلْ منه فِرَارَكَ، وإلا فأقيم بذلَّ

(١) مسالِح جمع مسلحة بالفتح وهي الثمر. (٢) وفي رواية: تسع بالمعدي خير من أن تراه وهو مثل يضرب لمن خبره خير من مرآه، والمعدي تصغير المعدي نسبة إلى مد وهو حي، خففت الدال استئقالا للتشديد مع ياء التصغير، وقيل منسوب إلى مديد وهو اسم قبيلة. (٣) الصيمان جمع صاع وهو مكيال يكال به، وميماره الذي لا يختلف أربع حفات بكفى الرجل الذي ليس يعظم الكفين ولا صغيرهما. وحرر بعض المحققين أن الصاح بالمصري قد حان وثلاث. (٤) سحل الثوب: لم يبرم غزله. (٥) داء مياه: لا يبرأ منه. (٦) المجلس كساء يجلس على ظهر الجير تحت رحله. (٧) الحمز: الغنز.

وصَارَ ، وَكَنْ كَكَلْبٍ هَرَّارٍ^(١) ، وَأَمَّا السُّوءَةُ السُّوءَاءُ : فَالْحَلِيلَةُ الصَّخَابَةُ^(٢) ، الْخَلْفِيَّةُ
الرُّتَابَةُ ، السَّلِيلَةُ^(٣) السَّابَةُ ، الَّتِي تَعْجَبُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ، وَتَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ غَضَبٍ ،
الظَّاهِرُ عَيْبُهَا ، وَالْمَخُوفُ غَيْبُهَا ، فَزَوْجُهَا لَا يَصْلَحُ لَهُ حَالٌ ، وَلَا يَنْتَمُ لَهُ بَالٌ ، إِنْ كَانَ غَنِيًّا
لَا يَنْقِمُهُ غِنَاهُ ، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا أَبَدَتْ لَهُ فِلَاءَهُ^(٤) ، فَأَرَاهُ اللَّهُ مِنْهَا بَقْلَهَا ، وَلَا مَتَّعَ اللَّهُ
بِهَا أَهْلَهَا .

فَاعْجَبِ النِّعَانَ حُسْنُ كَلَامِهِ ، وَحُضُورُ جَوَابِهِ ، فَأَحْسِنِ جَانِزَتَهُ . وَاحْتَبِسْهِ قَبْلَهُ .

(جوهرة الأمثال ١ : ١٨٦)

٤٤ — لَيْدِ بْنِ رَيْبَةَ يَصِفُ بَقْلَهُ

وَفَدَى الثُّمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ فِي رَهْطٍ مِنْ بَنِي جَنْفَرٍ
ابْنِ كَلَابٍ ، فِيهِمْ لَيْدِ بْنِ رَيْبَةَ ، فَطَمَنَ فِيهِمُ الرِّبِيعُ بْنُ زِيَادِ التَّبَّاسِي ، وَذَكَرَ
مَعَاهِمَ . وَكَانَ نَدِيمًا لثَمَانَ ، وَكَانَتْ بَنُو جَنْفَرٍ لَهُمْ أَعْدَاءٌ — فَلَمْ يَزَلْ بِالثَّمَانَ حَتَّى صَدَّمَهُ
عَنُومُهُمْ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ يَوْمًا ، فَرَأَوْا مِنْهُ جَنَاءً — وَقَدْ كَانَ يَكْرَهُهُمْ وَيَقْرِبُهُمْ — فَخَرَجُوا غَضَابًا ،
وَلَيْدٌ مُتَخَلِّفٌ فِي رَحَالِهِمْ ، يَحْفَظُ مَتَاعَهُمْ ، وَيَقْدُرُ بِإِبْلَاهِهِمْ كُلَّ صَبَاحٍ بِرَعَاهَا — وَكَانَ
أَحَدُهُمْ سَنًا — فَأَتَاهُمْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ أَمْرَ الرِّبِيعِ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْهُ فَكَتَمُوهُ ،
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا حَفِظْتُ لَكُمْ مَتَاعًا ، وَلَا سَرَّحْتُ لَكُمْ بَعِيرًا ، أَوْ نَخَبَرُونِي فِيمَ أَنْتُمْ ؟
وَكَانَتْ أُمُّ لَيْدٍ بَقِيمَةً فِي حِجْرِ الرِّبِيعِ ، فَقَالُوا : خَالَكَ قَدْ غَلَبْنَا عَلَى اللَّيْلِ ، وَصَدَّ عَنْكَ وَجْهَهُ ،
فَقَالَ لَيْدٌ : هَلْ تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فَأَزْجِرَهُ عَنْكُمْ بِقَوْلِ مُبْمَضٍ مُؤَلَّمٍ ،
لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ الثَّمَانُ بَعْدَهُ أَبَدًا ؟ قَالُوا : وَهَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالُوا : فَإِنَّا نَبْلُوكَ .

(١) هَرَّارِ الْكَلْبِ ، صَوْتُهُ ، وَهُوَ دُونَ النَّبَاحِ . (٢) أَيْ كَثِيرَةُ الْفَطْ وَالْجَلْبَةِ مِنَ الصَّنْبِ

بِالصَّعْرِكِ . (٣) الطَّوِيلَةُ السَّانِ مِنَ السَّلَاطَةِ كَفَصَاحَةِ . (٤) الْقَتْلُ : الْبَغْضُ وَالْكَرَاهِيَةُ .

قال : وما ذاك ؟ قالوا : نَشْتَمُ هذه البَقْلَةَ - وَقَدْ أَتَمَّ بِقَلَّةٍ دَقِيقَةُ التَّضْبَانِ ، قَلِيلَةُ الْأُورَاقِ ، لاصِقَةٌ بِالْأَرْضِ ، تدعى التَّرْبَةَ - فقال :

« هذه التَّرْبَةُ الَّتِي لَا تَذْكِي ^(١) نَارًا ، وَلَا تُؤْهِلُ ^(٢) دَارًا ، وَلَا تَسْرُ جَارًا ، عُوْدُهَا ضَنْبِيلٌ ، وَفَرْعُهَا كَلِيلٌ ^(٣) ، وَخَبِيرُهَا قَلِيلٌ ، أَقْبَحُ الْيَقُولِ مَرْعَى ، وَأَقْصَرُهَا فَرْعًا ، وَأَشَدُّهَا قَلْعًا ، فَتَمَسَّ لَهَا وَجَدْعًا ^(٤) ، بَلَدَهَا شَاسِعٌ ^(٥) ، وَنَبْتُهَا خَاشِعٌ ، وَآكَلُهَا جَانِعٌ ، وَلَقَبِمُ عَلَيْهَا قَانِعٌ ^(٦) ، فَالْقَوَا بِي أَخَا بَنِي عَبَسَ ، أُرْدَدَ عَنْكُمْ يَتَقَسَّى ^(٧) وَنُكْسِيَ ، وَاتْرَكَهُ مِنْ أَمْرِهِ فِي لَبَسٍ » .

فلما أصبحوا غَدَوْا بِهِ مَعَهُمْ إِلَى النِّعْمَانِ ، فَذَكَرُوا حَاجَتَهُمْ ، فَأَعْتَرَضَ الرَّبِيعُ ، فَرَجَزَ بِهِ لِبَيْدِ رَجَزٍ أَمَالِيٍّ مَعَهُ النِّعْمَانُ أَنْ تَقَرَّرَ مِنْهُ ، وَأَمْرُهُ بِالْإِنْصِرَافِ إِلَى أَهْلِهِ

(مجمع الأمثال ٢ : ٣٣ وجمهرة الأمثال ٢ : ١١٦ ، الأغانى ١٤ : ٩١)

أبناء نجباء الأبناء ص ١٧١ ، وأمالى السيد المرتضى ١ : ١٣٥)

٤٥ - كلمات هند بنت الحُصَيْنِ الْإِيَادِيَّةِ

أَتَى رَجُلٌ هِنْدَ بِنْتَ الْحُصَيْنِ الْإِيَادِيَّةِ يَسْتَشِيرُهَا فِي امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا . فَقَالَتْ : « أَنْظُرْ رُمُكًا ^(٨) جَسِيمَةً ، أَوْ بِيضَاءَ وَسِيمَةً ، فِي بَيْتِ جَدٍّ ، أَوْ بَيْتِ حَدَرٍ ، أَوْ بَيْتِ عَزٍّ » قَالَ : مَا تَرَكْتِ مِنَ النِّسَاءِ شَيْئًا ، قَالَتْ : « بَلَى ، شَرُّ النِّسَاءِ تَرَكْتُ : السُّوَيْدَاءُ الْمِيْرَاضُ ^(٩) ، وَالْحَمِيْرَاءُ الْحِيَاضُ ^(١٠) الْكَثِيرَةُ الْغَاطِظُ ^(١١) » .

وَقِيلَ لَهَا : أَيُّ النِّسَاءِ أَسْوَأُ ؟ قَالَتْ : « الَّتِي تَعُدُّ بِالْقِنَاءِ ، وَتَعْلَقُ الْإِنَاءَ ، وَتَعْدُقُ ^(١٢) »

(١) تَذْكِي : تَشْمَلُ . (٢) أَوْ لَا تُؤَدِّمُ أَهْلَ دَارٍ مِنَ الْإِهَالَةِ (كِتَابَةُ) وَهِيَ كُلُّ مَا يُؤَدِّمُ

بِهِ ، وَيُقَالُ ثَرِيدَةٌ مَأْمُولَةٌ : أَيُّ فِيهَا إِهَالَةٌ . (٣) ضَمِيفٌ . (٤) قَطْلًا . (٥) بِمِيدٍ .

(٦) أَيُّ سَائِلٍ . (٧) النَّكْسُ : الْهَلَاكُ .

(٨) الرُّمُكَاءُ : السَّمَرَاءُ ، وَالرُّمُكَةُ كَحَمْرَةِ لَوْنِ الرَّمَادِ . (٩) الْمَرَارِضُ : الْمَسَامُ .

(١٠) الْكَثِيرَةُ الْحِيَاضُ . (١١) الْغَاطِظُ : الْمُنَازَعَةُ وَالْمُنَازَعَةُ . (١٢) تَمْرُجٌ .

ما في السَّاءِ قيل : فأى النساء أفضل ؟ قالت : « التي إذا مَشَتْ أُغْبِرَتْ »^(١) ، وإذا نطقت مَرَصَرَتْ »^(٢) ، مُتَوَرِّكة جارية^(٣) ، في بطنها جارية^(٤) ، ينمها جارية^(٥) .

قيل : فأى الغلمان أفضل ؟ قالت : « الأسوق الأعنق »^(٦) ، الذي إن شَبَّ كأنه أحق . قيل : فأى الغلمان أفضل^(٧) ؟ قالت : « الأويقس »^(٨) القصير القصد ، العظيم الحلاوية^(٩) ، الأغشِيرُ النِشاء ، الذي يُطِيعُ أمّه ، ويمضى عمّه .

(الأمال ٢ . ٢٦٠)

وقيل لها : أى الرجال أحب إليك ؟ قالت : السهل النجيب ، السَّمُح الحَسِيب ، النَّدْب^(١٠) الأريب ، السيد المهيّب ، قيل لها : فهل بقي أحد من الرجال أفضل من هذا ؟ قالت : نعم الأَهيفُ المَهْفَافُ^(١١) ، الأيفُ القَيَّافُ ، اللَّيِّدُ اللَّيْلَافُ ، الذي يُخِيفُ ولا يَخَافُ ، قيل لها : فأى الرجال أَبْقَضُ إليك ؟ قالت : الأَوْرَه^(١٢) النَّثُومُ ، الوَكَلُ السُّوْمُ ، الضَّعِيفُ الحَزِيزُومُ ، الثَّيْمُ المُلُومُ . قيل لها : فهل بقي أحد شر من هذا ؟ قالت : نعم ، الأحقُّ النَّزَّاعُ ، الضَّاعُ اللَّضَّاعُ ، الذي لا يُهَابُ ولا يُطَاعُ ، قالوا : فأى النساء أحب إليك ؟ قالت : البيضاء المَطْرَة ، كأنها ليلة قَيْرَة^(١٣) قيل : فأى النساء

(١) أثارت التبار في مشيتها . (٢) أحلت صوبها . (٣) أي حاملة لما على وركها .

(٤) أي هي مثاث . (٥) الأسوق : القليل الساق ، والأحق : القليل المتق .

(٦) أفضل من فضل : ككرم وعلم وعن فسالة وضوة فهو فضل ؛ أي وفاء لا مروءة له .

(٧) الأويقس : قصير أوقص ، وهو الذي يفتو رأسه من صدره .

(٨) ما تحوى من الأسماء أي استعار .

(٩) النذب : الخفيف في الحاجة للترفيف النجيب ، والأريب : العاقل . (١٠) الأهيف وصف

من الهيف بالتحريك ، وهو رقة الخاصرة ، والقصيص المَهْفَافُ ، أي الرقيق الشفاف . (١١) الأوره :

الأحق من وده كفرح . (١٢) ليلة قرة وقراء ومقمرة : فيها القمر .

أَبْضُ إِلَيْكَ؟ قَالَتْ : الْمِنْفَعُ^(١) الْقَصِيرُ ، الَّتِي إِنْ اسْتَنْطَقْتَهَا سَكَنْتُ ، وَإِنْ سَكَنْتُ عَنْهَا نَطَقْتُ^(٢) .
(ذيل الأمل ص ١٢٠)



وَقَالَ لَهَا أَبُوهَا يَوْمًا : أَيْ لِلَّالِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ : « النَّخْلُ ، الرَّاسَخْتُ فِي الْوَحْلِ ، لِلطَّيَسَاتِ فِي الْمَحَلِّ^(٣) » قَالَ : وَأَيُّ شَيْءٍ؟ قَالَتْ : « الضَّانُّ : قَرْيَةٌ لِأَوْبَاءِ بَهَا . تُنْجِبُهَا رُخَالًا^(٤) ، وَتَحْلِبُهَا عَلَالًا^(٥) » ، وَتَجُزُّ لَهَا جُفَالًا^(٦) ، وَلَا أَرَى مِثْلَهَا مَالًا » قَالَ : فَلَا يَلِ مَالِكٍ تَوَخَّرُ بِهَا؟ قَالَتْ : « هِيَ أَذْكَارُ الرِّجَالِ ، وَإِرْقَاءُ الدَّمَاءِ ، وَمُهورُ النِّسَاءِ » قَالَ : فَأَيُّ الرِّجَالِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ :

خَيْرُ الرِّجَالِ الْمُرْقَعُونَ كَمَا خَيْرُ بِلَادِ الْبِلَادِ أَوْطَوْهَا^(٧)

قَالَ : أَيُّهُمْ؟ قَالَتْ « الَّذِي يُسْأَلُ وَلَا يَسْأَلُ ، وَيُضِيفُ وَلَا يُضَافُ ، وَيُصْلِحُ وَلَا يُصْلَحُ » . قَالَ : فَأَيُّ الرِّجَالِ شَرٌّ؟ قَالَتْ : « النَّصِيطُ النَّطِيطُ^(٨) الَّذِي مَعَهُ سُوَيْطُ^(٩) ، الَّذِي يَقُولُ أَذْرِكُونِي مِنْ عَبْدِ بَنِي فَلَانٍ ؛ فَإِنِّي قَاتِلُهُ أَوْ هُوَ قَاتِلِي » . قَالَ : فَأَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ : « الَّتِي فِي بَطْنِهَا غَلَامٌ ، تَحْمِلُ عَلَى وَرِكَيْهَا غَلَامًا ، يَمْشِي وَرَاءَهَا غَلَامٌ » قَالَ : فَأَيُّ الْجَمَالِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ : « السَّبِجَلُ الرَّبِجَلُ^(١٠) ، الرَّاحِلَةُ الْفَاحِلُ » . قَالَ :

(١) المنفع : المرأة البليغة للقليلة الحياء ، والقليلة الجسم الكثيرية الحركة .

(٢) نطق : الشدة والجذب وانتقاع المطر . (٣) الرخال جمع رخل كحمل وكثف ، وهو الأثني من أولاد الضأن . (٤) يقال عاليت الناقة ، وهو أن تحلب أول النهار ووسطه وآخره ، والاسم حلال كسكتاب . (٥) الجفال : الكثير من الصوف .

(٦) المرقع : من يشاء الناس والأضياف . (٧) النطيط : الذي لا حية له ، والنطيط : الغلريان (بكسر الهمزة والراء) وهو الكثير الكلام يأتي بالخطأ والصواب من غير معرفة .

(٨) تصغير سوط . (٩) السبجل والربجل : البعير الضخم الكثير اللحم .

أَرَأَيْتَكَ الْجَذَعَ^(١) ، قالت : لَا يَضْرِبُ ، وَلَا يَدْعُ ، قال : أَرَأَيْتَكَ النَّتَى^(٢) ؟ قالت : يَضْرِبُ ، وَضِرَابُهُ وَفِي^(٣) ، قال : أَرَأَيْتَكَ السَّدَسَ^(٤) ، قالت : ذَاكَ الْعَرَسَ^(٥) .

(نزل الأمالى ص ١٠٨)



وقيل لها : أَيْ الْخَلِيلُ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قالت : « ذُو اللَّيْمَةِ الضَّعِيفِ^(٦) » ، السَّالِيطِ
التَّلْبِيعِ^(٧) ، الْأَيْدُ الضَّالِيعِ^(٨) لِلْمَلْبِيعِ^(٩) السَّرِيعِ « فقيل لها : أَيْ الصِّوْثُ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟
قالت : « ذُو الْهَيْدَبِ الْمُنْبَعِقِ^(١٠) ، الْأَضْخَمُ لِلْوَتَلِقِ^(١١) الصَّخْبِ الْمُنْبَثِقِ^(١٢) » وقيل
لها : مَا مِائَةٌ مِنَ الْمَعْرِ ؟ قالت : مُؤَبِّلٌ يَشْفُ الْفَقْرُ مِنْ وَرَائِهِ ، مَالُ الضَّعِيفِ ، وَحِرْقَةُ
الْعَاجِزِ « قيل : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الضَّانِّ ؟ قالت : « قَرْيَةٌ لَا حَيَّ بِهَا » قيل : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ ؟
قالت : « بَخْ^(١٣) » ، جَهَالٌ وَمَالٌ ، وَمُنَى الرِّجَالِ « . قيل : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الْخَلِيلِ ؟ قالت :

(١) أَرَأَيْتَكَ : كلمة تقولها العرب بمعنى أخبرني ، الجذع : البعير إذا كان في السنة الخامسة .

(٢) البعير إذا كان في السادسة وألقى ثنيته . (٣) قال أبو عل : الصواب أنه أي بطيء .

(٤) السلس : البعير إذا كان في الثامنة . (٥) العرس : الأسد .

(٦) ماع الفرس يبيع : جرى ، وصنعة الفرس : حسن القيام عليه ، صنعت فرسي صنما وصنعة

(يفتح الصاد فيهما) والصنيع ذلك الفرس . (٧) السليط : الشديد ، والنفيد من كل شيء ، والتلبيع :

الطويل المتق من التلع بفتحين وهو طول المتق . (٨) الأيد ككيس : القوي ، من آد يئد أي

قوى واشتد ، والضليع وصف من ضلع كفصح ضلعة ، وهي القوة وشدة الأضلاع .

(٩) هو الذي يجتهد في عبده حتى يثير الغبار ، من ألخب . (١٠) الغيدب : السحاب المثلل ،

والمنبثق : المنبج بالمطر . (١١) الضخم : كشمس وسحب وأحمد وغراب : العظيم من كل شيء ، وائلق

البرق وتألّق : لمع . (١٢) الصخب : وصف من الصخب كسبب وهو شدة الصوت ، والمنبثق : المتفجر

(١٣) يخ كقذ : أي عظم الأمر وفخم ، تقال وحدها وتكرر ، يخ يخ الأول منون مكسور ، والثاني

مسكن ، ويقال في الأفراد : يخ ساكنة الخاء ؛ ويخ مكسورة ؛ ويخ منونة مضومة ، ويقال

يخ يخ مسكين ، ويخ يخ منونين مكسورين ، ويخ يخ مكسورين مشدين . يوفين كلمة تقال عند الرضا

والإعجاب بالشيء .

« طَفَنِي مِنْ كَانَتْ لَهُ وَلَا يَوْجِدُ » قيل : فَمَا مَنَ مِنَ الْحُمْرِ ؟ قَالَتْ : عَازِيَةُ ^(١) اللَّيْلِ ، وَخِزْنَى الْمَجْلِسِ ، لَا لَبَنَ فَيُحَلَّبُ ، وَلَا صَوْفَ فَيُجَزَّ ، إِنْ رُيِّطَ عَيْرُهَا ^(٢) أَدَلَّى ، وَإِنْ تُرِكَ وَلَّى ، وَقِيلَ لَهَا : مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ فِي عَيْنِكَ ؟ قَالَتْ : مَنْ كَانَتْ لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ .
(سرح العيون ص ١٨٤)

وَقَالَتْ : « أَخْبْتُ الْقَدْنَابَ ذَنْبُ الْفَضَا ^(٣) ، وَأَخْبْتُ الْأَفَاعِي أَضْيُ الْجَذْبِ ، وَأَسْرَعَ الظُّبَاءَ ظَبَاءَ الْحَلْبِ ^(٤) ، وَأَشَدَّ الرِّجَالَ الْأَعْجَفَ ^(٥) ، وَأَجَلَّ النِّسَاءَ الْفَخْمَةَ الْأَسِيلَةَ ^(٦) ، وَأَقْبَحَ النِّسَاءَ الْجَهْمَةَ الْفَقْرَةَ ^(٧) ، وَآكَلُ الدُّوَابِّ الرَّغُوثَ ^(٨) ، وَأَطْيَبَ الْبَحْمِ عُوذُهُ ^(٩) ، وَأَغْلَظَ لِلْوَاطِي الْحَصَى عَلَى الصَّغَا ، وَشَرُّ الْمَالِ مَا لَا يَزُكِي ^(١٠) وَلَا يُذَكِّي ^(١١) ، وَخَيْرُ الْمَالِ سِكَّةُ مَابُورَةٍ ^(١٢) ، أَوْ مَهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ ^(١٣) .
(مجمع الأمثال ١ : ١٧٤)

(١) يقال جمل عازب : أى لا يروح على الخى من المزوب : وهو الغيبة والذهاب ، وقولها : خِزْنَى المجلس ، أى بما تحمله من التهيؤ للمزاج والإدلاء . (٢) المير : الحمار (وغلب على الوحش) ، وأدلى : أى أخرج قضيبه ليبول أو يضرب .
(٣) الفضا : شجر له جمر يبق طويلا . (٤) الحلب : نبت ، قال حمزة : هو العرب تسمى غروباً من البهايم يضروب من المراهي تنسبها إليها ، فيقولون : ظبي الحلب ، وتيس الريلة (والريل محرّكة نبات شديد الخضرة) ، وشيطان الحماطة (والحماطة كسحابة : شجر شبيه بالتين ، أحب شجر إلى الحيات) . الخ وذلك كله على قدر طباع الأمكنة والأغلبية للعامة في طباع الحيوان . (٥) من العجف بالتحريك وهو ذهاب السن . (٦) الطويلة المسترسلة . (٧) الجهم : مؤنث الجهم وهو الوجه الغليظ للجمع السمج ، والفقرة : القليلة الفقر بالتحريك : أى الشعر . (٨) الرغوث : كل مرضمة كالمرغث . (٩) ما عاذ بالنظم من اللحم . (١٠) زكى كرضى نما وزاد كزكا يزكو . (١١) ذكى تذكية : سمن وبدن (بضم الدال) . (١٢) السكة : السطر من النخل ، والمأبورة : المصلحة ، من أبرت النخل أبره إذا لقت وأصلحت . (١٣) مأبورة : أى كثيرة الولد ، من أمرها الله لى كثرتها ، وكان ينبغي أن يقال مأبورة ، ولكنه أتبع مأبورة - اقرأ في كتاب بلاغات النساء ص ٧ فصلا طويلا في كلام هت بنت الحبس وأختها جمنة .

٤٦ — خطبة كعب بن لؤى

وخطب كعب بن لؤى (وهو الجد السابع للنبي صلى الله عليه وسلم) فقال :
 « اسمعوا وعُوا ، وَتَعْلَمُوا تَعْلَمُوا ، وَتَفْهَمُوا تَفْهَمُوا ، ليل ساجر^(١) ، ونهار صاجر^(٢) ،
 والأرض مهاد ، والجبال أوتاد ، والأولون كالآخرين ، كل ذلك إلى بلاء ، فصيلوا أرحامكم ،
 وأصلحوا أحوالكم . فهل رأيتم من هلك رجع ، أو ميتاً نُشِر ، الدار أمامكم ، والظن
 خلاف ما تقولون ، زَيْنُوا حَرَمَكُمْ وعظموه ، وتمسكوا به ولا تفارقوه ، فسيأتى له نيا عظيم
 وسيخرج منه نبي كريم ، ثم قال :

نَهَارٌ وَلَيْلٌ وَأَخْتِلَافُ حَوَادِثٍ سَوَاءٌ عَلَيْنَا حُلُوها وَمَرِيرُها
 يَتَوَبَّانِ بِالْأَحْدَاثِ حَتَّى تَأْوِبَا وَبِالْتَّمِ الصَّافِي عَدَيْنَا سُبُورُها^(٣)
 صُرُوفٌ وَأَنْبَاءٌ تَقْلَبُ أَهْلُها لَهَا عُقْدٌ مَا يَسْتَحِيلُ مَرِيرُها
 عَلَى غَفْلَةٍ بَيَّانِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَيُخْبِرُ أَخْبَارًا صَدُوقًا خَبِيرُها
 ثُمَّ قَالَ :

بِأَلَيْسَنِي شَاهِدٌ فَقَوَّاءُ دَعْوِيهِ حِينَ التَّشِيرَةِ تَبْنِي الْحَقُّ خِذْلَانَا^(٤)

(صبح الأضی : ١ : ١١٢)

(١) الساجي : الساكن والدائم . (٢) ليله ضاج من فزع القوم صاحوا واجلبوا .

(٣) التأوب الرجوع . (٤) فعوى الكلام وفجوازه مناه و مذهب .

٤٧ - خطبة هاشم بن عبد مناف

بِحْثِ قَرِيشًا عَلَى إِكْرَامِ زُورِارِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ

كَانَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ يَقُومُ أَوَّلَ نَهَارِ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فَيَسْتَنْدُ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ مِنْ تَلْقَاءِ بَابِهَا ، فَيُخَاطِبُ قَرِيشًا ، فَيَقُولُ :

« يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ ، أَنْتُمْ سَادَةُ الْعَرَبِ ، أَحْسَنُهَا وَجُوهًا ، وَأَعْظَمُهَا أَهْلًا ، وَأَوْسَطُهَا ^(١) أَنْسَابًا ، وَأَقْرَبُهَا أَرْحَامًا . يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ ، أَنْتُمْ جِيرَانُ بَيْتِ اللَّهِ ، أَكْرَمِكُمْ بَوْلَايَتِهِ ، وَخَصَّكُمْ بِجِوَارِهِ ، دُونَ بَنِي إِسْمَاعِيلَ ، وَحَفِظَ مِنْكُمْ أَحْسَنَ مَا حَفِظَ جَارٌ مِنْ جَارِهِ ، فَأَكْرَمُوا ضَيْفَهُ ، وَزُورُوا بَيْتَهُ ، فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَكُمْ شُعْثًا ^(٢) غُبْرًا مِنْ كُلِّ بَلَدٍ ، فَزَوِّبْ هَذِهِ النَّبِيَّةَ ^(٣) ، لَوْ كَانَ لِي مَالٌ يَحْمِلُ ذَلِكَ لَكَفَيْتُكُمْوه ، أَلَا وَإِنِّي مُخْرِجٌ مِنْ طَيْبِ مَالِي وَحَلَالِهِ ، مَا لَمْ يُقَطَّعْ فِيهِ رَحِمٌ ، وَلَمْ يُؤْخَذْ بِظُلْمٍ ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِيهِ حَرَامٌ ، فَوَاضِعُهُ ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فَعَلْ ، وَأَسْأَلُكُمْ بِحُرْمَةِ هَذَا الْبَيْتِ أَلَّا يُخْرِجَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْ مَالِهِ ، لِكِرَامَةِ زُورِارِ بَيْتِ اللَّهِ وَمَعُونَتِهِمْ إِلَّا طَلَبًا ، لَمْ يُؤْخَذْ ظُلْمًا ، وَلَمْ يُقَطَّعْ فِيهِ رَحِمٌ ، وَلَمْ يُفْتَضَبْ » .

(شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ . ٤٥٨)

(١) خيرهم : الوسط من كل شيء أحده (قال أوسطهم . . . وكذلك حملناكم أمة وسطا) .

(٢) جمع أشعث : وهو مليح الشعر مغبره . (٣) الكعبة : والنبية بكسر الباء وضها وسكون

النون ما بينه .

٤٨ — خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة

توافرت قريش وخزاعة^(١) إلى هاشم بن عبد مناف ، فخطبهم بما أذعن له الفريقان بالطاعة ، فقال في خطبته :

« أيها الناس ، نحن آل إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وبنو النضر بن كنانة^(٢) وبنو قصي بن كلاب ، وأرباب مكة ، وسكان الحرم ، لنا ذروة الحسب ، ومعدن المجد ، ولكل في كل حلف^(٣) يجب عليه نصرته ، وإجابة دعوته ، إلا مادعا إلى عقوق عشيرة ، وقطع رحم ؛ يابني قصي : أنتم كنصني شجرة أيها كير أوحش صاحبه ، والسيف لا يسان إلا ينفذه ، وراعي العشيرة بصيبه سهمه ، ومن أمحكه^(٤) اللجاج أخرجه إلى البني .

أيها الناس : الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كنز ، والجود سؤدد ، والجميل سفة ، والأيام دول ، والدر غير^(٥) ، ولله منسوب إلى فعله ، وماخوذ بعمله ، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء ، وأكرموا الجليس يعمركم ناديتكم ، وحاموا الخليل يطرب غيب في جواركم ، وأنصفوا من أنفسكم يؤثق بكم ؛ وعليكم

(١) خزاعة : حى من الأزد ، سماوا بذلك لأنهم تنحزوا عن قومهم (أى تخلفوا عنهم وانقطعوا) إقبالهم من اليمن . وذلك أنه لما تفرقت الأزد من اليمن في البلاد نزل بنو مازن على ماء بين زيد وزعم ؛ وأقبل بنو عمرو بن هاشم فانحزوا عن قومهم فنزلوا مكة .

(٢) النضر : الجد الثاني عشر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقصى الجد الرابع . (٣) الحلف : في العهد بين القوم والصداقة ، والصديق يحلف لصاحبه أن لا يخذل به ، وقوله « لكل في كل » أى لكل في صاحبه صديق يجب عليه نصرته .

(٤) أمحكه . (٥) أى ذو غير ، وغير الدر : أحداثه للغيرة ، جمع غيرة بالكسر ، أو مفرد وجمعه أغيار .

بمكارم الأخلاق فإنها رضة ، وإياكم والأخلاق الدنية فإنها تضع الشرف ، وتهدم المجد ، وإن نهنته^(١) الجاهل أهون من جريرته^(٢) ، ورأس العشيعة يعمل ألقامها ، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به .

فقلت قريش : « رضينا بك أبا نضلة » وهي كنيته .

(بلوغ الأرب : ١ : ٢٢٢)

٤٩ - خطبة عبد المطلب بن هاشم

يهي سيف بن ذى يزن باسترداد ملكه من الحبشة

لما غفر سيف بن ذى يزن بالحبشة ، آتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهته وتعدده ، ومنهم وفد قريش ، وفيهم عبد المطلب بن هاشم ، فاستأذنه في الكلام فأذن له ، فقال :

« إن الله تعالى - أيها الملك - أحلك محلاً رفيماً ، صعباً منيعاً ، باذخاً^(١) شامخاً ، وأنبتك منبتاً طابت أرومته^(٢) ، وعزت جرثومته^(٣) ، وثبت أصله ، وبسق^(٤) فرعه ، في أكرم معدن ، وأطيب موطن ، فأنت - أيها العن - رأس العرب وريسمها الذي به تخلص ، وملكها الذي به تنقاد ، وعمودها الذي عليه العباد ، ومنقلبها^(٥) الذي إليه يلبأ العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا بدم خير خلف ، ولن يهلك من أنت

(١) نهته عن الأمر : كفه وزجره . (٢) في الأصل « جريرته » ، وفي كتب اللغة : « حزة

المال ، وجريرته : خياره » ولا معنى لما هنا ، وأرى أنها مصحفة من « جريرته » .

(٣) حالها ، من بلغ بلغا كقبح . (٤) أرومة : باسم والفتح أى أصل . (٥) أصله أيضا .

(٦) علا وطال . (٧) اللجأ .

خَلَقَهُ ، وَلَنْ يَحْمِلَ مَنْ أَنْتَ سَلَفُهُ ، نَحْنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَهْلَ حَرَمِ اللَّهِ وَذِمَّتِهِ ، وَسَدَنَةِ
يَتِيهِ ، أَشْخَصْنَا إِلَيْكَ الَّذِي أَبْهَجَكَ بِكَشْفِ الْكَرْبِ الَّذِي فَدَحَنَّا ^(١) ، فَنَحْنُ وَفَدُ
الْتَهِنَةِ ، لَا وَفَدُ الْمَرْزُوتَةِ ^(٢) .

(المقد الفريد ١ : ١٠٧ ، وأنباء نجباء الأبناء ص ١١) .

٥٠ - خطبة أبي طالب

في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة

خطب أبو طالب حين زواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة فقال :

« الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وجعل لنا بلداً حراماً ،
وبيتاً محجوجاً ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إن محمد بن عبد الله ابن أخي من
لا يؤازرن به فتي من قريش إلا رَجَحَ عليه : برّاً وفضلاً ، وكرماً وعقلاً ، ومجداً ونُبلاً ^(٣) ،
وإن كان في المال قُلٌّ ^(٤) ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية ^(٥) مُسْتَرْجَعَةٌ ، وله في خديجة
بنت خُوَيْلِدٍ رغبةٌ ، ولها فيه مثلُ ذلك ، وما أحببتم من الصّدّاقِ فلي » .

(صبح الأُمى ١) ٢١٣ ، وإعجاز القرآن ١٢٦ ، وتهذيب البكمال ١ : ٤ ؛ والصرة الحلبية ١ : ١٣٣)

(١) أتقلنا . (٢) رزأه ماله : كجمل وعلم أصاب منه شيئا رزأه ، كارتزأه ماله . ورزأه

رزأه ومرزوة أصاب منه خيرا : أي لسنا وافدين السطاء .

(٣) ذكاه ونجابه . (٤) قلة . (٥) ما يستعار ، مشددة وقد تخفف .

خطب الكهان

٥١ - الكاهن الخزاعي ينفر هاشم بن عبد مناف

على أمية بن عبد شمس

وَلَيْ هَاشِمٌ بَعْدَ أُمَيَّةَ عَبْدِ مَنْفٍ ، مَا كَانَ إِلَيْهِ مِنَ السَّقَايَةِ وَالرَّفَادَةِ ^(١) ، فَحَسَدَهُ
أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ عَلَى رِيَاسَتِهِ وَإِطْلَامِهِ ، وَكَانَ ذَا مَالٍ ، فَكَسَفَ أَنْ
يَصْنَعَ صَنِيعَ هَاشِمٍ ، فَعَجَزَ عَنْهُ ، فَشَمِتَ بِهِ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَضَبُوا نَالَ مِنْ هَاشِمٍ ، وَدَعَا
إِلَى النَّافِرَةِ ، فَكَرِهَ هَاشِمٌ ذَلِكَ لِسِتْنِهِ وَقَدْرِهِ ، فَلَمْ تَدْعُهُ قُرَيْشٌ حَقَّ نَافَرِهِ عَلَى خُسَيْنِ نَاقَةٍ
سُودَ الْحَدَقِ يَنْتَحِرُهَا يَطْنُ مَكَّةَ ، وَالْجَلَاءُ عَنْ مَكَّةَ عَشْرَ سَنِينَ ، فَرَضَى بِذَلِكَ أُمَيَّةُ ،
وَجَمَلًا بَيْنَهُمَا الْكَاهِنُ الْخَزَاعِيُّ - وَهُوَ جَدُّ عَمْرِو بْنِ الْحَقِّقِ ، وَمَنْزِلُهُ بِسُفَّانٍ ^(٢) ،
وَكَانَ مَعَ أُمَيَّةَ مَهْمَةً بَنَ عَبْدِ الْمُزَيِّ الْقَهْرِيَّ ، وَكَانَتْ ابْنَتُهُ عِنْدَ أُمَيَّةَ ، فَقَالَ
الكَاهِنُ :

« وَالْقَمَرِ الْبَاهِرِ ، وَالْكُوكَبِ الزَّاهِرِ ، وَالْقَامِ الْمَاطِرِ ، وَمَا بِالْجَوْ مِنْ طَائِرٍ ،
وَمَا اهْتَدَى بِتَمَرٍ ^(٣) مَسَافِرٍ ، مِنْ مُنْجِدٍ وَغَارٍ ^(٤) ، لَقَدْ سَبَقَ هَاشِمٌ أُمَيَّةَ إِلَى اللَّاتَرِ ،
أَوَّلُ مِنْهُ وَآخِرُ ، وَأَبْوَهِمُهُ بِذَلِكَ خَابِرٌ » .

(١) السقاية : هي إسقاء الحبيج الماء المذنب ، والرفادة : خروج كانت تخرجه قريش في كل موسم من أموالها ، فتلقفه إليه ، فيصنع به طعاما للحاج يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد .
(٢) سفان : موضع حل مرحلتين من مكة . (٣) العلم : مانصب في الطريق يهتدى به .
(٤) أنجد : آتى نجدا ، وغار وأغار : آتى غورا .

قضى لهاشم بالغلبة ، وأخذ هاشم الإبل ، فحرقها وأطعمها ، وغاب أمية عن مكة بالشأم عشر سنين ، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ ، والسيرة الحلبية ١ : ٤ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١٨٠)

٥٢ - عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بمقتل حجر بن الحارث

كان حُجْر بن الحارث (أبو امرئ القيس) ملك بني أسد ، وكان له عليهم إتاوة^(١) كل سنة لما يحتاج إليه ، فبقى كذلك دهرًا ، ثم بعث إليهم من يَحْجِي ذلك منهم ، وحجر يومئذ بنهامة ، فطردوا رسله وضربوه ، فبلغ ذلك حُجْرًا ، فسار إليهم ، فأخذ سَرَوَاتِهِمْ^(٢) وخيارهم : وجعل يقتلهم بالمصا (فَسُوْا عبيد المصا) وأباح الأموال وصيرهم إلى تهامة ، وحبس جماعة من أشrafهم منهم عبيد بن الأبرص الشاعر ، فقال شعراء استعطفه فيه ، ومنه قوله :

أنت المَلِيك عليهمُ وهم التبيد إلى القيامة

فرقَ لهم وعفا عنهم ، وردم إلى بلادهم ، فلما صاروا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي ، فقال لهم : يا عبادي ، قالوا : لَبَّيْكَ رَبَّنَا ، فقال : « مَنِ الْمَلِكُ الصَّلْبُ »^(٣) ، الْغَلَابُ غَيْرُ الْغُلَبِ^(٤) ، في الإبل كأنها الرُّبْرُبُ^(٥) ، لَا يَقْلِقُ رَأْسُهُ الصَّخَبُ ، هذا دَمُهُ يُنْتَعَبُ^(٦) ، وهو غَدَا أول من يُسْتَلَبُ^(٧) قالوا : ومن هو ؟ رَبَّنَا . قال : « لَوْلَا تَجَبُّشُ »^(٨) نفس جاشية ، لأخبرتكم أنه حُجْرٌ ضاحية^(٩) .

(١) خراج . (٢) سروات جمع سرة بالفتح : وهي اسم جمع سرى كفى من سرو سروا وهو المروءة في شرف . (٣) حجر صلب : شديد صلب ، والصلب أيضا : الشديد من الإبل ، والرجل الطويل ، وفي الشعر والشعراء والأغاني « الأصهب » ومن معانيه الأسد . (٤) الغلب : للغلوب مرارا (وهو أيضا المحكوم له بالغلبة ضد) . (٥) الرُّبْرُب : القطيع من بقرة الوحوش . (٦) يتعبر . (٧) جاشت النفس وتجبشت : ارتفعت من حزن أو فرح . (٨) طلانية ، يقال فله ضاحية : أي طلانية .

فركبوا كل صُنب وذلول ، حتى بلنوا عسكر حجر ، فهجموا عليه في قبة
فقتلوه .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٨٢ ، والشم والشمراء ، ص ٢١ ، والأغاني ٨ : ٦٢)

٥٣ — كاهن بنى الحارث بن كعب يحفرهم غزو بنى تميم

كان بنو تميم قد أغاروا على لَطِيْمَةَ^(١) لكسرى ، فيها مسك وعنبر وجوهر كثير ،
فأوقع كسرى بهم ، وقتل المقاتلة ، وبقيت أموالهم وذراتهم في مساكنهم لا مانع لها
وبلغ ذلك بنى الحارث بن كعب من مذحج ، فغشى بعضهم إلى بعض ، وقالوا اغتصموا
بنى تميم ، فاجتمعت بنو الحارث وأحلافها من زَيْد وحزم بن رِيَّان في عسكر عظيم ،
و—اروا يريدون بنى تميم ، فحذَّروهم كاهن كان مع الحارث واسمه سَلَمَةُ بن المُفَلَّل ،
وقال :

« إنكم تسيرون أعقاباً^(٢) ، وَتَنْزُونَ أَحْبَاباً^(٣) ، سَعْدًا وَرَبَابًا ، وَتَرِدُونَ
مِيَاهًا جِيَاباً^(٤) ، فَتَلْقَوْنَ عَلَيْهَا ضِرَابًا ، وَتَكُونُ غَنِيْمَتُكُمْ تَرَاباً^(٥) ، فَأَطِيعُوا
أَمْرِي وَلَا تَنْزُوا تَيْمًا » وَلَكِهِمْ خَالِفُوهُ وَقَاتِلُوا بَنِي تَمِيم ، فَهَزَمُوا هَزِيمَةً نَكْرَاهَ .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ٢٢٧ ، والأغاني ١٥ : ٧٠)

(١) اللطيمة : المير تحمل الطيب وبز التجار .

(٢) أى يسير بضمكم عقب بعض ، فريفاً في إثر فريق . وقد ذكر ابن الأثير أنهم كانوا نحو ثمانية
آلاف ، ولا يعلم في الجاهلية جيش أكثر منه ومن جيش كسرى بلى قار ومن يوم جيلة . وروى أبو الفرج
الأصبهاني أنه اجتمع من مذحج ولحقها اثنا عشر ألفاً . (٣) هذه الفاصلة والفاصلتان قبلها ، وردت في
الأصل بحرفه هكذا : « إنكم تسيرون أحيانا ، وتنزون أحيانا ؛ سعدا ورويانا » .

(٤) الجباب والأجباب جمع جب : وهو البئر الكثيرة الماء البعيدة القمر . (٥) أورد صاحب
الأغاني من هذه الفقرة الست ، الفقرة الأولى والرابعة والسادسة ، ومزاجاً إلى المأمور الحارثي وهو كاهن أيضا

٥٤ — أحد كهان اليمن يفصل في أمر هند بنت عتبة

كان الفاكه بن النخيرة الخزومي أحد قتيان قريش ، وكان قد تزوج هند بنت عتبة ، وكان له بيت للضيافة يَغْشاه الناس فيه بلا إذن ، فقال ^(١) يوما في ذلك البيت ، وهند معه ، ثم خرج عنها وتركها نائمة ؛ فجاء بعض من كان يغشى البيت ، فلما وجد المرأة نائمة ولَّى عنها ، فاستقبله الفاكه بن النخيرة ، فدخل على هند وأنها ، وقال : من هذا الخارج من عندك ؟ قالت : والله ما انتهت حتى أنهتني ، وما رأيت أحدا قط ، قال : الحق بأبيك . وخاض الناس في أمرهم ، فقال لها أبوها : يا بنية العار ^(٢) وإن كان كذبا ، بُنيى شأنك ، فإن كان الرجل صادقا دَسَسْتُ عليه من يقتله ، فيقطعُ عنك العار ، وإن كان كاذبا حاكته إلى بعض كهان اليمن ، قالت : والله يا أبتِ إنه لكاذب ، فخرج عتبة فقال : إنك رميت ابنتي بشيء عظيم ، فإما أن تُبين ما قلت ، وإلا فخافِ كفى إلى بعض كهان اليمن ، قال : ذلك لك ، فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ، ونسوة من بني مخزوم ، وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف ، فلما شارفوا بلاد الكاهن تغير وجه هند ، وكشفَ بالها ، فقال لها أبوها : أى بنية ، ألا كان هذا قبل أن يشهر في الناس خروجنا ؟ قالت : يا أبتِ ما ذلك لمكروه قبلى ، ولكنكم تأتون بشرا مخطئ ويصيب ، ولعله أن يسمنى بِسْمَةِ تَبَقِ على السنة العرب ، فقال لها أبوها : صدقت ، ولكنى سأخبرُكَ ، فصفرَ بفرسه ، فلما أدلى عمدًا إلى حبة بُرٍّ ، فأدخلها في إحليله ، ثم أركى ^(٣) عليها وسار ، فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : إنا أتيناك في أمر ، وقد خبأنا لك خبيثَةً ، فاهى ؟ قال : بُرَّة في

(١) قال قتيلا وقائلة وقيلولة ومقيلا : نام في القائلة وهي نصف النهار . (٢) أى أتق العار .

(٣) الوكاه ككتاب : جبل يشد به رأس القرية ، ووكاها وأوكاها وأوكى عليها شد فيها بالوكاه .

(٦ — جمهرة غلب العرب — أول)

كَمَرَةٍ^(١) ، قال : أريد أبيضَ من هذا ، قال : « حَبَّةُ بُرٍّ ، في إحليل مُهر » قال : صدقت ، فانظر في أمر هؤلاء النسوة ، فبصل يمسح رأس كل واحدة منهن ، ويقول : قومي لشأنكِ ، حتى إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها وقال : « انهضى غير رَقْعاء^(٢) ولا زانية ، وَسَتْلِدِينَ مَلِكًا يسى معاوية . »

فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها ، فثرت يده من يدها ، وقالت : إليك هني ، والله لأحرقنَّ أن يكون ذلك الولد من غيرك ، فتزوجها أبو سفيان ، فولدت له معاوية .

(المقد الفريد ٣ : ٢٢٤ ، وصبح الأمل ١ : ٣٩٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ ص ١١١)

٥٥ - خمسة نفر من طيٍّ يمتحنون سواد بن قارب الدوسي

خرج خمسة نفرٍ من طيٍّ من ذوى الحِجَابِ والرأى ، منهم بُرْجُ بن مُنِير ، وهو أحد المُقَرَّبِينَ . وَأَتَيْفُ بن حارثة بن لَأَم ، وعبد الله بن سعد بن الحُشْرَجِ أبو حاتم طيٍّ ، وعارف الشاعر ، ومُرَّة بن عَبْدِ رُفَى ، يريدون سَوَاد بن قَارِب الدَّوْسِي ، ليمتحنوا عليه ، فلما قَرُبُوا مِنَ السَّرَاةِ ، قالوا : لِيَخْبَأَ كُلُّ رَجُلٍ مَنَاخِيئًا ، وَلَا يُخْبِرَ بِهِ صَاحِبُهُ ، لِيَسْأَلَهُ عَنْهُ ، فَإِنْ أَصَابَ عَرَفْنَا عِلْمَهُ ، وَإِنْ أَخْطَأَ ارْتَحَلْنَا عَنْهُ ، فَخَبَأَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ خِيئًا ، ثُمَّ صَارُوا إِلَيْهِ ، فَأَهْدَوْا لَهُ إِبِلًا وَطُرْفًا مِنْ طُرْفِ الْخَيْرةِ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمْ قَبَةً ، وَنَحَرَ لَمْ ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثُ دَعَائِمِهِمْ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ .

فتكلم بُرْجُ - وكان أسنهم - فقال : « جَادَكَ السَّعَابُ ، وَأَمْرَعُكَ الْجَنَابُ^(٣) »

(١) الكرة : رأس الذكر . (٢) الرقعاء : البنى التي تكتسب بالفجور ، من الرقاعة كقصاعة

وهي الكسب والتجارة ، هذا ما ورد في ابن أبي الحديد ، وفي غيره « وسعاء » والرسعاء : القبيحة ، والرسعاء أيضا : القليلة لحم العجز والفخذين والأول أنسب . (٣) أمرع : أخضب ، والجناب : ملحول الدار .

وَصَفَتْ عَلَيْكَ النِّعَمَ الرَّغَابُ^(١) ، نَحْنُ أَوْلُو الْأَكَالِ^(٢) ، وَالْحَدَاتِقُ وَالْأَغْيَالِ^(٣) ،
وَالنِّعَمُ الْجَفَالِ^(٤) ، وَنَحْنُ أَصْهَارُ الْأُمَلَاكِ ، وَفُرْسَانُ الْعِرَاكِ - يُورِي عَنْهُمْ أَنَّهُمْ مِنْ
بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ - .

قَالَ سَوَادٌ : « وَالسَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ، وَالْقَمَرُ وَالْبَرْزُ^(٥) ، وَالْقَرَضُ وَالْقَرَضُ^(٦) ،
إِنَّكُمْ لِأَهْلُ الْخَضَابِ الشَّمِّ ، وَالنَّعِيلِ الْمُمْ^(٧) ، وَالصُّخُورِ الْمُمْ ، مِنْ أَجْبَا الْقَيْطَاءِ ،
وَسَلَّمِي ذَاتِ الرَّقَبَةِ السُّطْمَاءِ^(٨) .

قَالُوا : إِنَّا كَذَلِكَ ، وَقَدْ خَبَأْتُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْ خَيْبَتَا ، لِتَضَعُنَا بِاسْمِهِ وَخَيْبَتِهِ ،
قَالَ لَبْرَجٌ : « أَقْسَمُ بِالضِيَاءِ وَالْخَلَاكِ^(٩) ، وَالنَّجُومِ وَالْفَلَكَ ، وَالشَّرُوقِ وَالْإِلَاقِ^(١٠) ،
لَقَدْ خَبَأْتُ بُرْءُوسَ فَرْخِ^(١١) ، فِي إِعْلَاطِ مَرْخِ^(١٢) ، تَحْتَ آيَةِ الشَّرْخِ^(١٣) » ، قَالَ :
مَا أَخْطَأْتُ شَيْئًا ، فَنَ أَنَا ؟ قَالَ : أَنْتَ بُرْجُ بْنُ مُسْهِرٍ ، عَصْرَةَ الْمُعِيرِ^(١٤) ، وَتَمَالُ
الْمُحَجَّرِ^(١٥) .

-
- (١) الضَّاقُ : السَّابِغُ الْكَثِيرُ ، وَيُقَالُ : خَيْرُ فُلَانٍ ضَافٌ عَلَى قَوْمِهِ : أَيُّ سَابِغٍ عَلَيْهِمْ ، وَالرَّغَابُ :
الْوَاثِقَةُ الْكَثِيرَةُ جَمْعُ رَغِيَةٍ . (٢) الْأَكَالُ : جَمْعُ أَكَلٍ (كَقَوْلِهِ وَهْبُ) الرِّزْقُ وَالْحَظُّ مِنَ الدُّنْيَا .
(٣) الْأَغْيَالُ : جَمْعُ غَيْلٍ كَقَوْلِهِ : وَهُوَ الْمَاءُ الْجَارِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ . (٤) الْجَفَالُ :
الْكَثِيرُ . (٥) الْقَمَرُ : الْمَاءُ الْكَثِيرُ ، وَيُقَالُ : رَجُلٌ غَمِرَ الْخَلْقَ إِذَا كَانَ وَاسِعَ الْخَلْقِ سَخِيًّا ، وَالْبَرْزُ :
الْمَاءُ الْقَلِيلُ ، وَيُقَالُ فُلَانٌ يَتَبَرَّضُ حَقَّهُ . أَيُّ يَأْخُذُهُ قَلِيلًا .
(٦) الْقَرَضُ : مَا تَطْعَمُهُ لِقَضَاءِهِ ، وَالْقَرَضُ : مَا قَرْضُهُ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ جَدَّتْ بِهِ لِقَرْنِ ثَوَابٍ .
(٧) الشَّمُّ : الطَّوَالُ ، وَكَذَا الْمُمْ . (٨) أَجْبَا وَمَعْنَى : جَبَلًا طَوِيًّا ، وَالْمَيْطَاءُ : الطَّوِيلَةُ ؛ وَكَذَا
السُّطْمَاءُ . (٩) الْخَلَاكِ : شِدَّةُ السَّوَادِ . (١٠) دَلَكْتُ الشَّمْسَ دَلُوكًا : غَرَبْتُ أَوْ أَصْفَرْتُ ؛ وَالدَّلَاكِ
وَقْتُ الدَّلُوكِ . (١١) الْبُرْءُوسُ : ظَفَرُ كُلِّ مَالٍ يَصِيدُ مِنَ السَّيَاحِ وَالطَّيْرِ مِثْلَ الْحَمَامِ وَالضَّبِّ وَالْفَأْرَةِ إِذَا كَانَ
عَمَّا يَصِيدُ ؛ قِيلَ لِنَظَرِهِ تَحْلِبُ . (١٢) الْمَرْخُ : شَجَرٌ تَقْدَحُ مِنْهُ النَّارُ ؛ وَالْإِعْلَاطُ : وَهْمٌ نَمْرُ الْمَرْخِ ،
وَالْمَرْبُ تَشْبَهُ بِهِ آذَانُ الْخَيْلِ . (١٣) الْأَمْرَةُ وَالْإِسَارُ : الْقَدُّ الَّذِي يَشُدُّ بِهِ خَشَبَ الرَّحْلِ ، وَشَرَعَا الرَّحْلَ
جَانِبَاهُ . (١٤) الْمُعِيرُ : الَّذِي ذَهَبَ مَالُهُ ، وَالْعَصْرَةُ : الْمَلْجَأُ وَالنَّجَاةُ .
(١٥) التَّمَالُ : التَّمَالُ الَّذِي يَقُومُ بِأَسْرِ قَوْمِهِ ؛ وَالْمُحَجَّرُ : الْمَلْجَأُ (بِصِيغَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ) الْمَضِيقُ عَلَيْهِ .

ثم قام أنيف بن حازنة ، فقال : ما خبيث وما اسمي ؟ فقال : « والسحاب والقراب ، والأصباب والأحذاب ^(١) والنعم الكتاب ^(٢) ، لقد خبأت قطامة فسيط ^(٣) ، وقذرة مريط ^(٤) ، في مدرّة من مدري مريط ^(٥) » قال : ما أخطأت شيئا ، فن أنا ؟ قال : أنت أنيف ، قارى الضيف ، ومعمل السيف ، وخالط الشتاء بالصيف .

ثم قام عبد الله بن سعد . فقال : ما خبيث وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم بالسّوام العازب ^(٦) ، والوقير الكارب ^(٧) : والمجد الراكب ، والمشيح الحارب ^(٨) ، لقد خبأت نفثة قنن ^(٩) ، في قطع قد مرن ^(١٠) ، أو أديم قد جرن . » قال : ما أخطأت حرفا فن أنا ؟ قال : أنت ابن سعد النّوال ، عطاوك سجال ^(١١) ، وشرك عصال ، وععدك جلول ، وييتك لاينال .

ثم قام عارف ، فقال : ما خبيث وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم بنفنف اللوح ^(١٢)

(١) الأصباب : جمع صهب كسبب : وهو ما تنخفض من الأرض ؛ والأحذاب : جمع حذب كحذب أيضا : وهو ماعلا . (٢) الكثيرة . (٣) القطامة : ما قطعته بفيك ؛ والقطم بأطراف الأسنان ، والفسيط : قلادة الظفر . (٤) القذرة : الريشة ؛ والمريط من السهام : الذي قد تمرط ريشه أي نتف . (٥) المدرّة : قطعة طين يابسة ؛ والمنى : جدول صغير يسيل فيه ، يهريق من ماء البئر ؛ والمطيطه : الماء الخارج في أسفل الحوض .

(٦) السوام : المال الراعى من الإبل ؛ والعازب : البعيد . (٧) الوقير : القطيع من النعم ، والكارب : القريب . (٨) المشيح : الجاد ؛ في لغة هذيل ؛ وفي غيرها الحاذق ؛ والحارب : السالب حربه حربا كطلبه طلبا : سلبه ماله . (٩) النفثة : ما تنفضه من فيك ؛ والقفن : واحد أفتان الأشجار وهي أفضانها . (١٠) القطيع : ما يقطع من الشجر : ومرن وجرن : لان .

(١١) أي متداول بين الناس ، لكل فريق منه نصيب . (١٢) الننف واللوح واحد ، وهما المواء وإنما أضاف لما اخطف القفطان ، فكأنه أضاف الشيء إلى غيره .

والماء السفوح^(١) ، والغضاء للتدوح^(٢) ، لقد خبأت زَمَّةً طَلًّا أَعْفَر^(٣) ، في زِعْدَنَةٍ^(٤) أديمٍ أحمر ، نحت حِلْسِرٍ نِصْرٍ أَدْبَر^(٥) ، قال : ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟ قال : « أنت عارف ذو اللسان العُصْب ، والقلب النَّدْب^(٦) ، واللَّصَاءُ القَرَب^(٧) ، مَنَاعُ السَّرَب^(٨) وَمُيَيْعُ النَّهْب^(٩) . »

ثم قام مُرَّةٌ بن حَبْدٍ رُصِي ، فقال : ما خبيئي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم بالأرض والسماء ، والبروج والأنواء^(١٠) ، والظلمة والضياء ، لقد خَبَّأت دِمَّةً^(١١) ، في رِمَّة^(١٢) ، نحت مَشِيطَ لَه^(١٣) . » قال : ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟ قال : « أنت مُرَّةٌ ، السريع الكُرَّة ، البطيء الفُرَّة ، الشديد المِرَّة^(١٤) . »

قالوا : فأخبرنا بما رأينا في طريقنا إليك ، فقال : « والناظر من حيث لا يُرى ، والسامع قبل أن يُتَكَلَّم ، والعالم بما لا يُدْرَى ، لقد عَنَّتْ لَكُمْ عُقَابٌ عَجَزَاه^(١٥) ، في شَفَانِيِب^(١٦) دَوْحَةٍ جَرَدَاه ، تحمل جَدَلًا^(١٧) ، قناريم^(١٨) إِمَاءٌ بِدَا وَإِمَاءٌ رِجَلَا ، فقالوا . كذلك ، ثم مَه ؟ قال : « بَمَنَحَ آكَم قبل طلوع الشرق^(١٩) ، سِيدُ أُمُق^(٢٠) ،

(١) المصبوب . (٢) الواضع . (٣) الطلا : ولد الظبي ساعة يولد ، والصغير من كل بهيمة ، والأعفر من الظباء ما يملو يياضه حمرة ، والزَمَّة : الشعرات المتدلّيات في رجل الأرنب .
(٤) زعانف الأديم : أطرافه مثل اليدين والرجلين ، ومالا غير فيه جمع زعنفة بكسر الزاي والنون ، ومنه قيل لردال الناس الزعانف .

(٥) المجلس الكبير كالبرذعة الحافرة ، والنصو : المهزول من الإبل وغيرها ، والأدبر : الذي أصابه الدبر (بالتحريك) وهو فرجة الدابة . (٦) الذكي . (٧) الحد . (٨) السرب بالفتح : الماشية كلها ، وبالكسر القطيع من الظباء والنساء وغيرها . (٩) الأنواء : جمع نوء (كسهم) النجم : مال للقروب . (١٠) النعمة : القملة . (١١) الرمة : العظام البالية .

(١٢) القمة : الشعر المجاوز لشعة الأذن ، والمشيط : المشوط .
(١٣) المِرَّة : القوة . (١٤) العجزة : التي أبيض ذنبها ، (وفي غير هذا الموضع : التي كبرت عجزتها) . (١٥) الشفانيب جمع شفتوب كمصفور وهو النصف الناعم الرطب ، والدوحة : الشجرة العظيمة . (١٦) الجدل : الضو وجسمه جدول . (١٧) تجادلتم . (١٨) الشرق : الشمس ، والعرب تقول لا أقبل ذلك ما طلع شرق ، وشرقت الشمس : طلعت ، وأشرقت : أضاءت . (١٩) السيد : الذئب والأُمُق : العلويل .

على ماء طَرَقَ^(١) ، قالوا : ثم ماذا ؟ قال : « ثم تيس أفرق^(٢) ، سَنَدَ في أَيْرَاقِ^(٣) ، فرماه السلام الأزرق ، فأصاب بين الوابِلَةِ^(٤) والمِرْقَاقِ^(٥) . قالوا : صدقت ، وأنت أعلم من تحمل الأرض ، ثم ارتحلوا عنه .

(الأمال ٢ : ٢٩٢)

٥٦ - حديث مصاد بن مذعور القيني

كَانَ مَصَادُ بْنُ مَذْعُورٍ الْقَيْنِيُّ رَئِيسًا ، قَدْ أَخَذَ مِرْبَاعَ^(١) قَوْمِهِ دَهْرًا ، وَكَانَ ذَا مَالٍ ، فَتَنَّدَ دَوْدَ^(٢) مِنْ أَذْوَادِهِ ، فَخَرَجَ فِي يَدَائِهَا^(٣) ، قَالَ : فَإِنِّي لِنِي طَلَبُهَا ، إِذْ هَبَطْتُ وَادِيًا شَجِيرًا^(٤) كَثِيفَ الظَّلَالِ ، وَقَدْ تَفَسَّخْتُ أَبْنَا^(٥) ، فَأَتَمَحْتُ رَاحِلَتِي فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ، وَحَطَطْتُ رَحْلِي ، وَرَسَمْتُ^(٦) بِمِيزِي ، وَاضْطَجَعْتُ فِي بُرْدِي ، فَإِذَا أَرْبَعُ جَوَارٍ ، كَأَنَّهُنَّ اللَّالِي ، يَرْتَعْنَ بَهْمًا لَهَنَ ، فَلَمَّا خَالَطْتُ عَيْنِي السَّنَةُ ، أَتَانِي حَتَّى جَلَسْتُ قَرِيبًا مَنِي ، وَفِي كَفِّ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ حَصِيَّاتٌ تَقْلِبُهُنَّ ، فَحَطَّتْ إِحْدَاهُنَّ ثُمَّ طَرَقَتْ^(٧) ، قَالَتْ : « قَلْنِ يَا بَنَاتِ عَرَافٍ ، فِي صَاحِبِ الْمَجْلِ الثَّنِيَّافِ^(٨) ، وَالتَّهْدِ الْكَثَافِ^(٩) ، وَالْجِرْمِ^(١٠) الْخَلْفَافِ^(١١) » ، ثُمَّ طَرَقَتْ الثَّانِيَةَ ، قَالَتْ :

(١) الطرق : الماء الذي يهول فيه الإبل ، يقال : ماء طرق ومطروق .

(٢) الأفرق من الشاء : البعيد ما بين خصيه . (٣) سَنَدَ في الجبل : صعد ، والأبرق والبرقاء

والبرقة كفرصة : غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل ، وجبل أبرق : إذا كان فيه لوانان .

(٤) الوابِلَة : رأس الغض الذي يلي المنكب . (٥) المرباع : ربع الدنية ، وكان يخص به

الرئيس في الجاهلية . (٦) نه : شرد ، واللود : ثلاثة أبصرة إلى الشرة ، أو خمسة عشر ،

أو مشرون ، أو ثلاثون . (٧) طلبها . (٨) كثير الشجر . (٩) تمبا وكلالا .

(١٠) شدت رسمه . (١١) الطرق : ضرب الكامن بالخصي .

(١٢) جبل ثيف ككتاب وشداد : طويل في ارتفاع . (١٣) الكثيف . (١٤) الجسد .

(١٥) الخفيف .

« مُضِلُّ أَدْوَادٍ عَلَائِدٌ ^(١) ، كَوْمٌ صَلَاحِدٌ ^(٢) ، مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ مَقَاحِدٌ ^(٣) ، وَأَرْبَعٌ جَدَائِدٌ ^(٤) ، شُفٌّ صَمَارِدٌ ^(٥) ، ثُمَّ طَرَقَتِ الثَّلَاثَةُ فَقَالَتْ : « رَعَيْنَ الْفَرْعَ ^(٦) ، ثُمَّ هَبَطْنَ الْكَرْعَ ^(٧) ، بَيْنَ الْمَقَدَّاتِ وَالْجَرَعِ ^(٨) . » فَقَالَتِ الرَّابِعَةُ : « لَيْسَ يَبْطُ الْغَائِطُ الْأَفْنِجَ ^(٩) ، ثُمَّ لِيُظْهَرَ فِي الْمَلَأِ الْمَصْحَصِ ^(١٠) ، بَيْنَ سَدِيرٍ وَأَمْلَحٍ ^(١١) ، فَهَذَاكَ الذَّوْدُ رِيَاعٌ يَمُنْتَرَجُ الْأَجْرَعُ » قَالَ : قَعَمْتُ إِلَى جَمْلَى فَشَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلَهُ وَرَكِبْتُ ، وَوَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُنَّ مَنْ هُنَّ وَلَا يَمُنُّ هُنَّ ؟ فَلَمَّا أَدْبَرْتُ ، قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : « أَبْرَحُ ^(١٢) » فَقَيَّ إِنْ جَدَّ فِي طَلَبٍ ، فَالِهَ غَيْرُهُنَّ نَشَبَ ^(١٣) ، وَسَيُثَوَّبُ عَنْ كَتَبٍ ^(١٤) ، فَفَزَّعَ قَلْبِي وَاللَّهِ قَوْلَهَا ، فَقُلْتُ : وَكَيْفَ هَذَا ، وَقَدْ خَلَقْتُ بِوَادِيٍّ عَرَجًا عُكَامِيًّا ^(١٥) ؟ فَرَكِبْتُُ السَّنَتَ ^(١٦) الَّذِي وَصَفَ لِي ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْمَوَاضِعِ ، فَإِذَا ذَوْدِي رَوَاتِعُ ، فَضَرَبْتُ أَعْجَازَهُنَّ ،

-
- (١) أَضِلُّ دَابَّتِهِ : فَقَدَهَا ، وَالْعَلَائِدُ : الصَّلَابُ الشَّدَادُ جَمْعُ طَلْحَةٍ كَجَمْعِ وَزْبَرَجٍ وَقَطْعَةٍ . (٢) بَدِيرٌ أَكْرَمٌ ، وَفَائِدَةٌ كَوْمَاءُ : طَيِّبَةُ السَّامِ وَالْجَمْعُ كَوْمٌ ، وَالصَّلَاحِدُ : السَّامُ الشَّدَادُ ، وَاحِدُهَا صَلَاحِدٌ بِالضَّمِّ . (٣) لِلْمَقَاحِدِ جَمْعُ مَقْحَادٍ ، وَهِيَ الْقَلِيلَةُ السَّامِ (وَالنَّحْفَةُ كَرَقَةٍ : السَّامُ أَوْ أَصْلُهُ) . (٤) الْجَدَائِدُ جَمْعُ جَدُودٍ كَصَبُورٍ : وَهِيَ الَّتِي انْقَطَعَ لَبْنُهَا . (٥) شَفٌّ جَمْعُ شَافٍ : وَهُوَ الْيَاسُ ضَمْرًا وَهَزَالًا ، وَالصَّمَارِدُ جَمْعُ صَمَرٍ كَزَبْرَجٍ : الْقَتِيلَةُ اللَّبَنُ . (٦) الْفَرْعُ جَمْعُ فَرْعَةٍ وَهِيَ أَمْلُ الْجَبَلِ . (٧) الْكَرْعُ : مَاءُ السَّمَاءِ يَنْزِلُ فَيَسْتَقِعُ ، وَسَمِي كَرْمًا لِأَنَّ الْمَاءَ يَتَكَرَّمُ فِيهِ . (٨) الْمَقَدَّاتُ جَمْعُ مَقْدَةٍ : وَهِيَ مَائِقَةٌ مِنَ الرَّمْلِ ، وَالْجَرَعُ جَمْعُ جَرَعَةٍ بِالسَّكُونِ وَيَعْرَكُ : الرَّمْلَةُ الْعَلِيَّةُ الْمُنْبَتُ لِأَصْوَتِهَا فِيهَا ، أَوْ الْأَرْضُ ذَاتُ الْحَزُونَةِ تَشَاكُلُ الرَّمْلَ أَوْ الدَّخَصَ لَا يَنْبَتُ ، أَوْ الْكَتِيبُ جَانِبُ مَتْنٍ وَمِنْ جَانِبِ حِجَارَةٍ كَالْأَجْرَعِ وَالْجَرَمَاءُ . (٩) الْغَائِطُ : الْخَطُّ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالْأَفْنِجُ : الْوِاسِعُ . (١٠) الْمَلَأُ : الْقَفَاءُ ، وَالْمَصْحَصُ وَالصَّحْصَاحُ وَالصَّحْصَانُ : مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ . (١١) سَدِيرٌ وَأَمْلَحُ : مَوْضِعَانِ . (١٢) أَشَدُّ . (١٣) الْغَائِطُ الْأَصِيلُ مِنَ الْغَائِطِ وَالصَّامِتُ . (١٤) يَتُوبُ ، يَرْجِعُ ، وَالْكَتَبُ : الْقَرَبُ . (١٥) لِلْمَرْجِ : نَحْوُ غَضَائَةِ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْعُكَامِيُّ وَالنَّكَابِيُّ : الْكَبِيرُ . (١٦) الطَّرِيقُ .

حتى أشرفت على الوادى الذى فيه إبل ، فإذا ارتعاه تدعو بالويل ، قلت ما شأنكم ؟ قالوا : أغارت بهزله على إبلك ، فأشحفنا^(١) ، فأسميت واه مالى مال غير القدود ، فرمى الله فى نواصيهن بالرغسي^(٢) ، وإني اليوم لا كثرُ بنى القَيْن مالا .

(الأنعام : ١٤٣)

٥٧ - حديث خنافر بن التوهم الحنيرى مع ربه شهرا

كان خنافر بن التوهم الحنيرى كاهنا ، وكان قد أوتى بَسْطَةً فى الجسم ، وَسَمَةً فى المال ، وكان عاتيا ، فلما وَقَدَتْ وفود اليمن على النبي صلى الله عليه وسلم وظهر الإسلام أغار على إبل لِرِوَادٍ فَا كَتَسَحَا ، وخرج بأهله وماله ، وَلَحِقَ بالشَّخَرِ ، خالف جَوْدَانَ بن يحيى الْفَرَضِيَّ ، وكان سيدا منيعا ، ونزل بواد من أودية الشَّخَرِ مُحْصِبًا كثير الشجر من الأبيك والعرين^(٣) قال خنافر : وكان ربي^(٤) فى الجاهلية لا يكاد يتغيب عني ، فلما شاع الإسلام قَدَّته مدة طويلة ، رساني ذلك ، فبينما أنا ليلةً بذلك الوادى نائما ، إذ هوى هوى العُقَاب ، فقال : خنافر ؟ قلت : شِصَار ؟ فقال : اَسْمَعْ أَقْلُ ، قلت : قل اَسْمَعْ ، فقال : « عِ تَغَنَّمْ ، لكل مدة نهاية ، وكل ذى أمدٍ إلى غاية ، قلت : أجل ، فقال : كل دَوَلَةٌ إلى أجل ، ثم يُتَنَاحَ لها حِوَلٌ »^(٥) ، اُنْتَسِخَتْ النَّحْلُ ، وَرَجَعَتْ إلى حَقَائِقِهَا الْمِلَلُ ، إِنَّكَ سَجِيرٌ^(٦) مَوْصُولٌ ، والنَّضِجُ لك تَبْذُولٌ ، وإني آتَتْ^(٧) بأرض الشام نفرا من آل الْعُدَامِ^(٨) ، حُكَّامًا على الحُكَّام ، يَذْبُرُونَ^(٩) ذَارُونَتي من الكلام ، ليس

(١) استأصلتها . (٢) الرغسي : البركة والتمناه .

(٣) الأبيك : الشجر اللتلف الكثير ، والنفيضة تثبت السدر والأراك ، أو الجماعة من كل الشجر ،

والعرين : جماعة الشجر . (٤) الرق : ما يترامى للإنسان من الجن فيحب .

(٥) الحول : التحول . (٦) السجير : الصديق ، والشجير : الغريب ، وقيل يقال السجير

والشجير الصديق . (٧) أبصرت . (٨) العُدَام : قبيلة من الجن ، كذا قيل .

(٩) ذبرت الكتاب : قرأته (وذبرته أيضا : كتبه كزبرته) .

بالشعر المؤلف ، ولا السجع المتكاف « فأصنيتُ فَرْجِرْتُ ، فمادت فطَلِفْتُ »^(١) ، قلت :
 بم تَهَيَّنُونَ^(٢) ، وإلآمَ تَمَرُّونَ^(٣) ؟ قالوا : « خِطَابُ كِبَارٍ »^(٤) ، جاء من عند الملك
 الجبار ، فاسمع بإسصار ، عن أصدق الأخبار ، واسلك أوضح الآثار ، تنج من أوارِ^(٥)
 النار ، قلت : وما هذا الكلام ؟ فقالوا : « فَرُقَانُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ ، رسول من
 مُعَصَّرٍ ، من أهل اللدر ، ابْتُمِثَ فظهر ، فجاء بقولٍ قد بهَّرَ ، وأوضح نَهَجًا قد دَوَّرَ ، فيه
 مواعِظُ لمن اعتبر ، ومَمَادٌ لمن ازدَجَرَ ، أَلَفَ بِالْأَيِّ الْكُبَرِ » قلت : ومن هذا المبعوث
 من مُضَرٍّ ؟ قال : « أَحَدُهُ خَيْرُ الْبَشَرِ ، فَإِنْ آمَنْتُ أُعْطِيتَ الشَّيْرَ »^(٦) ، وإن خالفت
 أُصْلِيَتْ سَقَرٌ ، فَأَمَنْتُ يُخَافِرُ ، وَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ أَبَادِرُ ، فَجَانِبَ كُلِّ كَافِرٍ ، وشايِعَ كُلِّ
 مؤمن طاهر ، وإلآ فهو الفراق ، لآعن تلاقٍ » ، قلت : من أين أبني هذا الدين ؟ قال :
 من ذات الإِحرَّينِ^(٧) والنَّفَرِ الْيَمَانَيْنِ ، أهل الماء والطين ، قلت : أَوْضِحْ ، قال :
 « الْحَقُّ يَبْثُرُ ذَاتِ النَّحْلِ ، وَالْحَقْوَةُ ذَاتِ النَّمْلِ »^(٨) ، فهناك أهلُ الطَّوْلِ والْفَضْلِ ،
 واللَّوَاوِسَةِ وَالْبُذُلِ ، ثم اَمْلَسْ^(٩) عني ، فَبِثْ مذعوراً أراعى الصباح ، فلما بَرَقَ لِي
 النور ، امتطيت راحلتِي ، وآذَنْتُ^(١٠) أَعْبُدِي ، واحتملتُ بأهلي ، حتى وَرَدْتُ
 الجَوْفَ ، فَرَدَدْتُ الْإِبِلَ عَلَى أَرْبَابِهَا ، بِحَوْلِهَا وَسِقَايَهَا^(١١) ، وأقبلت أريد صنماء ،
 فأصبت بها مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فبايسته على الإسلام ،
 وَعَلَفَنِي سُورًا مِنَ الْقُرْآنِ ، فَنَزَّ اللَّهُ عَلَيَّ بِالْمُهْدَى بَعْدَ الضَّلَالَةِ ، والعلم بعد الجهالة .

(الأمال : ١ : ١٣٣)

(١) منعت . (٢) المهينة : الصوت الخفى . (٣) تشببون . (٤) كبير .
 (٥) الأوار : حر النار . (٦) الشبر بالسكون : الخير وحرك السجع . (٧) الحرة
 (بالفتح) أرض ذات حجارة نخرة سود وتجمع على حررات وحرار وحررين وأحرين . (٨) النمل :
 للمكان الغليظ من الحرة . (٩) أفلت . (١٠) أطلعت . (١١) الحول جمع حائل وهي الأنثى
 من أولاد الإبل ، والمقاب جمع سقب كشمس وهو الذكر .

٥٨ شافع بن كليب الصدفي يتكهن بظهور النبي صلى الله عليه وسلم

قَدِمَ عَلَى تَبِعِ الْآخِرِ مَلِكِ الْيَمَنِ ، قَبْلَ خُرُوجِهِ لِقِتَالِ الْمَدِينَةِ ^(١) ، شافعُ بْنُ كَلَيْبِ
الْصَدْفِيِّ ^(٢) ، وَكَانَ كَاهِنًا ، فَقَالَ لَهُ تَبِعُ : هَلْ تَجِدُ لِقَوْمِ مَلِكِ يَوَازِي مَلِكِي ؟ قَالَ : لَا ،
إِلَّا مُلْكَ غَسَّانَ ، قَالَ : فَهَلْ تَجِدُ مَلِكًا يَزِيدُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ :

« أَجِدُهُ لَبَّازٍ مَبْرُورٍ ، وَرَائِدٍ ^(٣) بِالْقَهْورِ ^(٤) ، وَوَصَفٍ فِي الزَّبُورِ ، فَضَّلْتُ

(١) قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : « كَانَ تَبِعُ الْآخِرِ حِينَ أَقْبَلَ مِنَ الْمَشْرِقِ بَعْدَ أَنْ مَلَكَ الْبِلَادَ جَمِلَ طَرِيقَهُ حُلَّ
الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ حِينَ مَرَّ بِهَا فِي بَدَايَةِ لَمْ يَسْجِ أَهْلُهَا ، وَخَلَفَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ ابْنًا لَهُ ، فَقَتَلَ غِيلَةً ، فَقَدِمَهَا وَهُوَ
يَجْمَعُ عَلَى تَخْرِيبِهَا وَاسْتِصْصَالِ أَهْلِهَا ، فَجَمَعَ لَهُ الْأَنْصَارَ حِينَ سَمِعُوا ذَلِكَ وَخَرَجُوا لِقِتَالِهِ ، فَزَهَمَ الْأَنْصَارُ أَنَّهُمْ
كَانُوا يُقَاتِلُونَهُ بِأَنْهَارٍ وَيَقْرُونَهُ بِاللَّيْلِ ، فَمِجِبَهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، وَيَقُولُ : وَاتَّهَ إِنْ قَوْمَنَا لِكِرَامٍ ، فَبَيْنَا هُوَ عَلَى
ذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ حَبْرَانُ مِنَ أَحْبَابِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي قَرِيطَةَ عَالِمَانِ رَاسِخَانِ فِي الْعِلْمِ ، فَقَالَا لَهُ : قَدْ سَمِعْنَا مَا تَرِيدُ أَنْ
تَفْعَلَ ، وَإِنَّكَ إِنْ أَبَيْتَ إِلَّا ذَلِكَ ، حِيلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، وَلَمْ نَأْمَنْ عَلَيْكَ حَاجِلَ الْعُقُوبَةِ ، فَقَالَ : وَلَمْ ذَلِكَ ؟
قَالَا : إِنَّمَا مَهَاجِرُ (يَفْتَحُ الْجَبَمِ) نَبِيٌّ يَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْحَرَمِ مِنْ قَرِيشٍ تَكُونُ دَارُهُ وَقَرَارُهُ ، فَانْتَهَى عَمَّا كَانَ يَرِيدُ ،
وَأَحْبَبَهُ مَسَمَحٌ مِنْهُمَا ، وَاتَّبَعَهُمَا عَلَى دِينِهِمَا ، وَكَانَ هُوَ وَقَوْمُهُ أَصْحَابَ أَوْثَانٍ ، وَخَرَجَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْيَمَنِ
فَدَعَا قَوْمَهُ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَأَقْبُوا عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَحْبَبُوا عَلَى دِينِهِ ، فَمِنْ هُنَاكَ وَمِنْ ذَلِكَ كَانَ أَوَّلُ الْيَهُودِيَّةِ بِالْيَمَنِ (سِيرَةُ
ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١١ ، وَالْكَامِلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ١ : ١٤٦) .

(٢) الصَّدْفِيُّ نَسَبُهُ إِلَى صَدْفٍ كَسَنَفَ : بَطْنٌ مِنْ كِنَنَةَ . (٣) الرَّائِدُ فِي الْأَصْلِ : الْمُرْسَلُ فِي
طَلَبِ الْكَلَامِ مِنَ الرُّودِ وَهُوَ الطَّلَبُ ، يَتَنَبَّأُ بِهِ نَبِيُّنا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَدْ كَانَ رَائِدًا لَأَمْرِهِ يَرْتَادُهَا
الْخَيْرُ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي أَوَّلِ عِظَةِ خُطْبَتِهِ بِمَكَّةَ حِينَ دَعَا قَوْمَهُ : « إِنْ الرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ » .

(٤) جَاءَ فِي مَجْمَعِ الْبُلْدَانِ : « الْقَهْرُ (كَشَمْسٍ) أَسْفَلَ الْحِجَازِ عَائِلُ نَجْدًا مِنْ قَبْلِ الطَّائِفِ .
وَأَنْشَدَ لِحَدَّاشِ بْنِ زُهَيْرٍ :

دَعَا جَانِبِي ، إِنْ سَأَزَلَ جَانِبَا نَسَمٍ وَاسْمَا بَيْنَ الْبَيْمَةِ وَالْقَهْرِ »

وَأَقُولُ : هَذَا الْوَصْفُ يُنْطَبِقُ عَلَى مَكَّةَ فَهِيَ وَاقِعَةٌ جَنُوبَ الْحِجَازِ . . . الخ . فَاغْلُظْ : « أَجِدُ مَلِكًا يَزِيدُ
عَلَى مَلِكِكَ لَرَأَيْتُ يَظْهَرُ بِتِلْكَ الْبِقَاعِ » أَمَا كَلِمَةُ الْقَهْورِ فَلَمْ أَجِدْهَا فِي مَجْمَعٍ ، وَلَمَّا لَكَّاهُنَّ جَمْعُ « الْقَهْرِ »
عَلَى قَهْورٍ ، لِإِقَامَةِ الْفَاصِلَةِ ، أَوْ هُوَ عَلَى حَدِّ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

يَزِلُ النَّعْلَامُ الْخُفَّ عَنْ صَهْوَاتِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمَنْزِلِ

أُمَّتُهُ فِي الشُّفُور^(١) ، يَفْرِجُ الظُّلَمَ بِالنُّورِ ، أَحَدُ النَّبِيِّ ، طَوَّبَ لَأَمَّتِهِ حِينَ يَحْيَى ، أَحَدُ
بَنِي لُؤَيٍّ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي قُصَيٍّ .

فَنَظَرَ تَبَعَ فِي الزُّبُورِ ، فَإِذَا هُوَ يَمْدَحُ صِفَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٦٤)

٥٩ - سَطِيحُ الذُّبْيِ^(٢) يَعْبُرُ رُؤْيَا رَيْعَةَ بِنِ نَصْرِ اللَّخْمِيِّ

وَرَأَى رَيْعَةَ بِنِ نَصْرِ اللَّخْمِيِّ مَلَكَ الْيَمَنِ - وَقَدْ مَلَكَ بَعْدَ تَبِيعِ الْآخَرِ - رُؤْيَا هَالَتْهُ ،
فَلَمْ يَدْعُ كَاهِنًا ، وَلَا سَاحِرًا ، وَلَا عَاطِفًا ، وَلَا مَنَاجِمًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ إِلَّا جَمَعَهُ إِلَيْهِ ،
فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتْنِي وَفَطَمْتُ^(٣) بِهَا ، فَأَخْبِرُونِي بِهَا وَتَأْوِيلُهَا ، قَالُوا لَهُ :
اِقْصُصْهَا عَلَيْنَا نَخْبِرَكَ بِتَأْوِيلِهَا ، قَالَ : إِنِّي إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ بِهَا لَمْ أَطْمَئِنِّ إِلَى خَبَرِكُمْ عَنْ تَأْوِيلِهَا
فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ تَأْوِيلُهَا إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا قَبْلَ أَنْ أَخْبِرَ بِهَا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ : فَإِنْ كَانَ
لِلْمَلِكِ يَرِيدُ هَذَا ، فَلْيَسِثْ إِلَى سَطِيحِ وَشَقٍّ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْهُمَا فِيهَا ، يُخْبِرَانِهِ
بِمَا سَأَلَ عَنْهُ ، فَبِثَّ إِلَيْهِمَا ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ سَطِيحٌ قَبْلَ شَقٍّ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا

(١) السفر (كامل) الكتاب الكبير ، أو جزءه من أجزاء التوراة ، وفي كتب اللغة أنها تجمع على
أسفار ، ولعله جمعها على سفور للمحافظة على السج أيضا .

(٢) اسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن غسان ، وكان يقال له الذببي
نسبة إلى ذئب بن عدي ، وكان من المصريين قيل عاش ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة ، وزعموا أنه لم يكن له رأس
ولا عرق ، وأن وجهه كان في صدره ، وأنه كان جسدا ملق لاجوارح له ، وكان لا يقدر على الجلوس إلا
إذا غضب ، فإنه يتنطح فيجلس ، وكان له سرور من الجريد والخوص ، إذا أريد نقله إلى مكان يطوى من
رجليه إلى جسمه كما يطوى الثوب فيوضع على ذلك السرور ، وإذا أريد استخباره ليخبر عن المفاتيح يحرك
كما يحرك سقاء اللبن فيتنضح ويغتل ويملؤه النفس فيسأل فيخبر عما يسأل عنه ، (كذا) وأن كاهنة بنى سعد
ابن هذيم وكانت بأعمال الشام لما حضرته الوفاة طلبت سطيحا وشقا (وسياق ذكره) وتفلت في فهما ،
وذكرت أن سطيحا يخلطها في كهانتها ، ثم ماتت في يومها ذلك .

(٣) قطع بالأمر كفتح فطامة : إذا هاله وغلبه .

هالتي وقطعتُ بها ، فأخبرني بها ، فإنك إن أصبّتها أصبت تأويلها . قال : أقل
« رأيتَ حُفَّةً ^(١) » ، خرجت من ظُلْمَةٍ ^(٢) ، فوقت بأرض هَمَّة ^(٣) ، فأكلتُ منها كلَّ
ذاتِ جُجْمَةٍ ^(٤) » ، فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً يسطيع ، فاعندك في تأويلها ؟
قال : « أحلفُ بما بين الحَرَوَيْنِ ^(٥) من حَفَش ، لَيَبْطِئَنَّ أرضكم الحبشُ ، فَلَيَمْلِكَنَّ
ما بين أبين ^(٦) إلى جُرَش ^(٧) » فقال له الملك : وأبيك يسطيع . إن هذا لنا لغائظ
مُوجِع ، فتي هو كائن ، أفي زمانٍ هذا أم بعده ؟ قال : « لا ، بل بعده بحين ، أكثر
من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين » قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟
قال : « لا ، بل ينقطع ليضمرَّ وسبعين من السنين ، ثم يُقتلون بها أجمعين ، ويخرجون
منها هارين » قال : ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : « يليه إرم ^(٨)
ذي يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن » قال : أفيدوم ذلك من
سلطانه أم ينقطع ؟ قال : « بل ينقطع » قال : ومن يقطعه ؟ قال « نبي رَكِي » ، يأتيه الوحي
من قِبَلِ التَّلِي » قال : وعن هذا النبي ؟ قال : « رجل من ولد غالب بن فهر ، بن مالك
ابن النَّضَر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر » قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال :

(١) الحفمة وتجمع على حمم : للحفمة والرماد وكل ما احترق من النار ، وتطلق الحفمة على الجمر مجازاً
باعتبار ما يتولد إليه وهو المراد هنا . (٢) الظلمة : الظلام ، وسرى في تعبير الرؤيا أنها إشارة إلى
الأحباش السود . (٣) الهمة بالتحريك : الأرض المنصوبة إلى البحر ، كانتهم حركة أيضاً كأنهما
مصدران من تهامة ، لأن التهام منصوبة إلى البحر ويقال أيضاً : أرض تهمة كفرحة أي شديدة الحر ، من
الهم بالتحريك وهو شدة الحر وفي ابن الأثير « همة » بالياء يقال : أرض همة كفرحة أي كثيرة الهبى ،
والهبى بالضم اسم نيت ، والفضبط الأول عندى أرجح . (٤) أي كل نفس . (٥) الحرة : أرض
ذات حجارة سود نخرة ، (٦) مخلاف باليمن منه مدينة عدن . (٧) مخلاف باليمن من جهة مكة .
(٨) الإرم كمنب وكنتف : العلم (بالتحريك) أو خاص بعماد ، واللم سيد القوم ، أي يتولاه سيد بني
ذي يزن ، وهو سيف بن ذي يزن .

« نعم . يومٌ يُجْمَعُ فيه الأولون والآخرون ، يَسْعَدُ فيه المحسنون ، وَيَشْقَى فيه المسيئون » .
قال : أَسَقَى مَا تُخْبِرُنَا يَا سَطِيعُ ؟ قال : « نعم ، وَالشَّقِيقُ ، وَالْفَسَقِيُّ ^(١) ، وَالْفَلَقُ ^(٢) »
إذا انشَقَّ ، إنَّ مَا أَتَانِكَ بِهِ لَحَقَى » .

٦٠ شق أنمار ^(٣) يعبر رؤيا ربيعة بن نصر أيضا

ثم قدم عليه شِقْ ، فقال له كقوله لَسَطِيعُ : وكتبه ما قال سَطِيعُ ، لينظر أيتفان
أم يختلفان ، قال : « نعم . رأيت حُمَةً . خرجت من ظلمة ، فوقعت بين رَوْضَةٍ وَأَكَّةٍ
فَأَكَلَتْ منها كلَّ ذات نَسَمَةٍ » . فلما سمع الملك ذلك قال : ما أخطأت يا شِقْ منها شيئا ،
فما عندك في تأويلها ؟ قال : « أَحْلَفُ بِمَا بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ من إنسان ، لَيَزِلَنَّ أَرْضَكُمْ
السودانُ ، فَلَيَمْلِكُنَّ عَلَى كلِّ طِفْلَةٍ ^(٤) البنان . وَلَيَمْلِكُنَّ مَا بَيْنَ أُيُنَّ إِلَى نَجْرَانَ ^(٥) »
فقال له الملك : وأبيك يا شِقْ ، إن هذا لنا لعائظ مَوْجِع ، فحقى هو كائن : أى زمانى أم
بعده ؟ قال : « لا ، بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذوشان ، وَيُذِيقُهُمْ أَشَدَّ
الحوان » قال : ومن هذا العظيم الشأن ؟ قال : « غلام ليس بدَنِيٍّ وَلَا مَدُنٍ ^(٦) » ، يخرج
عليهم من بيت ذى يَزَنٍ ^(٧) » قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : « بل ينقطع برسول

(١) الشقيق : الحمرة في الأفق من الغروب إلى قريب الغمة ، والفسق : ظلمة أول الليل .

(٢) الفلق : الصبح أو ما انفلق من عموده . (٣) هو شق بن مصعب بن يشكر بن وهب بن أنزل
ابن قيس بن عبقري بن أنمار بن زرار ، وزعموا أنه كان شق إنسان (أى نصفه) له يد واحدة ورجل
واحدة وهين واحدة . (٤) مؤنث طفل : وهو الرخص الناعم من شيء . (٥) غلظت شبال العين .

(٦) الدف : سهل من دفة ، والدفق : المقصر عما ينبغي له أن يفعله ، وفي ابن الأثير « من »
بالزاي والمزن : التهم ، من أذنته بكذا أى اتهمته به .

(٧) وغير ذلك أن زهرة بن كعب الملقب بذي نواس أحد ملوك البتانة باليمن (وكان قد تهود وتعمص
لليهودية وحمل عليها قبائل اليمن) اضطلع نصراني نجران لأن يهوديا بنجران عدا أهلها على ابنته له فقتلها
فلما ، فتوسل إلى ذي نواس باليهودية ، واستنصره عليهم ، فحصى له ولديته وغزاهم ، ويقال إن رجلا من =

مرسل ، يأتي بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم
القمص . قال : وما يوم القمص ؟ قال : « يوم تجزى فيه الولاة ، يدعى فيه من السماء
بدعوات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه بين الناس للميقات ، يكون فيه
لن اتقى الفوز والخيرات » قال : أحق ما تقول ؟ قال : « إى ورب السماء والأرض ،
وما بينهما من رفع وخفض ، إن ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض ^(١) » .

فوقع في نفس ريعة بن نصر ماقالا ، فجهز بنيو وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ،
وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس ، يقال له سابور فأبكنهم الحيرة . فن بقية ولده
النعمان بن النذر ملك الحيرة ، وهو النعمان بن النذر بن النعمان بن النذر بن عمرو بن
امرى القيس بن عمرو بن عدى بن ريعة بن نصر .

(تاريخ الطبري : ٩٩ : سيرة ابن هشام ١ : ٨ ، والكمال لابن الأثير : ١٤٦)

٦١ - وفود عبد المسيح بن ببيعة على سطيج

عن ابن عباس رضى الله عنه قال :

« لما كان ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ارتجح إيوان كسرى ، فسقطت
منه أربع عشرة شُرقة ، فظلم ذلك على أهل مملكته ، فإ كان أو شك أن كتب إليه

= أهل نجران أفك من القتل ، وسار إلى قيصر الروم يستجده على ذى نواس ، فبث قيصر إلى نجاشي الحبشة
يأمره بنصرة النصارى ، فجهز جيشا إلى اليمن ، فركبوا البحر إليها ، ولقيهم ذو نواس فيمن معه فدارت
الدائرة عليه ، ومملكة الحبشة اليمن ، ولما طال البلاء من الحبشة على أهلها خرج سيف بن ذى يزن الحميرى
وقدم على قيصر يوستنيان يستجده على الحبشة فأبى ، وقال : الحبشة على دين النصارى ؛ فرجع إلى كسرى
أنوشروان واستنانه ، فأعلمه بجيش من كانوا في سجنونه ؛ فقاتلوا الأحباش وهزمهم ؛ واسترد سيف
عرش آباءه على غريضة يؤذيها كل عام للفرس حتى قتل ؛ فأرسل كسرى عاملا على اليمن واستمرت عماله إلى أن
كان آخرهم بإذان فأعلم ؛ وصارت اليمن إلى الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) أى شك أو بلال .

صاحب اليمن يخبره أن بحيرة ساوة^(١) غاضت تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب السماوة يخبره أن وادى السماوة^(٢) انقطع تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب طبرية أن الماء لم يمر تلك الليلة في بحيرة طبرية ، وكتب إليه صاحب فارس يخبره أن بيوت النيران تحذت تلك الليلة ، ولم تتخذ قبل ذلك بألف سنة ، فلما تواترت الكتب أبرز سريره وظهر لأهل مملكته فأخبرهم الخبر ، فقال المؤبدان^(٣) : أيها الملك إني رأيت تلك الليلة رؤيا هالتي ، قال له : وما رأيت ؟ قال : رأيت إبلا صعباً ، تقود خيلاً عرباً ، قد اقتحمت دجلة وانتشرت في بلادنا ، قال : رأيت عظيماً فاعندك في تأويلها ؟ قال : ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن أرسل إلى عاملك بالبحيرة يؤجّه إليك رجلاً من علمائهم ، فإنهم أصحاب علم بالحدثان ، فبعث إليه عبد المسيح بن بقليلة القسائي . فلما قدم عليه أخبره كسرى الخبر ، فقال له : أيها الملك ، والله ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن جهّزني إلى خال لي بالشام يقال له سطيح . قال : جهّزه ، فلما قدم إلى سطيح وجده قد احتضر ، فناداه فلم يجبه ، وكله فلم يرد عليه ، فقال عبد المسيح :

أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ غِطْرِيْفُ الْيَمَنِ يَا فَاصِلَ الْخُلَطَّةِ أُعْيِتَ مَنْ وَمَنْ^(٤)
أَتَاكَ شَيْخٌ الْحَيُّ مِنْ آلِ سَنَنْ أَيْبُضَ فَضْغَاضِ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنِ^(٥)
رَسُولٌ قَلِيلِ الْعُجْمِ يَهْوِي لِلْوَنِّ لَا يَرْهَبُ الرِّعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنِ^(٦)

(١) هكذا في المقد القريد ، وفي السيرة الخلية « وورد عليه كتاب من صاحب إيليا (بالشام) يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة » وفي معجم البلدان : « ساوة مدينة حسنة بين الرى وهمدان في وسط ، بينها وبين كل واحد من همدان والرى ثلاثون فرسخاً ، وفي حديث سطيح في أعلام النبوة : « وخملت نار فارس وغارت بحيرة ساوة . . الخ » ومنه يستفاد أنها في فارس .

(٢) موضع بين الكوفة والشام . (٣) المؤبدان والموبد : ققيه القرس وحاكم المجوس .

(٤) التطريف : السيد الشريف . (٥) الضغاض : القواسع .

(٦) القيل : الملك ؛ أو هو دون الملك الأمل .

فرفع إليه رأسه وقال : « عبد المسيح ، على جبل مُشيع ^(١) ، إلى سَطِيع ، وقد أوفى على الصَّريح ^(٢) ، بملكك ملك بنى ساسان ، لارتجاج الإيوان ، وخمود النيران ، ورويا الموبدآن ، رأى إبلا صِعبًا ، تقود خَيْلاً عِرَابًا ، قد اقتحمت في الواد ، وانتشرت في البلاد . يا عبد المسيح : إذا كثرت التَّلَاوة ^(٣) ، وظهر صاحب المِراوة ^(٤) ؛ وقاض وادى السماوة ، وَغاضَتْ بِحيرة ساوة ، وخذت نارقارس ، فليست بابل للفرس مُقامًا ، ولا انشام لسَطِيع شامًا ، يملك منهم ملوك وملكات ^(٥) ، عدد سقوط الشُّرُفات ، وكل ما هو آتٍ آتٍ » ثم قال :

إِنْ كَانَ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ فَإِنْ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارًا دَهَارِيرُ ^(٦)
 مِنْهُمْ بَنُو الصَّرْحِ بِهَرَامٍ وَإِخْوَتُهُ وَالْمُرْمَزَاتِ وَسَابُورُ وَسَابُورُ
 فَرَبِّمَا أَصْبَحُوا يَوْمًا بِمَنْزَلَةٍ تَهَابُ صَوْنَهُمُ الْأُسْدُ لِلْمَهَاصِيرِ ^(٧)
 حَبُّوا اللَّطِيَّ وَجَدُّوا فِي رِحَالِهِمْ فَمَا يَقُومُ لَهُمْ سَرَجٌ وَلَا كُورُ ^(٨)
 وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عَلَاتٍ فَمَنْ عَلَمُوا أَنْ قَدْ أَقْلُ فُحْقُورٍ وَمَهْجُورُ ^(٩)
 وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ فَالْخَيْرُ مُتَّبِعٌ وَالشَّرُّ مُحْذُورُ

(١) جاد سريع . (٢) أى القبر ؛ والمراد الموت . (٣) أى تلاوة القرآن .

(٤) المِراوة : العصا للضخمة ؛ وصاحبها هو النبي صل الله عليه وسلم لأنه كان يحمل العصا كثيرا عند مشيه . (٥) قال صاحب السيرة الحلبية : « لم أنف عل أنه ملك منهم من النساء إلا واحدة وهى يوران ؛ ملكت سنة ثم هلكت » .

(٦) أفرطهم : تركهم وزال عنهم ؛ قال تمالك : « لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ، وَأَنََّّهُمْ مُفْرَطُونَ »

أى متروكون فيها ؛ ودهر دهارير : أى شديد (كليلة ليلاء ويوم أيوم).

(٧) المهاصير جمع مهصار أو مهصير وهو الأسد من المصر وهو الكسر والجذب والإمالة .

(٨) الكور : الرجل بأداته . (٩) أولاد العلات : أولاد أمهات شقي من رجل واحد .

ثم أتى كسرى فأخبره بما قاله سطيح فغضب ذلك ، ثم تمرى ، فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا يدور الزمان ، فهلكوا كلهم في أربعين سنة ، وكان آخر من هلك منهم في أول خلافة عثمان رضى الله عنه .

(تاريخ الطبرى ٢ : ١٤٢ والمقد الفريد ١ : ١٠٨ ، والسيرة الحلبية ١ : ٧٠ ، والمختصر في أخبار البشر لأب القلاء ١ : ١١٠) .

٦٢ - شق وسطيح يئنان بأصل ثقيف

عن ابن الكلبي قال : « كان قسي* - وهو ثقيف^(١) - مقبياً باليمن ، فضايق عليه موضعه ونبأ^(٢) به ، فأتى الطائف ، وهو يومئذ منازل فهم وعدوان بن عمرو بن قيس ابن عيلان ، فأتته إلى الظرب المدوانى ، فوجده نائماً تحت شجرة فأيقظه ، وقال : من أنت ؟ قال : أنا الظرب ، قال : على آية^(٣) إن لم أهلك ، أو تخلف لى كبر وجئى ابنتك ، ففعل ، وانصرف الظرب وقسي* معه ، فلقبه ابنه عامر بن الظرب ، فقال : من هذا مملك يا أبت ؟ فقص قصته ، قال عامر : لله أبوه ! لقد ثقف^(٤) أمره ، فسمى يومئذ

(١) هو أبو القيلة المشهورة ، وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن حكرمة ابن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ؛ وقد اختلف النسابون في نسب ثقيف ، فقال قوم : إنهم من هوازن ، وهو القول الذى يزعمه الثقفيون ؛ وعليه جمهور الناس ، وبزعم آخرون أن ثقيفا من إباد بن زرار ابن سد بن عدنان ؛ وأن النخع أخوه لأبيه وأمه ؛ ثم افترقا فصارا أحدهما في عداد هوازن والآخر في عداد مذحج ؛ وقال قوم آخرون إن ثقيفا من بقايا ثمود من العرب القديمة التى بادت وانقرضت . قال الحجاج حل المنبر : يزعمون أننا من بقايا ثمود فقد كذبهم الله بقوله : « وَكُمُودَ فَمَا أُبْقَى » وقال مرة أخرى : ولئن كنا من بقايا ثمود لما نجتمع صالح إلا غيارهم - اقرأ كلمة عن نسب ثقيف في شرح ابن أبي الحديد م ٢ ص ٣٩٢ ؛ والمقد الفريد ٣ : ٨ ، والأغانى ٤ : ٧٤ ؛ ومروج الذهب ٢ : ٦٨ ؛ وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٢٣ . (٢) نبأ به منزله : لم يوافق . (٣) الآلة : المين . (٤) ثقف ككرم وفرح : صار حاذقاً خفيفاً ظناً . وثقف الشيء كفرح : ظفر به .

ثقيفاً ، وعُيِّرَ الظرب بزواجه قسيّاً ، وقيل زوجتَ عبدًا ، فسار إلى الكهان يسألهم ، فأتتهى إلى شقّ بن مُصَنَّبِ البَجَلِيّ ، وكان أقربهم منه . فلما انتهى إليه قال : إنا قد جئناك في أمر فاهو ؟ قال : « جئتم في قسيّ ، وقسيّ عبدُ إِيَاد ، أُبَيّ ^(١) لِسِلَّةِ الواد ، في وَجْ ^(٢) ذاتِ الأنداد ، فوالى سعدًا لِيُفَاد ، ثم لوى بشيرَ مَعَاد » يعنى سعد بن قيس ابن عَيْلَانَ بن مضر ، ثم توجه إلى سطيج الذئبي حتّى من غَسَّان ، ويقال إنهم حى من قُصَاعَةِ نَزُولٍ في غَسَّان . فقالوا : إنا جئناك في أمر فاهو ؟ قال : « جئتم في قسيّ ، وقسيّ من ولد نمود القديم ، ولدته أمه بصَحْرَاءَ تَرِيمٍ ^(٣) ، فالتقطه إِيَاد وهو عَليم ، فاستعبده وهو مُلِيم ^(٤) . فرجع الظرب وهو لا يدري ما يصنع في أمره . وقد وُكِّدَ عليه في الحَلْفِ والتزويج ، وكانوا على كفرهم يُوفون بالقول ، فلهذا يقول من قال إن ثقيفاً من نمود ، لأن إِيَاداً من نمود .

(الأغانى ٤ : ٧٥)

٦٣ — تنافر عبد المطلب بن هاشم والثقيين إلى عزى سلمة الكاهن

كان لعبد المطلب بن هاشم مال بالطائف يقال له : ذُو المَرَمِ ^(٥) ، فغلبه عليه خِنْدِف ابن الحارث الثَّقَفِيّ ، فنافروهم عبد المطلب إلى عَزَى سلمة الكاهن - أو إلى نُفَيْل ابن عبد العزى جد حمر بن الخطاب ^(٦) - فخرج عبد المطلب مع ابنه الحُرَيْث ، وليس له يومئذ غيره ، وخرج الثقيون مع صاحبهم ، وحربُ بن أُمَيَّةٍ مهمم على عبد المطلب ، فنَدِ مَاءَ عبد المطلب ، فطلب إليهم أن يسقوه ، فأبَوْا ، فبلغ العطش منه كل مَبْلَغ ، وأشرف

(١) حرب . (٢) وج : اسم واد بالطائف . (٣) وام يرم ربما : تبادل .

(٤) ألام فهو مليم : أتى ما يلام عليه .

(٥) ضبطه في القاموس المحيط بفتح فسكون ؛ والصحيح أنه بالتحريك كما يدل على ذلك الأسجاع

الآتية . (٦) وهبارة معجم ياقوت : « فنافروهم عبد المطلب إلى الكاهن القضاوى وهوسلة بن أبي حبة فخرجوا إليه إلى الشام » .

على الهلاك ، فبينما عبد المطلب يُشير بغيره ليركب ، إذ فَجَّرَ الله له عيناً من تحت جِرانه ،
 فحَدَّ الله وعلم أن ذلك منه ، فَشَرِبَ وشرب أصحابه رِيَّهم وتزودوا منه حاجتهم ، وَفَدَّ
 ماءَ التقفين ، فطلبوا إلى عبد المطلب أن يسقيهم فَأَنعم عليهم ، فقال له ابنه الحارث
 لَا تُحْنِنَنَّ عَلَى سِنِي حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي ، فقال عبد المطلب : لَأَسْقِيَهُمْ فَلَا تَفْعَلْ ذَلِكَ
 بِنَفْسِكَ فَسَقَام ، ثُمَّ انطلقوا ، حتى أتوا الكاهن ، وقد حَبَسُوا له رَأْسَ جَرَادَةٍ ، فِي خُرْزَةٍ
 مَزَادَةٍ ^(١) ، وجعلوه فِي قِلَادَةٍ كَلَبَ لَهُمْ يَقَالُ لَهُ سَوَّار ، فلما أتوا الكاهن إذا هم بيقرتين
 تَسُوقَانِ بَيْنَهُمَا بَخْرَجًا ^(٢) كَلَامَاهَا تَزْعُمُ أَنَّهُ وَلَدَاهَا ، وَلَدَتَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَأَاكَلَ النَّيِّرُ
 أَحَدَ الْبَخْرَجَيْنِ . فهما تَرَأَّمان ^(٣) الباقي ، فلما وقفنا بين يديه . قَالَ الكاهن : هل
 تَدْرُونَ مَا تَرِيدُ هَاتَانِ الْبَقْرَتَانِ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ الكاهن : « ذَهَبَ بِهِ ذُو جَسَدٍ
 أَرَبَدٍ ^(٤) ، وَشَدَّقِي مَرْمَعٌ ^(٥) ، وَنَابَ مُعَلِّقٌ ^(٦) ، مَا لِلصَّغْرَى فِي وَلَدِ الْكِبْرَى حَقٌّ »
 فَقَضَى بِهِ لِلْكِبْرَى ، ثُمَّ قَالَ : مَا حَاجَتُكُمْ ؟ قَالُوا : قَدْ حَبَسْنَا لَكَ حَبْنًا ، فَأَبْنَيْنَا عَنْهُ ، ثُمَّ
 نَحْبِرُكَ بِحَاجَتِنَا ، قَالَ : « حَبْنَتُمُ لِي شَيْئًا طَارَ فَطَع ، فَتَصَوَّبَ فَوْقَ ، فِي الْأَرْضِ مِنْهُ
 بُعْغٌ ، فَقَالُوا : لَادَهُ ، أَيْ بَيَّنَّهُ . قَالَ : « هُوَ شَيْءٌ طَارَ ، فَاسْتَطَارَ ، ذُو ذَنْبٍ جَرَّارٌ ،
 وَسَاقٍ كَالْمِنْشَارِ ، وَرَأْسُ كَالْمِجَارِ » فَقَالُوا : لَادَهُ ، قَالَ : « إِنْ لَادَهُ فَلَادَهُ ^(٧) ، هُوَ

(١) المَزَادَةُ : الرَّاقِيَّةُ ، وَالْخُرْزَةُ : السِّيرُ يَخْرُزُ بِهِ . (٢) الْبَخْرَجُ : وَلَدُ الْبَقْرَةِ .

(٣) وَنَمَتَ وَلَدَاهَا : صَلَقَتْ عَلَيْهِ وَلِزَمَتْهُ . (٤) مِنَ الرَّبْدَةِ (كَصَفْرَةٍ) : لَوْنٌ إِلَى الْغُبْرِ .

(٥) رَمَعَ كَنَعَ رَمَعَانًا (بِالتَّحْرِيكِ) وَتَرَمَعَ : تَحَرَّكَ وَاضْطَرَبَ ، وَقَوْلُهُ رَمَعَ : اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ رَمَعَ

الْمُضْمَفُ ، يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ مَفْتَرَسٌ كَاسِرٌ . (٦) مِنْ أَعْلَى الصَّائِدِ إِذَا عَلِقَ الْعَيْدُ فِي حَبَالَتِهِ أَيْ نَشَبَ .

(٧) رَوَى ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ إِلَادَهُ فَلَادَهُ سَاكِنُ الْهَاءِ . وَيُرْوَى إِلَادَهُ فَلَادَهُ مَكْسُورُ الْهَاءِ مُنَوَّنَةٌ ، قَالَ
 يَاقُوتٌ فِي مَعْجَمِهِ : « يَقُولُ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَوْلِي بَيَانًا فَلَا بَيَانَ » وَقَالَ الزَّخَّشِيُّ فِي الْمُسْتَصْنَى : « إِنْ لَادَهُ فَلَادَهُ
 بِنَفْعِ الدَّالِ وَيَكْسَرُ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ فَارَسِيَّةٌ مَعْنَاهَا الضَّرْبُ قَدْ اسْتَعْمَلَهَا الْعَرَبُ فِي كَلَامِهَا . وَأَصْلُهُ أَنَّ الْمُتَوَرِّدَ
 كَانَ يَلْقَى وَاتَرَهُ فَلَا يَتَرَعَضُ لَهُ فَيَقَالُ لَهُ ذَلِكَ ، وَالْمَعْنَى إِنَّكَ إِنْ لَمْ تَضْرِبْهُ الْآنَ فَلَا تَضْرِبْهُ أَبَدًا ، وَالتَّقْدِيرُ إِنْ
 لَا يَكُنْ دَهْ فَلَا يَكُونُ دَهْ : أَيْ إِنْ لَا يَوْجِدُ ضَرْبَ السَّاعَةِ ، فَلَا يَوْجِدُ ضَرْبَ أَبَدًا ، ثُمَّ اتَّسَعُوا فِيهِ فَضْرِيَوْمَ
 مِثْلًا فِي كُلِّ شَيْءٍ لَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ الرَّجُلُ ، وَقَدْ حَانَ حَيْثُ وَجِبَ إِحْدَاثُهُ مِنْ قَضَاءِ دَيْنٍ قَدْ حُلَّ أَوْ حَاجَةٍ طَلِبَتْ ،
 أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَسُوغُ تَأْخِيرُهَا » . وَقَالَ الْمُتَنَزِّي : « قَالُوا مَعْنَاهُ إِلَّا هَلَهُ فَلَا هَلَهُ ، يَمْنَى أَنَّهُ
 الْأَصْلُ إِلَادَهُ فَلَادَهُ بِالذَّالِ الْمَجْمُوعَةِ ، فَصُرِفَتْ بِالذَّالِ غَيْرِ الْمَجْمُوعَةِ كَمَا قَالُوا يَهُودًا ثُمَّ عَرَبَ فَقِيلَ يَهُودًا » .

رأس جَرَادَة ، في خُرُز مَزَادَة ، في عُتْق سَوَارِ ذِي الْقِلَادَة « ، قالوا : صدقت ، فَأَخْبِرْنَا فِيمَ اخْتَصَمْنَا إِلَيْكَ ؟ قَالَ : « أَحْكُمُ بِالضِيَاءِ وَالظُّلَمِ ، وَالْبَيْتِ وَالْحَرَمِ ، أَنْ الْمَالَ ذَا الْحَرَمِ ، الْقُرْشَى ذِي الْكَرَمِ » قَضَى بَيْنَهُمْ ، وَرَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ عَلَى حَكْمِهِ .
(جمع الأمثال ١ : ٣٠ ومجم البلدان ٨ : ٤٦٠)

وروى الجاحظ لعزى سلة أنه قال :
« وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَالْمُقَابِ وَالصُّقْمَاءِ ^(١) ، وَاقْعَةُ بَيْقَمَاءِ ^(٢) ، لَقَدْ نَفَرَ الْجَدُّ
بَنَى الْمَشْرَاءِ ^(٣) ، لِلْمَجْدِ وَالسَّاءِ ^(٤) » .
(البيان والتبيين ١ : ١٥٩)

٦٤ — منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية^(٥)

تنافر عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية إلى النجاشي ملك الحبشة ، فأبى أن
ينفَرَّ بينهما ، فجملا بينهما نُفَيْلُ بْنُ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ رِيَّاحٍ ، فَقَالَ لِحَرْبٍ :

(١) الصقعة بالضم : يياض في وسط رموس الطير وغيرها ، وهو أصقع ، وهي صقماء (والصقماء أيضا الشمس) . (٢) البقماء : اسم ماء . (٣) المشراء : قوم من فزارة ، ونفرو عليه : قضى له عليه بالقلبة . (٤) الساء : الرقعة .

(٥) وسبب ذلك أن عبد المطلب كان له جار يهودي يقال له أذينة ، يتجر وله مال كثير ، ففاط ذلك حرب بن أمية ، وكان تديم عبد المطلب ، فأغرى به فتاناً من قريش ليقتلوه ، ويأخذوا ماله ، فقتله عامر ابن عبد مناف بن عبد الدار وصخر بن عمرو بن كعب التيمي ، جد أبي بكر رضي الله عنه ، فلم يعرف عبد المطلب قاتله ، فلم يزل يبحث حتى عرفهما ، وإذا هما قد استجارا بحرب بن أمية ، فأقى حرباً ولامه وطلبهما منه فأغفاهما ؛ فتناظرا في القول ؛ حتى تنافرا إلى النجاشي فلم يدخل بينهما ، فجملا بينهما نفيل ابن عبد العزى جد عمر بن الخطاب فنفر عبد المطلب عليه ؛ فتفرك عبد المطلب مناديه حرب ، وفادم عبد الله ابن جدعان التيمي ، وأخذ من حرب مائة ناقة ؛ ففضها إلى ابن عم اليهودي ، وأرجع ماله إلا شيئاً هلك ، ففرمه من ماله .

« يا أبا عمرو : أنتافر رجلا هو أطول منك قامّة ، وأعظم منك هامّة ، وأوسم منك وسامة ^(١) ، وأقل منك ملامّة ، وأكثر منك ولداً ، وأجزل صدقاً ^(٢) ، وأطول منك يدوداً ^(٣) ، وإنى لأقول هذا وإنك ليميد النصب ، رفيع الصوت في العرب ، جلد المريّة ^(٤) ، جليل المشيرة ، ولكنك نافرت مُنفراً » .

فغضب حرب وقال : إن من انتكاس ^(٥) الزمان أن جُملت حكماً .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١٨١)

٦٥ - ما أمر به عبد المطلب بن هاشم في منامه من حفر زمزم

وَلِيَّ عبد المطلب بن هاشم السَّقَايَة والرَّفَادَة بعد عمه المطلب ، وَشَرُف في قومه ، وعَظُم شأنه ، ثم إنه حفر زَمْزَمَ ، وهى بئر إسماعيل بن إبراهيم عليها السلام ، التى أسقاه الله منها ، وكانت جرُومٌ قد دفنها ^(١) ، وكان سبب حفره إياها أنه قال :

« بينا أنا نائم بِالْحَجَرِ إِذْ أَنَانِي آتٍ فَقَالَ : احْفَرْ طَيِّبَةً ، قلت : وما طيبة ؟ فذهب وتركنى ، فلما كان الند رجعت إلى مَضْجَعِي ، فتست فيه ، فجاءنى فقال : احْفَرْ بَرَّةً ، قلت : وما بَرَّةٌ ؟ فذهب وتركنى ، فلما كان من الند رجعت إلى مضجعى ،

(١) الوسامة : الحسن والجمال . (٢) الصفد : الطاء . (٣) لللود : اللسان .

(٤) المريّة : الحبل الشديد القتل ، والزمرة . (٥) أى انقلاب الزمان من انتكاس أى وقع

على رأسه ، وفى الطبري : انتكاث بالهاء من انتكاث الحبل وهو انتقاضه .

(٦) وذلك أن جرهم لما استخفت بأمر البيت الحرام ، وارتكبوا الأمور العظام ، قام فيهم رئيسهم مضاض بن عمرو خطيباً ووعظهم فلم يرهعوا ، فلما رأى ذلك منهم عد إلى غزاليين من ذهب كانوا في الكعبة وما وجد فيها من الأموال أى السيوف والدروع التى كانت تهذى إليها ، ودفنها في بئر زمزم ، وكانت قد نصب ماؤها حفرة مضاض بالليل وأمرق الحفر ودفن فيها ذلك وطم البئر ، وما زالت مطبومة إلى زمن عبد المطلب .

فمنّت فيه ، فجاءني فقال : احفر للضنونة . قلت : وما للضنونة ؟ ^(١) فذهب عني ، فلما كان الند رجعت إلى مضجعي فمنّت فيه ، فجاءني فقال : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لا تندم ، فقلت : وما زمزم ؟ قال : « تَرَأَتْ مِنْ أَيْكَ الْأَعْظَمَ ، لَا تُنْزِفْ أَبَدًا وَلَا تُدَمِّمِ » ^(٢) ، تَشَقَّى الْحَجِيجَ الْأَعْظَمَ ، مِثْلَ نَعَامٍ جَائِلٍ لَمْ يُقَسِّمْ ^(٣) ، يَنْذِرُ فِيهَا نَازِرٌ لِنُعْمٍ ، تَكُونُ مِيرَاثًا وَعَقْدٌ مُحْكِمٌ ، لَيْسَ كَبَعْضِ مَا قَدْ تَلَمَّ ، وَهِيَ بَيْنَ الْفَرَثِ وَالْهَمِّ ^(٤) ، عِنْدَ قُرَّةِ النَّرَابِ الْأَعْصَمِ ^(٥) ، عِنْدَ قُرَّةِ الْخَمَلِ » .

فلما بَيَّنَّ لَهُ شَأْنَهَا ، ودله على موضعها ، وعرف أنه قد صدق . غدا بِمِثْلِهِ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْحَارِثُ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ غَيْرُهُ ، خَفِرَ بَيْنَ إِسَافٍ وَنَائِلَةٍ ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي تَنْحَرُ فِيهِ قَرِيشٌ لِأَصْنَامِهَا ، وَقَدْ رَأَى النَّرَابَ يَنْقُرُ هُنَاكَ ، فَلَمَّا بَدَأَ لَهُ الطَّوِيُّ ^(٦) كَبَّرَ ، فَعَرَفَتْ قَرِيشُ أَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ حَاجَتَهُ .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٥ ، والسيرة الحلبية ١ : ٣١ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٩٠)

(١) طيبة ، وبرة ، والمضنونة : أسماء لزمزم . (٢) نَزَفَتِ الْبَيْرُ : نَزَحَتْ كَنَزَفَتْ بِالضَّمِّ ، وَيَبُرُّ ذَمٌّ بِالْفَتْحِ وَذَمٌّ وَذَمِيمةٌ : قَلِيلَةُ الْمَاءِ لِأَنَّهُا تَذُمُّ . (٣) جَفَلَ النَّمَامُ : أَسْرَعَ وَذَهَبَ فِي الْأَرْضِ ، وَلَمْ يَقُمْ : لَمْ يَفِرْقْ . (٤) أَيْ فِي مَحَلِّهِمَا ، وَالْفَرَثُ : السَّرِيجُ فِي الْكَوْشِ ، وَذَلِكَ بَيْنَ إِسَافٍ وَنَائِلَةٍ ، (وَإِسَافٌ كَكِتَابٍ وَسَحَابٍ : سَمَّ وَضَعَهُ عَمْرُو بْنُ لُحَى عَلَى الصَّفَا ، وَنَائِلَةٌ عَلَى الْمَرْوَةِ تَجَاهَ الْكُمَيْةِ) ، وَكَانَتْ قَرِيشٌ تَذْبَحُ عَنْهُمَا ذَبَائِحَهَا الَّتِي تَتَقَرَّبُ بِهَا . (٥) الْأَعْصَمُ : قِيلَ أَحْمَرُ الْمُتَقَارِ وَالرَّجُلَيْنِ ، وَقِيلَ أَيْضُ الْبَطْنِ ، وَقِيلَ أَيْضُ الْجَنَاحَيْنِ ، وَقِيلَ أَيْضُ إِحْدَى الرَّجُلَيْنِ . (٦) الطَّوِيُّ : الْبَيْرُ .

خطب الكواهن

٦٦ - الشعناء الكاهنة تصف سبعة إخوة

كانت عثمة بنتُ مطرود البَجَلِيَّة ذات عقل ورأى مُسْتَمَع في قومها ، وكانت لها أخت يقال لها خَوْد ، وكانت ذات جمال وَمِيسَم^(١) وعقل ، فخطب سبعة إخوة غُلْمَة من بطن الأزد خودا إلى أبيها ، فأتوه وعليهم الحلل البَيانية ، وتحتهم النجائب القُرْهُ^(٢) ، فقالوا : نحن بنو مالك بن غُفَيْلَةَ ذى النُّعَيْنِ ، فقال لهم : انزلوا على الماء ، فنزلوا ليلهم ، ثم أصبحوا غَادِينَ في الحلل والمهيئة ، ومعهم رَيْبِيَّةٌ^(٣) لهم يقال لها الشَّعْناء : كاهنةٌ ، قَرَّزُوا بِوَصِيدِهَا^(٤) يتمرضون لها ، وكلهم وَسِيم جميل ، وخرج أبوها ، فجلسوا إليه ، فرحَّبَ بهم ، فقالوا : بلننا أن لك بنتًا ، ونحن كما ترى شَبَاب ، وكلنا يَمْنَعُ الجانب ، وَيَمْنَحُ الراغب ، فقال أبوها : كلِّم خيَّار ، فأقيموا نرى رأينا ، ثم دخل على ابنته ، فقال : ما تَرَيْنِ ، فقد أَتَاكِ هؤلاء القوم ؟ فقالت : « أَنْكِحْنِي على قدرى ، ولا تَشْطُطْ في مَهْرِي ، فَإِنْ نُحْطِئِي أَحْلَامَهُمْ ، لا تُحْطِئِي أجسامهم ، لئلى أَصِيب وَلَدًا ، وَأَكْثُرُ عَدَدًا » فخرج أبوها ، فقال : أخبروني عن أفضلكم .

قالت ربيبتهم الشَّعْناء الكاهنة : « أَتَمَعُ أَخْبَرُكَ عَنْهُمْ : هم إخوة ، وكلهم أَسُوءة^(٥) .

(١) الميسم والوسامة : أثر الحسن . (٢) النجائب جمع نجيب : وهو البعير والغرس إذا كانا كرمين حقيقين ، والقُرْهُ : (كقفل وركع وكتب) جمع فاره ، وهو من الدواب الجيد السير النشط الخفيف . (٣) الرَيْبِيَّة : الحاضنة . (٤) الوصيد : الفناء (بالكسر) والعتية . (٥) الأسوة : القدوة .

أما الكبير فإليك ، جرىء فإنيك ، يُتَمَبُّ السَّنايك^(١) ، ويستصفر المهايك . وأما الذي يليه فالقمز ، بحرٌ غمر^(٢) ، يَقْصُرُ دونه الفخر ، نَهْدٌ^(٣) صَفَر . وأما الذي يليه فَمَلَقَمَة ، صَلِيبٌ لِلْمَجَمَّة^(٤) ، مَتَنِيعٌ لِلشُّتْمَةِ^(٥) ، قليلُ الْجَمَجَمَةِ^(٦) . وأما الذي يليه فَمَاعِص ، سَيْدٌ نَاعِم^(٧) ، جَلْدٌ صَارِم ، أَيْ حَازِم ، جيشُهُ غَانِم ، وَجَارُهُ سَالِم . وأما الذي يليه فَتَوَاب ، سَرِيعُ الْجَوَاب ، عَتِيدُ الصَّوَاب^(٨) ، كَرِيمُ النَّصَاب^(٩) ، كَلَيْثُ الْغَاب . وأما الذي يليه فَعُدْرِك ، بَذُولٌ لِمَا يَمْلِك ، عَزُوبٌ^(١٠) عَمَّا يَتْرَك ، بُفَى وَيَهْلِك . وأما الذي يليه فَجَنْدَل ، لِقِرْنِهِ مُجَدَّل^(١١) ، مُقِلٌ^(١٢) لِمَا يُحْمَل ، يُعْطَى وَيَبْذُل ، وعن عدوه لَا يَنْكُل^(١٣) .

فشاردت أختها فيهم ، فقالت أختها عثمة : « تَرَى الْفَتَيَانَ كَالنَّخْلِ ، وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ ؟ »^(١٤) اسمى منى كلمة ، إن شَرَّ الفَرِيَةِ يُمَلَّن ، وخيرها يُدْفَن ، انكحى فى قومك ولا تفرزك الأجسام ، فلم تقبل منها ، وبشت إلى أبيها : أنكحنى مدركا ، فأنكحها أبوها على مائة ناقة ورعائها ، وحملها مدرك ، فلم تلبث عنده إلا قليلا ، حتى صَبَّحهم فوارسٌ من بنى مالك بن كِنانة ، فاقتلوا ساعة ، ثم إن زوجها وإخوته وبنى عامر انكشفوا ، فَسَبَّوْهَا فِيمَنْ سَبَّوْا ، فبينما هى تسير بكت ، فقالوا : مَا يُبْكِيكِ ، أَلْطَى فراق زوجك ؟ قالت : فَبَّحَهُ اللهُ ، قالوا : لقد كان جميلا ! قالت : فَبَّحَ اللهُ جَمَالَا

(١) السنايك جمع سنيك كقنفذ : وهو طرف الخافز ، أى أنه يجهد الخيل فى حومة الوغى .

(٢) القمز : مظلم البحر ، والكريم : الواسع الخلق .

(٣) النهْد : الأمد ، والكريم : (٤) من عجم المود إذا حسه ليعرف صلابته من خوره .

(٥) المنشمة : مصدر شتم ، والمضى : أنه فى حرز من أن يشتم ويسب عرضه ، لحسن فعله وكرم خلفه

(٦) الجممجة : إخفاء الشيء فى الصلار .

(٧) تم كسح ونصر وضرب فهو ناعم : أى ذو تنعم وترفه . (٨) العتيد : الحاضر الملبأ .

(٩) الصاب : الأمل . (١٠) بريد . (١١) جدله : صرعه على الجدالة (كسحابة)

وهى الأرض . (١٢) حامل . (١٣) نكل عنه كضرب ونصر وعلم : تكلم وجبن .

(١٤) الدغل : ما ييطان فى الشيء ، وهو مثل يضرب للرجل له منظر ولا مخبر له .

لَا تَفْعَ مَعَهُ ، إِنَّمَا أَبْكِي عَلَى عَصِيَانِي أُخْتِي ، وَقَوْلُهَا : « تَرَى الْفَتَيَانَ كَالنَّخْلِ ، وَمَا يَدْرِيكَ مَا الْفَخْل » وَأَخْبَرْتَهُمْ كَيْفَ خَطَبَوْهَا ، فَقَالَ لَهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ يُكْنَى أَبَا نَوَاسٍ شَابٌ أَسْوَدُ أَفْوَهٍ ^(١) مُضْطَرِبُ الْخَلْقِ : أَتَرْضَيْنِ بِي ، عَلَى أَنْ أَمْنَعَكَ مِنْ ذُنَابِ الْعَرَبِ ؟ فَقَالَتْ لِأَصْحَابِهِ : أَكْذَلِكَ هُوَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، إِنَّهُ مَعَ مَا تَرْضَيْنَ لَيَمْتَنِعَ الْحَلِيلَةُ ^(٢) ، وَتَتَّقِيهِ الْقَبِيلَةُ ، قَالَتْ : هَذَا أَجَلُ جَمَالٍ ، وَأَكُلُ كَالِ ، قَدْ رَضِيتُ بِهِ ، فَزَوَّجُوهَا مِنْهُ .

(جَمْعُ الْأَمْثَالِ لِلْمِيدَانِيِّ ١ : ٩١)

٦٧ - طَرِيفَةُ الْخَيْرِ تَسْكُنُ بِسَبِيلِ الْعَرَمِ وَخَرَابِ سَدِّ مَآرِبِ

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَدْرُونَ فِي شَرْحِ قَصِيدَةِ الْوَزِيرِ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، الَّتِي قَالَهَا فِي رِثَاءِ دَوْلَةِ بَنِي الْأَفْطَسِ بِالْأَنْدَلُسِ :

كَانَ أَوَّلُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ فِي أَوَّلِ تَمْزِيقِهِمْ ، عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ مُزَيَّقِيَاءَ ^(٣) ، وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِهِ ، أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ كَاهِنَةٌ ، يُقَالُ لَهَا « طَرِيفَةُ الْخَيْرِ » ، وَكَانَتْ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا أَنَّ سَحَابَةً غَشِيَتْ أَرْضَهُمْ فَأَرَعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ ، ثُمَّ صَعَقَتْ ، فَأَحْرَقَتْ كُلَّ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ ، فَفَزِعَتْ طَرِيفَةُ لِذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا ، وَأَنْتِ الْمَلِكُ عَمْرًا ، وَهِيَ تَقُولُ : « مَا رَأَيْتُ الْيَوْمَ ، أَزَالُ عَنِ النَّوْمِ ، رَأَيْتُ غَيْبًا رَعَدًا وَبَرَقًا ^(٤) طَوِيلًا ، ثُمَّ صَعَقَ ، فَمَا وَقَعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا احْتَرَقَ » ، فَلَمَّا رَأَى مَا دَاخَلَهَا مِنَ الْفَزَعِ سَكَنَهَا ، ثُمَّ إِنْ عَمْرًا دَخَلَ حَقْدِيْقَةً لَهُ ، وَمَعَهُ جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِيهِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ طَرِيفَةَ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ وَخَرَجَ مَعَهَا وَصِيفٌ ^(٥) ، لَهَا اسْمُهُ سِنَانٌ ، فَلَمَّا بَرَزَتْ مِنْ بَيْتِهَا عَرَضَ لَهَا ثَلَاثُ مُنَاجِدَاتٍ مُنْتَصِبَاتٍ عَلَى

(١) الْأَفْوَهُ : وَصَفٌ مِنَ الْفَوْهِ بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ سَمَةُ الْفَمِ . (٢) الزَّوْجَةُ .

(٣) لَقِبٌ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبِسُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّتَيْنِ ، وَيَمْزِقُهُمَا بِالْمَعَى ، يَكْرِهُ الْعُودَ فِيهِمَا ، وَيَأْتِفُ

أَنْ يَلْبِسَهُمَا غَيْرَهُ . (٤) رَعَدَتْ السَّمَاءُ وَبَرَقَتْ (كَتَصَر) ، وَأَرَعَدَتْ السَّمَاءُ وَأَبْرَقَتْ ، وَأَنْكَرَ الْأَصْمَى

الرِّبَاعِي فِيهِمَا . (٥) الْوَصِيفُ : الْخَادِمُ وَالْحَافِظَةُ .

أرجلهم ، واضمات أيديهن على أعينهن - وهى دواب تشبه اليرابيع ^(١) - فعمدت إلى الأرض واضمة يديها على عينيها ، وقالت لوصيفها : إذا ذهبت هذه المناجيد فأخبرنى ، فلما ذهبت أعلها ، فانطلقت مسرعة ، فلما عارضها خليج الحديقة التى فيها عمرو ، وثبت من الماء سُلْحَفَاة . فوقعت فى الطريق على ظهرها ، وجملت تروم الانقلاب فلا تستطيع ، وتستعين بذنبها ، فتَحْنُو التراب على بطنها من جَنَبَاتِهِ ، وتقذِف بالبول قذفاً ، فلما رأيتها طريفة جلست إلى الأرض ، فلما عادت السلحفاة إلى الماء ، مضت إلى أن دخلت على عمرو وذلك حين انتصف النهار فى ساعة شديدة الحرّ ، فإذا الشجر يتكفأ من غير ريح ، فلما رآها عمرو استحي منها ، وأمر الجاريتين بالتنحى ، ثم قال لها يا طريفة : فكهنّت وقالت : « والنور والظلماء ، والأرض والسماء ، إن الشجر لمالك ، ولعمودن الماء كما كان فى الزمان السالك » . قال عمرو : ومن خبرك بهذا ؟ قالت : « أخبرتنى المناجيد ، بسنين شدائد ، يقطع فيها الولد الوالد » قال : ما تقولين ؟ قالت . « أقول قول النَّدَّمان لهفأ ، لقد رأيت سُلْحَفَاة ^(٢) ، تجرُّف التراب جرفاً ، وتقذِف بالبول قذفاً ، فدخلت الحديقة ، فإذا الشجر من غير ريح يتكفأ » قال عمرو : وما تَرَيْن ؟ قالت : « داهية دَهيَاء ، من أمور جسيمة ، ومصائب عظيمة » قال : وما هو ؟ وبِلَك ! قالت : « أجل » ، إن فيه الوَيْل ، وما لك فيه من قَيْل ^(٣) ، وإن الويل فيما يحى به السيل » فألقى عمرو نفسه عن فراشه ، وقال : ما هذا يا طريفة ؟ قالت : « هو حُطْب جليل ، وحزن طويل ، وخلف قليل » قال : وما علامة ما تذكرين ؟ قالت « اذهب إلى السد ، فإذا رأيت جُرْدَا يُكْثِرُ بيديه فى السدّ الحفَر ، ويقبَل برجليه من أجل الصخر ، فاعلم أن عمَرَ القَمَر ^(٤)

(١) اليربوع : دويبة نحو الفأرة لكن ذنبه وأذناه أطول منها ؛ ورجلاه أطول من يديه عكس الزرافة .

(٢) يقال : سلحفاة وسلحفاً وسلحفاً ، ويقال أيضاً سلحفا ساكنة اللام مفتوحة الهاء .

(٣) قال قتيلا : نام فى القائلة ، وهى نصف النهار ، والمراد هنا الإقامة والمكث .

(٤) القمر : الماء الكثير .

وَأَنْ قَدْ وَقَعَ الْأَمْرُ . قَالَ : وَمَا هَذَا الَّذِي تَذَكِّرِينَ ؟ قَالَتْ : « وَعِذُّهُ مِنَ اللَّهِ نَزَلَ ، وَبَاطِلٌ بَطْلٌ ، وَنَسْكَالٌ بَنَى نَسْكَالٌ ، فَيَغِيرُكَ يَا عَمْرُو فليَكُنِ الشَّكْلُ ^(١) ، فَاَنْطَلَقَ عَمْرُو فَإِذَا الْجُرَذُ يَقْلِبُ بِرَجْلَيْهِ صَخْرَةً مَا يَقْلِبُهَا خَمْسُونَ رَجُلًا ، (كَذَا) فَرَجَعَ إِلَى طَرِيقَةٍ فَأَخْبَرَهَا الْخَبْرَ وَهُوَ يَقُولُ :

أَبْصَرْتُ أَمْرًا عَادَنِي مِنْهُ أَلَمْ وَهَاجَ لِي مِنْ هَوْلِهِ بَرْحُ السَّقَمِ ^(٢)
 مِنْ جُرُودٍ كَفَحَلٍ خِنْزِيرِ الْأَجَمِ أَوْ كَبَشٍ صِرْمٍ مِنْ أَفَارِيقِ الْقَمِ ^(٣)
 يَنْسَحِبُ صَخْرًا مِنْ جِلَامِيدِ الْعَرِمِ لَهُ مَخَالِبٌ وَأَنْيَابٌ قَصَمِ ^(٤)
 مَا فَاتَهُ سَخْلًا مِنَ الصَّخْرِ قَصَمِ ^(٥)

فَقَالَتْ طَرِيقَةٌ : وَإِنْ مِنْ عِلَامَاتٍ مَا ذَكَرْتَ لَكَ أَنْ تَجْلِسَ فَتَأْمُرَ بِرِجَالِكَ فَتَتَوَضَّعَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَإِنَّ الرِّيحَ تَمْلُؤُهَا مِنْ تَرَابِ الْبَطْحَاءِ ^(٦) ، مِنْ سَهْلَةٍ ^(٧) الْوَادِي وَرَمْلِهِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْجَبَانَ مُظْلَمَةٌ لَا يَدْخُلُهَا شَمْسٌ وَلَا رِيحٌ ، فَأَمْرُ عَمْرُو بِرِجَالِكَ فَوْضَمًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَمْ يَمَكْتُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى امْتَلَأَتْ مِنْ تَرَابِ الْبَطْحَاءِ ، فَأَخْبَرَ عَمْرُو طَرِيقَةً بِذَلِكَ وَقَالَ لَهَا : مَتَى يَكُونُ هَؤُلَاءِ السَّدُّ ؟ قَالَتْ لَهُ : فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سَبْعِ سَنِينَ . قَالَ : فَنِي أَيُّهَا يَكُونُ ؟ قَالَتْ : « لَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَوْ عَلِمَهُ أَحَدٌ لَمَلَعَتْهُ ، وَلَا تَأْتِي عَلَى لَيْلَةٍ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَبْعِ السَّنِينَ إِلَّا ظَنَنْتُ الْهَلَاكَ فِي غَدَا ، أَوْ فِي مَسَاءِهَا ، ثُمَّ رَأَى عَمْرُو فِي نَوْمِهِ سَيْلَ الْعَرِمِ ، وَقِيلَ لَهُ : آيَةٌ ذَلِكَ أَنَّ تَرَى الْحَصْبَاءَ فِي سَعَفِ النَّخْلِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، فَوَجَدَ الْحَصْبَاءَ فِيهَا قَدْ

(١) الشَّكْلُ كَسِبَ وَقِيلَ : الْمَوْتُ وَالْهَلَاكُ .

(٢) الْبَرْحُ : الشَّلَّةُ . (٣) الْأَجَمُ جَمْعُ أَجَمَةٍ : وَهِيَ الشَّجَرَةُ الْكَثِيرَةُ الْمَلْتَفَةُ ، وَالصَّرْمُ : الْجَمَاعَةُ وَالْفَرَقَةُ تَجْمَعُ عَلَى فَرْقٍ ، وَجَمْعُ الْجَمْعِ أَفْرَاقٌ ، وَجَمْعُ جَمْعِ الْجَمْعِ أَفَارِيقٌ ، وَالْجِلَامِيدُ جَمْعُ جِلْمُودٍ كَصَفُورٍ : الصَّخْرَةُ . (٤) الْعَرِمُ : السَّدُّ يَتَرَضَّى بِهِ الْوَادِي (وَمِنْ مَعَانِيهِ أَيْضًا الْمَطَرُ الشَّدِيدُ ، وَالْجُرَذُ ، وَوَادٍ جَاءَ السَّيْلُ مِنْ قَبْلِهِ) . (٥) سَحْلُهُ كَتَبَ : قَشَرَهُ وَنَحَّصَهُ ، وَتَقَصَّمَهُ : كَسَرَهُ .

(٦) الْبَطْحَاءُ وَالْأَبْلَحُ : سَمِيلٌ وَاسِعٌ فِيهِ دَقَاقُ الْحَصَى . (٧) السَّهْلَةُ بِالْكَسْرِ : تَرَابٌ كَالرَّمْلِ يَحْمَى بِهِ الْمَاءُ ، وَأَرْضٌ سَهْلَةٌ كَقَرَحَةٍ : كَثِيرَتَاهَا .

ظهرت ، فلم أن ذلك واقع ، وأن بلادهم ستغرب ، فكتم ذلك وأخفاه ، وأجمع على بيع كل شيء له بأرض مأرب^(١) وأن يخرج منها هو وولده^(٢) ، فخرج ثم أرسل الله تعالى على السد^(٣) السيل فهدمه . (شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ٩٨)



(١) مأرب : مدينة باليمن ، وكانت في الزمان الأول قاعدة التباينة ، وهي مدينة بلقيس ، بينها وبين صنعاء نحو أربع مراحل ، وتسمى سبأ باسم بانيها سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .
(٢) وقد غشي أن يستكر الناس عليه ذلك ، فأمر أحد أولاده إذا دعاه لما يدعوه إليه أن يتأني عليه ، وأن يفعل ذلك به في الملأ من الناس ، وإذا طلمه ، يرفع هو يده ويلطمه ، ثم صنع طعاما ويث إلى أهل مأرب أن همرا صنع يوم مجد وذكر ، فاحضروا طعامه . فلما جلس الناس للطعام جلس عنده ابنه الذي أمره بما أمر ، فجعل يأمره بأمور يتأني عليه وينهاه فلا ينتهي ، فرفع عمرو يده فطمه على وجهه فطمه ابنه ؛ وكان اسمه ملكا ، فصاح عمرو واذلاء يوم فخر عمرو بهيجه صبي ويضرب وجهه ، وحلف ليقطنه ، فلم يزالوا يعمرو يرغبون إليه حتى تركه ، فقال : والله لا أقيم بموضع صنع في فيه هذا : ولا يمين أموال حتى لا يرث منها بعدى شيئا ، فقال الناس بعضهم لبعض : اغتتموا فغضب عمرو واشتروا منه أمواله قبل أن يرضى فابتاع الناس منه كل أمواله التي بأرض مأرب ، وفشا بعض حديثه فيما بلغه من شأن سيل العرم ، فقام فاس من الأزد فباعوا أموالهم ، فلما أكثروا البيع استكر الناس ذلك فأمسكوا أيديهم عن الشراء ، ولما اجتمعت إلى عمرو أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم ، ولما خرج عمرو من اليمن خرج لخروجه منها بشر كثير ، فزولوا أرض حك فحاربهم حرك . فارتحلوا عنها ، ثم اصطالحوا وبقوا بها حتى مات عمرو بن عامر ، وتفرقوا على البلاد ، فذهب من صار إلى الشام ، وهم أولاد جفنة بن عمرو بن عامر ، ومنهم من صار إلى يثرب ، وهم ابنا قيلة الأوس والخزرج ، وأبوها حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وصارت أزد الشراة إلى أرض الشراة ؛ وأزد عمان إلى عمان ، وصار ملك ابن فهم إلى العراق ، ثم خرجت بعد عمرو بيسير من أرض اليمن طيس^(٤) فنزلت جبل طيس^(٥) أجأ وسلمى ، ونزلت ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر تهامة ، وصحوا خزاعة لانخراطهم من إخوانهم وتمزقوا في البلاد كل يزق .

(٣) كان السد فيما يذكر قد بناء لقمان الأكبر بن عاد ، وكان رصفه لحجارة السد بالرصاص والحديد ويقال إن الذي بناه كان من ملوك حير ، وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من البحر وأودية اليمن ، فردموا سدما بين جبلين وحسبوا الماء ، وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض ، فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث ، فأغصبوا وكثرت أموالهم ، فلما كذبوا رسولهم أرسل الله عليهم سيل العرم

وقال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني :

وسارت القبائل من أهل مأرب حين خافوا سيل العرم ، وعليهم مزيقياء ، ومعهم
طريفة السكاهنة ، فقالت لهم :

« لَا تَوَثُّوا مَكَّةَ حَتَّى أَقُولَ ، وَمَا عَلَّنِي مَا أَقُولُ إِلَّا الْحَكِيمُ الْمُحْكَمُ ، رَبُّ
جَمِيعِ الْأُمَمِ ، مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ » قالوا لها : مَا شَأْنُكَ يَا طَرِيفَةُ ؟ قَالَتْ : خَذُوا الْبَعِيرَ
الشَّدَقَمَ ^(١) ، فَخَضَّبُوهُ بِالْدَمِ ، تَكُنْ لَكُمْ أَرْضُ جُرُومِهِمْ ^(٢) ، جِيرَانِ بَيْتِهِ الْمُحَرَّمِ .
(الأغاني ١٣ : ١٠٥)

* * *

وروى الليداني في مجمع الأمثال قال :

« أَلْقَتْ طَرِيفَةُ السَّكَاهِنَةُ إِلَى عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ الَّذِي يَقَالُ لَهُ مَزِيْقِيَا بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ ،
وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ فِي كَهَانَتِهَا ^(٣) أَنَّ سَدَّ مَأْرِبٍ سَيَخْرُبُ ، وَأَنَّهُ سَيَأْتِي سَيْلُ الْعَرَمِ ، فَيُخَرَّبُ
الْجَنْتَيْنِ ^(٤) ، فَبَاعَ عَمْرِو بْنُ عَامِرٍ أَمْوَالَهُ ، وَسَارَ هُوَ وَقَوْمُهُ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَكَّةَ ، فَأَقَامُوا بِمَكَّةَ
وَمَا حَوْلَهَا ، فَأَصَابَتْهُمْ الْحُمَّى ، وَكَانُوا يَبْلُدُ لَا يَدْرُونَ فِيهِ مَا الْحُمَّى ، فَذَهَبُوا طَرِيفَةَ فَشَكَّوْا
إِلَيْهَا أَلَيْهَا أَصَابَهُمْ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : قَدْ أَصَابَنِي الَّذِي تَشْكُونَ ، وَهُوَ مُفَرَّقٌ بَيْنَنَا . قَالُوا :
فَمَا تَأْمُرِينَ ؟ قَالَتْ :

(١) الواسع الشفق . (٢) وكانوا يسكنون مكة ، فأرسل إليهم عمرو أن اضحوا لنا في بلادكم
حتى نقيم قدر ما نسترهح ونرسل روادا إلى الشام وإلى الشرق ، فحيثما بلغنا أنه أملح لحقنا به ، فأبَتْ ذَلِكَ
جِزْمُ إِبَاءَ شَدِيدًا ، وَقَالُوا : لَا وَاقِعَ مَانَحِبَ أَنْ يَنْزِلُوا فَيَضِيقُوا عَلَيْنَا مَرَابِئَنَا وَمَوَارِدَنَا ، وَكَانَتْ الْحَرْبُ بَيْنَ
الْفَرِيقَيْنِ ، وَانْهَزَمَتْ جِزْمُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ .

(٣) كهن كهانة بالفتح فهو كاهن ، وحرفته الكهانة بالكسر .

(٤) قال تعالى : « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ،
كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ » .

« من كان منكم ذا همٍّ بعيد ، وجمل شديد ، ومزاد^(١) جديد ، فليتلحق بقصر عمان المشيد^(٢) ، فكانت أزدُ عُمان ، ثم قالت : من كان منكم ذا جلد وقصر^(٣) ، وصبرٍ على أزمات الدهر ، فليلبس بالأراك^(٤) من بطن مر^(٥) ، فكانت خُزاعة ، ثم قالت : من كان منكم يريد الراسيات في الوحل ، للطعيمات في اللحل^(٦) ، فليتلحق ببئر ذات النخل ، فكانت الأوسُ والخزرج ، ثم قالت : من كان منكم يريد الخمرَ العظيم ، والمُلْك والتأثير ، ويلبس الأديباغ والحرير ، فليتلحق ببصرى وغوير ، (وهما من أرض الشام) ، فكان الذين سكنوها من آل جفنة من عثان ، ثم قالت : من كان منكم يد الثياب الرقاق ، والخليل العتاق ، وكنوز الأرزاق ، والدم المهرق ، فليتلحق بأرض العراق ، فكان الذين سكنوها آل جذيمة الأبرش ، ومن كان بالحيرة وآل مُحَرَّق^(٧) .
(مجمع الأمثال : ١ : ١٨٦)

٦٨ - حديث زبراء الكاهنة مع بني رثام من قضاة

كان ثلاثة أبطن من قضاة مجتورين^(٨) بين الشحر وحفر موت : بنو ناعب ، وبنو داهن ، وبنو رثام وكانت بنو رثام أقلهم عددًا ، وأشجعهم لقاءً ، وكانت لبني رثام عجوز تسمى خويلة ، وكانت لها أمة من مولات العرب تسمى زبراء ، وكان يدخل على خويلة أربعون رجلاً ، كلهم لها محرّم ، بنو إخوة وبنو أخوات ، وكانت خويلة عقيماً ، وكان بنو ناعب ، وبنو داهن متظاهرين على بني رثام ، فاجتمع بنو رثام ذات يوم في عرس لهم ، وهم سبعون رجلاً ، كلهم شجاع بئيس^(٩) ، فطعموا وأقبلوا على شرايبهم ، وكانت

(١) المزداد والمزايد جمع مزادة : وهي الراوية . (٢) المشيد : المرفوع ، قال مسلم بن الوليد في رثاء يزيد بن يزيد : أما هدت لمصره نزار ؟ بل ، وتقوض للمجد المشيد .

(٣) قصره على الأمر : قهره . (٤) الأراك : القلعة من الأرض ، وموضع بمرقات ، وجبل بهذيل . (٥) مر بن أد بن طابخة . (٦) الحل : الشفة والجلد . (٧) هو عمرو بن هند ، لأنه حرق مائة من بني تميم . (٨) مجتاورين . (٩) البئيس : الشجاع ، من يؤس كسكرم بأساً .

زبراء كاهنة، فقالت لخويله : انطلق بنا الى قومك اُنذِرْهُمْ ، فأقبلت خويلة تتوكأ على زبراء ، فلما أبصرها القوم ، قاموا لإجلالها . فقالت : « يا تَمَرُ الأَكباد ، وَأَنْدَادُ^(١) الأولاد ، وشجاً^(٢) الحُساد ، هذه زبراء ، تحبركم عن أنباء ، قبل انْحِسار الظلمات ، بالمؤيد^(٣) الشنماء ، فاسمعوا ما تقول . قالوا : وما تقولين يا زبراء ؟ قالت :

« والقُوح^(٤) الخافق ، والليل الناسق^(٥) ، والصباح الشارق ، والنجم الطارق^(٦) ، والمُزَن الوادق^(٧) ، إن شجر الوادى لَيَأْدُو خَتلاً^(٨) ، ويحرق أنياباً عُصلاً^(٩) ، وإن صخر الطود لَيَنْذِرُ سُكلاً^(١٠) ، لا تجدون عنه مَعلاً^(١١) .

فوافقت قوماً أشارى^(١٢) سُكارى ، فقالوا : « رِيحُ خَجُوج^(١٣) ، بِمِيدَةُ ما بين الفُروج ، أنت زبراء بالآبِلَى النَّتُوج^(١٤) . »

فقالت زبراء : « مَهلاً يا بنى الأعزّة ، والله إني لَأَشْمُ ذَفَر^(١٥) الرجال تحت الحديد »

(١) أنداد : جمع ند بالكسر ، وهو المثل والتظير . (٢) الشجا : ما اعترض في الخلق من عظم ونحوه . (٣) المؤيد : الداهية والأمر العظيم . (٤) القوح بالضم والفتح (والضم أعل) : الهواه بين السماء والأرض . (٥) غسق الليل كجلس : اشتدت ظلمته . (٦) الطارق : في الأصل ، كل من أتى ليلاً ، ثم استعمل في النجوم لظلوها ليلاً . (٧) المزن : السحاب أو أبيضه أو ذو الماء ، والوادق من ودق المطر كوعد : قطر . (٨) أدوث له أدو أدوا إذا ختلته وخدعته (ودأيت له ، ودألت له أيضا) والختل : الخدع . (٩) حرق أنيابه : إذا حلك بعضها ببعض ، والعرب تقول عند الغضب يفضبه الرجل على صاحبه : « هو يحرق على الأرم » والأرم كسكر : الأضراس ، والعصل : الموجة جمع أعصل . (١٠) الطود : الجبل ، والفكل : لفقد . (١١) الممل : المنجى . (١٢) الأشر حركة : المرح . (١٣) الخجوج : السريعة المر .

(١٤) الأبلق : وصف من البلق حركة ، وهو ارتفاع البياض في قوائم الفرس إلى الفخذين ، والأبلق لا يكون نتوجاً ، والعرب تضرب هذا مثلاً لشيء لا ينال ، تقول « طلب الأبلق العقوق ، فلما فاته أراد يبيض الأنوق » والأنوق كسبور : الحامل ، والأنوق كسبور أيضاً : الذكر من الرخم ولا يبيض له ، هذا قول بعض القنوين . فالمنى أنه طلب مالا يمكن ، فلما لم يجد طلب أيضاً مالا يكون ولا يوجد ، وعامتهم يقولون : الأنوق الرخة وهي تبيض في مكان لا يوصل فيه إلى يبيضها إلا بعد عناء . فالمنى أنه طلب مالا يقدر عليه ، فلما لم ينله طلب ما يجوز أن يناله . (١٥) الذفر : حدة الريح ، يكون في اللتن والتليب (والففر لا يكون إلا في اللتن) .

فقال لها فتي منهم يقال له هُذَيْل بن مُنَيْذ : « يَا حَذَاقِي^(١) ، والله ما نَشْمِثُ
إِلَّا ذَقَرًا إِبْطِيكَ » فانصرفت عنهم وارتاب قوم من ذوى أسنانهم ، فانصرف منهم أربعون
رجلاً ، وبقي ثلاثون ، فَرَقَدُوا فِي مَشْرِبِهِمْ ، وَطَرَقْتَهُمْ بَنُو دَاهَنَ وَبَنُو نَاعِبَ ، فَقَتَلُوهُمْ
أَجْمَعِينَ ، وَأَقْبَلَتْ خُوَيْلَةَ مَعَ الصَّبَاحِ ، فَوَقَفَتْ عَلَى مِصَارِعِهِمْ ، ثُمَّ عَمَدَتْ إِلَى خِناصِرِهِمْ ،
فَقَطَعَتْهَا وَاتَّظَعَتْ مِنْهَا قِلَادَةً ، وَأَلْقَتْهَا فِي عُنُقِهَا ، وَخَرَجَتْ حَتَّى لَحِقَتْ بِمَرْضَاوَى بْنِ سَعْوَةَ
الْمَهْرِيِّ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهَا فَأَنَاخَتْ بِفَنَائِهِ ، فَاسْتَمَدَّتْهُ عَلَى بَنِي دَاهَنَ وَبَنِي نَاعِبَ ، فَخَرَجَ
فِي مَنَسِيرٍ^(٢) مِنْ قَوْمِهِ ، فَطَرَقَهُمْ فَأَوْجَعَ فِيهِمْ .

(الأمال : ١ : ١٢٦)

٦٩ - كاهنة ذى الخلصة تسكنهن بما في بطن رقية بنت جشم

زَعَمُوا أَنَّ رُقِيَّةَ بِنْتَ جُشَمَ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَلَدَتْ مُنَمَّرًا وَهَلَالًا وَسَوَادَةً ، ثُمَّ اعْتَاطَتْ^(٣)
فَأَتَتْ كَاهِنَةَ ذِي الْخَلْصَةِ^(٤) ، فَأَرَسَتْهَا بِطْنِهَا ، وَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ وَلَدْتُ ثُمَّ اعْتَاطْتُ ،
فَنَظَرَتْ إِلَيْهَا وَمَسَّتْ بِطْنِهَا ، وَقَالَتْ :
« رَبُّ قَبَائِلَ فِرْقِي ، وَبَجَائِلَ حِلَّتِي ، وَطَلُنْ^(٥) حَزُونِي^(٦) ، فِي بَطْنِكَ زُنُ^(٧) » .

(١) خذاق : كناية عما يخرج من الانسان ، يقال : خلق ومزق وزرق .

(٢) المنسر من الخيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، أو من الأربعين إلى الخمسين ، أو إلى الستين
أو المائة إلى المائتين ، وقسمة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير .

(٣) اعتاطت المرأة : لم تحمل ستين من غير عقر . (٤) ذو الخلصة محرقة وبهستين : بيت كان
يبنى للكتابة البيانية للحكم ، كان فيه صنم اسمه الخلصة . (٥) الطعن والظمان جمع ظمية : وهي المودج
سواء كان فيه امرأة أم لا ، والمرأة مادامت في المودج ، ويقال : الظمية في الأصل وصف للمرأة في هودجها
ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها ، لأنها تصير مظلومة (أي يظلم بها زوجها) ، فهي ضيعة بمعنى
مفعولة . (٦) الحزق والحزقة (بكسر اللام) والحازقة والحزيق والحزيقة والحزاقة (بالفتح) الجماعة ،
والجمع حزائق وحزيق وحزق (بهستين) . (٧) أي وضع وأصل لزق : رمى الطائر بقرقه ، والمعنى :
رب جنين تششب من قبائل مضرقة ، ويتشاكل منه ذكران يتصلقون في المجالس والأندية وجهاحات من النسوة
قد أودع بطنك .

فلما نَحَضَّتْ^(١) بربيعة بن عامر^(٢) ، قالت : إني أعرف ضَرْطِي بهلال ، « أى هو غلام ، كأن هلالاً كان غلاماً » .
(مجمع الأمثال ١ : ٢٢١)

٧٠ - رأى سلى الهمدانية فى حريم الماردى

أغار رجل من « مُرَادٍ » يقال له « حَرِيم » على إبل عمرو بن بَرَاقة الهمداني وخيل له ، فذهب بها ، فأتى عمرو سلى الهمدانية ، وكانت بنت سيِّدِهِمْ ، وعن رأيها كانوا يصُدُّون ، فأخبرها أن حريمًا الماردى أغار على إبله وخيله ، فقالت : « والخفوة والوميض^(٣) ، والشَّقَقِ كالإحريض^(٤) ، وَالْقَلَّةُ والحضيض^(٥) ، إن حريمًا لَمَنِيحُ الحيز^(٦) ، سَيِّدُ مَزِيرٍ^(٧) ذو مَعْقِلٍ حَرِيرِز ، غير أنى أرى الحمة^(٨) سَتَقَطَّرُ مِنْهُ بَمَثَرَةٍ ، بَطْلِيَّةُ الجَبَرَةِ ، فَأَغِرْ وَلَا تُنْكَحْ^(٩) » ، فأغار عمرو ، فاستاق كلَّ شىء له ، فأتى حريم بعد ذلك يطلب إلى عمرو أن يرد عليه بعض ما أخذ منه ، فامتنع وَرَجَعَ حريم .

(الأمثال ٢ : ١٢٢)

(١) نَحَضَّتْ كسبح ومنع وحشي : أخذها الطلق .

(٢) هو ربيعة بن عامر بن حمصة بن مداوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر ومن نسله بنو كلاب بن ربيعة بن عامر وبنو جعفر بن كلاب بن ربيعة .

(٣) الخفوة : الهمدان الضعيف ، والوميض : أشد من الخفوة . (٤) الإحريض : الصفر .

(٥) القلة : أعلى الرأس والجبل وكل شىء ، والحضيض : القفر من الأرض عند منقطع الجبل .

(٦) الناحية . (٧) مزير : فاضل ، من قولهم هذا أمز من هذا أى أفضل منه .

(٨) الحمة : القدر (محرّكة) ، وقيل هى واحد الحمام (بالكسر) .

(٩) نكحه عن الأمر (كتح) رده ودفعه .

٧١ - تنافر العجفاء بنت علقمة وصواحباتها إلى الكاهنة السعدية

روى أن العجفاء بنت علقمة السديّة ، وثلاث نسوة من قومها ، خرجن فاتمذن بروضةً يتحدثن فيها ، فوافين بها ليلاً في قرو زاهر ، وليلةً طلقة ساكنة ، وروضة ممشبة خصبة ، فلما جلسن قلن : ما رأينا كالميلة ليلةً ، ولا كهذه الروضة روضةً أطيب ريحاً ولا أنضر ، ثم أنفنّ في الحديث ، فقلن : أيّ النساء أفضل ؟ قالت إحداهن : الخرود^(١) الودود الودود . قالت الأخرى : خيرهن ذات الفناء^(٢) ، وطيب الثناء ، وشدة الحياء . قالت الثالثة : خيرهن السموع الجموع ، النفع غير المنوع . قالت الرابعة : خيرهن الجامعة لأهلها ، الوادعة الرافة ، لا الواضعة . قلن : فأى الرجال أفضل ؟ قالت إحداهن : خيرهم الحظ^(٣) الرضى ، غير الحظ^(٤) البطى . قالت الثانية : خيرهم السيد الكريم ، ذو الحسب العقيم ، والمجد القديم . قالت الثالثة : خيرهم السخي ، الوفي الرضى ، الذى لا يغير^(٥) الحرّة ، ولا يتخذ الضرّة . قالت الرابعة : وأبيكن ، إن فى أبى لنفّسكن ، كرم الأخلاق ، والصدق عند التلاق ، والفانج^(٦) عند السباق ، ويحمده أهل الرقاق . قالت العجفاء عند ذلك : كل فتاة بأبيها معجبة .

وفى بعض الروايات أن إحداهن قالت : إن أبى يُكرم الجار ، ويُعظم الخطار^(٧) ، وينحر العشار^(٨) ، بعد الحوار^(٩) ، ويحمل الأمور الكبار ، ويأنف من الصغار ، فقالت

(١) الخرود والخريد والخريدة : الحبيبة الطويلة المكوت الخافضة الصوت المتبسرة .

(٢) الكفائية والنفعة . (٣) الحظى : ذو الحظوة والمكانة عند روجه ، والحظية كذلك .

(٤) رجل حظل ككثف وشداد وصبور : مقتر يحاسب أهله بما يتفق عليهم ، وفى مجمع الأمثال

« غير الحظال ، ولا التبال » والتبال بالتشديد من التبل (بفتح فسكون) وهو الحقد .

(٥) أغار امرأته : تزوج عليها . (٦) الفوز والفقر .

(٧) الخطار جميع خطر كسب وهو السبق يتراهن عليه . (٨) العشار جمع عشراء كنفساء وهى

من النوق التى مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية . (٩) الحوار بالهم وقد يكسر : ولد الثاقبة ساعة نفسه

أو إلى أن يفصل من أمه .

الثانية : إن أبي عظيم الخطر ، منيع الوزر^(١) ، عزيز النفر ، يُحمدُ منه الورد والصدَر ،
فقلت الثالثة : إن أبي صدوق السَّكَن ، حديد الجَنان ، رَذوم^(٢) الجفان ، كثير
الأعوان ، يُروى السَّتان ، عند الطَّمان ، قالت الرابعة : إن أبي كريم التَّزال ، مُنيف
المقال ، كثير النوال ، قليل السؤال ، كريم الفعال .

ثم تنافرن إلى كاهنة معهن في الحى ، فقلن لها : اسمى ما قلنا ، واحكى بيننا واغدىلى ،
ثم أعدن عليها قولهن ، فقالت لهن : « كل واحدة منكن ماردة^(٣) ، بأبيها واجدة^(٤) ،
على الإحسان جاهدة ، لصَوَاحِبِهَا حاسدة ، ولكن اسمعن قولى : خَيْرُ النساءِ المُبْقِيَةِ
على بَعلِها ، الصَّابِرَةُ على الضَّرَّاءِ غَافَّةٌ أن ترجع إلى أهلها مُطلَّقة ، فهى تُؤثِّرُ حظَّ زوجها
على حَظِّ نَفْسِها ، فتلك الكريمة الكاملة ، وخير الرجال الجُودُ الأَبطل ، القليل الفُشل ،
إذا سألَه الرجل ، ألقاه قليل العِلَل ، كثير النَّقل^(٥) ، ثم قالت : كل واحدة منكن
بأبيها مُعجبة .

(مجمع الأمثال ٢ : ٥٤ وجمهرة الأمثال ٢ : ١٣٣)

٧٢ - عفيراء السكاهنة تعبر رؤيا مرثد بن عبد كلال

روى أن مرثد بن عبد كلال قتل من غزاة غزاها بضنائم عظيمة ، فوفد عليه زعماء
المرب وشعراؤها وخطباؤها يهنئونه ، فرفع الحجاب عن الواقدين ، وأوسمهم عطاء ،
واشتد سروره بهم ، فبينما هو كذلك إذ نام يوماً فرأى رؤيا في المنام أخافته وأذعرته
وهالته في حال منامه ، فلما اتبته أنسبها حتى لم يذكر منها شيئاً ، وثبت ارتياعه في نفسه
بها ، فانقلب سروره حزناً ، واحتجب عن الوفود حتى أسادوا به الظن ، ثم إنه حشر
الكُهَّان فجعل يخلو بكاهن بكاهن ، ثم يقول له : أخبرنى عما أريد أن أسألك عنه ،

(١) الوزر : اللجأ . (٢) الرذوم : القصة المثلثة تصيب جوانبها .
(٣) أى قد بلغت الناية . (٤) وجد به (بالكسر) أحبه . (٥) النقل : الهبة .

فيجيبه الكاهن بأن لا علم عندي ، حتى لم يدع كاهناً عليه إلا كان إليه منه ذلك ، فضاغف قلقه ، وطال أرقه ، وكانت أمه قد تكلمت ، قالت له : آيت اللحن أيها الملك ، إن الكواهن أهدى إلى ما نال عنه ، لأن أتباع الكواهن من الجان ، ألطف وأظرف من أتباع الكهّان ، فأمر بمشرك الكواهن إليه ، وسألن كما سأل الكهّان ، فلم يجد عند واحدة منهن علماً مما أراد علمه ، ولما ينس من طلبته سلاً عنها ، ثم إنه بعد ذلك ذهب يتصيد ، فأوغل في طلب الصيد ، واغرد عن أصحابه ، فرقت له آيات من ذرّاً^(١) جبل ، وكان قد لقّحه الحجير ، فعدّل إلى الآيات ، وقصد بيتاً منها كان منفرداً عنها ، فبرزت إليه منه عجوز ، قالت له : أنزل بالرحب والسعة ، والأمن والدعة ، والجلفة المددعة^(٢) ، والملبة المترعة^(٣) ، فزل عن جواده ، ودخل البيت ، فلما احتجب عن الشمس ، وخفّت عليه الأرواح^(٤) ، نام فلم يستيقظ حتى تصرّم الحجير ، فجلس يمسح عينيه ، فإذا هو بين يديه فتاة لم ير مثلها قواماً ولا جلالاً ، قالت : « آيت الأمن أيها الملك الهمام ! هل لك في الطعام ؟ » فاشتد إشفاقه وخاف على نفسه كما رأى أنها عرفته ، وتصام عن كلمها ، قالت له : « لا حذر ، فذاك البشر ، فجدك الأكبر ، وحظنا بك الأوفر » . ثم قربت إليه ثريداً وقديداً وحيساً^(٥) ، وقامت تذّب عنه ، حتى انتهى أكله ، ثم سقته لبناً حريفاً وحريفاً^(٦) ، فشرب ما شاء ، وجعل يتأملها مخيلة ومذيرة ، فلأت عينيه حسناً ، وقلبه هوّى ، فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ قالت : اسمي عفيّراء ، فقال لها : يا عفيّراء ، من الذي دعوتني بالملك الهمام ؟ قالت : « مرثد العظيم الشأن ، حاشير الكواهن والكهّان ، لمصلحة بعد عنها الجان » ، فقال يا عفيّراء :

(١) أي في كفه وستره . (٢) الجفة : القصة ، والممدعة : التي ملئت بقوة ثم حركت حتى تراص مانها ، ثم ملئت بعد ذلك . (٣) الملبة : قدح ضخم من جلود الإبل أو من خشب يحلب فيها ، والمترعة : الملوطة . (٤) الأرواح ، والرياح جمع ريح . (٥) القديد : اللحم المقدد ، أو ما قلع منه طولاً ، والحيس : تمر يخلط بسمن وأقل ، فيجفن شديداً ثم يتدر منه نواه (والأقل شيء ينضج من الخيض الغني) . (٦) الصريف : اللبن سادة حلب ، والضرير : اللبن يحلب من عدة لقاح في إناء .

أتملين تلك الحضلة ؟ قالت : « أجل أيها الملك ، إنها رؤيا متما ، ليست بأضغاث ^(١) أحلام » . قال الملك : أصبت يا عفراء ، فأتلك الرؤيا ؟ قالت « رأيت أعاصير ^(٢) زوايع بعضها لبعض تابع ، فيها هَبّ لأمع ، ولما دُخان ساطع ، يَقْفُوها نهر مُتَدَاوِع ، وسمعت فيما أنت سامع ، دُعاء ذى جَرَسٍ ^(٣) صَادِع : هَلُّوا إلى المَشارِع ^(٤) ، قَرَوِى جَارِع ^(٥) ، وَغَرِقَ كَارِع ^(٦) » فقال الملك : أَجَلْ ، هذه رؤياى ، فأتأويلها يا عفراء ؟ قالت : « الأعاصير الزوايع ، ملوكٌ تَبَايَع ^(٧) ، والنهر علم واسع ، والداعي نبيٌ شافع ، والجارع وَلِيٌّ تابع ، والكارِعُ عدوٌّ متازع » . فقال الملك : يا عفراء ، أَسْلِمَ هذا النّبي أم حرب ؟ فقالت : « أَقْسِمُ برافع السماء ، وَمُنْزِلِ الماء من العَمَاء ^(٨) ، إنه لَطِلُّ الدماء ^(٩) ، وَمُنْطَقِ المقاتل نُطْقَ الإِثْمَاء ^(١٠) » . فقال الملك : إلام يدعو يا عفراء ؟ قالت : « إلى صلاة وصيام ، وَصِلَةِ أرحام ، وكسر أصنام : وتعطيل أزلام ^(١١) ، واجتناب آثام » فقال الملك :

(١) أضغاث أحلام : رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها . (٢) الأعاصير جمع إعصار وهو الريح التي تهب من الأرض كالعمود نحو السماء ، أو التي فيها العصار بالكسر وهو الغبار الشديد .

(٣) الجرس : الصوت . (٤) المَشارِع جمع مشرعة وهى مورد الشاربة . (٥) جارع : فاعل من جرع الماء كسمع ومنع إذا بلعه . (٦) كارع فاعل من كرع فى الماء كسمع ومنع ثنأوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا باناء . (٧) التبايع جمع تبع ككسر : ملوك اثنين .

(٨) العماء : السحاب الكثيف . (٩) انظر قوله عليه الصلاة والسلام فى خطبته فى حجة الوداع « وإن دماء الجاهلية موضوعة » . (١٠) المقاتل : كرائم النساء جمع عقيلة ، والتلق جمع نطاق ككتابات والنطاق والمنطقة : ما تشده المرأة وسطها للمهنة ، ونطقها تنطقا : ألبسها التعلق فتتعلق وانتطقت ومنطق النساء أى يسيبن فيشدن التلق على أوساطهن للخدمة كالإماء . (١١) الأزلام جمع زلم كسبب قذاح كان العرب يستضمون بها فى الجاهلية (أى يطلبون معرفة ما قسم لهم) وذلك أنهم كانوا إذا قصصوا فعلا من نجارة أو سفر أجالوا ثلاثة قذاح (القذاح جمع قدح بالكسر وهو السهم قبل أن يراش) وكانت عند أصنامهم ، أحدها مكتوب عليه : أمرق ربي ، والثاني : نهان ربي ، والثالث : غفل ، فإن خرج الأول مضوا فى الأمر ، أو الثاني أحجموا عنه ، أو الثالث أجالوها ثانية حتى يخرج أحد الأولين .

يا عفيراه ، إذا ذَبَحَ قَوْمَهُ فَنِ أَعْضَادُهُ^(١) ؟ قالت : أَعْضَادُهُ غَطَارِيفُ^(٢) يَمَكُونُ ،
 طَأْثَرُهُمْ بِهِ مَتِيمُونَ ، يُفْزِزُهُمْ فَيَفْزُونَ ، وَيُدَمِّمُ^(٣) بِهِمُ الْخَزُونَ ، وَإِلَى نَصْرِهِ يَعْزُونَ .
 فَأَطْرَقَ لِلْمَلِكِ يُؤَامِرُ^(٤) نَفْسَهُ فِي خِطْبَتِهَا ، فَقَالَتْ : « أَيُّتَ الْإِمْنِ أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنْ تَابَعِيَ
 غَيُورَ ، وَلَأَمْرَى صَبُورَ ، وَنَاكِحِي مَثْبُورَ ، وَالْكَلْفُ بِي ثُبُورَ^(٥) » . فَهَضَّ الْمَلِكُ
 وَجَالَ فِي صَهْوَةٍ^(٦) جَوَادِهِ ، وَانْطَلَقَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا بِمِائَةِ نَاقَةٍ كُومَاءَ^(٧) .

(بلوغ الأرب ٣ : ٢٩٦)

(١) الأعضاد : الانتصار جمع ضد ، والذبح معروف ، والمراد هنا إذا قطعوه وتركوا نصرته .
 (٢) الغطاريف جمع غطريف وهو السيد الشريف . (٣) يسهل ، والخزون جمع حزن كشمس
 وهو ما غلظ من الأرض . (٤) يشاور . (٥) الثبور : الهلاك . (٦) الصهوة : مقعد الفارس
 من ظهر فرسه . (٧) الكوماء : الناقة العظيمة السناء .

الوصايا

٧٣ - وصية أوس بن حارثة لابنه مالك

عاش الأوس بن حارثة دهرًا ، وليس له ولد إلا مالك ، وكان لأخيه الخزرج خمسة : عمرو ، وعوف ، وجشم ، والحارث ، وكعب . فلما حضره الموت ، قال له قومه : قد كنا نأسرك بالتزويج في شبابك ، فلم تزوّج حتى حضرك الموت ، فقال الأوس : « لم يهلك هالك ، ترك مثلي مالك ، وإن كان الخزرج ذا عدد ، وليس لمالك ولد ، فليكن الذي استخرج العذق^(١) من الجريمة^(٢) ، والنار من الوثيمة^(٣) ، أن يحمل لمالك نسلا ، ورجالا بُسلا^(٤) ، يا مالك ، المنيّة ولا الدنيّة ، والعتاب قبل العقاب ، والتجلّد لا التبدّل ، وأعلم أن القبر خير من الفقر ، وشَرُّ شاربٍ المشتف^(٥) ، وأفصح طاعِمٍ للقتف^(٦) ، ودهاب البصر خير من كثير من النظر ، ومن كرم الكريم ، الدفاع عن الحریم ، ومَن قَلَّ ذَلٌّ ، ومَن أَمِرَ^(٧) قَلَّ ، وخير الغنى القناعة ، وشَرُّ الفقر الضراعة ، والنهر يومان ، فيوم

(١) الملق : النخلة يحملها والملق (بكسر الميم) القنومها . (٢) النواة .

(٣) الوثيمة : المجارة ، ومعه : كسره ودقه . ووثم الفرس الأرض : ربحها بحوافره . ومن أيمان العرب لا والذي أخرج العذق من الجريمة . والنار من الوثيمة ، وقولهم : لا والذي شقهن خسا من واحدة يمتنون الأصابع ، وقولهم : لا والذي أخرج قاتبة من قوب يمتنون فرخا من بيضة . لا والذي وجهي زم بيت (بالصحريك) أي قصده وحذاه . (٤) شجمانا : جميع باسل .

(٥) المشتقى ، اشتف ما في الإناء شربه كله . واشتف إذا شرب الشفافة (بالغيم) ، وهي البقية تبقى في الإناء . (٦) الآخذ بمجلة ، ومته سمي القفاف وهو من يسرق الدراهم بين أصابعه .

(٧) أمر كفروح أمرا وأمرة : كثروته فهو أمر وأمره الله وأمره كثره : (وإذا أردنا أنهلك قرية أمرنا مترفها) . أي كثرتنا .

لَكَ وَيَوْمَ عَلَيْكَ ، فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَاتَبَطَّرْ ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ ، فَكَلَامَا سَيَنْحَصِرُ^(١) ،
فَإِنَّمَا تَعَزُّ^(٢) مَنْ تَرَى وَيَعَزُّكَ مَنْ لَا تَرَى ، وَلَوْ كَانَ لِلْوَتِ يُشْتَرَى ، لَسِمَ مِنْهُ أَهْلُ الدُّنْيَا ،
وَلَكِنْ النَّاسُ فِيهِ مُسْتَوُونَ ، الذَّرِيفُ الْأَبْلَجُ ، وَاللَّيْمُ الْمُتَلَهِّجُ^(٣) ، وَالْمَوْتُ الْمُغِيثُ ،
خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُقَالَ لَكَ هَبِيتَ^(٤) ، وَكَيْفَ بِالسَّلَامَةِ ، لِمَنْ لَيْسَتْ لَهُ إِقَامَةٌ ، وَشَرٌّ مِنْ الْمَصِيبَةِ
سَوَاءٌ انْخَلَفَ ، وَكُلُّ مَجْمُوعٍ إِلَى تَلَفٍ ، حَيْثُكَ إِلَهُكَ .

(الأمال ١ : ١٠٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٤)

٧٤ - وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد

لَمَّا أُحْتَضِرَ^(٥) ذُو الْإِصْبَعِ دَعَا ابْنَهُ أَسِيداً ، فَقَالَ لَهُ : يَا ابْنِي إِنْ أَبَاكَ قَدْ فَنَى وَهُوَ
حَيٌّ ، وَعَاشَ حَتَّى سَمَّ الْعَيْشَ ، وَإِنِّي مُوصِيكَ بِمَا إِنْ حَفِظْتَهُ بَلَقْتَ فِي قَوْمِكَ مَا بَلَفْتَهُ ،
فَاحْفَظْ عَنِّي . أَلِنْ جَانِبَكَ لِقَوْمِكَ يَجُوبُكَ ، وَتَوَاضِعْ لَهُمْ يَرْضُوكَ ، وَأَبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ
يَطِيعُوكَ ، وَلَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يَسُودُوكَ ، وَأَكْرِمْ صَفَارِهِمْ كَمَا تَكْرِمُ كِبَارِهِمْ ،
يُكْرِمُكَ كِبَارُهُمْ ، وَيَكْبُرُ عَلَى مَوَدَّتِكَ صَفَارُهُمْ ، وَاسْمَعْ بِمَالِكَ ، وَأَخْمَرْ حَرِيمَكَ ،
وَأَعِزُّ جَارَكَ ، وَأَعِزَّ مَنْ أَسْتَمَانَ بِكَ ، وَأَكْرِمْ ضَيْفَكَ ، وَأَسْرِعِ النُّهْضَةَ فِي الصَّرِيخِ^(٦) ،
فَإِنْ لَكَ أَجَلٌ لَا يَمُدُّوكَ ، وَمَنْ وَجْهَكَ عَنْ مَسْأَلَةِ أَحَدٍ شَيْئاً ، فَبِذَلِكَ يَتِمُّ سُودُوكَ .

(الأغاني ٣ : ٦)

(١) يتكشف . (٢) قلب . عزه يزه كنصره عزاً ، وهزيمه كضرب عزاً وعزة صار عززاً .

(٣) المنتاهي في الدفاعة واللام . (٤) الأحق الضعيف . (٥) حضره الموت .

(٦) أي في وقت الصريخ وهو نداء المستغيث .

٧٥ - وصية عمرو بن كلثوم لابنه

أوصى عمرو بن كلثوم التَّغْلَبِيَّ ، فقال : يَا بَنِيَّ إِنِّي قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْعَمْرِ مَا لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي وَأَجْدَادِي ، وَلَا بَدَنٍ مِنْ أَمْرِ مُقْبِلٍ ، وَأَنْ يَنْزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، وَالْأُمَمَاتِ وَالْأَوْلَادِ ، فَاحْفَظُوا عَنِّي مَا أُوصِيكُمْ بِهِ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا عَيَّرْتُ رَجُلًا قَطُّ أَمْرًا إِلَّا عَيَّرَ بِي مِثْلَهُ ، إِنْ حَقَّ خُفَاءً ، وَإِنْ بَاطَلَ فَبَاطِلًا ، وَمَنْ سَبَّ سُبًّا ، فَكُفُّوا عَنِ الشِّمِّ فَإِنَّهُ أَسْلَمَ لَأَعْرَاضِكُمْ ، وَصَلُوا أَرْحَامَكُمْ ، تَعَمَّرُوا دَارَكُمْ ، وَأَكْرَمُوا جَارَكُمْ يَحْسُنْ ثَنَاؤُكُمْ ، وَزَوَّجُوا بَنَاتَ الْعَمِّ بَنِي الْعَمِّ ، فَإِنْ تَعَدَّيْتُمْ بِهِنَ إِلَى الْغُرَبَاءِ ، فَلَا تَأْتُوا بِهِنَ إِلَّا كَفَاءً ، وَأَبْهَدُوا بَيُوتَ النِّسَاءِ مِنْ بَيُوتِ الرِّجَالِ ، فَإِنَّهُ أَغْضَى الْبَصَرَ ، وَأَعَفَّ لَذْكَرَ ، وَمَتَى كَانَتْ لِلْمَايَةِ وَاللِقَاءِ ، فَنِي ذَلِكَ دَاءٌ مِنَ الْأَدْوَاءِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَفَارُ لِنَفْسِهِ ، وَقُلٌّ مَنْ أَنْتَهَكَ حَرَمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْتَهَيْتَ حَرَمَتَهُ ، وَأَمْنَعُوا الْقَرِيبَ مِنْ ظَلَمِ الْغَرِيبِ ، فَإِنَّكَ تَذِلُّ عَلَى قَرِيبِكَ ، وَلَا يَحِلُّ بِكَ ذُلُّ غَرِيبِكَ ، وَإِذَا تَنَازَعْتُمْ فِي الدِّمَاءِ فَلَا يَكُنْ حَقُّكَ لِلْقَاءِ ، فَرُبَّ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ ، وَوَدَّ خَيْرٌ مِنْ خَلْفٍ ، وَإِذَا حُدِّثْتُمْ فَعُوا ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَأَوْجِزُوا ، فَإِنْ مَعَ الْإِكْثَارِ يَكُونُ الْإِهْذَارُ ^(١) ، وَمَوْتُ عَاجِلٍ خَيْرٌ مِنْ ضَرِيٍّ آجِلٍ ، وَمَا يَكِيْتُ مِنْ زَمَانٍ إِلَّا دَهَانِي بَعْدَهُ زَمَانٌ ، وَرَبَّمَا شَجَانِي مَنْ لَمْ يَكُنْ أَمْرُهُ عَنَانِي ، وَمَا عَجِبْتُ مِنْ أَحَدٍ ثَوَّةٍ إِلَّا رَأَيْتُ بَعْدَهَا أَعْجُوبَةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَشْجَعَ الْقَوْمِ الْمَطُوفُ ، وَخَيْرُ الْمَوْتِ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا رُيُوءَ لَهُ عِنْدَ الْفَضْبِ ، وَلَا فِيمَنْ إِذَا عُوْتُبَ لَمْ يَمُتِّبْ ^(٢) ، وَمَنْ النَّاسُ مِنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ ، وَلَا يَخَافُ شَرُّهُ ، فَبِكُؤُهُ ^(٣) خَيْرٌ مِنْ دَرِّهِ ، وَعَقُوقُهُ خَيْرٌ مِنْ بَرِّهِ ، وَلَا تُبَدِّحُوا فِي حِكْمٍ ، فَإِنَّهُ مِنْ بَرٍّ فِي حُبٍّ ، آلَ

(١) أهدر : هلى . (٢) لم يرض . (٣) بكأت الناقة بكأ قل لبها .

ذلك إلى قبيح بنفس ، وكم قد زارني إنسان وزرته ، فانقلب الدهر بنا فَبَرَّتْهُ ^(١) ، واعلموا أن الحكيم سليم ، وأن السيف سليم ، إن لم أمت ولكن هربت ، ودخلتني ذلة فسكت ، وضمف قلبي فَأَهْتَرْتُ ^(٢) ، سلمكم ربكم وحياكم .

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٥ والأغانى ٩ : ١٧٨)

٧٦ - وصية الحرث بن كعب لبنيه

وأوصى الحرث بن كعب بنيه فقال :

« يَا بَنِيَّ قَدْ أَتَتْ عَلَيَّ مِائَةٌ وَسِتُّونَ سَنَةً ، مَا صَاحَتْ يَمِينِي يَمِينُ غَادِرٍ ، وَلَا قِيمْتُ نَفْسِي بِخَلَّةٍ ^(٣) فَاجِرٍ ، وَلَا صَبَوْتُ بِابْنَةِ عَمٍّ وَلَا كَنَّةٍ ^(٤) ، وَلَا بُحْتُ لِصَدِيقٍ بَسَرٍ ، وَلَا طَرَحْتُ عَنْ مُوسَمَةٍ قِنَاعًا ، وَلَا بَقِيَ عَلَى دِينِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ - وَرَوَى : عَلَى دِينِ شُعَيْبٍ - مِنَ الْعَرَبِ غَيْرِي وَغَيْرِ بَنِي مِرَّةٍ ، وَأَسَدُ بْنُ خُزَيْمَةَ ، فَوْتُوا عَلَى شَرِيعَتِي ، وَاحْفَظُوا وَصِيَّتِي ، وَإِلَيْكُمْ فَاتَّقُوا ، يَكْفِيكُمْ مَا أَحْكَمُكُمْ ، وَيُصْلِحُ لَكُمْ حَالَكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَمَعِيشَتِهِ ، فَيُجَلِّ بِكُمْ الدَّمَارَ ، وَبُوحَشُ مِنْكُمْ الدِّيَارُ . كُونُوا جَمِيعًا وَلَا تَفْرَقُوا ، فَكُونُوا شَيْعًا ، وَبُزُّوا قَبْلَ ^(٥) أَنْ تُبْزُوا ، فَوْتَ فِي عِزٍّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ وَعَجْزٌ ، وَكُلُّ مَا هُوَ كَأَنَّ كَأَنَّ ، وَكُلُّ جَمْعٍ إِلَى تَبَايُنٍ ، وَالدهرُ ضَرْبَانِ ، ضَرْبٌ بِلَاءٍ ، وَضَرْبٌ رِخَاءٍ ، وَالْيَوْمُ يَوْمَانِ ، يَوْمٌ حَبْرَةٌ ، وَيَوْمٌ عَبْرَةٌ ، وَالنَّاسُ رَجُلَانِ ، رَجُلٌ لَكَ ، وَرَجُلٌ عَلَيْكَ ، زَوَّجُوا النِّسَاءَ الْأَكْفَاءَ ، وَإِلَّا فَاتْتَظَرُوا بِهِنَ الْقَضَاءَ ، وَلَيْسَ كُنْ أَطِيبَ طَبِيبِهِنَ

(١) باره : جريه . (٢) اهتر بالنقم : ذهاب العقل من كبر أو مرض أو حزن وقد اهتر فهو مهتر بفتح التاء شاذ ، وقيل اهتر بالبناء للمجهول .

(٣) الخلعة : الصداقة المختصة لا خلل فيها تكون في عفاف وفي دعة (والخلعة أيضا الصديق لذكر والأنثى والواحد والجميع) . (٤) الكنة : امرأة الابن أو الأخ جسمه كذا .

(٥) بزّه : سلبه ، وفي المثل : من عزبز ، أي من غلب سلب .

الماء ، وإياكم وَالْوَزْهَاءُ^(١) ، فإنها أدوا اللداء ، وإن وَلَهَا إِلَى أَفْنٍ^(٢) يكون ، لا راحة لقاطع القرابة ، وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم ، وآفة العدو اختلاف الكلمة ، والتفضل بالحسنة ، يقي السيئة ، والمكافأة بالسيئة دخول فيها ، وعمل السوء يزيل النعماء ، وقطيعة الرحم تورث المم ، وانتهاك الحرمة ، يزيل النعمة ، وعقوق الوالدين يُعْقِبُ النكد ، ويخرب البلد ، وَيَمَحَقُ العدد ، والإسراف في النصيحة ، هو النصيحة ، والحقد يمنع الرِّفْد ، ولزوم الخطيئة ، يعقب البلية ، وسوء الرِّعَّة^(٣) ، يقطع أسباب المنفعة ، والضفائن تدعو إلى التباين ، يَا بَنِي ، إني قد أكلت مع أقوام وشربت ، فذهبوا وَغَبَرَتْ ، وَكَأَنِّي بِهِمْ قَدْ لَحِقْتُ ، ثم قال :

أكلت شبابي فأفنيته وأبليت بعد دهورٍ دهورا
ثلاثة أهلين صاحبهم فبادوا وأصبحت شيخاً كبيراً
قليل الطعام ، عسير القيام قد ترك الدهر خطوياً قصيراً
أبيت أراهم نجوم السماء أقلبُ أمري بطوناً ظهوراً

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٤)

٧٧ - وصية عامر بن الطرب العدو أنى لقومه

وَكَانَ عَامِرُ بْنُ الطَّرِبِ الْمَدَوَانِي سَيِّدَ قَوْمِهِ ، فَلَمَّا كَبُرَ وَخَشِيَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ أَنْ يَمُوتَ ، اجتمعوا إليه وقالوا : إنك سيدنا وقائِلنا وشريفنا ، فاجعل لنا شريكاً وسيداً وقائلاً بمذك ، فقال :

« يَا مَعْشَرَ عَدَوَانٍ : كَلَفْتُمُونِي بَنِيًّا ، إِنْ كُنْتُمْ شَرَفْتُمُونِي فَإِنِّي أُرِيكُمْ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي ، فَأَنَّى لَكُمْ مِثْلِي ؟ افهموا ما أقول لكم ، لأنه من جمع بين الحق والباطل لم

(١) الحمقاء : من وره كفرح : حق فهو أورده .

(٢) ضمت للرأى والقل . (٣) الرعة : الطريقة .

يحتما له ، وكان الباطلُ أولى به ، وإن الحق لم يزل ينفر من الباطل ، ولم يزل الباطل ينفر من الحق .

يا معشر عدوان : لا تَشْتَبُوا بِالذَّلَّةِ ، ولا تفرحوا بالزَّعَةِ ، فبكل عيش يعيش الفقير مع النقي ، ومن يَرَى يَوْمًا يَرُ به ^(١) ، وأعدوا لكل امرئ جوابه ، إن مع السفاهة الندامة ، والعقوبة نكال وفيها ذِمَامَةٌ ^(٢) ، وليلد الصُّلْبُ ^(٣) العاقبة ، والقَوْدُ ^(٤) راحة ، لا لك ولا عليك ، وإذا شئت وجدت مثلك ، إن عليك كما أن لك ، ولكثرة الرعب ، وللصبر الغلبة ، ومن طلب شيئاً وجده ، وإن لم يجده يوشك أن يقع قريباً منه .

(مجمع الأمثال ٢ : ١٨٣)

٧٨ — وصية دويد بن زيد لبنيه

لما حضرت دُوَيْدَ ^(١) بن زيد الوفاة قال لبنيه :

« أوصيكم بالناس شراً ، لا تَرْحَمُوا لَهُمْ عِزَّةً ، ولا تُقْبِلُوهُمْ عِزَّةً ^(٢) ، قَصِّرُوا الْأَعْنَةَ ، وَطَوِّلُوا الْأَسِنَّةَ ، واطعنوا شَرَّارًا ^(٣) ، واضربوا هَبْرًا ^(٤) ، وإذا أردتم المحاجة ،

(١) أي من رأى يوماً على عدوه رأى مثله على نفسه .

(٢) اللدامة بالفتح ويكسر ، والذمة : العهد ، والكفافة : والحق ، والحرمة . (٣) اليد العليا

المطية ؛ والسفل : السائلة ، وفي الحديث : « اليد العليا خير من اليد السفلى » ؛ وهو حث على الصدقة .

(٤) القود : القصاص . (٥) هو دويد بن زيد بن نهد الحميري ، وكان من الممصرين . قيل عاش

أربعمائة وستة وخمسين سنة ، (قالوا : ولا يمد العرب معمراً إلا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعداً) .

(٦) أقال الله شرته : دفعه من سقوطه . (٧) الطعن في الجوانب يمينا وشمالا .

(٨) هبر اللحم : قطعه قطعاً كبيراً ، والمهرة (بالفتح) القطعة المجتمعة منه وضرب هبر وهبير هابر :

أي يقطع اللحم .

قبل المناجزة ، والمرء يسجز لا الحالة ، بالجد لا بالكد ، التجلّد ولا التبذل ، والمنية
ولا الدنية ، ولا تأتوا على قائم وإن عزّ قده ، ولا تحثوا إلى ظالمين وإن ألفت قربه ،
ولا تطعموا فتطمأ^(١) ، ولا تهنؤا فتعزّعوا^(٢) . ولا يكوننّ لكم المثل السوء « إن
الموصين بنو سهوان^(٣) » إذا مئت فأزجوا^(٤) خطّ مضجعي ، ولا تصنّوا على
برّ خب^(٥) الأرض ، وما ذلك عموداً إلى روحا^(٦) ، ولكن حاجة نفس خامرها
الإشفاق .

قال أبو بكر بن دريد في حديث آخر إنه قال :

اليوم يُبنى لِذَوَيْدَ بَيْتُهُ يَا رَبِّ نَهَبَ صَالِحَ حَوَيْتُهُ
وَرَبِّ قِرْنٍ بَطَلٍ أَرْدَبْتُهُ وَرَبِّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُهُ^(٧)
وَمَغْصَمٍ مَخْضَبٍ ثَنَيْتُهُ لَوْ كَانَ قَدَحُ يَلَى أَبْلَيْتُهُ^(٨)
أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِداً كَفَيْتُهُ

(أملك السيد المرتضى ١ : ١٧١)

(١) الطبع بحركة : اللئس . (٢) الوهن الضعف ، والخرافة : (كناية) اللين والرخاوة
خرع : ككرم ، وخرع كفرح ضعف وانكسر ، فهو خرع ، وخرع .
(٣) قال الميداني في جميع الأمثال ١ : ٦ : « هذا مثل تحبّط في تفسيره كثير من الناس ، قال
بعضهم : إنما يحتاج إلى الوصية من يسهو ويففل ، فأما أنت فغير محتاج إليها لأنك لا تهو ، وقال بعضهم
يريد بقوله بنو سهوان جميع الناس لأن كلهم يسهو ، والأصوب في معناه أن يقال : إن الذين يوصون
بالتقوى يستول عليهم السهو حتى كأنه موكل بهم ؛ يضرب لمن يسهو عن طلب شيء أمر به ، والسهوان
السهو ، ويجوز أن يكون صفة أي بنو رجل سهوان ، وهو آدم عليه السلام حين عهد إليه فسها ونسى ، يقال
رجل سهوان وساه ، أي إن الذين يوصون لا يد أن يسهوا لأنهم بنو آدم عليه السلام » .
(٤) أرحبه : وسعه .

(٥) للرجب : بالضم مصدر ؛ وبالفتح وصف . (٦) أي واحة ، أو هو بالضم أي وما ذاك
بمخرج إل ووحى . (٧) التليل : الساعد الريان للمتلّ . (٨) المصم : موضع السوار أو اليد ،
وهو المراد هنا .

٧٩ - وصية زهير بن جناب الكلبي

وأوصى زُهير بن جناب الكلبي^(١) بنيه فقال :

« يَا بَنِيَّ : قد كَثُرَتْ سَيِّئِي ، وبلغت حَرَسًا^(٢) من دهرى ، فأحكمتى التجارب ،
والأمور تَجْرِبَةٌ واختبار ، فأحفظوا عني ما أقول وَعُوهُ ، إياكم وَالْخَوَرُ عند المصائب ،
والتواكُلُ عند النوائب ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَاعِيَةٌ لِلنِّم ، وشماتة للعدو ، وسوء ظن بالرب ،
وإياكم أَنْ تكونوا بالأحداث مغترِّين ، ولها آمَنِينَ ، ومنها ساخرين ، فَإِنَّهُ مَا سَخِرَ قَوْمٌ
قَطُّ إِلَّا ابْتُلُوا ، وَلَسَكُنْ تَوْصِيهَا ، فَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ^(٣) تَمَازُوهُ الرِّثَاءُ ،
فَقَصِّرْ دُونَهُ ، وعجَّاز لموصمه ، وواقع عن يمينه وشماله ، ثُمَّ لَا بَدْءَ لَهُ مَصِيْبُهُ . »

(أمال السيد المرتضى ١ : ١٧٣)

٨٠ - وصية النعمان بن ثواب العبدى لبنيه

كَانَ لِلنَّعْمَانِ بْنِ ثَوَابِ الْعَبْدِيِّ بَنُونَ ثَلَاثَةٌ : سَمْدٌ وَسَعِيدٌ وَسَاعِدَةٌ ، وَكَانَ أَبُوهُمْ
ذَا شَرَفٍ وَحِكْمَةٍ ، وَكَانَ يُوصِي بَنِيَهُ ، وَيُحْمِلُهُمْ عَلَى أَدَبِهِ ، أَمَّا ابْنَتُهُ سَمْدٌ فَكَانَ شَجَاعَةً
بَطْلًا مِنْ شَيَاطِينِ الْعَرَبِ ، لَا يُقَامُ لِسَبِيلِهِ ، وَلَمْ تَقْتَهُ طَلِبَتُهُ قَطُّ ، وَلَمْ يَفِرَّ عَنْ قِرْنٍ ؛
وَأَمَّا سَعِيدٌ فَكَانَ يُشَبِّهُ أَبَاهُ فِي شَرَفِهِ وَسُودَدِهِ ؛ وَأَمَّا سَاعِدَةٌ فَكَانَ صَاحِبَ شَرَابٍ وَنَدَامَى
وَإِخْوَانٍ ، فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخُ حَالَ بَنِيهِ دَعَا سَعِدًا ، وَكَانَ صَاحِبَ حَرْبٍ ، فَقَالَ :

(١) هو زهير بن جناب بن هبل الكلبي ، قيل عاش مائتين وعشرين سنة ، وقيل مائتين وخمسين ،
وقيل أربعمائة وخمسين ، وكان يدعى الكاهن لصحة رأيه .

(٢) الحرس من الدهر : الطويل ، وحرس : كسمع عاش زمانا طويلا .

(٣) الغرض : الهدف ، وتماوره (تتماوره) أى تتناولوه .

« يَا بُنَيَّ إِنْ الصَّارِمَ يَنْبِئُو ، وَالْجَوَادَ يَكْبُئُو ، وَالْأَثَرَ يَنْقُؤُو ^(١) ، فَإِذَا شَهِدْتَ حَرْبًا ، فَرَأَيْتَ نَارَهَا تَنْتَعِرُ ، وَبَظْلَهَا يَنْخَطِرُ ، وَبِحَرِّهَا يَزْخَرُ ، وَبِضَعْفِهَا يُنْصَرُ ، وَجِبَاهُهَا يَجْشُرُ ، فَأَقِيلَ الْمَكْثَ وَالْإِنْتَظَارَ ، فَإِنْ الْفِرَارَ غَيْرَ عَارٍ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ طَالِبَ ثَارٍ ، فَإِنَّمَا يُنْصَرُونَ م ^(٢) ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ صَيْدَ رَمَاحِهَا ، وَتَطْلِيحَ نِطَاحِهَا » .

وقال لابنه سميد ، وَكَانَ جَوَادًا : « يَا بُنَيَّ لَا يَبْتَغِلُ الْجَوَادُ ، فَاذِلَّ الطَّارِفَ وَالْثَّلَادَ ^(٣) ، وَأَقِيلِ التَّلَاحَ ^(٤) ، تَذَكَّرْ عِنْدَ السَّمَاحِ ، وَابْئِلِ ^(٥) إِخْوَانَكَ ، فَإِنْ وَفَّيْهِمْ قَلِيلَ ، وَاصْنَعِ الْمَرْوُوفَ عِنْدَ مُحْتَمِلِهِ » .

وقال لابته ساعدة ، وَكَانَ صَاحِبَ شَرَابٍ : « يَا بُنَيَّ إِنْ كَثُرَ الشَّرَابُ ، تَفْسَدَ الْقَلْبُ ، وَتَقَلَّ السَّكْبُ وَتُجِدَّ اللَّعِبُ ^(٦) ، فَابْصُرْ تَدِيمَكَ ، وَاحْمَرْ حَرِيمَكَ ، وَادْنُ غَرِيمَكَ ^(٧) وَادْعُ أَنْ الظُّلْمَ الْقَامِحَ ^(٨) ، خَيْرٌ مِنَ الرَّيِّ الْفَاضِحِ ، وَعَلَيْكَ بِالْقَصْدِ فَإِنْ فِيهِ بِلَاغًا » .
(مجمع الأمثال ١ : ٤٨)

٨١ — وصية قيس بن زهير لبني النمر بن قاسط

جاور قيس بن زهير القُبَيْسِيُّ ^(١) بعد يوم الهَبَاءِ النَّيِّرِ بن قاسط ، وتزوج منهم ، وَأَقَامَ فِيهِمْ حَتَّى وَلَدَ لَهُ ، فَلَمَّا أَرَادَ الرِّحِيلَ عَنْهُمْ قَالَ :

(١) عفا الأثر : درس واعى . (٢) أى طلاب الثار . (٣) الطاروف والطريف : المسحذ ، والثالذ ، والتلذ ، والتلاد ، والمثلذ : للمال القديم الأصل الذى ولد عندك .
(٤) التلاحى : التنازع ، ولحاحه ملاحاة ولحاه نازعه . (٥) اختبر . (٦) أى يجمله جدا ؛ والجد (بالكسر) ضد الخزل . (٧) النمر : الملقب (وهو الفائز أيضا) . (٨) معناه العطش الشاق غير من رى يَفْضَحُ صاحبه ، وقح البعير قوحا : رفع رأسه عند الخوض ولتمتع من الشرب فهو قاضح ، وقح البعير : اشتد عطشه حتى فتر شديدا .

(٩) هو صاحب حرب داحس والغبراء ، وكان من قصته أنه تراءى هو وحليفة بن بدر سيد بني ذبيان على فرسهما داحس (فرس قيس) والغبراء (فرس حليفة) — وقيل إنها تراءى على داحس والغبراء فرس قيس ، والخطار والحنفاء فرس حليفة — وتواضعا الرهان على مائة بعير ، ثم قادوما إلى رأس —

« يا مَعَشَرَ النَّبِيرِ : إنَّ لَكُمْ عَلَى حَقًّا ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُوصِيَكُمْ ، فَأَمُرُّكُمْ بِخَصَالٍ ، وَأَنَّهُكُمْ عَنْ خَصَالٍ ، عَلَيْكُمْ بِالْأَنَاقَةِ ، فَإِنْ بَهَا تَذَرُكَ الْحَاجَةُ ، وَتُنَالُ الْفُرْصَةُ ، وَتُسَوِّدُ مِنْ لَا تُعَايُونَ بِتُسْوِيدِهِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْوَفَاءِ ، فَإِنْ بِهِ يَمِيشُ النَّاسُ ، وَبِإِعْطَاءِ مَنْ تَرِيدُونَ إِعْطَاءَهُ قَبْلَ الْمَسْأَلَةِ ، وَمَنْعُ مَنْ تَرِيدُونَ مَنَعَهُ قَبْلَ الْإِلْحَاحِ ، وَإِجَارَةُ الْجَارِ عَلَى الدَّهْرِ ، وَتَنْفِيسُ الْمَنَازِلِ عَنْ مَيُوتِ الْيَتَامَى ، وَخُلُطُ الضَّعِيفِ بِالْعِيَالِ .

وَأَنَّهُكُمْ عَنْ الْفُتُورِ ، فَإِنَّهُ عَارِ الدَّهْرِ ، وَعَنِ الرِّهَانِ ، فَإِنِّي بِهِ تَسَكَّلْتُ مَا لَكَأَنْحَى وَعَنِ الْبَنَى ، فَإِنَّهُ قَتْلُ زُهَيْرًا أَبِي ^(١) ، وَعَنِ الْإِعْطَاءِ فِي الْقَفُولِ ، فَصَحِّرُوا عَنِ الْحَقُوقِ ، وَعَنِ السَّرَفِ فِي الْقِمَاءِ ، فَإِنْ يَوْمَ الْهَبَاءِ ^(٢) أَلْزَمَنِي الْمَاءُ وَمَنْعُ الْحَرَمِ إِلَّا مِنَ الْأَكْفَاءِ ،

= الميدان ، وفي طرف النافية شمام كثيرة ، فأكن حل بن بدر في تلك الشمام فتيازا على طريق الفرسين ، وأمرهم إن جاء داحس سابقا أن يردوا وجهه عن النافية ، فأرسلوها فأحضرا ، فلما شارف داحس النافية ودنا من الفتية ، وثبوا في وجهه فردوه عنها ، ولم يمس يدها ، وبعث حليفة بن بدر ابنه مالكا إلى قيس يطلب منه حق السبق ، فقال قيس كلا لأسطلتك به ، فتناول ابن حليفة من عرض قيس وشتمه وأغلظ له ، وكان إلى جنب قيس رمح فطعه به فشق صلبه ، واجتمع الحيات وأدوا دية المقتول ، وأخذها حليفة دفعا للشر ، ثم إن قومه نسموه فساد الشر بينهم ، وقامت الفتن بين الحيين ، وهذا حليفة على مالك بن زهير أعى قيس فقلته ، وكان الريح بن زياد معها بمنزل الحرب ، فلما سمع بمقتل ابن أخيه مالك شق ذلك عليه وقاتل بني ذبيان ، ثم توالى أيام الحروب بينهم ، وكان أعظمها يوم الهبابة حتى أصلح بينهم الحرث بن عوف وهرم بن سنان المزياني ، وحلاديات القتل ثلاثة آلاف بغير .

(١) وسبب مقتل زهير بن جذيمة البسي أبي قيس ، أن هوازن بن منصور كانت تؤذي الإتاوة زهير ابن جذيمة — ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد — فأثمت مجوز من هوازن إلى زهير بسمن في نهي (النحي كحمل الزق ، أو ما كان للسمن خاصة) فاستغرت إليه ، وشكت السنين اللواتي تتابعن على الناس « فذاقه فلم يرض طعمه ، فذهب أي ذهبها بقوس في يده فشققت فبكت عورتها ، فغضب من ذلك هوازن وحققته إلى ما كان في صدرها من النفيظ ، وكانت يومئذ قد كثرت بنو عامر بن صعصعة فقاتلوا إليه فقاتلوه حتى قتلوه .

(٢) وكان حليفة بن بدر وأخوه نزلا مع أصحابهما في جفر الهبابة ، فاتبهم قيس ومن معه حتى أدركهم فيه ، وقد أرسلوا غيولهم ونزحوا سلاحهم (وكان حليفة قد أخذ غلامين من بني عيس ، فقتلها وها يسخشان ما أبناه حتى ماتا) فشد قيس والريح ومن معها عليهم ، وهم ينادون ليبيكم ليبيكم ، يعني أنهم =

فإن لم تصيبوا لمن الأكفاء . فإن خير منا كهن القبور ، (أو خير منازلها) ، واعلموا أنى كنت ظالمًا مظلومًا ، ظلمنى بنو بدر بقتلهم ما لكأ أخى ، وظلمتهم بأن قتلتم من لا ذنب له .

(المقدّم الفريد ٣ : ٢٢٤ ، وآمال السيد المرتضى ١ : ١٤٩ ، وشرح البيون ص ٩٠)

٨٢ — وصية حصن بن حذيفة لبنينه

وأوصى حصن بن حذيفة بن بدر القزاري بنى بدر فقال :

« اسمعوا منى ما أوصيكم به : لَا يَتَبَكَّلْ آخِرُكُمْ عَلَى أَوَّلِكُمْ ، فَإِنَّمَا يُدْرِكُ الْآخِرُ مَا أَدْرَكَ الْأَوَّلُ ، وَأَنْكِحُوا السُّكْفَاءَ الْغَرِيبَ ، فَإِنَّهُ عِزٌّ حَادِثٌ ، وَإِذَا حَضَرَكُمْ أَمْرَانِ ، فَخُذُوا بِخَيْرِهِمَا صَدْرًا^(١) ، فَإِنْ كُلُّ مَوْزِدٍ مَعْرُوفٌ ، وَاحْبَبُوا قَوْمَكُمْ بِأَجَلِ أَخْلَاقِكُمْ ، وَلَا تُخَالِفُوا فِيمَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْخِلَافَ يُزْرِى بِالرَّئِيسِ الْمَطَاعَ ، وَإِذَا حَدَّثَكُمْ قَارِبُكُمْ^(٢) ، ثُمَّ قَوْلُوا الصَّدَقَ ، فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْكُذْبِ ، وَصُونُوا الْخَلِيلَ فَإِنَّهَا حُصُونُ الرِّجَالِ ، وَأَطْلُبُوا الرِّمَاحَ فَإِنَّهَا قُرُونُ الْخَلِيلِ ، وَأَعِزُّوا الْكَبِيرَ بِالْكَبِيرِ ، فَإِنِّى بِذَلِكَ كُنْتُ أَغْلِبُ النَّاسَ ، وَلَا تَغْرُؤُوا إِلَّا بِالْعِيُونِ^(٣) ، وَلَا تَسْرَحُوا حَتَّى تَأْتِنُوا الصَّبَاحَ^(٤) ، وَأَعْطُوا عَلَى حَسَبِ الْمَالِ ، وَأَعْجِلُوا الضَّيْفَ بِالْقَرَى^(٥) ، فَإِنْ خَيْرَهُ أَعْجَلَهُ ، وَاتَّقُوا فُضَيْحَاتِ الْبَنَى ، وَفَلَتَاتِ اللَّزَاحِ ، وَلَا تُجِيرُوا عَلَى الْمُلُوكِ ، فَإِنْ أَيْدِيَهُمْ أَطُولَ مِنْ أَيْدِيكُمْ . »

(آمال السيد المرتضى ٢ : ١٦٨)

= يجيئون نداء العبيبة لما قتلوا ينادون يا أبناء ، فنأندوهم الله والرحم ، فلم يقبلوا منهم ، وقلوا حذيفة وحملنا أعمامه ، ومثلوا بحذيفة فقطعوا مذاكيره وجعلوها فى فيه وجعلوا لسانه فى استه ، وأسرف قيس فى الشكاية والقتل ، وكانت فرارة تسمى هذه الوقعة البوار ، ولكن قيساً ندم بعد ذلك ورثى حل بن بدر ، وهو أول من رثى مقتوله .

(١) الصدر : الرجوع . (٢) ربيع : كمن انتظر وتحبس ، وربع الخيل : فتل من أربع طاقات . والمعنى إذا حدثتم فتأنوا وتمهلوا ، أو فأنكروا القول . (٣) العيون : جمع عين ، وهى خيار كل شئ . (٤) الصباح للفرارة : أى ولا تسرحوا مقاتلكم حتى تأمنوا الفرارة .

(٥) قرى الضيف يقريه قرى : أحسن إليه ، وللقرى أيضاً ما قرى به الضيف .

٨٣ - وصية لا كثم بن صيفي

كتب النعمان بن حنيفة الباروقي إلى أ كثم بن صيفي: «مَثَلٌ لَنَا مِثَالًا نَأْخُذُ بِهِ»^(١)
فقال :

« قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ »^(٢) فَعَرَفْتُ حُلُوهَ وَرُؤْيَاهُ . عَيْنٌ عَرَفَتْ فَذَرَفَتْ^(٣) ،
إِنْ أَمَّا مَالًا أَسَايَ^(٤) . رَبُّ سَامِعٍ يَخْبَرُ لَمْ يَسْمَعْ بِعُذْرِي . كُلُّ زَمَانٍ لِمَنْ فِيهِ .
فِي كُلِّ يَوْمٍ مَا يُكْرَهُ . كُلُّ ذِي نَصْرَةٍ سَيُخَذَلُ . تَبَارَّأُوا فَإِنَّ الْبَرَّ يَنْبِي^(٥) عَلَيْهِ الْقَدَدُ
وَكُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ فَإِنَّ مَقْتَلَ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَيْهِ . إِنْ قَوْلُ الْحَقِّ لَمْ يَدْعُ لِي صَدِيقًا .
الْصَّدَقُ مُنْجَاةٌ لَا يَنْفَعُ مَعَ الْجُرْعِ التَّبَقُّ . وَلَا يَنْفَعُ مَا هُوَ وَاقِعُ التَّوَقُّ ، سَتَسَاقُ إِلَى مَا أَنْتَ
لَا قِيَّ . فِي طَلَبِ الْعَالِي يَكُونُ الْعَنَاءُ . الْاِفْتِصَادُ فِي السَّعْيِ أَبْقَى لِلْجَبَامِ^(٦) مِنْ لَمْ يَأْسَ^(٧)
عَلَى مَا فَاتَهُ وَدُعَ بَدْنُهُ ، وَمَنْ قَنَسَ بِمَا هُوَ فِيهِ قَرَّتْ عَيْنُهُ . التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ^(٨) .
أَصْبَحُ عِنْدَ رَأْسِ الْأَمْرِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصْبَحَ عِنْدَ ذَنْبِهِ . لَمْ يَهْلِكْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ .
وَيْلٌ لِعَالَمٍ أَسْرَ مِنْ جَاهِلِهِ . يَتَشَابَهُ الْأَمْرُ إِذَا أَقْبَلَ ، فَإِذَا أَدْبَرَ عَرَفَهُ السَّكِينُ وَالْأَحْمَقُ .
الْوَحْشَةُ ذَاهِبُ الْأَعْلَامِ^(٩) . الْبَطَرُ عِنْدَ الرِّخَاءِ حُمَقٌ . وَالْعَجْزُ عِنْدَ الْبَلَاءِ أَفَنٌ^(١٠) . لَا تَنْفَضُّبُوا

-
- (١) هكذا روى أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال : وذكر الميداني أن أ كثم وصى بها بنيه حين
جمعهم ، والرواية الأولى أطول بكثير من الثانية ، وقد جمعت بين الروایتين . (٢) لفظة شطران :
قادمان وآخران ، فكل خلقين من أخلافها شطر (والخلف بالكسر لها كالضرع للبقرة) وأشطره بدل
من الدهر ؛ والمعنى أنه اختبر شطري الدهر خيريه وشره فعرف مافيه ، وهو مثل يضرب قهين جرب الدهر .
(٣) ذرفت عينه كضرب : سال دمهها ، وذرفت العين دمهها أسالته ؛ وهو مثل يضرب لمن رأى
الامر فغير حقيقته . (٤) ساماه : باراه في السمو . (٥) يزيد ، وفي مجمع الأمثال « يبق » .
(٦) أي أبى للقوة ، من جم الفرس جماما (بالفتح) ترك الضراب فتجمع ماؤه ، وجم الماء يجم
بضم الجيم وكسرهما جموما كثر واجتمع ، والبئر تراجع ماؤها ، والجمام بالفتح أيضا : الراحة .
(٧) يحزن . (٨) أي ففكر في التقدم قبل أن تندم . (٩) الأملام جمع علم : وهو سيد القوم .
(١٠) الأذن : ضعف الرأي والمقل ، وفي الأصل أمن وهو تحريف .

من اليسير ، فربما جنى الكثير . لا تُجسّوا فيما لم تُسألوا عنه . ولا تضحكوا مما لا يُضحك منه . حيلةٌ من لا حيلةَ له الصبر . كونوا جميعاً فإن الجمع غالب ، تثبّتوا . ولا تسارحوا فإن أحزم الفريقين الزّكين . رب عَجَلَةٍ تَهَب رَيْثاً . ادْرِعُوا الليل واتخذوه جَمَلًا . فإن الليل أخفى للويل . ولا جماعة لمن اختلف . تناءوا في الديار ولا تباغضوا . فإنه من يجتمع يَتَقَمَّقُ^(١) عَمْدَهُ . أَلْزَمُوا النساءَ المَهَابَةَ^(٢) نِعَمَ لَهُوَ الْفُرَّةُ^(٣) الْمِغْزَل . إن تَعِشْ تَرَمَّ مَالَمَ رَه . قد أَقْرَّ صَامِتٍ . الْمِسْكَارُ كحَاطِبٍ^(٤) لَيْلٍ . من أكثر أسقط^(٥) . لا تجملوا ميرا إلى أمة . لا تَفَرَّقُوا في القبائل ، فإن الغريب بكل مكانٍ مظلوم ، عاقِدُوا الثَّرْوَةَ^(٦) . وإياكم والوشاظ^(٧) فإن مع الْقِلَّةِ الدَّلَّةُ : لو سُئِلَتِ العارية قالت أُنْفِي لأهلي ذُلًّا . الرسولُ مُبَلِّغٌ غَيْرُ مَلُومٍ . من فَسَدَتْ بِطَانَتُهُ غَصَّ بالماء . أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً^(٨) . الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعُهُ . إن السَّالَةَ مِنْ أضعفِ الْمَسْكَنَةِ . قد تجوع الحرة

(١) تقمق : اضطرب وتحرك . وفي الأصل عنده بدل عمدته وهو تحريف ، وهذا مثل . معناه لابد من الافتراق بعد الاجتماع ، أو معناه إذا اجتمع القوم وتقاربوا وقع بينهم الشر فتفرقوا ، أو من غبط بكثرة العدد واتساق الأمر فهو بمرض لزوال والانتشار . (٢) أي أن ههناكم ويورقنكم ، وفي الأصل « المهابة » وهو تصحيف .

(٣) الشريفة . (٤) الحاطب : الذي يجمع الحطب ؛ وهو حاطب ليل : أي يختلط في كلامه .

(٥) أسقط كلمة ؛ وأسقط أي أخطأ .

(٦) عاقدوا : حالقوا ، والثروة : كثرة العدد من الناس . (٧) يقال هم وشيظة في قومهم أي حشروهم . (٨) جابة بمعنى إجابة ، اسم وضع موضع المصدر ، ومثلها الطاعة والطاقة والغارة والدارة . قال المفضل : أول من قال ذلك سهيل بن عمرو ، وكان تزوج صفية بنت أبي جهل بن أبي هشام ، فولدت له أنس بن سهيل ، فخرج منه ذات يوم ؛ فوقف بحزوة مكة (والحزوة كفسورة : الرابية الصغيرة) فأقبل الأخنس بن شريق التقي ، فقال : من هذا ؟ قال سهيل : إبنى ؛ قال الأخنس : حيالك الله ياقى ! قال : لا ، والله ما أرى في البيت ، انطلقت إلى أم حفظة تطحن دقيقا ، فقال أبوه : أساء سمعا فأساء جابة فأرسلها مثلا .

ولا تأكل بِتَدْيِينِهَا^(١) . لم يَجْزُ سَالِكُ الْقَصْدِ ، ولم يَعْمَ قَاصِدُ الْحَقِّ . من شَدَّدَ نَفْرَ ، ومن تراخى تألَّفَ . الشرف التناقل . أَوْقَى القول أَوْجَزُهُ . أصوب الأمور تَرَكَ الْقُضُولُ . التفرير مِفْتَاحُ الْبُؤْسِ . التواني والعجز ينتجان المهلكة . لكل شيء ضَرَاوَةٌ^(٢) . أحوج الناس إلى الْغِنَى من لا يَصْلُحُهُ إِلَّا الْغِنَى ، وهم الملوك . حُبُّ اللدح رأسُ الضِّيَاعِ . رِضَاُ النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُبْلَغُ . لَا تَكْرَهُ سُخْطَ مَنْ رِضَاهُ الْجَوُزُ معالجة العفاف مَسْقَةٌ فتَمُوذُ بالصبر . اقصر لسانك على الخير وأخر الغضب ، فإن القدرة من ورائك ، من قَدَّرَ أزمع ، أَمَرُ أَعْمَالِ الْمُتَقَدِّرِينَ الانتقام ، جَازٍ بِالْحَسَنَةِ وَلَا تَسْكَافِيْ بِالسَّيْئَةِ ، أغنى الناس عن الْحِقْدِ مَنْ عَظُمَ عَنِ الْجَازَاةِ . مَنْ حَسَدَ مَنْ دُونَهُ قَلَّ عُذْرُهُ ، من جعل لِحَسَنِ الظَّنِّ نَصِيحاً رُوحٌ عَنِ قَلْبِهِ ، عِيٌّ الصمت أحد من عي المنطق ، الناس رجالان محترس ومحترس منه كثير النصح يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ الظَّنَّةِ^(٣) ، من ألحَّ فِي الْمَسْأَلَةِ أَبْرَمَ^(٤) ، خير السخاء

(١) أى لا تعيش بسبب ثديها وبما يفلان عليها من أجرة الإرضاع ، يضرب في صيانة الرجل نفسه عن عيسى المكاسب ، وذكروا أن أول من قاله المارث بن سليل الأسقى ، وكان شيخا كبيرا وكان حليفاً لعلقة بن خصفة الطائي ، فزاره فنظر إلى ابنته الزباء ، وكانت من أجمل أهل دهرها فأعجب بها ، فقال له : أنيتك خاطبا ، وقد ينكح الخاطب ، ويدرك الطالب ، ويمنح الرقاب ، فقال له علقمة : أنت كفه كرم يقبل منك الصفو ، ويؤخذ منك المغو ، فأقم نظرك في أمرك ، ثم انكفأ إلى أمها فقال إن المارث بن سليل سيد قومه حبا ومتعبا وبيتا ، وقد خطب إلينا الزباء ، فلا يتصرفن إلا بحاجته فقالت امرأته لابنتها : أى الرجال أحب إليك ؟ الكهل الجمساج (أى السيد) ، الواصل المناخ ، أم الفقى الوضاح ؟ قالت ، لا بل الفقى الوضاح ، قالت : إن الفقى يفيرك ، وإن الشيخ يبيرك ، وليس الكهل للفاضل ، الكثير النائل ، كالحديث السن ، الكثير المن ، قالت : يا أمتاه ، إن الفتاة تحب الفقى كحب الرهاه أنيق الكلا ، قالت : أى بنية ، إن الفقى شفيد الحجاب ، كثير الكتاب ، قالت إن الشيخ يبل شبابي ، وينلس ثيابي ، ويشمت بي أترابي ، فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوجها الحرث حل مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم ، فابنى بها ثم رحل بها إلى قومه ، فبينما هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهي إلى جانبه إذ أقبل إليه شباب من بني أسد يطلبون ، (أى يتصارعون ويتقاتلون) فتفتست للصعداء ثم أرخت عينيها بالبكاء ، فقال لها : مايكيك ؟ قالت : مالي ولشيوخ ، الناهضين كالفروخ ؟ فقال لها شكلك أملك تجرع الحرة ولا تأكل بثديها ، الحق بأهلك فلا حاجة لي فيك .

(٢) يقال : ضرى الكلب بالصيد (كفروح) ضراوة أى تعود ، وكلب ضار ؟ وأضراره صاحبه هوده وأضراره به : أغراء ، وضراة أيضا تضرية . (٣) التهمة . (٤) أبرمه : أضجره وأمله .

ما وافق الحاجة ، الصمت يكسب الحجة ، لن يظلب الكذب شيئاً إلا غلبَ عليه الصدق ، القلب قد يُتَهم وإن صدق اللسان ، الاتقياض عن الناس مَكْسَبَةٌ للعداوة ، وتقريبهم مكسبة لقرين السوء ، فكن من الناس بين القرب والبعد . فإن خير الأمور أوساؤها ، فُسُؤْلَةٌ^(١) الوزراء أضر من بغض الأعداء ، خير القُرُوءاء المرأة الصالحة ، وعند الخوف حُسْنُ العمل ، من لم يكن له من نفسه زاجرٌ لم يكن له من غيره واعظ ، وتمكّن منه عدوه على أسوأ عمله ، لن يَهْلِكَ امرؤ حتى يملَّ^(٢) الناس عَتِيدَ فعله ويشد على قومه ، ويُجَبِّب بما ظهر من مروءته ، ويفتر بقومه ، والأمر يأتية من فوقه ، ليس للمختال في حسن الثناء نصيب ، لا تَمَآءَ مع العَدَم ، إنه من أتى المكروه إلى أحد بدأ بنفسه . الميُّ أن تكلم فوق ما تدبه حاجتك ، لا يبنّى لعاقل أن يثق بإخاء من تضطره إلى إخوانه حاجةً ، أقل الناس راحةً الحقود ، من تَعَمَّدَ الذنب لا تحمل رحمته دون عقوبته ، فإن الأدب رفيق ، والرفق يُنن .

(جمهرة الأمثال ١ : ٣٢٠ ، وجميع الأمثال ٢ : ١٤٥)

٨٤ — وصية أكرم بن صيفي لطفي

وقال أكرم بن صيفي في وصية كتب بها إلى طفي :

« أوصيكم بتقوى الله وَصِلَةِ الرَّحِم . وإياكم وَنِكَاحَ الْحَمَقَاء ، فإن نكاحها غَرَرٌ^(٣) ، وَلَوْلَئِهَا ضَيَاع . وعليكم بالخیل فأكرموها ، فإنها حصون العرب ، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها . فإن فيها ثمن الكريمة^(٤) ، وَرَقْوَةُ الدَّمِ^(٥) ، وبألبانها يُتَحَفَّ

(١) نفل فسولة فهو نفل : أي رذل لامروءة له ، والوزراء : جميع وزير وهو النصير والظهير .

(٢) في الأصل « يملك » وأرى صوابه يمل .

(٣) الفرر : الخطر : غرر بنفسه تفررا : عرضها للهلكة والاسم الفرر . (٤) يريد مهرها .

(٥) رقا الدم : جف وسكن ، والرقوة كصبيور ما يوضع على الدم ليرقته ، والمعنى أنها تطفى في

الديات فتحن بها الدماء .

الكبير^(١) ، وَيُنْذِي الصَّغِيرَ ، وَلَوْ أَنَّ الْإِبِلَ كُلَّتْ الطَّلْحَ لَطَحَتْ . وَلَنْ يَهْلِكَ أَمْرُ
عَرَفٍ قَدْرَهُ . وَالْعُدْمُ^(٢) عُدْمُ الْعَقْلِ ، لَا عُدْمُ الْمَالِ . وَلَرَجُلٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ . وَمَنْ
عَتَبَ عَلَى الدَّهْرِ طَالَتْ مَتْنَبَتُهُ . وَمَنْ رَضِيَ بِالْقَسَمِ^(٣) طَابَتْ مَعِيشَتُهُ . وَآفَةُ الرَّأْيِ الْهَوَى .
وَالْعَادَةُ أَمْلَكُ^(٤) . وَالْحَاجَةُ مَعَ الْحِجَةِ خَيْرٌ مِنَ الْبُخْضِ مَعَ الْغَنَى . وَالْدُّنْيَا دُولٌ ، فَمَا كَانَ
لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ ؛ وَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقَوْتِكَ . وَالْحَسَدُ دَاءٌ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ .
وَالشَّمَانَةُ تُعْقِبُ . وَمَنْ يَرِ يَوْمًا يَرِ بِهِ . قَبْلَ الرِّمَاءِ مُتَمَلِّئًا الْكِنَانُ^(٥) . النَّدَامَةُ مَعَ السَّفَاهَةِ .
دِعَامَةُ الْعَقْلِ الْحَلْمُ . خَيْرُ الْأُمُورِ مَقْبَةُ الصَّبْرِ . بَقَاءُ الْمَوَدَّةِ عَدْلٌ^(٦) . التَّعَاهُدُ . مَنْ يَزُرْ رَغْبًا
يَزِدُّ حُبًّا . التَّفْرِيرُ مِفْتَاحُ الْبُؤْسِ . مِنَ التَّوَانِي وَالْمَعْزِ نَتِجَتِ^(٧) الْمَلَكَةُ . لِكُلِّ شَيْءٍ
ضَرَاوَةٌ . فَضَرَّ لِسَانُكَ بِالْخَيْرِ عَنِ الصَّمْتِ أَحْسَنُ مِنْ عَنِ النُّطْقِ . الْحَزْمُ حِفْظُ مَا كُفِّتَ
وَتَرَكْتَ مَا كُنَيْتَ . كَثِيرُ النَّصْحِ يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ الظَّنَّةِ . مَنْ أَلْفَ فِي الْمَسْأَلَةِ قَلَّ . مَنْ
سَأَلَ فَوْقَ قَدْرِهِ اسْتَحَقَّ الْحَرَمَانَ . الرَّفْقُ يُنَمِّنُ ، وَالْخَرْقُ شُوْمٌ . خَيْرُ السَّخَاءِ مَا وَافَقَ
الْحَاجَةَ . خَيْرُ الْعَفْوِ مَا كَانَ بَعْدَ الْقُدْرَةِ .

(بجمع الأمثال ٢ : ٨٧)

٨٥ — وصية أكرم بن صيفي لبنيه ورهطه

وَمَنْ أَكْرَمَ بَنِي صَيْفِي بَنِيهِ وَرَهْطَهُ ، قَالَ : « يَا بَنِي تَيْمٍ لَا يَفُوتَنَّكُمْ وَعْظِي إِنْ
فَاتَكُمْ الدَّهْرُ بِنَفْسِي ، إِنْ بَيْنَ حَيَاوِي^(٨) وَصَدْرِي لِكَلَامًا لَا أَحَدٌ لَهُ مَوَاقِعَ إِلَّا

(١) النخعة : البر والطف والطرفة ، وقد أتحفت تخفة .

(٢) العدم بالضم وبضمين وبالتحريك فقدان وغلب على فقدان المال . (٣) القسم : التقدر

(٤) وفي رواية : « العادة أملك من الأدب » .

(٥) الرمء مصدر رأى كاللراماة ، والكنان جمع كنانة : وهي جمجمة السهام ، وهو مثل معناه :

تَوَخَّعَ لِلْأَمْرِ أَهْبَهُ قَبْلَ وَقُوعِهِ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ « قَبْلَ الرَّمْيِ يَرَأِشُ السَّهْمُ » أَيْ يَوْضِعُ لَهُ الرِّيشَ .

(٦) العدل : الاستقامة أَيْ بَقَاءُ الْمَوَدَّةِ فِي اسْتِقَامَةِ التَّعَاهُدِ وَالْحِرْصِ عَلَى سَلَامَةِ شُرُوطِهِ .

(٧) ويروي نتجت الفاقة . (٨) الحيازوم : وسط الصدر وما يضم عليه الحزام .

أسماعكم ، ولا مقارًا إلا قلوبكم ، فتلقوه بأسماع مصغية ، وقلوب واعية ، تحمدوا معبته .
 الهوى يقظان ، والعقل راقد ، والشهوات مُطلقة^(١) ، والحزم معقول^(٢) ، والنفس مهملة ،
 والروية مُقيّدة ، ومن جهة التواني وترك الروية يتلف الحزم ، ولن يعدم المشاور مُرشدًا ،
 والمستنبد برأيه موقوف على مداحض^(٣) الزلل ، ومن سمع سمع به ، ومصارع الرجال
 تحت بروق الطمع ، ولو اعتبرت مواقع الحزن ما وُجِدَتْ إلا في مقاتل الكرام ، وعلى
 الاعتبار طريق الرشاد ، ومن سلك الجدد^(٤) أَمِنَ العثار ، ولن يَعمَدَ الحسود أن يُتَعَبَ
 قلبه ، ويشغل فكره ، ويورث^(٥) غيظه ، ولا تجاوز مضرته نفسه .

يا بنى تميم : الصبر على جرّع الحلم أعذب من جنى ثمر الندامة ، ومن جعل عرضه
 دون ماله استهدف للذم ، وكلم اللسان أنكى من كلم اللسان ، والسكمة سرهونة مالم
 تنجم من القم ، فإذا نجمت فهي أسد مُحَرَّب^(٦) ، أو نار تلهب ، ورأى الناصح اللبيب
 دليل لا يجوز ، ونفاذ الرأى فى الحرب ، أجدى من الطعن والضرب .

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٥ ، وشرح البيهقي ١٥ وجمهرة الأشكال ٢ : ٢١٢)

٨٦ - نصيحة أكرم بن صيفى لقومه

ونصح قومه فقال : « أَقِلُّوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصياح من
 الفشل ، والمرء يعجز لا محالة ، يا قوم تنبتوا فإن أحزم الفريقين الركين^(١) ورب عجالة
 نهب ريتنا^(٢) ، وأتزرعوا للحرب ، زادرعوا الليل ، فإنه أخفى للويل ، ولا جماعة
 لمن اختلف . »

(الأغاني ١٥ : ٧٠)

(١) محبوس . (٢) جميع مدحضة : وهى المزاة . (٣) الأرض المستوية . (٤) يوقه .

(٥) التحريب : التحريش والتخليد ، والمحرب والمتحرب الأسد . (٦) الرزين . (٧) بعلنا

٨٧ — أمثال أكرم بن صيفي (وَبُرُوجِمَر) الفارسي^(١)

« العقل بالتجارب . الصاحب مناسب^(٢) . الصديق مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ^(٣) . الغريب من لم يكن له حبيب . رب بعيد أقرب من قريب . القريب من قُرْب نفقه . لو تكاشفتم ما تدافتتم . خير أهلِكَ من كفأك ، خير سلاحك ما وقأك . خير إخوانك من لم تخبُره . رب غريب ناصح الجيب^(٤) ، وابنِ أبٍ متهم بالغيب ، أخوك مَنْ صَدَقَكَ ، الأخ مرآة أخيه . إذا عزَّ أخوك فهُنَّ^(٥) . مُكْرَه أخاك لا بطل^(٦) . تَبَاعَدُوا في الديار وتقاربوا في الحجة . أيُّ الرِّجال المهذب^(٧) ؟ مَنْ لك بأخيك كله . إنك إن فَرِحْتَ لَأَقِ فَرَحًا .

(١) هكذا في المقد الفريد ، وليس من الميسور تمييز أمثال أحدهما من أمثال الآخر إلا في القليل ، على أنه قد ورد بينها أمثال لغير أكرم ، (ولعله تمثل بها) وأخرى له قد وردت في ثنايا كلامه الذي أو رده آنفاً ، ولكني آثرت إيراد المقال برمتي كما جاء في المقد ، وبُرُوجِمَر : مركب من بُرُج معرب بزوك أي الكبير ، ومهر أي الروح وهو بُرُج جهمر بن الجيختكان وزير كسرى أنوشروان ملك الفرس ، وكان شديد الفكر ، حصيف الرأي . (٢) المناسب والنسيب : القريب ، من النسبة (بالكسر والضم) وهي : القرابة ، وبينهما مناسبة أي مشكلة ، هذا يناسب ذاك أي يقاربه شها .

(٣) في الأصل « من صدق عينيه » وهو محرف ، وأراه من صدق غيبه أو غيبته أي من صدق في مودته ، وحفظ الاخاء ، في الغيبة لاقى المحضر فحسب . (٤) جيب القميص طوقه ، وهو ناصح الجيب أي القلب كناية عن أنه خالص الطوية لا غش فيه .

(٥) في الميداني : هذا المثل لحذيل بن هيرة التخلي ، وكان أغار على بني ضبة فغنم فأقبل بالانثام . فقال له أصحابه قسمها بيننا ، فقال إني أخاف إن تشاغلتم بالانقسام أن يدرِككم الطلب فأبوا ، فعنتها قال : « إذا عزَّ أخوك فهُنَّ » ثم نزل فقدم بينهم الغنائم ، ومناها ، ميسرتك صديقك ليست بضمير يركبك منه فتدخلك الحمية به ، إنما هو حسن خلق وتفصل ، فإذا عاسرك قياسره .

(٦) قاله أبو حنث : وذلك أن رجلاً من بني فزارة يقال له يمس أخبر أن ناساً من أشجع في غار يشربون فيه — وكانوا قد قتلوا إخوته الستة — فانطلق يخال له يسمى أبا حنث ؛ فقال له هل لك في غار فيه غلباء لبنا نصيب منها — ويروى : هل لك في غنيمة باردة — ثم انطلق به حتى أقامه على قم الغار ، ودفنه فيه فقال : ضربا أبا حنث ، فقال بعضهم : إن أبا حنث لبطل ، فقال أبو حنث : مكروه أخاك لا بطل ، فأرسلها مثلاً . (٧) في الميداني : أول من قاله التابعة الذبياني حيث قال :

ولست بمستبق أخا لاتلمه هل شئت ، أي الرجال المهذب ؟

أَحْسَنُ يُحْسِنُ إِلَيْكَ . أَرْحَمُ تُرْحَمُ . كَأَتَدِينُ تُدَانُ ^(١) . مِنْ يَوْمٍ يَوْمًا بِرُّهُ ، وَالدهر
لَا يُفْتَرُّ بِهِ ، عَيْنٌ عَرَفَتْ قَدَرَفَتْ ^(٢) . فِي كُلِّ خَيْرَةٍ غَيْرَةٍ ، مِنْ مَأْتَمَرٍ يُؤْتِي الْخَذِرَ .
لَا يَمْدُو الْمَرْهَ رِزْقَهُ وَإِنْ حَرِصَ . إِذَا نَزَلَ الْقَدَرُ عَمِيَ الْبَصَرُ ، وَإِذَا نَزَلَ الْحَيْنُ نَزَلَ بَيْنَ
الْأَذُنِ وَالْعَيْنِ ^(٣) . الْحَمْرُ مُفْتَاخُ كُلِّ شَرٍّ . الْغِنَاءُ رَقِيَّةُ الزَّوَاءِ ^(٤) . الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ .
خَيْرُ النَّفْسِ غِنَى النَّفْسِ . مَنْ سَأَلَ إِلَى مَا أَنْتَ لَاقٍ . خَذَ مِنَ الْعَافِيَةِ مَا أُعْطِيَتْ . مَا لِلْإِنْسَانِ
إِلَّا الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ . إِنَّمَا لَكَ مَا أَمْضَيْتَ . لَا تَتَكَلَّفْ مَا كُفِّيتَ . الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ .
قَلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ ، رُبَّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِأَثْنَيْنِ . لَنْ تَمْدَمَ الْحَسَنَاءُ ذَامًا ^(٥) . لَمْ يَمْدَمْ
الْفَاوِي لَا ئِمَّا . لَا تَكُ فِي أَهْلِكَ كَالْجَنَازَةِ ^(٦) . لَا تَسْخَرْ مِنْ شَيْءٍ فَيَجُوزَ بِكَ . أُخْرُ
الشَّرِّ إِذَا شِئْتَ تَجَلَّتْهُ . صَفِيرُ الشَّرِّ يَوْشِكُ أَنْ يَكْبُرَ . يَبْصُرُ الْقَلْبُ مَا يَصْنَعُ عَنْهُ الْبَصَرُ .
الْحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ مَسَّهُ الضَّرُّ . الْعَبْدُ عَبْدٌ وَإِنْ سَاعَدَهُ جَدُّ ^(٧) مِنْ عَرَفَ قَدْرَهُ اسْتَبَانَ

- (١) الدين بالكسر : الجزاء دانه يعينه دينا بالفتح ويكسر ، ومعنى المثل كما تجازى تجازى : أى كما
تعمل تجازى ، إن حسنا فحسن ، وإن سيئا فسيئاً ، وقوله تدين : أراد تعمل فسى الابتداء جزاء
المطابقة والموافقة ، وعمل هذا قوله تعالى : « فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ يَمْنَلُ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ » .
ويجوز أن يجرى كلاهما على الجزاء أى كما تجازى أنت الناس على صنيعهم كذلك تجازى على صنيعك .
(٢) فى الأصل « عين رقت » وهو تشويه ، وصوابه « عين عرفت قدرفت » .
(٣) الحين : الهلاك ، وقوله : نزل بين الأذن والعين أى بمسح ومر أى من نزل به لا يخطئها عنه .
(٤) زفى يزى زفى وزناه .

(٥) اللزام : والذم العيب ، قال الميذاني : « وأول من تكلم بهذا المثل فيما زعم أهل الأخبار جبيب
بنت مالك بن عمرو السلمانية (وحسبى : بضم الحاء ، وتشديد الباء المفتوحة) وكانت من أجل النساء ،
فسمع بجميها ملك غسان فخطبها إلى أبيها ، وحكمه في مهرها ، وسأله تعجيلها ، فلما عزم الأمر ، قالت
أُمها لتبناها : إن لنا عند الملامسة رشحة فيها هنة ، فإذا أردتَ ، إدخالها على زوجها ، فطيئها بما في أصدافها
فلما كان الوقت أعجلهن زوجها ، فأغفلن تطييبها ، فلما أصبح قيل له : كيف وجدت أهلك : طروقتك ،
البارحة ؟ فقال ما رأيت كالكالية قط لولا رويحة أنكرتها ، فقالت هى من خلف الستر « لا تمدم الحسناء
ذاما » فأرسلتها مثلا .

(٦) الجنائزة بالكسر : الميت ، ويفتح ، أو بالكسر الميت : وبالفصح السرير ، أو عكسه : أو
بالكسر السرير مع الميت ، والمراد هنا الميت ، وهذا المثل والمثلان قبله فى الأصل مشوهة مختلطة هكذا :
لن تدمد الحسناء ما لم يدمم الفأوى لا يءالك فى أهلك كالجنائزة » . (٧) الجد : الحظ .

أمره . من سرّه بنوه ساءته نفسه . من تطمّن على الزمان أهانه . من تعرض للسلطان آذاه ، ومن تطامن له تخطّاه . من خطّا يخطو^(١) . كل مبذول تملول . كل ممنوع مرغوب فيه . كل عزيز تحت القدرة ذليل . لكل مقام مقال . لكل زمان رجال . لكل أجل كتاب . لكل عل ثواب . لكل بناء مستقر . لكل سرّ مستودع . قيمة كل إنسان ما يُحسّن . اطلب لكل غلق^(٢) مفتاحاً . أكثّر في الباطل يكن حقاً . عند القنط^(٣) يأتي الفرج . عند الصباح يُحمد السرى^(٤) . الصدق منجاة ، والكذب مهوّة . الاعتراف يهدم الاقتراف . ربّ قول أنفذ من صول . رب ساعة ليس بها طاعة . رب عجلة تُعقب ريثاً^(٥) . بعض الكلام أقطع من الحسام . بعض الجمل أبلغ

(١) يريد : من حاول الخطو وعالج استطاء ومرن عليه ، أى أن من أراد أمراً وتحيل له وأخذ في معالجته وممارسته ، ثم له ما يبيى ، وهو كتولم : إنما العلم بالتعلم ، « وضع يخطو في المثل حسن لأن الشرط ماضٍ » . (٢) الغلق : القفل كالمغلاق . (٣) القنط والقنوط : اليأس .

(٤) السرى : السير ليلاً ، ويروى « عند الصباح يحمد القوم السرى » وهو مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة ، وفي الميداني : « أن أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بحث إليه أبو بكر رضي الله عنهما وهو باليمامة أن سر إلى العراق ، فأزاد سلوك المغازة ، فقال له رافع الطائي : قد سلكتها في الجاهلية ، هي خس للإبل الواردة (فلاة خس بكسر الخاء ، بعد ورودها حتى يكون ورد النعم اليوم الرابع سوى اليوم الذي شربت فيه) ولا أظنك تقدر عليها إلا أن تحمل من الماء ، فاشترى مائة شارب (الشارب الناقة المستنة) فطشها ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم سلك المغازة ، حتى إذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والليل ، وخشى أن يذهب ما في بطون الإبل نحر الإبل ، واستخرج ما في بطونها من الماء ، فسقى الناس وأخيل ومضى ، فلما كان في الليلة الرابعة . قال رافع : انظروا هل ترون سدرًا عظاما (السدر بالكسر شجر البقي) فإن رأيتموها وزلا فهو الهلاك ، فظفر الناس قرأوا السدر فأخبروه فكبر وكبر الناس ، ثم هجموا على الماء فقال خالد رجوا منه « عند الصباح يحمد القوم السرى » .

(٥) الريث : الإبطاء ويروى تهب ريثا ، وفي الميداني : « أن أول من قال ذلك مالك بن عوف ابن أبي عمرو بن عوف بن عوف بن مالك بن أبي عمرو بن عوف بن عوف بن عوف بن عوف بن عوف ، فأراد أن يرسل بامرأته وهي أخت مالك بن عوف ، فقال له مالك : أين تظن يا أخى ؟ قال : أطلب موقع هذه الصحابة . قال : لا تفعل فإنه ربما غيلت ، وليس فيها قطر ، وأنا أخاف عليك فأبى ، ومضى فعرض له مروان القرظ بن زبيح النسي ، فأعجله عنها وانطلق بها ، وجعلها بين يثاته وإخوته ولم يكشف =

من الحلم . ربيع القلب ما انتهى . الموى شديد العمى . الموى الإله المبود . الرأى
 نأى ، والموى يقظان . غلب عليك من دعا إليك . لا راحة لحسود ولا وفاء . لا سرور
 كطبيب النفس . العمر أقصر من أن يحتمل الهجر . أحق الناس بالعمو أقدرهم على
 العقوبة . خير العلم ما نفع . خير القول ما أتبع . البطنة^(١) تذهب البطنة . شر العمى
 عى القلب . أوثق المرى كلمة التقوى^(٢) . النساء حبات الشيطان . الشباب شعبة من
 الجنون . الشقى من شقى فى بطن أمه . السعيد من وعظ بغيره . لكل امرئ فى بدنه
 شغل . من يعرف البلاء يصبر عليه . المقادير تريك مالا يحظر بياك . أفضل الزاد
 ما تزود للمعاد . الفحل أحى للشول^(٣) . صاحب الحظوة غدا ، من بلغ للذى عواقب
 الصبر عمودة . لا تبلىغ النايات بالأمانى . الصرمة^(٤) على قدر العزيمة . الضيف يثنى أو
 يذم من تفكر اعتبر . كم شاهدك لا ينطق . ليس منك من غشك . مانظر لأمرئ مثل
 نفسه . ماعد فورك إلا ملك يمينك . ماعلى عاقل ضيعة . الغنى فى الثربة وطن . المثل فى أهله
 غريب ، أول المعرفة الاختبار . يدك منك وإن كانت شلاء . أنفك منك وإن كان أجذع^(٥) .

= لها ستر فقال مالك بن عوف لسان : ما فعلت أخى ؟ قال : نفخى عنها الرماح ؛ فقال مالك : « رب عجلة
 تهب ريثا . ورب فروقة يدعى ليثا ، ورب غيث لم يكن غيثا » ، فأرسلها مثلا ، يضرب الرجل يشد حرصه
 على حاجة ، ويخرق فيها حتى تذهب كلها .

(١) البطنة : الامتلاء الشديد من الطعام . (٢) انظر خطبة عبد الله بن مسعود .

(٣) الشول : جمع شائلة وهى من الإبل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجفت لبنها ،
 وأحى : أفضل من الجماية . (٤) الصرمة : قطع الأمر (والعزيمة) .

(٥) وروى « منك أنفك وإن كان أجذع » وفى الميدانى : « أول من قال ذلك قنفذ بن جمونة المازنى
 للربيع بن كعب المازنى . وذلك أن الربيع دفع فرسا كان قد أبر على الخيل (أى زاد) كرما وجوده إلى
 أخيه كيش ليأتى به أهله ؛ وكان كيش أنوك مشهورا بالحق ، وكان رجلا من بني مالك يقال له قراد
 ابن جرم قدم على أصحاب الفرس ليصيب منهم غرة فيأخذها ، وكان داهية فكش فيهم مقيما لا يرفون
 نسيه ولا يظهره هو ، فلما نظر إلى كيش راكبا الفرس ركب فاقه ثم عارضه ، فقال ياكيش : هل لك
 فى عانة لم أر مثلا سنا ولا عظما (المانة : القطيع من حمر الوحش) وغير منها من ذهب ؟ فلما ألتن
 (بضمتين جمع أنان) فتروح بها إلى أهلك فتملأ قلوبهم ، وتفرح صدورهم ، وأما العير فلا افتقار بعده =

من عَرَفَ بالكذب جاز صدقه^(١) . الصحة داعية السَّعَم . الشباب داعية الهرم .
 كثرة الصَّيَّاح من القَتْل . إذا قَدُمَت المصيبة تَرِكَت التعزية . إذا قَدُمَ الإخاء
 سَمَّجَ التَّناء . العادة أَمَلَك من الأدب . الرفق يُنَمِّقُ وأَلْفَرُقُ شَوْم . المرأة رِيحانة
 وليست بَقَهْرْمَانَةٍ^(٢) . الدال على الخير كفاعله . المحاجزة قبل المناجزة . قبل الرِّمَاية تملأ
 الكناش . لكل ساقطة لا قطة . مَقْتَل الرجل بين فكَّيه . تَرَكُ الحركة غفلة . الصمت
 حُبْسَة . مَنْ خَيْرَ خَبَرٍ . إِنْ تَسَمَّعَ مُنْطَرُ^(٣) . كفى بالمرء خِيَانَةً أَنْ يَكُونَ أَمِينًا لِلْخَوَانَةِ .
 قَبِدُوا النِّعَمَ بالشُّكْرِ . من يزرع المعروف يحصد الشكر . لا تنقر بمودة الأمير إذا غشك
 الوزير . أعظم من المصيبة سوء الخلف منها . من أراد البقاء فليوطن نفسه على المصائب .
 لقاء الأحبة مَسَلَةٌ لَهُمْ . قطيعة الجاهل كصلة العاقل . من رضى على نفسه كَثُرَ السَّخَطُ
 عليه . قتلت أرضٌ جاهليها ، وقتل أرضاً عارفيها . أدوا الداء الخلق الدني ، واللسان البذي .
 إذا جعلك السلطان أَخًا فَاجْهَلْهُ رَبًّا . احذر الأمين ولا تأمن الخائن . عند النايبة يُعْرَفُ
 السَّبْقُ . عند الرَّهْمَانِ يُحْمَدُ الْمَضَار . السؤال وإن قَلَّ ، أكثر من النوال وإن جَلَّ . كافي
 المعروف بمثله أو انشره . لا خُلَّةَ^(٤) مَعَ عَيْلَةٍ . لا سرودة مع ضرر ، ولا صبر مع شكوى .

= قال له كيش : وكيف لنا به ؟ قال : أنا لك به ؟ وليس يدرك إلا عل فرسك هذا ، ولا يرى إلا بلبل ،
 ولا يراه غيري ، قال كيش : فدوفكه ؟ قال نعم وأمسك أنت راحلق ، فركب قراد الفرس وقال :
 انتظر في هذا المكان إلى هذه الساعة من غد ؟ قال : نعم ومضى قراد : فلم يزل كيش ينتظره حتى أمس
 من غده وجاع ، فلما لم ير له أثرا انصرف إلى أهله وقال في نفسه : إن سألني أخى عن الفرس قلت تحول
 ناقة ، فلما رآه أخوه الربيع عرف أنه خدع من الفرس ، فقال له : أين الفرس ؟ قال : تحول ناقة ؟ قال
 فما فعل السرج ؟ قال : لم أذكر السرج فاطلب له علة ، فصرعه الربيع ليقطله ؟ فقال له قنفذ بن جمونة :
 ته عما فاتك ، فإن أنفك منك وإن كان أجده ؟ فذهبت مثلا .

- (١) في مجمع الأمثال (٢ : ١٧٥) : « من عرف بالصدق جاز كذبه ؛ ومن عرف بالكذب لم
 يجز صدقه » . (٢) القهرمان : هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده ؛ والقائم بأمور الرجل
 بلغة الفرس . (٣) أى إن تفتش أدنك للأقاويل تملأ وابلأ منها .
 (٤) الخلة : الصداقة المختصة لا خلل فيها . والعيلة الفقر .

ليس من العدل، سرعة التذلل^(١). عبدُ غيرك حرٌّ مثلك. لا يَمدَمُ أَعْيَارَ، من استشار.
الوضع من وضع نفسه. اللَّيْنِ من نَزَلَ وحده. من أكثر أهاجر^(٢). كفى بالمرء كذباً
أن يحدث بكل ما سمع. (المقد الفريد ١ : ٢٧٢)

* * *

ومن أمثال أكنم بن صيفي أيضاً :

« في الجربة تشترك المشيرة^(٣). إذا قرع الفؤاد ذهب الرقاد. هل يهلكني
قدُّ ما لا يمود ؟ أعوذ بالله أن يرميني امرؤ بدائه. ربُّ كلام، ليس فيه اكتتام.
حافظ على الصديق، ولو في الحريق. ليس ييسر، تقويم المسير. إذا أردت النصيحة،
فتأهب للظنة. متى تعالج مال غيرك تسأم. غثك خير من سمين غيرك. لا تنطح جهاء^(٤)
ذات قرن. قد يُبلِّغ الخضم بالخضم^(٥). قد صدع الفراق، بين الرفاق. استأنوا^(٦)
أخاكم، فإن مع اليوم غداً. الحُرُّ عزوف^(٧). لا تطمع في كل ما سمع. (جبهة الأمثال ٢ : ١٠٣)

٨٨ — نصيحة الجمانة بنت قيس بن زهير لجدها الربيع بن زياد

كان قيس بن زهير القيسى قد اشترى من مكة درعاً حسنة، نسي ذات الفضول،
ووردَ بها إلى قومه، فرآها عمه الربيع بن زياد، وكان سيد بني عبس، فأخذها منه

(١) اللوم. (٢) الإهجار : الاتعاش وهو أن يأتي في كلامه بالفحش.

(٣) مثل يضرب في الحث على المواساة.

(٤) الجماء : الشاة بلا قرن مؤنث الأجم. (٥) الخضم : الأكل بأطراف الأسنان، والخضم

الأكل بأقصى الأضراس، ومعنى المثل : قد تدرك للغاية البعيدة بالرفق. (٦) انتظروا.

(٧) من عزفت نفسه عنه : إذا زهدت فيه وانصرفت عنه إلى آنف راغب عن الدنيا.

غَضَبًا ، قَالَتْ الْجَانَّةُ بِنْتُ قَيْسٍ لَأَيُّهَا : دَعْنِي أَنْظِرَ جَدِّي ، فَإِنْ صَلَحَ الْأَمْرُ يَدْنِكُمَا ،
وَالْأَكْبَرُ مِنْ وَرَاءَ رَأْيِكَ ، فَأَذِنَ لَهَا ، فَأَنْتِ الرِّبِيعُ قَالَتْ :

« إِذَا كَانَ قَيْسٌ أَبِي ، فَإِنَّكَ يَا رِبِيعُ جَدِّي ، وَمَا يَجِبُ لَهُ مِنْ حَقِّ الْأَبُوَّةِ عَلَيَّ ،
إِلَّا كَأَنِّي يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْ حَقِّ الْبُنُوَّةِ لِي ، وَالرَّأْيُ الصَّحِيحُ تَبَعْتَهُ الْعِنَايَةُ ، وَتُجَلَّى عَنِ
حُضْنِهِ النَّصِيحَةُ ، إِنَّكَ قَدْ ظَلَمْتَ قَيْسًا بِأَخْذِ دِرْعِهِ ، وَأَجَدُّ مَكَافَاتِهِ إِلَيْكَ سَوْءَ عَزْمِهِ ،
وَالْمَعَارِضُ مُتَّعِرٌ ، وَالْبَادِي أَظْلَمُ ، وَلَيْسَ قَيْسٌ بِمَنْ يُخَوَّفُ بِالْوَعِيدِ ، وَلَا يَرْدَعُهُ
الْتِهَادُ ، فَلَا تَرَكْنِي إِلَى مَنَابَذَتِهِ ، فَالْحَزْمُ فِي مُتَارَكَتِهِ ، وَالْحَرْبُ مُتَلَفَةٌ لِلْعِبَادِ ، ذَهَابَةٌ
بِالطَّارِفِ وَالتَّلَادِ ، وَالسَّلَامُ أَرْخَى لِلْبَالِ ، وَأَبْقَى لِأَنْفُسِ الرِّجَالِ ، وَبِحَقِّي أَقُولُ : لَقَدْ
صَدَعْتُ بِحُكْمِي ، وَمَا يَدْفَعُ قَوْلِي إِلَّا غَيْرُ ذِي فَهْمٍ » ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

أَبِي لَا يَرَى أَنْ يَتَرَكَ الدَّهْرَ دِرْعَهُ وَجَدِّي يَرَى أَنْ يَأْخُذَ الدَّرْعَ مِنْ أَبِي
فَرَأَى أَبِي رَأَى الْبَغِيلِ بِمَالِهِ وَشِيَمَةُ جَدِّي شِيَمَةُ الْخَائِفِ الْأَبِي

(بلاغات النساء ص ١٢٥)

٨٩ - وصف عصام الكندية أم إياس بنت عوف بن محم الشيباني

لَمَّا بَلَغَ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرِو مَلَكَ كِنْدَةَ جَمَالَ أُمُّ إِيَّاسُ بِنْتُ عَوْفٍ بِنْتُ مُحَمِّ الشَّيْبَانِي ،
وَكَا مَلَأَ وَقُوَّةَ عَقْلَهَا ، أَرَادَ أَنْ يَنْزَوِجَهَا ، فَدَعَا امْرَأَةً مِنْ كِنْدَةٍ ، يَقَالُ لَهَا عِصَامُ ، ذَاتَ عَقْلٍ
وَلِسَانٍ ، وَأَدَبٍ وَبَيَانٍ ، وَقَالَ لَهَا : إِذْهَبِي حَتَّى تَعْلَمِي لِي عِلْمَ ابْنَةِ عَوْفٍ ، فَضُضْتُ حَتَّى
انْتَهَيْتُ إِلَى أُمِّهَا أَتَامَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ ، فَأَعْلَمْتُهَا مَا قَدِمْتُ لَهُ ، فَأَرْسَلَتْ أُمَامَةَ إِلَى ابْنَتِهَا
وَقَالَتْ : أَيُّ بُنَيَّةٍ ، هَذِهِ خَالَتُكَ أُمْتُ إِلَيْكَ لَتَنْتَظِرَ إِلَيَّ بَعْضَ شَأْنِكَ ، فَلَا تَسْتَرِي عَنْهَا
شَيْئًا أَرَادَتْ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، مِنْ وَجْهِ وَخَلْقٍ ، وَنَاطِقِيهَا فِيمَا اسْتَنْطَقَتْكَ فِيهِ ، فَدَخَلَتْ
عِصَامَ عَلَيْهَا ، فَفَظَرَتْ إِلَى مَا لَمْ تَرَعْ عَيْنُهَا مِثْلَهُ قَطُّ بِهَجَةٍ وَحَسَنًا وَجَمَالًا ، فَإِذَا هِيَ أَكُلُ النَّاسِ
عَقْلًا ، وَأَفْصَحُهُمْ لِسَانًا ، فَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهَا وَهِيَ تَقُولُ : (تَرَكَ الْخِدَاعَ مَنْ كَشَفَ

القِنَاعَ) فذهبت مثلاً ، ثم أُقْبِلت إلى الحارث فقال لها : (ما وراءكِ يا عِصَامُ) ؟ فأرسلها مثلاً ، قالت : (صَرَّحَ الْمَخْضُ عَنْ الرُّبْدِ ^(١)) ، فذهبت مثلاً . قال أخبريني ، قالت : أخبرك صدقاً وحَقّاً :

« رَأَيْتُ جَبْهَةَ كَلِمَةِ الصَّيْقِلَةِ ، يَرَيْنَهَا شَعْرٌ حَالِكٌ ، كَأَذْنَابِ الْخَيْلِ الْمَضْفُورَةِ ^(٢) ، إِنْ أُرْسِلَتْ خِلَتَهُ السَّلَاسِلُ ، وَإِنْ مَشَطَتْهُ قَلَتَ عُنَايِدُ كَرِيمِ جَلَاهَا الْوَابِلِ ^(٣) ، وَحَاجِبِينَ كَأَمَّا خَطَا بِقَلَمٍ ، أَوْ سَوْدًا بِحَمَمٍ ^(٤) قَدْ تَقَوَّسًا عَلَى عَيْنِي الظُّبْيَةِ الْمُبْتَهَرَةِ ^(٥) ، الَّتِي لَمْ يَرُوعْهَا قَانِصٌ ، وَلَمْ يُذِعْهَا قَسُورَةٌ ^(٦) ، بَيْنَهُمَا أَنْفٌ كَحَدِّ السَّيْفِ الْمَصْقُولِ ^(٧) ، لَمْ يَخْنُسْ بِهِ ^(٨) قِصَرٌ ، وَلَمْ يَمْنُضْ ^(٩) بِهِ طَوْلٌ ، حَفَّتْ بِهِ وَجَنَّتَانِ كَالْأَرْجَوَانِ ^(١٠) ، فِي بَيَاضٍ نَحْضٍ كَالْجَبَانِ ^(١١) ، شُقَّ فِيهِ فَمٌ كَالْخَاتَمِ ، لَذِيذُ الْمُبْتَسَمِ ، فِيهِ ثَنَائِيَا غُرٌّ ، ذَوَاتُ أَثَرٍ ^(١٢) ، وَأَسْنَانٌ تَبْدُو كَالذُّرَرِ ، وَرَبِيقٌ كَالنَّجْمِ لَهُ نَشْرُ الرَّوْضِ بِالسَّحَرِ ، يَتَقَلَّبُ فِيهِ لِسَانٌ ذُو فَصَاحَةٍ وَبَيَانٍ ، يَحْرُّ كَهَ عَقْلٌ وَافِرٌ ، وَجَوَابٌ حَاضِرٌ ، تَلْقَى دُونَهُ شَفَتَانِ حَمْرَاوَانِ كَاللُّورِدِ ، يَجْلِيَانِ رَيْقًا كَالشَّهْدِ ، تَحْتَ ذَلِكَ عُنُقٌ كَالرَّبِيقِ الْفَيْضَةِ ، رُكْبٌ فِي صَدْرِ كَصَدْرِ تِمْنَالِ دُمِيَّةٍ ^(١٣) ، يَتَصَلُّ بِهَا عَصْدَانِ مِمْتَلِئَانِ لَحْمًا ، مُكْتَنَزَانِ ^(١٤) شَحْمًا ، وَذِرَاعَانِ لَيْسَ فِيهِمَا عَظْمٌ يُحْسُ ، وَلَا عِرْقٌ يُحْسُ ، رُكْبَتٌ فِيهِمَا كَفَّانٌ ، دَقِيقٌ

-
- (١) مخض الثبن : أخذ زبده ، والتصريح : تبين الأمر ، وهو مثل يضرب للآمر إذا انكشف وتبين . (٢) في الأصل « المقصورة » وهو تحريف وصوابه « المضفورة » . (٣) المطر الشديد الضخم القطر . (٤) الحمم : الفحم . (٥) المبهرة والمبهر : الرقيقة البشرة الناصعة البياض ، وتسمية الممتلئة الجسم . (٦) القسورة : الرماة من الصيادين ، الواحد قسور . (٧) في جميع الأمثال « الصنيع » وهو السيف الصقيل للجرب . (٨) خنس عته كضرب وكرم تأخر « والخنس : محركة تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة ، خنس كفرح فهو أخنس وهي خنساء » . (٩) وفي جمهرة الأمثال « ولم يمن » . (١٠) الأرجوان : صبغ أحمر . (١١) الجبان : القلوق ، أو هنوات أشكال اللؤلؤ من فضة . (١٢) أثر الأسنان : التحزب الذي فيها . (١٣) النمية : الصورة المنقشة من الرخام أو عام . (١٤) اكتنز : اجتمع وامتلأ .

قَصَبُهَا ، لَيْنُ عَصَبُهَا ، يُفْقَدُ إِنْ شئتَ مِنْهَا الْأَنَامِلُ ، وَتُرَكَّبُ الْفُصُوصُ فِي حُمْرِ
الْمَافِصِلِ ، وَقَدْ تَرَبَّعَ فِي صَدْرِهَا حُفَّانٌ ، كَأَنَّهُمَا رُمَاتَانِ ، يَخْرُقَانِ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا ، نَحْتُ
ذَلِكَ بَطْنُ طُورِي كَطَلَى الْقِبَالِي^(١) الْمُدْمَجَّةُ ، كُيِّعَى عُنْكَأ^(٢) كَالْقِرَاطِيسِ الْمُدْرَجَةِ^(٣)
تَحِيطُ تِلْكَ الْمَكْنُ بِسُرَّةٍ كَمُدْهَنٍ^(٤) الْعَاجِ الْمَجْلُوعِ ، خَلْفَ ذَلِكَ ظَهْرٌ كَالْجَدْوَلِ ،
يَنْتَهِي إِلَى خَصْرِ ، لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ لَأَنْبَتَرَ ، نَحْتَهُ كَقَلْبٍ^(٥) يُقْعِدُهَا إِذَا نَهَضَتْ ،
وَيُنْهَضُهَا إِذَا قَعَدَتْ ، كَأَنَّهُ دِعْصُ^(٦) رَمِلٍ ، لَبَدَهُ سَقُوطُ الطَّلِّ ، يَحْمِلُهُ خِذَانُ لِقَاوَانٍ^(٧)
كَأَنَّهُمَا نَضِيدُ الْجُمَانِ ، نَحْتَهُمَا سَاقَانِ ، خَذَلَتَانِ^(٨) كَالْبَزْدِيِّ ، وَشَيْتَا بَشَرِ أَسُودَ ،
كَأَنَّهُ حِلَقُ الزَّرْدِ ، يَحْمِلُ ذَلِكَ قَدَمَانِ ، كَحَذَوِ اللِّسَانِ ، فَيُبَارِكُ اللَّهُ مَعَ صَنْعِهَا
كَيْفَ تَطْلِقَانِ حَلَّ مَا فَوْقَهُمَا ، فَأَمَّا مَاسُوِي ذَلِكَ فَتَرَكْتَ أَنْ أَصْفَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَحْسَنُ
مَا وَصَفُهُ وَاصِفٌ بِنَظْمٍ أَوْ نَثْرٍ ، فَأَرْسَلُ لَكَ إِلَى أَبِيهَا فَضْلُهَا ، فَرُوجُهُ إِيَّاهَا^(٩) .

(المقد الفريد ٣ : ٢٣٥ ، وجميع الأمثال ٢ : ١٤٣ ، وجمهرة الأمثال ٢ : ٢٧)

-
- (١) القِبَالِي (بضم الأول مع تشديد الآخر) وقِبَالِي (بفتح الأول مع تخفيف الآخر) جمع
قِبَالِيَّة (بالضم حل غير قياس وقد تكسر) : ثياب كتان بيض رفاق كانت تعمل في مصر .
(٢) المَكْنُ : جمع مَكْنَةٍ (كفرسة) وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا . (٣) المطرية .
(٤) المدمن : تارورة الدهن . (٥) عجز .
(٦) الدمص : الكتيب من الرمل للمجتمع . (٧) اللقاه : الفخذ الضخمة (والضمخة التفضيل) .
(٨) ساق خذلة : ممكض ضخمة (والخذلة المرأة اللطيفة الساق المستديرة وفي المقد : « خذلتان » .
(٩) بفتح الخاء والفاء وتشديد اللام) والخذلية : المرأة الممكضة للدارسين والساقين .

(٩) في جميع الأمثال وجمهرة الأمثال ، أن الذي تزوج أم إياس هو الحارث بن عمرو ، والحارث هذا
هو جد امرئ القيس ، وذكر صاحب المقد أن الذي تزوجها هو عمرو بن حجر ، وأنها ولدت له الحارث
ابن عمرو جد امرئ القيس غير أنا نلاحظ أنه قال في مقدمة هذا الوصف : « ثم أقبلت عصام إلى الحارث
فقال لها ما ورائك يا عصام ؟ ... الخ » .

٩٠ - وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس

فلما حُلّت إلى زوجها قالت لها أمها أمامة بنت الحارث :

« أَى بِنِيَّةُ : إِنْ الوصِيَّةُ لَوْ تُرِكَتْ لَفُضِّلَ أَدَبِي ، تُرِكَتْ لَدَلَّكَ مِنْكَ ، وَلَكِنِّهَا تَذَكُّرَةٌ لِلْعَاقِلِ ، وَمَعُونَةٌ لِلْعَاقِلِ ، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً اسْتَفْتَتْ عَنِ الزَّوْجِ لَفَتَى أَبُوْهَا ، وَشَدَّةُ بَاجِئَتِهَا إِلَيْهَا ، كُنْتُ أَغْنَى النَّاسَ عَنْهُ ، وَلَكِنِ النِّسَاءُ لِلرِّجَالِ خُلُقَيْنِ ، وَلَمْ يَنْ خُلِقِ الرِّجَالُ .

أَى بِنِيَّةُ : إِنَّكَ فَارَقْتِ الْجَوْءَ الَّذِي مِنْهُ خَرَجْتِ ، وَخُلِقْتَ الْمَشُّ الَّذِي فِيهِ دَرَجْتِ ، إِلَى وَكَرِّرْ لَمْ تَعْرِفِيهِ ، وَفَرِّقِي لَمْ تَأْلَفِيهِ ، فَأَصْبَحْ بِمِلْكِهِ (١) عَلَيْكَ رَقِيبًا وَمَلِيكًا ، فَكُونِي لَهُ أَمَةً يَكُنْ لَكَ عَبْدًا وَشِيكًا (٢) . يَا بِنِيَّةُ : احْمِلِي عَنِّي عَشْرَ خِصَالٍ تَكُنْ لَكَ ذُخْرًا وَذِكْرًا ، الصَّبْرُ بِالْقَنَاعَةِ ، وَالْعَاشِرَةُ بِحَسَنِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَالنَّعْمُ لِمَوْقِعِ عَيْنِهِ ، وَالنَّفَقْدُ لِمَوْضِعِ أَنْفِهِ ، فَلَا تَقَعْ عَيْنُهُ مِنْكَ عَلَى قَبِيحٍ ، وَلَا يَنْتَمِ مِنْكَ إِلَّا أَطْيَبُ رِيحٍ ، وَالْكَحْلُ أَحْسَنُ الْحَسَنِ ، وَاللَّاءُ أَطْيَبُ الْعَلْيَبِ الْمَفْقُودِ ، وَالتَّهَمُّدُ لَوْقَتِ طَعَامِهِ ، وَالْهَدْوُ عَنْهُ عِنْدَ مَنَامِهِ ، فَإِنْ حَرَارَةُ الْجَوْعِ مَلَّهَتْ ، وَتَنْفِيصُ النَّوْمِ مَغْضَبَتْ ، وَالِاحْتِفَازُ بَيْتِهِ وَمَالِهِ ، وَالِإِرْعَاءُ عَلَى نَفْسِهِ وَحَشَمُهُ وَعِيَالِهِ ، فَإِنْ الِاحْتِفَازُ بِالْمَالِ حَسَنُ التَّقْدِيرِ ، وَالِإِرْعَاءُ عَلَى الْعِيَالِ وَالْحَشْمُ جَمِيلُ التَّنْذِيرِ ، وَلَا تَغْشَى لَهُ سِرًّا ، وَلَا تَعْمِي لَهُ أَمْرًا ، فَإِنَّكَ إِنْ أَفْشَيْتَ سِرَّهُ ، لَمْ تَأْتِنِي غَدْرَهُ ، وَإِنْ عَصَيْتِ أَمْرَهُ ، أَوْغَرَّتْ صَدْرَهُ ، ثُمَّ انْتَبِهِ مِنْ

(١) أَمْلِكُهُ إِيَّامًا : زَوْجُهُ فَلِكُلِّهَا مَلِكًا ، مَثَلُ الْمَم .

(٢) الْوَشِيكَ ، السَّرِيعُ : أَى يَكُنْ عَبْدًا سَرِيعَ الْإِجَابَةِ .

ذلك المَرَحَ إن كان تَرَحًا ، والا ككتابَ عنده إن كان فَرَحًا ، فإنَّ الخصلة الأولى من
التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوفى أشد ما تكونين له إعظامًا ، يكن أشدَّ
ما يكون لك إكرامًا ، وأشدَّ ما تكونين له موافقةً ، يكن أطولَ ما تكونين له
مُرافقةً ، واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين ، حتى تؤثري رضاه على رضاك ، وهواه
على هواك فيما أحببت وكَرِهتِ ، والله يَخِيرُ لك .

(جمع الأمثال ٢ : ١٤٣ ، والمقد الفريد ٣ : ٢٢٣)

الخطبة الوصائية

في

عصر صدر الإسلام

خطب النبي صلى الله عليه وسلم

١ - أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه

سبح الله وأثنى عليه ثم قال :

« إِنَّ الرَّائِدَ ^(١) لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وَاللَّهُ تَوَكَّدْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا كَذَبْتُكُمْ ،
وَلَوْ غَرَزْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا غَرَزْتُكُمْ ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
خَاصَّةٌ ، وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةٌ ، وَاقِهِ لِقَوْمٌ كَمَا تَقَامُونَ ، وَلَتُبْنَمَنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ ،
وَلَتُحَاسَبَنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ ، وَلَتُجْزَوْنَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا ، وَبِالسُّوءِ سُوءًا ، وَإِنَّهَا لَجَنَّةٌ أَبَدًا ،
أَوْ لَنَارٌ أَبَدًا » .

(السيرة الحلبية ١ : ٢٧٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٧)

(١) المرسل في طلب الكلأ .

٢ - أول خطبة خطبها بالمدينة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس فقدّموا لأنفسكم ، تَعْلَمَنَّ اللهُ لِيُصَمِّقَنَّ أَحَدُكُمْ ، ثم ليدع عن غمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولك ، وآتيتك مالا ، وأفضلت عليك ، فاقدمت لنفسك ؟ فليظنن يميناً وشمالاً ، فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدّامه فلا يرى غير جمهم ، فن استطاع أن يبق وجهه من النار ، ولو يشق من ثمرة فليقل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تُجْزَى الْحَسَنَةُ عَشْرُ أمثالها إلى سبعمائة ضِعْفٍ ^(١) ، والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته . »

(سيرة ابن هشام ١ : ٣٠٠)

٣ - خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة

« الحمد لله أحمدُهُ واستعينه واستغفره واستهديه وأومن به ولا أكفرهُ وأعادي من يكفرهُ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والوعظة على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشِدَ ^(٢) ، ومن ينصهياً فقد غَوَى وفرط ، وصلّ ضلالاً بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به السلمُ السلم أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكراً ، وإن

(١) ضُفِّفَ التي مظه ، وضُفِّفَ مثله ، أو الضُفِّفَ المثل إلى ما زاد ، ويقال لك ضُفِّفَ يريدون مثليه

(٢) كصبر وفرح .

وثلاثة أمثاله لأنه زيادة غير محصورة .

تقوى الله لمن عمل به على وجل وخافة من ربه، عونٌ صدق على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوى بذلك إلا وجه الله، يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدّم، وما كان من سوى ذلك يودّ لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، والله رءوف بالعباد، والذي صدق قوله، وأنجز وعده لا خلف لذلك، فإنه يقول عز وجل: «مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ، وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ» فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله، في السر والعلانية، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً، وإن تقوى الله يوئى مقته، ويوقى عقوبته، ويوقى سخطه، وإن تقوى الله يبيض الوجه، ويرضى الرب، ويرفع الدرجة، خذوا بحفظكم ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم للمسلمين، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، ولا قوة إلا بالله، فأذكروا ذكر الله، وأعملوا لما بعد اليوم، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفره الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضى على الناس، ولا يقضون عليه، يهلك من الناس ولا يهلكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم.

(تاريخ الطبري ٢ : ٢٥٥)

٤ — خطبة له يوم أحد

قام عليه الصلاة والسلام فخطب الناس فقال:

«أيها الناس أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه، من العمل بطاعته، والتناهي عن محاربه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخيرة لمن ذكر الذي عليه، ثم وطن نفسه على الصبر واليقين، والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد كربه، قليل من يصبر عليه إلا

من عَزَمَ له على رشدہ ، إن الله مع من أطاعہ ، وإن الشيطان مع من عصاه ، فاستفتحوا أعمالکم بالصبر على الجهاد ، واتمسوا بذلك ما وعدکم الله ، وعليکم بالذى أمرکم به ، فإنی حریص على رشدکم . إن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر المعجز والضعف ، وهو مما لا یحبہ الله ، ولا یعطى علیه النصر .

أيها الناس إنه قُذِفَ فی قلبی أن من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عند الله غَفَرَ له ذنبه ، ومن صلى على محمد وملائکته عشرا ، ومن أحسنَ وقع أجره على الله فی عاجل دنياه ، أو فی آجل آخرته ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فعليه الجمعة يوم الجمعة ، إلا صبیا أو امرأة أو مریضا أو عبدا مملوكا ، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه ، والله غنى حمید .

ما أعلم من عمل یقرّبکم إلى الله إلا وقد أمرتکم به ، ولا أعلم من عمل یقرّبکم إلى النار إلا وقد نهیتکم عنه ، وإنه قد نَفَثَ الرُّوحُ الأمين فی رُوعی أنه لن تموت نفس حتى تستوفی أقصى رزقها لا ینقص منه شیء . وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله ربکم ، وأجلوا فی طلب الرزق ، ولا یحملنکم استبطاؤه على أن تطلبوه بمصیبة ربکم ، فإنه لا یُقدَرُ على ما عنده إلا بطاعته ، قد بین لکم الحلال والحرام ، غیر أن بینهما شُبْها من الأمر لم یعلمها کثیر من الناس إلا من عَصَمَ ، فن ترکها حفظ عرضه ودينه ، ومن وقع فيها کان کالراعى إلى جنب الحمى أو شک أن یقع فيه ، وليس ملک إلا وله حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، والمؤمن من المؤمنین کالرأس من الجسد ، إذا اشتكى تداعى إلیه سائر جسده ، والسلام علیکم .

(شرح ابن الجوزی ٣: ٢٦٥)

٥ - خطبته بالحنيف

وخطب بالحنيف من مَنَى فقال :

« نَصَّرَ^(١) الله عبداً سمعَ مقاتلي فوعاها ، ثم أذاها إلى من لم يسمعها ، فرب حاملِ
فِقْرٍ لا فقه له ، ورب حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه ، ثلاثٌ لا يَفْلَهُ^(٢) عِلْمُهُنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ :
إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ، وَالنَّصِيحَةُ لِأَرْؤَى الْأَمْرِ ، وَلِزُومُ الْجَمَاعَةِ ، إِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ
وَرَائِهِ ، وَمَنْ كَانَ هِمُّهُ الْآخِرَةُ جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ ، وَجَمَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ
رَاغِمَةٌ ، وَمَنْ كَانَ هِمُّهُ الدُّنْيَا فَرَّقَ اللهُ أَمْرَهُ ، وَجَمَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا
إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ » . (إعجاز القرآن ص ١١٢)

٦ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

ومن خطبه أيضاً أنه خطب بعد العصر فقال :

« أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْطِفُكُمْ فِيهَا فَنَظَرُكُمْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ
ظَانِقُوا الدُّنْيَا ، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ ، أَلَا لَا يَمْتَنِعَنَّ رَجُلًا مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ إِذَا عَلِمَهُ .
وَلَمْ يَزَلْ يَخْطُبُ حَتَّى لَمْ تَبْقَ مِنَ الشَّمْسِ إِلَّا حُمْرَةٌ عَلَى أَطْرَافِ السَّعَفِ فَقَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ
مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى » . (إعجاز القرآن ص ١١٢)

(١) من النصرة والنصرة : وهي الحسن .

(٢) غل صدره يفل كضرب فلا : وهو المحقد والقضن .

٧ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« إن الحمد لله أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إن أحسن الحديث حديث كتاب الله ، قد أفلح من زينته الله في قلبه ، وأدخله في الإسلام بعد الكفر ، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أصدق الحديث وأبلغه ، أحبوا من أحب الله ، وأحبوا الله من كل قلوبكم ، ولا تمثلوا كلام الله وذكروه ، ولا تقسوا عليه قلوبكم ، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، اتقوا الله حق تقاته ^(١) ، وصدقوا صالح ما تعملون بأفواهكم ، ونحاثوا بروجح الله بينكم ، والسلام عليكم ورحمة الله » .

(إعجاز القرآن ص ١١٠)

٨ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أيها الناس إن لكم معاملاً ^(٢) فانتهوا إلى معاملكم ، وإن لكم نهايةً فانتهوا إلى نهايتكم ، فإن العبد بين خافتين ، أجل قد مضى لا يدرى ما الله فاعل فيه ، وأجل باقي لا يدرى ما الله قاضٍ فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبهة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالذي نفس محمد بيده : ما بعد الموت من مُستَتَب ^(٣) ، ولا بعد الدنيا من دارٍ إلا الجنة أو النار .

(تهذيب الكمال ١ : ٥ ، إعجاز القرآن ١١٠ ، البيان والتبيين ١ : ١٦٥ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٢١٢ ، وغرر الخصالن الواضحة ١٥٠) .

(١) التقاة : التقوى .

(٢) جمع معام ككذب ؛ وهو الأثر يستدل به على الطريق ؛ والمراد حفرود الشريعة المطهرة .

(٣) استتبه : أعطاه الشيء (وهي الرضا والصفح) وطلب إليه العتبي .

٩ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أيها الناس كأنَّ الموت فيها على غيرنا قد كُتِبَ ، وَكَانَ الحق فيها على غيرنا قد وَجَبَ ، وَكَانَ الذي نُشِيعُ من الأموات سَقَرُ ، عَمَّا قَلِيلٍ إلينا راجعون ، نبؤهم أجداثهم ، ونأكل من تُرائهم ، كأَنَّا مُخَلَّدُونَ بعدهم ، ونسينا كل واعظة ، وأمينا كل جائحة ^(١) ، طُوبَى ^(٢) لِمَنْ شغله عَيْبُهُ عن عيوب الناس ، طُوبَى لِمَنْ أنفق مَالًا ا اكتسبه من غير ممصية ، وجالس أهل الفَقْرِ والحِكمة ، وخالط أهل الذل والمُسْكَنَةِ ، طُوبَى لِمَنْ زَكَّتْ وَحَسَنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وَطَابَتْ سَرِيرَتُهُ ، وَعَزَلْ عن الناس شره ، طُوبَى لِمَنْ أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، وَوَسِعَتُهُ السُّنَّةُ ، ولم تَسْمُوهِ الْبِدْعَةُ .

(صبح الأُمم ١ : ٢١٣)

١٠ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

أَلَا أيها الناس ، توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا ، وَبَادِرُوا الأعمال الصالحة قبل أن تُسْفَلُوا ، وَصِلُوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له ، وكثرة الصدقة في السرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، تُرْزُقُوا وَتَوَلَّجُوا وَتُنْصَرُوا . واعلموا أن الله - عزَّ وجلَّ - قد افترض عليكم الجمعة ، في مقامى هذا ، في عامى هذا ، في شهرى هذا ، إلى يوم القيامة ، حياتى ومن بعد موتى ، فمن تركها وله إمامٌ ، فلا جَمَعَ الله له شَمْلَهُ ، ولا بَارَكَ له في أمره ، أَلَا ولا حجَّ له ، أَلَا ولا صومَ له ، أَلَا ولا صدقةَ له ، أَلَا ولا يَرَّ له ، أَلَا ولا يَوْمُ أَعْرَابِيٍّ مُهَاجِرًا ، أَلَا ولا يَوْمُ طَاجِرٍ مُؤْمِنًا ، إِلَّا أَنْ يَقْهَرَهُ سُلْطَانٌ يَخَافُ سِيْنَهُ أَوْ سَوْطَهُ .

(إعجاز القرآن ص ١١٠)

(١) الجوح : الإهلاك والاستئصال كالاجتياح . (٢) مؤث أطيب : والحسن ، والخير ، وشجرة في الجنة أو الجنة .

١١ - خطبته يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، صَدَقَ وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ عَيْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، أَلَا كُلُّ مَأْثُورَةٍ ^(١) أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى ، فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، إِلَّا سِدَانَةَ الْبَيْتِ ^(٢) ، وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ ، أَلَا وَقَتْلُ الْخَطَا مِثْلُ الْعَمْدِ بالسُّوْطِ وَالْمِصَا ، فَيَوْمَا الْإِدْيَةِ مُقْلَقَةً ^(٣) ، مِنْهَا أَرْبَعُونَ خَلِيفَةً ^(٤) فِي بَطُونِهَا أَوْلَادُهَا ، يَامَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنْ اللَّهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَحْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَتَعَظَّمَهَا ^(٥) بِالْآبَاءِ ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ خَلَقَ مِنْ تَرَابٍ ، ثُمَّ تَلَا : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الْآيَةَ . يَامَعْشَرَ قُرَيْشٍ (أَوْ يَأْهْلَ مَكَّةَ) مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ قَالُوا خَيْرًا ، أَخُ كَرِيمٍ ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ ، قَالَ : أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ .

(تاريخ الطبري ٣ : ١٢٠ ، وإعجاز القرآن ص ١١٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٢١ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٣) .

١٢ - خطبته في الاستسقاء

روى أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله في عام جَدَبٍ ، فقال : أَيْنِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَمْ يَبْقَ لَنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ ، وَلَا شَارِفٌ ^(١) تَجْتَرُّ ثُمَّ أُنْشَدَهُ :
أَيْنِكَ وَالْعَذْرَاءُ بِذِي لَبَاسٍ ^(٢) وَقَدْ شُفِلَتْ أُمُّ الرُّضِيعِ عَنِ الطِّفْلِ
وَأَلْقَى بِكَفِّهِ الْفَتَى لاسْتِكَانَةٍ مِنَ الْجُوعِ حَتَّى مَا يُيَمِّرُ وَلَا يُجْلِي ^(٣)

(١) المأثرة : المكربة . (٢) خنمة الكعبة . (٣) الخلفة : الحامل من النياق .

(٤) تعظم : تكبر . (٥) الشارف من النوق : المسنة المحرمة كالشارفة . (٦) أى يدعى صدرها لامتئائها نفسها في الخنمة حيث لا يجد ما تطليه من يعضها من الجلب وشدة الزمان . (٧) أى ما يضر وما ينفق ، أو ما يلقى بكلمة ولا فلة مرة ولا حلوة .

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل المائي والغليز القسل^(١)
وليس لنا إلا إليك فرارنا وابن فرار الناس إلا إلى الرسل ؟
فقام النبي صلى الله عليه وسلم يجرّ رداءه حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :
« اللهم أسقنا غيثاً مغيثاً ، مريئاً هنيئاً مريئاً^(٢) ، سحاً سجالاً^(٣) ، غدقاً^(٤)
طبعاً^(٥) ، ديماً درراً^(٦) ، تحيى به الأرض ، وتنبئ به الزرع ، وتُدِرُّ به الضرع ،
واجهله سقياً نافعةً ، عاجلاً غير راثٍ^(٧) .

فوالله ما ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يده إلى تحريكه ، حتى ألقّت السماء
أزواقها^(٨) ، وجاء الناس يصيحون : الفرق الفرق يا رسول الله ، فقال : اللهم حوالينا
ولا علينا ! فانجأ^(٩) السحاب عن المدينة ، حتى استدار حولها كالإكليل ، فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه^(١٠) . (شرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ٢١٦)

١٣ - خطبته في حجة الوداع

« الحمد لله محمده واستعينه ونستغفره ونَتُوبُ إليه ، ونَعُوذُ بالله من شرور أنفسنا ،
ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضللّ فلا هاديّ له ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أوصيكم

(١) المائي : الذي أقي عليه عام ، قال الشاعر : « من أن شجلك طلال مائي » والمهز : طمام
من الدم والوبركان يتخذ في المجاعة ، والفسل : الرى الرذل من كل شيء .
(٢) للمربع الحصب ، أي تخصب به الأرض التي ينزل عليها . (٣) أي متداولاً بين البلاد ، يقال
كل منها نصيبه منه ، والسجل بالفتح : التصيب والدلو المماودة العظيمة ، ويقال الحرب سجال : أي نصرتها
بين القوم متداولة سجل منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء . (٤) التندق : الماء الكثير .
(٥) أي مائلاً للأرض مغطياً لها ، يقال غيث طبق : أي عام واسع يطبق الأرض .
(٦) هو جمع درة بالكسر ، يقال للسحاب درة : أي صب وانفلق ، وقيل النور : الدار ، كقوله تعالى :
« دَبْنًا قَبِيحًا » أي قاتماً .

(٧) أي غير بطيء . (٨) ألقّت السحابة أزواقها : أي مطرها ووبلها .

(٩) انكشف . (١٠) النواخذ : أقصى الأضراس .

عباد الله بقوى الله ، وَأَحْشَكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَسْتَفْتَحُ^(١) بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، أَمَا بَعْدُ : أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا مِنِّي أَيْبُنَ لَكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لِمَ لَا أَتَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا فِي مَوْقِفِي هَذَا . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنِّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ، إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بِلَادِكُمْ هَذَا . أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ أَلَيْسَ أَشْهَدُ ! فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا ، وَإِنْ رُبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضِعٌ ، وَإِنْ أَوَّلُ رَبًّا أَبَدًا بِهِ رَبًّا عَمَى الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَإِنْ دِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضِعَةٌ ، وَإِنْ أَوَّلُ دِمًّا نَبْدًا بِهِ دِمٌّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ الْحُرْثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ^(٢) ، وَإِنْ مَأْتَرُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضِعَةٌ غَيْرُ السِّدَّانَةِ وَالسَّيَّاتِيَةِ ، وَالْعَمْدُ قَوْدٌ^(٣) ، وَشَبْهَ الْعَمْدِ مَا قُتِلَ بِالصَّاعِ وَالْحَجَرِ وَفِيهِ مِائَةٌ بَعِيرٍ ، فَمَنْ زَادَ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يُشَسُّ أَنْ يُبِيدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ ، وَلَكِنَّهُ^(٤) قَدْ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ عَمَّا تُحْكُرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا النَّسِيءُ^(٥) زِيَادَةٌ

(١) الاستفتاح : الافتتاح والاستنصار . (٢) وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته بنو هذيل .

(٣) القود : القصاص ، أى من قتل عمدا يقتل . (٤) في رواية الكامل لابن الأثير : « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يُشَسُّ أَنْ يُبِيدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا ، وَلَكِنَّهُ يُطَاعُ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ ؛ وَقَدْ رَضِيَ بِمَا تُحْكُرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ » . (٥) أى تأخير حرمة شهر إلى آخر ، وذلك أَنَّ الْعَرَبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا إِذَا جَاءَ شَهْرٌ حَرَامٌ وَهُمْ بِحَارِبٍ أَوْ أَحْلَوْهُ ، وَحَرَمُوا مَكَانَهُ شَهْرًا آخَرَ فَيَحِلُّونَ الْحَرَمَ ، وَيَحْرَمُونَ صَفْرًا ، فَإِنْ احْتَاجُوا أَحْلَوْهُ وَحَرَمُوا رَيْبِمَا الْأَوَّلَ ، وَهَكَذَا حَتَّى اسْتَدَارَ التَّجَرُّيمُ عَلَى الشُّهُورِ السَّتَّةِ كُلِّهَا ، وَكَانُوا يَتَجَرَّبُونَ فِي التَّحْرِيمِ بِجَرْدِ الْمَدَدِ لِاخْتِصَاصِ الْأَشْهُرِ الْمَحْلُومَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَ ذَلِكَ جَنَادَةُ بْنُ حُفَافٍ الْكِنَانِيُّ ، كَانَ يَقُومُ عَلَى جَمَلٍ فِي الْمَوْسَمِ فَيُنَادِي : إِنَّ أَلْحَنَكُمْ قَدْ أَحْلَلْتُ لَكُمْ الْحَرَمَ فَأَحْلَوْهُ ، ثُمَّ يَنَادِي فِي الْقِيَاطِلِ : إِنَّ أَلْحَنَكُمْ قَدْ حَرَمْتُ عَلَيْكُمْ الْحَرَمَ . فَيَحْرَمُوهُ — زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ ، أَيْ كُفْرَ آخِرِ ضَمَوِهِ إِلَى كُفْرِهِمْ . لِيُؤَامِلُوا : أَيْ يُؤَافِقُوا حِلَّةَ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ الْمُحَرَّمَةِ ، وَكَانُوا رَيْبِمَا زَادُوا فِي عِدَّةِ الشُّهُورِ بِأَنْ يَجْمَعُوا ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَوْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ لِيَتَسَمِعَ لَهُمُ الْوَقْتُ وَيَجْمَعُوا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ حَرَامًا أَيْضًا ، وَلِذَا نَصَّ عَلَى الْمَدَدِ الْمَبِينِ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ ؛ وَكَانَ وَقْتُ حُجَّتِهِمْ يَخْلُفُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ، وَكَانَ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ الَّتِي حُجَّ فِيهَا أَبُو يَكْرَ بِالنَّاسِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَفِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَلِذَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ « إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ . . . الخ » — رَاجِعَ تَفْسِيرِ الْأَلُوسِيِّ ج ٣ ص ٣٠٥

فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًّا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًّا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ،
وَأِنْ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنْ عِدَّةُ الشُّهُورِ عِنْدَ
اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ،
ثَلَاثَةٌ مَتَوَالِيَاتٌ ، وَوَاحِدٌ فَرْدٌ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْحَرَامُ ، وَرَجَبٌ ^(١) الَّذِي بَيْنَ
جُمَادَى وَشَعْبَانَ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ لِنَسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا حَقٌّ ، لَكُمْ عَلَيْنَا الْإِبْطُونُ
فَرَشَكُمْ غَيْرَكُمْ ، وَلَا يَدْخُلْنَ أَحَدًا تَسْكَرُهُنَّ بِيُوتِكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ ، وَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ ، فَإِنْ ضَلَّ
فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَفْضُلُوهُنَّ ^(٢) وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ
مُبْرَحٍ ، فَإِنْ انْتَهَبْنَ وَأَطَعْنَكُمْ فَهَلِكُنَّ لَكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِنَّمَا النِّسَاءُ عِنْدَكُمْ
عَوَانٌ ^(٣) لَا يَمْلِكُنَّ أَنْ يَنْفَعْنَ شَيْئًا ، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةٍ مِنَ اللَّهِ ، وَأَسْتَحْلِمُ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ
اللَّهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ، وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ
مِنْهُ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد ! فَلَا تَرْجِعْنِي بِعَدَى كَفَارًا يُضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ
فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا بَيْنَ أَخَذْتُمْ بِهِ لَمْ تَفْعَلُوا بِهِ ، كِتَابَ اللَّهِ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟
اللَّهُمَّ اشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ رَبُّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كُلُّكُمْ يُلَادِمُ ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ ،
أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، وَلَيْسَ لِرَبِّي عَلَى عَجْبِي فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟
اللَّهُمَّ اشْهَد ! قَالُوا نَعَمْ . قَالَ : فَلْيَلِغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ .

(١) قَالُوا فِي ثَلَاثَةِ رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَجَبَانَ لِلتَّغْلِبِ .

(٢) الْمُشَلُّ : الْمَجْسُ وَالْتَضْيِيقُ . (٣) جَمْعُ عَائِنَةٍ مِنْ عَتَا ، أَيْ خَضَعَ وَذَلَّ ، وَالْمَالِي : الْأَمِيرُ

أيها الناس : إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لو ارث وصية ، ولا يجوز وصية في أكثر من الثلث ، والولد للفراش وللماهر الحجر^(١) ، من أدعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل^(٢) ، والسلام عليكم ورحمة الله .

(البيان والتبيين ٢ : ١٥ ، المقد الفريد ٢ : ١٣ ، إيجاز القرآن ١١١ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤١ ، تاريخ الطبري ٣ : ١٦٨ ، الكامل لابن الأثير ٢ : ١٤٦ ، سيرة ابن هشام ٢ : ٣٩٠)

١٤ - خطبته في مرض موته

عن الفضل بن عباس قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إليه فوجدته موهوكا قد عصب رأسه ، فقال : خذ يدي يا فضل ، فأخذت بيده حتى جلس على المنبر ، ثم قال ناد في الناس ، فاجتمعوا إليه ، فقال :

« أما بعد : أيها الناس فإنني أحد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وإنه قد دنا مني خفوق^(٣) من بين أظهركم ، فمن كنت جلدت له ظهرًا ، فهذا ظهرى فليستغفر^(٤) منه ومن كنت شتمت له عرضًا ، فهذا عرضى فليستغفر منه ، ومن أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ، ولا يتخش الشحنة من قبلى ، فإنها ليست من شأنى ، ألا وإن أحبكم إلى من أخذ منى حقًا إن كان له ، أو خلاني فلقيت ربى وأنا طيب النفس ، وقد أرى أن هذا غير معلن عني حتى أقوم فيكم مرارًا » .

(١) والماهر : أى الزانى ، أى لاحق له فى النسب ولا حظ له فى الولد ، وإما هو لصاحب الفراش أى لصاحب أم الولد وهو زوجها أو مولاهما ، وهو كقوله الآخر : أى التراب ، أى لاشيء له .

(٢) الصرف : التوبة . والمذل : الفدية . وقيل الصرف القيمة . والمذل للمثل ، وأصله فى الفدية يقال : لم يقبلوا منهم صرفًا ولا عدلًا ، أى لم يأخذوا منهم دية ولم يقتلوا بقتلهم رجلا واحدا ، أى طلبوا منهم أكثر من ذلك ، ثم جعل بعد فى كل شيء حتى صار مثلا فيمن لم يؤخذ منه الذى يجب عليه وألزم أكثر منه .

(٣) خفق النجم يخفق خفوقا : غاب ، والطائر طار ، والليل ذهب أكثره . (٤) فليقتص (من القود) وهو القصاص ، أفاد القاتل بالتقتيل تنهيه ، واستفاد لما كماله أن يقيد القاتل بالتقتيل .

ثم نزل فصل الظهر ، ثم رجع فجلس على المنبر فعاد لمقاتلة الأولى ، فادعى عليه رجل بثلاثة دراهم ، فأعطاه عوضها ، ثم قال : « أيها الناس ، من كان عنده شيء فليؤدّه ولا يقل فضوح الدنيا ، ألا وإن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة » ثم صلى على أصحاب أحد وأستغفر لهم ، ثم قال : « إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده ، فبكى أبو بكر ، وقال : فدينك بأنفسنا وآبائنا » .

(تاريخ الطبري ٢ : ١٩١ : والكامل لابن الأثير ٢ : ١٥٤)

١٥ - خطبة أكرم بن صيفي يدعو قومه إلى الإسلام

لما ظهر النبي عليه الصلاة والسلام بمكة ، ودعا الناس إلى الإسلام بعث أكرم بن صيفي ابنه حبيشاً ، فأتاه بخبره ، فجمع بنى تميم وقام فيهم خطيباً فقال : « يا بني تميم : لا تحضروني سفيهاً ، فإنه من يسمع بخبر^(١) ، إن السفيه يؤمن من نوقته ، ويتبب من دونه^(٢) . لا خير فيمن لا عقل له . كبرت سني ودخلني ذلة ، فإذا رأيتم مني حسناً فاقبلوه ، وإن رأيتم مني غير ذلك فقوموني أستقيم . إن ابني شافه هذا الرجل مشافهةً ، وأتاني بخبره ، وكتابه يأمر فيه بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق ، ويدعو إلى توحيد الله تعالى ، وخلع الأوثان ، وترك الحليف بالنيران ، وقد عرف ذوو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو إليه ، وأن الرأي تركه

(١) خال : ظن ، ومضارعه إخال بالكسر وهو الأنصح ، وبنو أمية يقولون إخال بالفتح وهو القياس ، وقوله « من يسمع بخبر » أي أتته بالخبر ، والمعنى يصف ويؤمن ، ومنه قوله تعالى : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ » ليثبتوك : أي يجرحوك جراحة لا تقوم معها أو يحبسوك ، وفي شرح الميوس « ويتبب من دونه » من تبهه بالشديد : أي أهلكه ، ومنه قوله تعالى : « وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ » .

مَا يَنْبَغِي عَنْهُ ، إِنْ أَحَقَّ النَّاسَ مَعُونَةُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمُسَاعَدَتُهُ عَلَى أَمْرِهِ أَنْتُمْ ، فَإِنْ يَكُنْ الْقَدَى يَدْعُو إِلَيْهِ حَقًّا ، فَهُوَ لَكُمْ ^(١) دُونَ النَّاسِ ، وَإِنْ يَكُنْ بَاطِلًا كُنْتُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْكَفِّ عَنْهُ وَبِالْإِسْرَاعِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ أَشَقُّ نَجْرَانٍ يُحَدِّثُ بِصِفَتِهِ ، وَكَانَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ يُحَدِّثُ بِهِ قَبْلَهُ ، وَاسْمُ ابْنِهِ مُحَمَّدًا ، فَكُونُوا فِي أَمْرِهِ أَوَّلًا ، وَلَا تَكُونُوا آخِرًا ، انْتَهَوْا طَائِعِينَ قَبْلَ أَنْ تَأْتُوا كَارِهِينَ ، إِنْ الْقَدَى يَدْعُو إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَوْلَمْ يَكُنْ دِينًا كَانَ فِي أَخْلَاقِ النَّاسِ حَسَنًا ، أَطِيعُونِي وَاتَّبِعُوا أَمْرِي ، أَسْأَلُكُمْ أَشْيَاءَ لَا تُنْزَعُ مِنْكُمْ أَبَدًا ، وَأَصْبَحْتُمْ أَغْرَ حَتَّى فِي الْعَرَبِ ، وَأَكْثَرُكُمْ عِدَدًا ، وَأَوْسَعُهُمْ دَارًا ، فَإِنِّي أَرَى أَمْرًا لَا يَجْتَنِبُهُ عَزِيزٌ إِلَّا ذَلًّا ، وَلَا يَلْزَمُهُ ذَلِيلٌ إِلَّا عَزًّا ، إِنْ الْأَوَّلُ لَمْ يَدْعُ لِلْآخِرِ شَيْئًا ، وَهَذَا أَمْرٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ ، مِنْ سَبَقَ إِلَيْهِ غَيْرُ الْمَالِ ^(٢) ، وَاقْتَدَى بِهِ التَّالِي وَالْعَزِيمَةُ حَزْمٌ ، وَالْاِخْتِلَافُ عَجْزٌ .

فَقَالَ مَالِكٌ ^(٣) بِنُورٍ : قَدْ خَرَفَ شَيْخُكُمْ ، فَلَا تَتَرَضَوْا الْبَلَاءَ ، فَقَالَ أَكُنْمْ : وَيْلَ لِلشَّيْءِ مِنَ الْخَلْقِ ، وَالْهَيْفَى عَلَى أَمْرٍ لَمْ أَشْهَدْهُ وَلَمْ يَسْفَى ^(٤) .

ثُمَّ رَجَلَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَاتَ فِي الطَّرِيقِ ، وَبَعَثَ بِإِسْلَامِهِ مَعَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ كَانَ مَعَهُ ^(٥) .
(بِجَمْعِ الْأَمْثَالِ ٢ : ٢١٨ ، سِرْحَ الْعِيُونِ ص ١٤) .

(١) يُرِيدُ لِلْعَرَبِ .

(٢) مِنْ غَرَةِ الْمَاءِ : أَيْ غَطَاهُ . (٣) وَقَدْ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ بِمَدِّ مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعْضُ بَنِي تَيْمٍ ، وَسَارَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَطَعَهُ ، وَخَصَصَهُ فِي التَّارِيخِ مَشْهُورَةٌ .

(٤) وَفِي سِرْحِ الْعِيُونِ : وَلَمْ يَسْفَى . (٥) وَذَكَرَ مِنْ ابْنِ عِيَّاسٍ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى :

« وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » تَزَلُّ فِي أَكْثَرِ مَنْ تَبِعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ .

١٦ - وصية أبي طالب لوجوه قريش عند موته

لما حضرت أبا طالب ^(١) الوفاة ، جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال :

« يا معشر قريش : أنتم صفوة الله من خلقه ، وقلب العرب ، فيكم السيد الطاع ، وفهم المبدأ الشجاع ، الواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا العرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب ، وعلى حربكم ألب ^(٢) ، وإني أوصيكم بتعظيم هذه النبذة - بمعنى الكعبة - فإن فيها موضة العرب ، وقواماً للعالم ، وثباتاً للوطاة ، صلوا أرحامكم فإن في صلة الرحم مناة ^(٣) في الأجل ، وزيادة في العدد ، تركوا التفتي والمقوق ، ففيهما هلك القرون قبلكم ، أجيوا الداء ، وأعطوا السائل ، فإن فيها شرف الحياة والمات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، فإن فيها محبة في الخاص ، ومكرمة في العام .

وإني أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين في قريش ، والصديق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جاءنا بأمر نبيل الجنان ^(٤) ، وأنكره اللسان ، مخافة الشنآن ^(٥) ، وأيم الله كأي أنظر إلى صاليتك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته ، وعظموا أمره ، ففاض بهم غرات الموت ، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناناً ، ودورها خراباً ، وضغافوها أرباباً ^(٦) ، وإذا

(١) توفي في السنة العاشرة من النبوة وهو ابن بضع وثمانين سنة ، وإسلامه مختلف فيه . اقرأ فضلاً طويلاً في ذلك في شرح ابن أبي العميد م ٣ : ص ٣١١ .

(٢) أي ذور ألب ، والألب : التنوير على العلو من حيث لا يعلم .

(٣) أي فسخة واستعداد : من نساء ، أي آخره . (٤) القلب . (٥) اللين والكرامية .

(٦) سادة .

أَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ أَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ ، وَأَجْدَمُ مِنْهُ أَظْطَامُ عَنْده ، قَدْ مَحَضَّتْهُ ^(١) الْمَرْبِ وَدَادَهَا
وَأَصْفَتْ لَهُ بِلَادَهَا ، وَأَعْلَتْهُ قِيَادَهَا ، يَامَعْشَرَ قُرَيْشٍ : كُونُوا لَهُ وُلاَةً ، وَحِزْبَهُ حُجَاةً ،
وَإِذْ لَا يَسْلُكُ أَحَدٌ سَبِيلَهُ إِلَّا رَشِيدٌ ، وَلَا يَأْخُذُ بِهَدْيِهِ أَحَدٌ ، إِلَّا سَمِيدٌ ، وَلَوْ كَانَ لِنَفْسٍ
مُدَّةٌ ، وَفِي أَجَلِي تَأْخِيرٌ ، لَكَفَفْتُ عَنْهُ الْمَزَاهِرَ ^(٢) ، وَلَدَافْتُ عَنْهُ الدَّوَامِي .

(بُلُوغُ الْأَرْبِ ١ : ٢٢٧)

(١) محضه الود ، وأعظمه : أخلصه .

(٢) المزاهر والمزهرة : تحريك البلايا والحروب الناس .

خطب الوفود

١٧ - خطبة عطار د بن حاجب بن زرارة

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع للهجرة عطار د بن حاجب بن زرارة ، في أشراف من بني تميم ، فلما دخل الوفد السجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحُجرات : أن اخرج إلينا يا محمد ، فأذى ذلك من صياحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك لنفأخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، قال نعم ، قد أذنت لخطيبكم فليقل ، فقام إليه عطار د فقال :

« الحمد لله الذي له علينا الفضل ، وهو أهلكنا ، الذي جعلنا ملوكاً ، ووهب لنا أموالاً عظيماً ، فعمل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق ، وأكثره عدداً ، وأيسره عُدّة ، فمن مثلنا في الناس ، ألسنا بروس الناس وأولى فضلهم ؟ فن يفاخرونا فليمدد مثل ما عُدّدنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكننا نحمي من إلا كثرافيا أعطانا ، وإنا نعرف بذلك أقول هذا الآن لتأتونا بمنزل قولنا ، وأمرنا أفضل من أمرنا ، ثم جلس . » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشّمس ، قم فأجب الرجل في خطبته ، فقام ثابت فقال :

١٨ خطبة ثابت بن قيس بن الشّمس

« الحمد لله الذي : السموات والأرض خلقه ، قضى فيها أمره ، ووسّع كرسيه عليه ، ولم يك شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً ، واصطفي

من خير خلقه رسولا ، أكرمهم نسباً ، وأصدقهم حديثاً ، وأفضلهم حسباً ، فأنزل عليه كتابه ، وأتممته على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان ، فأمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس أنساباً ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فضلاً ، ثم كان أول الخلق استجابة لله ، حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله . ووزراء رسوله ، نقائل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منّح ماله ودمته ، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

ثم قالوا يا محمد : ائذن لشاعرنا ، فقال نعم ، فقام الزبير بن بدر ، فأشدد قصيدة في الفخر ، وبث النبي صلى الله عليه وسلم إلى حسان بن ثابت فردّ عليه ، فقال الأقرع ابن حابس التميمي . إن هذا الرجل كموثق له ، نخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، وأصواتهم أعلى من أصواتنا ، فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزهم .

(تاريخ الطبري ٣ : ١٥٠ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ١٣٩ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٣)
وصبح الأمانى ١ : ٣٧٣ .

١٩ — عمرو بن الأهتم والزبير بن بدر

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الأهتم عن الزبير بن بدر^(١) فقال عمرو : « مطاع في أدبته^(٢) ، شديد المارضة^(٣) . مانع لما وراء ظهره » فقال الزبير بن بدر :

(١) هاسيدان من بني نعيم . (٢) أى في الأدبين منه : أى الأقرين ، وأصله أدنين حلفت نونه لإضافته إلى الضمير . (٣) المارضة : قوة الكلام وتضييقه ، والرائى الجيد .

« والله يا رسول الله ، إنه ليعلم مني أكثر مما قال ، ولكنه حسدني شرفي » فقال عمرو :
 « أما لئن قال ما قال ، فو الله ما علمته إلا ضيق الصدر ، زِمَرُ المروءة ^(١) ، أحق الوالد ،
 لنيم الخلال ، حديث النقي » فلما رأى أنه خالف قوله الآخر قوله الأول ، ورأى الإنكار
 في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يا رسول الله رضيت ، فقلت أحسن ما علمت ،
 وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الأخرى .
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : « إِنَّ مِنْ الْبَيَّانِ لِحَرًّا » .

(البيان والبيّان ١ : ٣١ ، والمقفة الفريد ١ : ١١٧ ، ومجمع الأمثال الميداني ١ : ٥)

٢٠ - خطبة طهفة بن أبي زهير النهدي

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

لَمَّا قَدِمَتْ وفودُ العرب على النبي صلى الله عليه وسلم قام طهفة بن أبي زهير النهدي
 فقال : « يا رسول الله أتيناك من عَوْرِي ^(١) تَهامة بأكوار الميس ، ترمي بنا الميس ^(٢)
 نستجلب الصبير ^(٣) ، ونستجلب الخبير ^(٤) ، ونستفيض ^(٥) البربر ، ونستجبل الرهَامَ ^(٦) ،
 ونستحيل الجهم ^(٧) ، من أرض غائلة النطاء ^(٨) ، غليظة الوطاء ، نثيف اللُذُنْ ^(٩) ،

(١) قليل المروءة . (٢) للفور : كل ما انحدر مغرباً عن تهامة ، والأكوار : جمع كور بالضم ، وهو الرجل أو بأداته ، والميس : شجر عظام أي بالأكوار للصنعة منه . (٣) الميس جمع عيساء : الإبل البيض يحاط بياضها شقرة . (٤) الصبير : السحاب الكثيف . (٥) الشب . (٦) اصفضد الثمرة : اجتاحها ، والبربر : ثمر الأراك ، وكانوا يأكلونه وقت الجذب لقلّة الزاد . (٧) الرهم جمع رمة بالكسر : وهي المطر الضيف الدائم . ونستجبل : نخال ونفزل . وسحابة مخيلة بضم فكسر : أي تحبسها ما طرة . (٨) الجهم : السحاب قد أراق ماءه . (٩) النطاء : البعد ، أي بعيّة بعد ما هلكا . (١٠) مستنقع الماء : أو كل موضع حفره سيل ، ونشف الحوض الماء : شربه .

وَيَبْسُ الْجَنِينِ ^(١) ، وَسَقَطَ الْأُثُوجُ ^(٢) ، وَمَاتَ الْمُسْلُوجُ ^(٣) ، وَهَلَكَ الْهُدْيُ ^(٤) ،
وَمَاتَ الْوُدْيُ ^(٥) ، بَرْنًا يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْوَسْنِ وَالْعَثْنِ ^(٦) ، وَمَا يَحْدُثُ الزَّمَنُ ،
لِنَادِعُوهُ السَّلَامَ ، وَشَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ ، مَا طَلَمَى ^(٧) الْبَحْرَ ، وَقَامَ تِمَارٌ ^(٨) ، وَلَنَا نَعَمٌ ،
كَهْلٌ ^(٩) أَغْفَالٌ ، مَاتَبِضٌ ^(١٠) بِيَلَالٍ ، وَوَقِيرٌ ^(١١) كَثِيرُ الرِّسْلِ ، قَلِيلُ الرِّسْلِ ، أَصَابَهَا
سُنِّيَّةٌ حَرَاهُ مُؤَزَلَةٌ ^(١٢) ، لَيْسَ بِهَا عَالٌّ وَلَا نَهْلٌ .

٢١ - رده صلى الله عليه وسلم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اللَّهُمَّ بَارِكْ لِمَنْ فِي مَخْضِهَا ^(١٣) وَنَخْضِهَا وَمَذْقِهَا ، وَابْتَثْ رَاعِيَهَا فِي الدُّثْرِ ^(١٤)
بِيَانِعِ الثَّمَرِ ، وَافْجِرْ لَهُ الثَّمَدَ ^(١٥) ، وَبَارِكْ لَهُ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ . مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ كَانَ مُسْلِمًا ،
وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا ، وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مُخْلِصًا ، يَا بَنِي نَهْدٍ ،
وَدَائِعِ ^(١٦) الشَّرِكِ ، وَوَضَائِعِ الْمُلْكِ ، لَا تُلْطِطِ فِي الزَّكَاةِ ، وَلَا تُلْجِدِ فِي الْحَيَاةِ ، وَلَا تَنَاقَلْ
(العقد الفريد ١ : ١١٣)

عن الصلاة »

(١) أصل النبات . (٢) ورق كورق السرو لشجر بالبادية . (٣) مالان واخضر من
التغصان . وصلحت الشجرة : أخرجته . (٤) ما يهدى إلى مكة لينحر . (٥) الودى الفسيل (النخل
الصغار) . (٦) الصمم الصغير . (٧) امتلأ وعلا . (٨) جبل يبلد قيس . (٩) مهملة .
والأغفال جمع غفل بالضم ، وهو ما لاسعة عليه من الدواب . (١٠) بفس الماء يبيض : سأل قليلا
قليلا ، والبلال : البلل ، والمراد قلة اللبن . (١١) التقطيع من الغنم . (١٢) الرسل : التقطيع من
كل شيء ، والرسل : اللبن ، وسنية : تصغير تعظيم لسة ، وهي التسطح والمجاعة ، وحراء : أى شديدة ،
ومؤزلة : ذات أزل يسكون الزاى ، وهو الضيق والشفة . (١٣) اللبن الخالص ، ومخض اللبن : أخذ
زبد : والمليق : اللبن للمزوج بالماء ، مذه فامتدق . (١٤) الدر : المال الكثير . وقيل هو الكثير
من كل شيء ، وأراد به هنا الخصب والنبات الكثير .

(١٥) الماء القليل لامادة له ، أو ما يظهر في الشتاء وينضب في الصيف . (١٦) أى التفنن
الى تقنن من المشركين وتودع بيت مال المسلمين ، ليقوموا بها على شئونهم ، والوضائع جمع وضية : وهى

٢٢ - خطبة ظبيان بن حداد

بين يدي انبي صلى الله عليه وسلم

وفد ظَبْيَانِ بْنِ حَدَّادٍ فِي سَرَّاءٍ مَذْحِجٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ بَعْدَ
السلام على رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالتَّناء على اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ :
« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَعَ ^(١) الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ ، وَفَتَقَ السَّمَاءَ بِالرَّجِّعِ ^(٢) » ، ثُمَّ قَالَ :
نَحْنُ قَوْمٌ مِنْ سَرَّاءٍ مَذْحِجٍ مِنْ يُحَايِرَ ^(٣) بْنِ مَالِكٍ ، ثُمَّ قَالَ : فَتَوَقَّلتُ ^(٤) بِنَا الْقِلَاصُ
مِنْ أَعَالَى الْخُوفِ وَرَدَّوْسِ الْمَضَابِ ، يَرْفَعُهَا عُرْرُ ^(٥) الرُّبَا ، وَيُخَفِّضُهَا بَطْنَانُ الرُّفَاقِ ،
وَتَلَحُّقُهَا دِيَاحِي الدُّجَى ، ثُمَّ قَالَ : وَسَرَّوَاتِ الطَّائِفِ كَانَتْ لِبْنَى مَهْلَآئِيلَ بْنِ قَيْنَانَ ،
غَرَسُوا وَدْيَانَهُ ، وَذَلَّلُوا خِشَانَهُ ^(٦) وَرَعَّوْا قُرْبَانَهُ ، ثُمَّ ذَكَرَ نَوْحًا حِينَ خَرَجَ مِنَ
السَّفِينَةِ بِمَنْ مَعَهُ ، قَالَ فَكَانَ أَكْثَرُ بَنِيهِ بَنَاتٍ ، وَأَسْرَعُهُمْ نَبَاتًا ، عَادَ وَنُمُودَ ، فَرَمَاهُمُ اللَّهُ
بِالدُّمَالِقِ ^(٧) ، وَأَهْلَكَهُمُ بِالصَّوَاعِقِ ؛ ثُمَّ قَالَ : وَكَانَتْ بَنُو هَانِيٍّ مِنْ نُمُودَ نَسَكُنُ

ما يأخذه السلطان من الخراج والشور. يريد أن يقول لهم: إن موارد المال للأمة الإسلامية هما هذان الركبان
الفتائم والزكاة ، فلا تعطلوا الزكاة ، ولذا عقب ذلك القول بقوله : لا تعطل في الزكاة أي لا تمنعها : لعل
حقه جعلته كالمعطلة ، ولا تلحد في الحياة : أي لا يجرى منك ميل من الحق مادمت أحياء ، ولا تتناقل من
عن الصلاة : أي عن أدائها في وقتها ، ويرى : ولا يعلط في الزكاة ، ولا يلهو في الحياة (بالبناء المجهول)
ولا تتناقل من الصلاة . (١) شق . (٢) المطربد المطر . (٣) هو مراد بن مالك (وهو منج)
ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . (٤) توقل في الجبل . صعد ، والقلاص جمع
قلوص : وهي الناقة الشابة أو الباقية على السير ، والخوف : بلد بمسان . (٥) في الأصل : « عوار »
ولم يلق له هنا ، وأرى أن صوابه « مرر » جمع عرة كقبة وعرة السنام : القفصة العليا ، أي ذروته
وأعلاه : أي أنها تدير في أعلى الرجا وذراها ؛ وربما كان الأصل « مراعر » بفتح العين الأولى جمع عرعة
بضمها ، وعرعة الجبل والسنام وكل شيء : رأسه ، وبطنان جمع باطن : وهو الفاض من الأرض : أي
المطئن منها ، والرفاق جمع رق بالفتح ، وهي كل أرض إلى جنب واد يتسبط الماء عليها أيام المد ثم ينضب
ودياحي الليل حناده كأنه جمع دحاة ، والديس جمع دجية : وهي الظلمة . (٦) الحفن والأعشن :
الأعشن من كل شيء جمعه خشان . (٧) الأملس : المستدير من الحجارة .

الطائف ، وهم الذين خَطُّوا مشاربها ، وَأَتَوْا جَدَاوِلَهَا ^(١) ، وَأَحْيَوْا غِرَاسَهَا ، وَرَفَعُوا عَرِيشَهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَإِنَّ حَمِيرَ مَلَكُوا مَعَاقِلَ الْأَرْضِ وَقَرَّارَهَا ، وَكُهُولَ النَّاسِ وَأَعْمَارَهَا ^(٢) وَرَدَّوْا مَلُوكَ وَعَرَّارَهَا ، فَكَانَ لَهُمُ الْبَيْضَاءُ وَالسُّودَاءُ ، وَقَارِسُ الْحِمَاءِ ، وَالْجَزْيَةُ الصَّفْرَاءُ ^(٣) ، فَبَطَرُوا النِّعَمَ ، وَاسْتَحَقُّوا النَّقَمَ ، فَضَرَبَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ قَبَائِلُ مِنَ الْأَزْدِ نَزَلُوا عَلَى عَهْدِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ ، فَفَتَحُوا فِيهَا الشَّرَائِعَ ^(٤) ، وَبَنَوْا فِيهَا الْمَصَانِعَ ^(٥) ، وَاتَّخَذُوا الدَّسَائِمَ ^(٦) ، ثُمَّ رَامَتْ مَذْحِجٌ بِأَسَدَتِهَا ، وَتَنَزَّتَ ^(٧) بِأَعْنَتِهَا ، فَضَلَبَ الْعَزِيزُ أَذْلَهَا ، وَقَتَلَ الْكَثِيرَ أَقْلَهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَكَانَ بَنُو عَمْرِو ابْنِ خَالِدِ بْنِ جَذِيمَةَ يَخْبِطُونَ عَصِيدَهَا ^(٨) ، وَيَأْكُلُونَ حَصِيدَهَا ، وَيَرْشَحُونَ ^(٩) حَصِيدَهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ نَعِمَ الدُّنْيَا أَقْلٌ وَأَصْفَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خُرءٍ بُيَضَةٍ ، وَلَوْ عَدَلَتْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحُ ذِبابٍ لَمْ يَكُنْ لِكَافِرٍ مِنْهَا خَلَاقٌ ، وَلَا لِمُسْلِمٍ مِنْهَا لَاقٌ » .
(المقد الفريد ١ : ١١٠)

٢٣ - خطبة مالك بن نخط

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وقدم وفد محمدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم مالك بن نخط أبو نور فقام بين يديه ثم قال :

(١) أَيْ الْمَاءُ تَأْتِيهِ سَهْلٌ وَأَصْلَحَ مَجْرَاهُ ، أَيْ سَهَّلُوا طَرِيقَ الْمَاءِ إِلَيْهَا . (٢) جَمْعُ غَرَمٍ مِثْلُ النَّعِيمِ : وَهُوَ الْحَدَثُ لَا تَجْرِي لَهُ ، وَالْعَرَارُ : الرِّقَّةُ وَالسُّرُودُ . (٣) أَيْ الْقَدِيحَةُ . (٤) جَمْعُ شَرِيعَةٍ ، وَهِيَ حُورُ الشَّارِبَةِ كَالْمَشْرِعَةِ . (٥) الْمَبَانِي مِنَ الْقُصُورِ وَالْحُصُونِ . (٦) جَمْعُ دَسِيمَةٍ ، وَهِيَ الْجَفْنَةُ وَالنَّسْكِرَةُ . (٧) تَنَزَّيَ : تَوَثَّبَ وَتَمَرَّعَ . (٨) الْعَصِيدَةُ : مَا قَطَعَ مِنَ الشَّجَرِ ؛ أَيْ يَضْرِبُونَهُ لِيَسْقُطَ وَرَقُهُ فَيَتَخَفَرُوا عِلْفًا لِإِبْلِهِمْ . (٩) التَّرْشِيعُ : التَّرْبِيَةُ وَحَسَنُ الْقِيَامِ عَلَى الْمَالِ ، وَالْخَصِيدُ : مَا خُذَ مِنَ الشَّجَرِ وَنُحِيَ عَنْهُ ، وَكُلُّ مَا قَطَعَ مِنْ حُودِ رَطْبٍ (قِيلَ بِمَعْنَى مَقْعُولٍ) أَيْ يَصْلَحُونَهُ وَيَقُومُونَ بِأَمْرِهِ .

« يا رسول الله ، نَصِيَّةٌ ^(١) من هَمدَانَ ، من كل حاضِرٍ وَبَادٍ ، أَنْتُكَ عَلَى قُلُوبِ نَوَاجِرٍ ^(٢) ، مُتَصِلَةٌ بِجِبَالِ الْإِسْلَامِ ، لَا تَأْخُذُكُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، مِنْ خِلَافٍ ^(٣) خَارِفٍ ^(٤) ، وَيَتَأَمَّرُ ، وَشَاكِرٍ ، أَهْلُ السَّوَادِ وَالْقُرَى ، أَجَابُوا دَعْوَةَ الرَّسُولِ ، وَفَارَقُوا آلِهَةَ الْأَنْصَابِ ^(٥) عَهْدُهُمْ لَا يَنْقُضُ ، مَا أَقَامَ لَمَلْعَ ^(٦) ، وَمَا جَرَى الْيَغْفُورُ بِصُلْعٍ ^(٧) . »
(صبح الأعشى ٢ : ٢٤٤)

٢٤ — سفانة بنت حاتم

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

حَدَّثَ الْإِمَامُ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ قَالَ : لَمَّا أَتَيْنَا بِسَبَايَا طَيْفٍ ، كَانَتْ فِي النِّسَاءِ جَارِيَةٌ جَمِيلَةٌ — وَهِيَ سَفَانَةُ بِنْتُ حَاتِمٍ ^(٨) — فَلَمَّا رَأَيْنَهَا أُعْجِبَتْ بِهَا ، فَقُلْتُ لِأَطْلُبَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَجْعَلَهَا مِنْ فَيْئِي ، فَلَمَّا تَكَلَّمْتُ أُنْسِيْتُ جَمَالَهَا ، لَمَّا سَمِعْتُ مِنْ فَصَاحَتِهَا ، فَقَالَتْ :

« يَا مُحَمَّدُ : هَلَاكَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الْوَالِدُ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُخَلِّيَ عَنِّي ، فَلَا تُشِمِّتْ بِي أَحْيَاءَ الْعَرَبِ ، فَإِنِّي بِنْتُ سَيِّدِ قَوْمِي ^(٩) . كَانَ أَبِي يَفُكُّ الْعَانِي ^(١٠) ، وَيَحْمِي الذَّمَّارَ ،

(١) النصية من القوم : الخيار ، وحمدان : من عرب اليمن . (٢) القلص : جمع قلوص ؛ وهي من الإبل الشابة أو الباقية على السير ، والنواجي : جمع ناجية ، وهي الممرعة في السير . (٣) المخلاف الكورة . (٤) خارف : لقب مالك بن عبد الله أبي قبيلة من همدان ، وياكر ، قبيلتان من همدان باليمن . (٥) الأنصاب : جمع نصب بضمين ، وهو حجر نصب وعبد من دون الله ، وقيل النصب جمع واحدا نصاب ، قيل هي الأصنام وقيل غيرها . (٦) اسم جبل . (٧) اليففور : ولد البقرة الوحشية ، والصلح : الموضع لا يثبت شيئا .

(٨) السفانة في الأصل : القلوذة . (٩) جواب الشرط محذوف وهذا تعليل له أي فأنزل فإني . .

(١٠) العاني : الأسير .

وَيَقْرِى الضَّيْفَ ، وَيُشْبِعُ الْجَائِعَ ، وَيُفَرِّجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ ، وَيُعْطِمُ الْعُلَمَاءَ ، وَيُقَشِّقُ السَّلامَ ، وَلَمْ يَرُدِّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ ، أَنَا بِنْتُ حَاتِمِ طَيْئٍ .

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا جَارِيَةُ هَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ ، لَوْ كَانَ أَبُوكَ إِسْلَامِيًّا لَفَرَحْنَا عَلَيْهِ ، خَلَّوْا عَنْهَا ، فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » .

(الأنفك ١٦ : ٩٣)

٢٥ — وصية دريد بن الصمة

قَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَةِ لِمَالِكِ بْنِ عَوْفِ النَّصْرِيِّ قَائِدِ هَوَازِنَ يَوْمَ حُنَيْنٍ ^(١) :

« يَا مَالِكُ ، إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِكَ ، وَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ مِنْ أَيَّامٍ ، مَالِي أَسْمَعُ رُغَاءَ الْبَعِيرِ ، وَنَهْيَ الْخَيْلِ ، وَبُكَاءَ الصَّغِيرِ ، وَيُمَارَ ^(٢) الشَّاءِ . قَالَ : سَقَتْ مَعَ النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأُمُومَهُمْ ، قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : أَرَدْتُ أَنْ أَجِلَّ خَلْفَ كُلِّ رَجُلٍ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، لِيُقَاتِلَ عَنْهُمْ ، فَأَنْقَضَ بِهِ ^(٣) ، ثُمَّ قَالَ رَأَيْ ^(٤) ضَانٍ وَاللَّهِ ، وَهَلْ يَرُدُّ النَّهْزَمُ شَيْءًا ؟ إِنَّهَا إِنْ كَانَتْ لَكَ ، لَمْ يَنْفَعَكَ إِلَّا رَجُلٌ بَسِيفَةٍ وَرَحِمَةٍ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ ، فَضُحِّتْ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَيَحْكُ ، إِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ بِتَقْدِيمِ الْبَيْضَةِ ^(٥) بِيضَةَ هَوَازِنَ إِلَى نَحْوِ الْخَلِيلِ شَيْئًا ، أَرَفَضَهُمْ إِلَى مَمْتَنَعِ بِلَادِهِمْ ، وَعَلَيَاءِ قَوْمِهِمْ ، ثُمَّ أَلْقَى الصَّبَا ^(٦) عَلَى مَتُونِ الْخَلِيلِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ لِحَقَى بِكَ مِنْ وَرَاءِكَ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ ، كُنْتَ قَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ .

(١) غزوة حنين كانت بين المسلمين وبين هوازن وثقيف سنة ثمان بعد الفتح أنهزم فيها المسلمون أو لا ثم لموا شتمهم وشدوا على عدوهم فهزمهم . (٢) اليمار : صوت اللثم أو المزمز أو الشديد من أصوات الشاء . (٣) يقال أنقض أصابعه : ضرب بها لتصوت ، وأنقض بالداية : ألصق لسانه بالحنك ثم صوت في حافتيه . (٤) يغرب به المثل في الحق فيقال : « أحق من رأي ضان » .

(٥) بيضة القوم : جماعتهم وأصلهم ، وفي الحديث : « ولا تسلط عليهم عدوا من عدوهم فيستبيح فيقتلهم » يريد جماعتهم وأصلهم . (٦) أي ذوى الصبا : أي الشبان .

قال لا والله ما أفضل ، إنك قد كبرت وذَهَلَّ عَقْلُكَ . قال دريد : هذا يوم لم أشهده ، ولم يَفْتِنِي ، ثم أنشأ يقول :

يا ليتني فيها جَدَعٌ أَحَبَّ فيها وَأَضَعُ^(١)
أفود وطفاء الزَّمْعِ كأنها شاءَ صَدَعُ^(٢)

(سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩ ، العقد الفريد ١ : ٤١)

١٦ - وصية عمير بن حبيب الصحابي لبنيه

أوصى عُمَيْرُ بْنُ حَبِيبٍ بَنِيَهُ فَقَالَ :

« يا بني إياكم ومخالطة السفهاء ، فإن مجالستهم داء ، وإن من يحلم عن السفية يُسَرِّحْ بجله ، ومن يُجِبِّهْ يندم ، ومن لا يَقَرَّ بقليل ما يأتي به السفية ، يقر بالكثير . وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف ، أو ينهى عن المنكر ، فليوطن قبل ذلك على الأذى ، وليوقن بالثواب من الله عز وجل ، إنه من يوقن بالثواب من الله عز وجل لا يجد مسَّ الأذى . »

(الأمل ٢ : ٦٠)

٢٧ - وصية قيس بن عاصم المنقري لبنيه

أوصى قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ الْمِنْقَرِيُّ بَنِيَهُ فَقَالَ :

« يا بني ، خذوا عني ، فلا أحد أصلح لكم مني ، إذا دفتتموني فأنصرفوا إلى رحالكم ، فسودوا أكبركم ، فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خلفوا أباهم ، وإذا سودوا

(١) الجيب : ضرب من العدو ، ووضعت الناقة وأوضعت : أسرعت في سيرها .

(٢) الوطف : كثرة شمر الحاجبين والعينين ، والزمع جمع زمعة ؛ وهي هنة زائلة وواء التلطف أو الشمرات الدلاة في مؤخر رجل الشاة ، والصدع : من الأرومال والإبل التي الشاب القوي .

أصغرم ، أزرى ذلك بهم في أكفائهم ، وإياكم ومعصية الله ، وقطيعة الرحم ، وتمسكوا بطاعة أمرائكم ، فإنهم من رفعوا ارتفع ، ومن وضعوا انّضع ، وعليكم بهذا المال فأصلحوه فإنه منبّهة للكریم . وَجَنَّةٌ لِّمَرْضِ اللَّيْمِ ، وإياكم والمسالّة ، فإنها أخير^(١) كَسْب الرجل ، وإن أحدا لم يسأل إلا ترك الكسب ، وإياكم والنياحة ، فإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عنها ، وادفنوني في ثيابي التي كنت أصلى فيها وأصوم ، ولا يعلم بكر بن وائل بمدفني ، فقد كانت بيني وبينهم مشاحنات في الجاهلية والإسلام ، وأخاف أن يدخلوا عليكم بي عارًا ، وخذوا عني ثلاث خصال : إياكم وكلّ عِرْقٍ لَّيْمٍ أن تلبسوه فإنه إن يسرّركم اليوم ، يسوّكم غدًا ، واكظّموا الفم ، واحذروا بنى أعداء آبائكم ، فإنهم على منهاج آبائهم ، ثم قال :

أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا قلن تبيد وللآباء أبناء

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ١٥٥ ، وتهذيب الكامل ١ : ١١)

خطب يوم السقيفة

لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا :
نُوَلِّيَ هذا الأمر بيد محمد عليه الصلاة والسلام سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، وأخرجوا سعداً إليهم
وهو مريض ، فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمه ، إني لا أقدر لشكواي أن أسمع
القوم كلهم كلامي ، ولكن تَلَقَّ مني قولي فَأَسْمِعُوهُ ، فكان يتكلم ويحفظ الرجل
قوله : فيرفع صوته ، فيسمع أصحابه :

٢٨ - خطبة سعد بن عبادَةَ

فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« يا مشر الأنصار ، لكم سابقة في الدين ، وفضيلة في الإسلام ، ليست لقبيلة من
العرب ، إنَّ محمداً عليه الصلاة والسلام لَبِثَ يَضُمُّ عَشْرَةَ سَنَةٍ في قومه يدعوهم إلى عبادة
الرحمن ، وَخَلَعَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْتَانِ ، فَمَا آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا رَجُلٌ قَلِيلٌ ، وما كانوا
يقدرُونَ على أن يَنْمُوَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَلَا أَنْ يُعَزِّوا دينه ، وَلَا أَنْ يَدْفَعُوا
عَنْ أَنْفُسِهِمْ ضَيْمًا عُمُوا بِهِ ، حتى إِذَا أَرَادَ بِكُمْ الْفَضِيلَةَ سَأَى إِلَيْكُمْ الْكَرَامَةَ ، وَخَصَّكُمْ
بِالنِّعَةِ ، فَرَزَقَكُمْ اللَّهُ الْإِيمَانَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَلِنَنْتَعِلَ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ ، وَالْإِعْزَازَ لَهُ وَلِدِينِهِ ،
وَالْجِهَادَ لِأَعْدَائِهِ ، فَكُنْتُمْ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى عَدُوِّهِ مِنْ غَيْرِكُمْ ، حتى اسْتَقَامَتِ الْعَرَبُ
لِأَمْرِ اللَّهِ طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَأَعْلَى الْبَيْدِ الْقَادَةَ صَاحِرًا دَاحِرًا^(١) ، حتى أَثْنَى^(٢)

(١) صافراً ذليلاً : من دحر كعب وفرح دخورا ودغرا بالتحريك .

(٢) أَثْنَى فلانا : أوعه ، والمراد أخضع .

الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيا فكم له العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ ، وبكم قرير عَيْنٍ ، أَسْتَبِيدُوا بهذا الأمر دون الناس ، فإنه لكم دون الناس .

فأجابه بأجمعهم أن قد وَفَّقَتِ في الرَّأْيِ ، وَأَصَبَتْ في القول ، ولن نَمَدُّو ما رَأَيْتَ نَوَلَّيْكَ هذا الأمر ، وأنى عمر الخبِرُ ، فأقبل إلى أبي بكر فقال : « أما علمت أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، يريدون أن يولوا هذا الأمر سَقْدَ بْنَ عُبَادَةَ ؟ وَأَحْسَنُهُمْ مَقَالَةً من يقول : مِينَا أَمِيرٌ وَمِنْ قُرَيْشٍ أَمِيرٌ » فضيا مسرعين نحوهم ، فلقيا أبا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجُرَّاحِ فَمَاشُوا إِلَيْهِمْ ثَلَاثَهُمْ . فجاهوا وهم مجتعمون . فقال عمر : أتبيدتم وقد كنت زَوَيْتَ^(١) كلاماً أردت أن أقوم به فيهم ، فلما أن دفعت إليهم ذهبت لأبتدئ النطق . فقال لي أبو بكر : رويداً حتى أتكلم ، ثم انطق بمتد بما أحبت فنطق . فقال عمر : فاشئ . كنت أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أوزاد عليه .

٢٥ - خطبة أبي بكر رضي الله عنه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إن الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه ، وشهيداً على أمته ، ليعبدوا الله وَيُوحِّدُوهُ ، وهم يعبدون من دونه آلِهَةً شَتَّى ، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ، ولهم نافعة ، وإنا هي من حَجَرٍ مَنْحُوتٍ ، وَخَشَبٍ مَنْجُورٍ^(٢) ، ثم قرأ : (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَقَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) فَعَظَّمْ على العرب أن يتركوا دين آبائهم . فَخَصَّ الله المهاجرين الأولين من

(١) زواه يزويه جمه ، والمراد أعدت . ورواية المقد القريند (٢ : ٢٠٤) زورت كلاماً في

نفسه ، وزور الشيء حسنه وقومه ، والمراد أيضا هيأت وأعدت . (٢) النجر : تحت الخشب .

قومه بتصديقهم ، والإيمان به ، والنواصية له ، والصبر معه ، على شدة أذى قومهم لهم ، وتكذيبهم إياهم ، وكل الناس مخالف^(١) زار^(٢) عليهم ، فلم يستوحشوا لقلة عددهم ، وشنف^(٣) الناس لهم ، وإجماع قومهم عليهم ، فهم أول من عبد الله في الأرض ، وآمن بالله وبالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينافيهم ذلك إلا ظالم ، وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين ، ولا سابقتهم القطيعة في الإسلام ، رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله ، وجعل إليكم هجرة وفيم جلة أزواجه وأصحابه ، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلةكم ، فحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، لا تفتاتون بمشورة ولا تقضي دونكم الأمور .

« هذه رواية الطبري لتلك الخطبة ، وأوردها غيره بنص آخر ، وما كنهه :

٣٠ - نص آخر لخطبة أبي بكر يوم السقيفة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : نحن للمهاجرين ، أول الناس إسلاما ، وأكرمهم أحسابا . وأوسطهم دارا ، وأحسنهم وجوها ، وأكثر الناس ولادة في العرب ، وأمسهم رجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ، وقدمنا في القرآن عليكم . فقال تبارك وتعالى : « وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ » فحن للمهاجرين وأنتم الأنصار . إخواننا في الدين . وشركاؤنا في الف^(٤) ، وأنصارنا على العدو ، آويناكم وواسيتكم ، فجزاكم الله خيرا ، فحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ،

(١) زرى عليه زارية : عابه . (٢) شنف له كفرح : أبغضه وتكره فهو شنف .

(٣) القنية والحراج .

لَا تَدِينُ الْعَرَبُ إِلَّا هَذَا الْحَيَ مِنْ قَرِيشٍ ، فَلَا تَنْفُسُوا^(١) عَلَى إِخْوَانِكُمْ مَا مَنَحَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ »

(انمقد القريذ ٢ : ١٣٠ - ٢٠٤ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٢٢ ، البيان والتبيين ٣ : ١٤٧ والإمامة والسياسة ١ : ٧)

٣١ - خطبة الحباب بن المنذر

ثمَّ قام الحُبابُ بنُ المنذرِ مِنَ الجُحُوحِ فقال :

« يا معشر الأنصار : امْلِكُوا عَلَيْكُمْ أَمْرَكُمْ ، فَإِنَّ النَّاسَ فِي قَتْنِكُمْ وَفِي ظَلَمِكُمْ ، وَلَنْ يَخْتَرَىٰ يَخْتَرَىٰ عَلَىٰ خِلَافِكُمْ ، وَلَنْ يَصْدَرَ النَّاسُ إِلَّا عَنْ رَأْيِكُمْ ، أَنْتُمْ أَهْلُ الْعِزِّ وَالثَّرْوَةِ ، وَأَوَّلُو الْعَدَدِ وَالْمَنَّةِ وَالتَّجَرِبَةِ . وَذَوُو الْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَى مَا تَصْنَعُونَ ، وَلَا تَخْتَلَفُوا فَيَفْسَدَ عَلَيْكُمْ رَأْيَكُمْ ، وَيَنْتَقِضَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ ، فَإِنْ أَبَى هَؤُلَاءِ إِلَّا مَا سَمِعْتُمْ ، فَنَا أَمِيرًا وَمَنْهُمْ أَمِيرٌ » .

٣٢ - خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فقال عمر : « هيهات لا يجتمعُ اثنانِ في قَرَنٍ^(٢) ، وَاللَّهِ لَا تَرْضَى الْقَرَبُ أَنْ يُؤْمَرُواكُمْ وَنَدِيَّتُهَا مِنْ غَيْرِكُمْ ، وَلَكِنْ الْعَرَبُ لَا تَمْتَنِعُ أَنْ تَوَلَّى أَمْرَهَا مَنْ كَانَتْ النُّبُوَّةُ فِيهِمْ وَوَلَّى أُمُورَهُمْ مِنْهُمْ ، وَلَنَا بِذَلِكَ عَلَى مَنْ أَبَى مِنَ الْعَرَبِ الْحِجَةُ الظَّاهِرَةُ ، وَالسُّلْطَانُ الْبَيِّنُ ، مِنْ ذَا يَنْبِازُ عَلَانَا سُلْطَانُ مُحَمَّدٍ وَإِمَارَتُهُ ، وَنَحْنُ أَوْلَا يَأْزُهُ وَعَشِيرَتُهُ ، إِلَّا مُدْلٍ بِاطِلٍ ، أَوْ مُتَجَانِفٍ^(٣) لِإِخْمٍ ، أَوْ مُتَوَرِّطٍ فِي هَلَكَةٍ ؟ » .

(١) نفس عليه بخير (كفرج) حسنه ، ونفس عليه الشيء نفاسة لم يره أهله .

(٢) حبل . (٣) مائل جانح .

٣٣ - خطبة أخرى للحباب بن المنذر

قام الحباب بن المنذر ، فقال :

« يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بنصيبكم من الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سألتهم ، فأجلوهم عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم ، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان من لم يكن يدين ؛ أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ^(١) ، أما والله لئن شئتم لنهضنها جذعة ^(٢) . »

فقال عمر : إذن يقتلك الله ، قال : بل إياك يقتل ، فقال أبو عبيدة :

يا معشر الأنصار : إنكم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول من بدّل وعيّر .

٣٤ - خطبة بشير بن سعد

قام بشير بن سعد - أبو النعمان بن بشير - فقال :

« يا معشر الأنصار ، إنا والله لئن كنّا أولى فضيلة في جهاد المشركين ، وسابقة في هذا الدين ، ما أردنا به إلا رضا ربنا ، وطاعة نبينا ، والكدرح لأنفسنا ، فإني لانا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبغى به من الدنيا عرساً ، فإن الله وليّ المنّة علينا

(١) الجذيل : تصغير الجذل (بالكسر) ، وهو أصل الشجرة ، وهوود ينصب للإبل الجري لصحك به وتتمرس ، والمحكك الذي تحكك به ، والمليق تصغير الملق (بالفتح) ، وهو النخلة. والمرجب : الذي جعل له رجة ، وهي دعامة تبني حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كرمة وطالت تحفوا عليها أن تنقر من الرياح المواصل ، والتصغير هنا يراد به التكبير والتعظيم ، وهو مثل ، والمراد أنه رجل يستحق برأيه ومقله . (٢) الجذعة : الشاة القتية ؛ يريد الحروب والغارات .

بذلك ، ألا إن محمداً صلى الله عليه وسلم من قريش ، وقومهُ أَحَقُّ به وأولى ، وإيم الله لا يرانى الله أنأزعم هذا الأمر أبداً ، فاتقوا الله ولا تخالفوه ولا تنازعوه .

فقال أبو بكر : هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة ، فأيهما شئتم فبايعوا ، فقالا لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك ، فإنك أفضل للمهاجرين ، وثانى اثنين إذ هما فى الفار ، وخليفة رسول الله على الصلاة ، والصلاة أفضل دين للمسلمين ، فمن ذا ينبى له أن يتقدمك ، أو يقول هذا الأمر عليك ؟ أبسط يدك نبايعك ، وقام الناس إليه فبايعوه .

(تاريخ الطبري ٣ : ٢٠٧ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ١٠٨)

خطب أبي بكر الصديق ووصاياہ

رضی اللہ عنہ

۳۵ - خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم

دخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مُسَجَّى^(١) بثوب ، فكشف عنه الثوب ، وقال :

« يَا أَبِى أَنْتَ وَأُمِّى اطَّيَّبَتْ حَيًّا ، وَطَيَّبَتْ مَيِّتًا ! وَاقْطَعْ لِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ النَّبُوَّةِ ، فَطَلَّمْتَ عَنِ الصَّفَةِ ، وَجَلَلْتَ عَنِ الْبُكَاءِ ، وَخَصَصْتَ حَقِّى صِرْتِ مَسَلَّةٍ^(٢) ، وَعَمَمْتَ حَقِّى صِرْتَنَا فِيكَ سَوَاءً^(٣) ، وَلَوْلَا أَنْ مَوْتِكَ كَانَ اخْتِيَارًا مِنْكَ^(٤) ، لَجُدْنَا لِمَوْتِكَ بِالنَّفُوسِ ، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الْبُكَاءِ ، لَأَنفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّثُونِ^(٥) ، فَأَمَّا مَا لَا نَسْتَطِيعُ نَفْيَهُ عَنْكَ ، فَكَمَدُ وَإِدْنَفُ^(٦) ، يَتَخَالَفَانِ وَلَا يَبْرَحَانِ

(١) تجبة الميت : تغطيته . (٢) خص الشيء من باب قد خصوصا فهو خاص : خلاف عم ، مثل اختص (وكلا التلدين يستعمل متعليا ولا زما) ، وللمعنى إنك يا رسول الله قد صرت بموتك مسلة الناس فإنك مع ما اخصصت به من مناقب النبوة قد نزل بك الموت ، فللمباد فيك أسوة حسنة .

(٣) أى عمت معيبتك جميع المسلمين فصرنا نحن وقرابتك سواء فى الحزن عليك والتضجع لفقدك .

(٤) يشير إلى قواه عليه الصلاة والسلام : ولم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم غيره قالت عائشة : فسمعه وقد شخص بصره ؛ وهو يقول : « فى الرفيق الأمل » فعلمت أنه خير ، فعلمت أنه لا يختارنا إذن ، وقلت هو الذى كان يحدثنا وهو صحيح . (٥) جمع شأن ، وهو مجرى الدمع إلى العين .

(٦) دنف المريض كفرح ، وأدنف : ثقل ، والشمس : دنت للغروب واصفرت .

اللهم فأبْلَغْنِي عَنَّا السَّلامَ ، اذْكَرْنَا يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ رَبِّكَ ، وَلِنَسْكُنَ مِنْ بِلَاكَ ، قُلُوبًا مَا خَلَقْتَ
مِنَ السَّكِينَةِ لَمْ نَقِمَّ لِمَا خَلَقْتَ مِنَ الْوَحْشَةِ ، اللَّهُمَّ أَبْلَغْ نَبِيكَ عَنَّا ، وَاحْفَظْ فِينَا !
ثم خرج إلى الناس وهم في شديد غمّراتهم ، وعظيم سكراتهم ، فخطب خطبة
قال فيها :

« أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ ، وَأَنَّ الدِّينَ كَمَا شَرَعَ ، وَأَنَّ الْهِدْيَ كَمَا حَدَّثَ ، وَأَنَّ الْقَوْلَ
كَمَا قَالَ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ... فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ كَانَ
يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ
تَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ فِي أَمْرِهِ ، فَلَا تَدْعُوهُ جَزَعًا ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَارَ لِنَبِيِّهِ مَاعِنْدَهُ عَلَى مَا عِنْدَكُمْ ، وَقَبَضَهُ
إِلَى ثَوَابِهِ ، وَخَلَفَ فِيكُمْ كِتَابَهُ ، وَسَنَةَ نَبِيِّهِ ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِمَا عَرَفَ ، وَمَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا أَنْكَرَ .
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ^(١)) ، وَلَا يَسْخَلَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ بِمَوْتِ نَبِيِّكُمْ ،
وَلَا يَفْتِنَنَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ، فَعَايِلُوهُ بِالَّذِي تُعْجِزُونَهُ ، وَلَا تَسْتَنْظِرُوهُ قَيْلَ حَقِّ بَكُمْ » .
(زهر الآداب ١ : ٢٥٠)

٣٦ - خطبته بعد البيعة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ، فَإِنْ رَأَيْتُمُونِي عَلَى حَقِّ فَأَعِينُونِي ،
وإِنْ رَأَيْتُمُونِي عَلَى بَاطِلٍ فَتَدَدُونِي ، أَطِيعُونِي مَا أَطَاعَ اللَّهُ فِيكُمْ ، فَإِذَا عَصَيْتُهُ فَلَا طَاعَةَ
لِي عَلَيْكُمْ ، أَلَا إِنَّ أَقْوَامَ عِنْدِي الضَّعِيفُ حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ لَهُ ، وَأَضْعَفُكُمْ عِنْدِي الْقَوِيُّ
حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ مِنْهُ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ » .

(العقد الفريد ٢ : ١٣٠ ، وإعجاز القرآن ص ١١٥ ، وعيون الأخبار ٢ : ٢٣٤ ، وتهذيب
الكامل ١ : ٦ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٢٠٣ ، وابن أبي الحديد ٢ : ٨ ، وم ٤ : ١٦٧ ، وسيرة
ابن هشام ٢ : ٤٣٠ .)

٣٧ — خطبة أخرى له بعد البيعة

وقال الطبري : نادى منادى أبى بكر من بعد الند من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ بِثِ اسَمة : ألا لا يقيين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره ، وقام فى الناس ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« يا أيها الناس : إنما أنا مثلكم ، وإني لا أدرى لعلكم سَتَكَلَّفُونِي ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُطِيق . إن الله اصطفى محمداً على العالمين ، وعصمه من الآفات ، وإنا أنا مُتَّبِعٌ ، ولست بمبتدع ، فإن أسقمت فتابعونى ، وإن زِغْتَ فقومونى : وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبِضَ ، وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بِمُظْلَمَةٍ ^(١) ضَرِيقَ سوط فادونها ، ألا وإن لى شيطاناً ^(٢) يعتربنى ، فإذا غضبت فاجتنبونى ، لا أُوَثِّرُ فى أشعاركم وأبشاركم ^(٣) ، ألا وإنكم تندون وتروحون فى أجل قد عُيِّبَ عنكم علمه ، فإن أستعلمت ألا يمضى هذا الأجل إلا وأنتم فى عمل صالح فاضلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ، فسابقوا فى مهل آجالكم من قبل أن تسلكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال ، فإن قوماً نسوا آجالهم ، وجعلوا أعمالهم لتغيرهم ، فأياكم أن تكونوا أمثالهم ، الجُدَّ الجُدَّ ، والوَحَا ^(٤) الوَحَا ، والنَّجاء ^(٥) النَّجاء ، فإن وراءكم طالبا حثيثاً ^(٦) ، أَجْلاً مَرَّةً سريع ، احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان ، ولا تَفْطِنُوا ^(٧) الأحياء إلا بما تَفْطِنُونَ به الأموات »

(تاريخ الطبري ٣ : ٢١١ ، وشرح ابن أبى الحديد ٤ : ١٦٧)

-
- (١) الظلامة . (٢) قال ابن أبى الحديد : وأراد بالشيطان الغضب ، ولم يرد أن له شيطاناً من مردة الجن يعترىه إذا غضب ، ولو كان له شيطان من الجن يعتاده ويتوهم لكان فى عداد المصروعين من المجانين ؟ وما ادعى أحد على أبى بكر هذا لامن أوليائه ولا من أعدائه . (٣) أبشار جمع بشر ، وهو جمع بشرة : وهى ظاهر الجلد . (٤) السجلة والإسراع ، وحى وتوحى : أسرع ، ووحاء ، صجلة . (٥) الإسراع أيضا . (٦) سريماً . (٧) غبطة : تنق مثل حاله من غير أن يريد زواله نعمته عنه .

٣٨ — خطبة أخرى

قال الطبري : وقام ايضاً حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن الله عز وجل لا يقبلُ من الأعمال إلا ما أريدَ به وجهه ، فأريدوا الله بأعمالكم ، واعلموا أن ما أخلصتمُ الله من أعمالكم فطاعةُ أتيتموها ، وحظَ ظفركمُ به ، وضرائبُ أدبتموها ، وسَلَفَ قدمتموه ، من أيام فانية لأخرى باقية ، حين تفرم وحاجتكم ، اعتبروا عبادَ الله بمن مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم . أين كانوا أمس ؟ وأين هم اليوم ؟ أين الجبارون ؟ وأين الذين كان لهم ذِكرُ القتال والفتية في مواطن الحروب ؟ قد تضعف بهم الدهر ، وصاروا رَمِيماً ، قد تركت عليهم القتالات^(١) الخبيثاتُ ، وإنما الخبيثاتُ للغيثين ، والخبيثون للخبثات ، وأين الملوك الذين أناروا الأرضَ وعَمَرُوها ؟ قد بَدُّوا ، ونُسِيَ ذِكرهم ، وصاروا كلاً شياً ، ألا وإن الله قد أبقى عليهم النِّبَياتِ ، وقَطَعَ عنهم الشهواتِ ، وقَضَوْا والأعمالُ أعمالهم ، والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلفاً من بعدهم ، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا ، وإن أغررنا كنا مثلهم ، أين الوضاهُ^(٢) الحسنَةُ وجوهُهم ، المُعْجَبُونَ بِشَبَابِهِمْ ؟ صاروا تراباً ، وصار ما فرطوا فيه حسرةً عليهم ، أين الذين بنوا للدائِن وحَصَّنوها بالحواط ، وجعلوا فيها الأعاجيب ؟ قد تركوها لمن خلفهم ، فذلك مساكنهم خاوية ، وهم في ظلماتِ القبور ، هل تُحِسُّ منهم من أحد ، أو تسمع لهم رِكْزاً^(٣) ؟ أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم ؟ قد انتهت بهم آجالهم ، فوردوا على ما قدَّموا ، فحلُّوا عليه ، وأقاموا للشَّقْوَةِ والسَّعادةِ فيما بعد الموت ،

(١) القول : في الخير ، والقتال والقتيل والقالة : في الشر . (٢) الوضاه جمع وضوء : وهو الحسن

والنظيف ، وهو ايضاً وضاه يضم الواو وتشديد الضاد ، وجمعه وضاهون . (٣) الصوت الخفي .

ألا إن الله لا شريك له ليس بينه وبين أحد من خلقه سببٌ يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه بمسوءٍ إلا بطاعته واتباع أمره ، واعلموا أنكم عبيدٌ متدينون ، وأن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته ، أما وإنه لا خيرَ بخيرٍ بعده النارُ ، ولا شرٌّ بِشرٍّ بعده الجنة .

(تاريخ الطبري ٣ : ٣١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ ص ١٦٧)

٣٩ - خطبة له

ومن خطبه : « حمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة للوك ، فرفع الناس رءوسهم ، فقال : مالك يأمشر الناس ؟ إنكم لطمعون عجولون ، إن من الملوك من إذا ملك زهدَهُ الله فيما في يده ، ورغبهُ فيما في يَدَيْ غيره ، وانتقصهُ شطرَ أجله ، وأشربَ قلبهُ الإشفاقَ ، فهو يحسُدُ على القليل ، ويتسخط^(١) الكثيرَ ، ويسأم الرخاء ، وتنقطع عنه لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة ، ولا يسكنُ إلى الثقة ، فهو كالهرم القسي^(٢) ، والسراب الخادع ، جذل الظاهر ، حزين الباطن . فإذا وجبت^(٣) نفسه ، ونصبَ عمره ، وضحا ظله^(٤) ، حاسبهُ الله فأشدَّ حسابهُ ، وأقلَّ غفوه . ألا إن الفقراء هم الرحومون ، وخير الملوك من آمن بالله ، وحكم بكتاب الله وسنة نبيِّه صلى الله عليه وسلم ، وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومُفَرِّقِ حَبَجَةٍ ، وسَرَوْنِ بَدْيِ مُلْكَ عَصُوضٍ^(٥) ، وأمة شَمَاعَا^(٦) ، ودَبَا مُنَاحَا^(٧) ، فإن كانت للباطل نَزْوَةٌ^(٨) ، ولأهل الحق جَوَلَةٌ ، ينفولها الأثرُ ، وتموت السنن ، فالزموا للساجد ،

(١) تسخط عطاه : استقله ولم يقع منه موتها . (٢) الزائف . (٣) مات . ووجبت الشمس :

غابت ؛ والذين غارت . (٤) مات أيضاً . (٥) العفوض : ما يمشى عليه ، وملك ضفدع : فيه

صف وظلم . (٦) متفرقة . (٧) أفاقه : أراقه . (٨) وثبة .

واستشعروا القرآن ، والزموا الجماعة ، وليكن الإبرام بعد التشاور ، والصَّفة بعد طول التناظر ، أى بلاد خَزَّ شَنَّةٌ^(١) إن الله سيفتح عليكم أفصاها كما فتح أدناها .

(ميون الأخبار م ٢ ص ٢٢٣ ، والبيان والتبيين ٧ : ٢١ ، والمقد الفريد ٢ : ١٢١ ، وصبح الأضى ١ : ٢١٣ ، وزهر الآداب ١ : ٣٩) .

٤ . — خطبة له

وخطب أيضا قال :

« الحمد لله ، أحمده ، وأستعينه ، وأستغفره ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهدى الله بالمهدى ، وأعوذ به من الضلالة والردى ، ومن الشك والسمى ، من يهدى الله فهو المهتدى ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مَرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حي لا يموت ، يُعزُّ من يشاء ، ويُذِلُّ مَنْ يشاء بيده الخير ، وهو على كلِّ شئ قدير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، إلى الناس كافة ، رحمة لهم ، وحجة عليهم والناس حينئذ على شرٍّ حال فى ظلمات الجاهلية ، دينهم بدعة ، ودعوتهم فرية ، فأعزَّ الله الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وألَّفَ بين قلوبكم أيها المؤمنون ، فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . فأطيعوا الله ورسوله ، فإنه قال عز وجل : « مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا » .

أما بعد أيها الناس : إني أوصيكم بتقوى الله العظيم فى كلِّ أمر ، وعلى كلِّ حال ، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم ، فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير ، مَنْ يَكْذِبْ

يَفْجُرْ، ومن يَفْجُرْ يَهْلِكْ، وإياكم والفخر، وماغُرٌ من خلق من التراب، وإلى التراب يعود؟ هو اليوم حى، وغدا ميت، فاعملوا وعدُّوا أنفسكم فى الموتى، وما أَشْكَلَ عليكم فردوا علمهُ إلى الله، وقدموا لأنفسكم خيراً تجلوه مُحَضَّراً، فإنه قال عزَّ وجل «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا، وَيَحْذَرُ كُلُّ أَفْئَةٍ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ زَهَّافٌ بِالْغِبَادِ». فاتقوا الله عباد الله وراقبوه، واعتبروا بمن مضى قبلكم، واعلموا أنه لا بد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم صغيرها وكبيرها، إلا ماغفر الله، إنه غفور رحيم، فأَنْفُسُكُمْ أَنْفُسُكُمْ، والمستمان الله، ولا حول ولا قوَّةَ إلا بالله «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» اللهم صلِّ عَلَى عَمَدِ عَبْدِكَ وَرُسُلِكَ، أَفْضَلَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، وَزَكَّنَّا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَالْحَقْنَا بِهِ، وَأَخْشَرْنَا فِي زُمَرَتِهِ، وَأَوْرَدْنَا حَوْضَهُ .
 اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى طَاعَتِكَ، وَانصِرْنَا عَلَى عَدُوِّكَ .
 (المقد الفريد ٢: ١٢١)

٤١ — خطبة له

وخطب أيضاً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:
 «أوصيكم بتقوى الله، وأن تُتَّقُوا عليه بما هو أهله، وأن تَخْلُطُوا الرغبة بالرَّهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته فقال: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَذْعَرُونَ رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ» ثم أعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ عَلَى ذَلِكَ موثيقكم، وعوضكم بالقليل القانى الكثير الباقي، وهذا كتابُ الله فيكم لا تَفْقَى عجائبه، ولا يُطْفَأُ نُورُهُ، فتنقوا بقوله،

وانتصروا^(١) كتابه ، واستبصروا فيه ليوم الظلمة ، فإنه خلقكم لعبادته ، وَوَكَّلَ بِكُمْ
الكرام الكاتِبِينَ يَملُونَ مَا تَملُونَ^(٢) » .

(المقد الفريد ٢ : ١٣١ ، وعيون الأخبار م ٢ ص ٢٢٢)

٤٢ — خطبة له في الأنصار

ووصل إليهم مال من البحرين ، فساوى فيه بين الناس ، فنضبت الأنصار ، وقالوا
لَهُ فَضَّلْنَا ، فقال أبو بكر صدقتم ، إن أردتم أن أفصلكم صار ما علمتموه للدنيا ، وإن
صبرتم كان ذلك لله عز وجل ، فقالوا : والله ما علمنا إلا الله تعالى وانصرفوا ، فرقى
أبو بكر للنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم قال :

« يا معشر الأنصار : إن شئتم أن تقولوا إنا آويناكم في ظلالنا ، وشاطرناكم في
أموالنا ، ونصرناكم بأنفسنا ، قلتم : وإن لكم من الفضل مالا يُحصيه العدد وإن طال به
الأمد . فنحن وأنتم كما قال طُفَيْلُ النَّفَوَيْ :

جزى الله عنا جفراً حين أزلت بنا نعلنا في الواطئين فزكت
أبوا أن يملؤنا ، ولو أن أمنا تلاقى الذي يلقون منا لملت
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفات وأظلت

(زهر الآداب ١ : ٣٩ وصبح الأمل ١٣ : ١٠٨)

(١) انتصح فلان : قبل النصيحة ، يقال : انتصحنى فلان لك فاصح . (٢) ورد عقب ذلك
« ثم اعدوا عباد الله أنكم تغدون وتروسون في ليل قد غيب عنكم عليه . . . الخ » ما أورده ابن جرير
للطبري في الخطبة التي أسلفنا ذكرها ص ١٨١ .

٤٣ - وصيته لأسامة بن زيد

وأوصى أسامة بن زيد وجيشه حين سيَّره إلى أبي^(١) ، قال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : قِفُوا أَوْصِيَكُمْ بِمَشْرِ فَاخْظُوهَا عَنِّي : لَا تَخُونُوا ، وَلَا تَقْلُوا^(٢) ، وَلَا تَقْدُرُوا^(٣) ، وَلَا تَمْتَلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا طِفْلاً صَغِيراً ، وَلَا شَيْخاً كَبِيراً وَلَا امْرَأَةً ، وَلَا تَقْرُوا^(٤) غُلًّا وَلَا تَحْرِقُوهُ ، وَلَا تَقْلَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً ، وَلَا تَذْبَحُوا شَاةً وَلَا بَقَرَةً وَلَا بَعِيراً إِلَّا لِمَا كَلَّه^(٥) ، وَسَوْفَ تَمْرُثُونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ ، وَسَوْفَ تَقْدُمُونَ عَلَى قَوْمٍ يَأْتُونُكُمْ بِأَنْيَةٍ فِيهَا أَلْوَانُ الطَّعَامِ ، فَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئاً بَدَأْهُ ، فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ، وَتَلْقَوْنَ أَقْوَامًا قَدْ فَحَصُوا أَوْسَاطَ رَهْ وَسَمَهُمْ ، وَزَكُوا حَوْلَهَا مِثْلَ الْمَصَائِبِ ، فَاحْفَظُوا^(٦) بِالسَّيْفِ خَفَقًا ، ائْتَفِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ^(٧) . »

(تاريخ الطبري ٣ : ٢١٣ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ١٦٢)

٤٤ - وصيته لعمر بن العاص والوليد بن عتبة

وشيع عمرو بن العاص والوليد بن عتبة مَبِيَّهًا عَلَى الصَّدَقَةِ ، وَأَوْصَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

بوصية واحدة :

« اتَّقِ اللَّهَ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ

(١) موضع بقرب مؤتة بمشارك الشام قتل فيه والده زيد بن حارثة . (٢) غل يغل كتنصر :

خان كأغل ، وغل صدره يغل كضرب غليلا وغلًا : حقد . (٣) غلوه وغلر به كتنصر وضرب وجمع .

(٤) قمر النخلة : كنع فائقمرت ضلها من أصلها فسقطت . (٥) المأكلة : ما أكل .

(٦) خفقه : ضربه بشيء عريض . (٧) وأورد المقد التفريد هذه الوصية وذكر أنها وصية من

أبي بكر لذية بن أبي سفيان — راجع المقدج ١ ص ٤٠ .

لا يحسب ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ، ويعظم له أجراً ، فإن تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله ، إنك في سبيل من سبيل الله ، لا يسلك فيه الإذهان^(١) والتفريط والغفلة عما فيه قوام دينكم ، وعصمة أمركم فلا تن ، ولا تفتر .
(تاريخ الطبري ٤ : ٢٩)

خطب الفتوح في عهد أبي بكر

٤٥ — وصيته لخالد بن الوليد

وصى أبو بكر خالد بن الوليد فقال :

« سر على بركة الله ، فإذا دخلت أرض العدو ، فكن بعيداً من الحلة ، فإنى لا آمن عليك الجولة ، واستظهر بالزاد ، وسر بالأدلاء ، ولا تقاتل بمجروح ، فإن بعضه ليس منه ، واحترس من البليات ، فإن في العرب غرة ، وأقلل من الكلام ، فإن مالك ما وهى عنك ، وأقبل من الناس علانيتهم ، وكلهم إلى الله في سريرتهم ، وأستودعك الله الذى لا تضيع ودائمه » .
(المقد الفريد ١ : ٤٠)

٤٦ — خطبة خالد بن الوليد

وكان أبو بكر رضى الله عنه قد بعث المنى بن حارثة حل جيش إلى العراق ، فقدم العراق فقاتل وأغار على أهل فارس وفواحي السواد ، ثم بعث أخاه مسعوداً إلى أبي بكر يستمعه .
فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد — وكان بانيامة — أن يسير إلى العراق ، فلما قرأ خالد الكتاب قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« الحمد لله والله أهله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد : فإن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلينا يحضتنا على طاعة ربنا ، وجهاد عدونا وعدو الله ، وبالجهاد في سبيل الله أنجز الله دعوتنا ، وجمع كلمتنا وأمنيتنا ، والحمد لله رب العالمين ، ألا إني خارج ومعسكر وساثر إن شاء الله ومعجل ، فمن أراد ثواب الماجل والآجل فليتكشف ^(١) » :

٤٧ - خطبة لأبي بكر في ندب الناس لفتح الشام

وخطب يندب الناس لفتح الشام ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسول الله ، وقال :
« ألا إن لكل أمرٍ جوامع ، فمن بكنها فهي حسبة ، ومن عمل لله كفاه الله ، عليكم بالجد والقصد ، فإن القصد أبلغ ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا أجر لمن لا حسبة له ، ولا عمل لمن لا نية له ، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله ، كما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخصَّ به ، هي التجارة التي دل الله عليها ، ونجى بها من الخزي ، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة . » (تاريخ الطبري ٤ : ٣٠)

فتح الشام

حدث أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري صاحب فتوح الشام قال : لما أراد أبو بكر رحمة الله عليه أن يجهز الجنود إلى الشام ، دعا عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبي وقاص وأبا حبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم ، فدخلوا عليه فقال :

٤٨ - خطبة أبي بكر

« إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه ، ولا تبغ جزاءها الأعمال ، فله الحمد كثيراً على ما اصطنع عندكم ، فقد جمع كنكم ، وأصلح ذات بينكم ، وهذاكم إلى الإسلام ، ونفى عنكم الشيطان ، فليس يطمع أن تشركوا بالله ، ولا أن تتخذوا إلهاً غيره ، فالرب اليوم بنو أم وأب ، وقد أردت أن أستغفرهم إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ، ويحمل الله كلمته العليا ، مع أن المسلمين في ذلك الحظ الأوفر . فن هلك منهم هلك شهيداً ، وما عند الله خير للأبرار ، ومن عاش منهم عاش مدافعاً عن الدين ، مستوجباً على الله عز وجل ثواب المجاهدين ، هذا رأيي الذي رأيت فليشر على أمرؤ ببلغ رأيه . »

٤٩ - خطبة عمر

فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« الحمد لله الذى يخلص بالخير من يشاهدهن خلقه ، والله ما استبقنا إلى شيء من الخير قط إلا سبقتنا إليه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، قد والله أردت لقاءك لهذا الرأي

الذى ذكرت ، فاقضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن ، فقد أصبت ، أصاب الله بك سبل الرشاد ، سرب إليهم الخليل في إثر الخليل ، وابتث الرجال تتبعها الرجال ، والجنود تتبعها الجنود . فإن الله عز وجل ناصر دينه ، ومُميز الإسلام وأهله ، ومنجز ما وعدَّ رسوله .
(فتوح الشام ص ١ وتاريخ ابن عساكر ١ : ١٢٦ - ١٢٧)

٥٠ - خطبة عبد الرحمن بن عوف

ثم إن عبد الرحمن بن عوف قام فقال :

« يا خليفة رسول الله ، إنها الروم وبنو الأصغر ، حدَّ حديد ، وركن شديد ، والله ما أرى أن تُقحم الخليل عليهم إقعاما ، ولكن تبعث الخليل ، فتُغفر في أداني أرضهم ، ثم تبعثها فتغفر ، ثم ترجع إليك ، ثم تبعثها فتغفر ، ثم ترجع إليك ، فإذا فعلوا ذلك مرارا أضروا بدموم ، وغنموا من أداني أرضهم ، فقفوا بذلك على قتالهم ، ثم تبعث إلى أقاصي أهل البين ، وإلى أقاصي ربيعة ومضر فتجمعهم إليك جميعا . فإن شئت عند ذلك غزوتهم بنفسك ، وإن شئت بشت على غزوم غيرك . »

ثم جلس وسكت وسكت الناس .

قال لهم أبو بكر ماترون ؟ رحمكم الله . فقام عثمان بن عفان رضوان الله عليه . فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« رأيي أنك ناصح لأهل هذا الدين ، عليهم شفيق . فإذا رأيت رأيا علمته لهم رشدا وصلاحا وخيرا ، فأعزم على إمضائه ، فإنك غير خلتين ولا متهم عليهم . »

فقال طلحة - الزبير وسعد وأبو صبيحة بن المراح وسعيد بن زيد وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار :

« صدق عثمان فيما قال ، ما رأيت من رأى فأمض ، فإننا سامعون لك مطيعون ، لا نخالف أمرك ، ولا نتهم رأيك ، ولا نتخلف عن دعوتك وإجابتك . »

فذكروا هذا وشبهه ، وعلى بن أبي طالب رحمة الله عليه في القوم لا يتكلم ، فقال له أبو بكر : ما ترى يا أبا الحسن ؟ قال :

« أرى أنك مبارك الأمر ، ميمون النقية ، وأنتك إن سرت إليهم بنفسك أو بعنت إليهم نصرت إن شاء الله » .

فقال له أبو بكر : بشرك الله بخير ، فن أئن علمت هذا ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يزال هذا الدين ظاهرا على كل من ناوأه ، حتى يقوم الدين وأهله ظاهرين » فقال أبو بكر : سبحان الله ! ما أحسن هذا الحديث ! لقد سررتني شرك الله في الدنيا والآخرة .

٥١ - خطبة أبي بكر

ثم إن أبا بكر رحمة الله عليه ورضوانه قام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكره بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أيها الناس ، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام ، وأعزكم بالجهاد ، وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين . فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام ، فإني مؤتمر عليكم أمراء وعاقدهم ألوية ، فأطيعوا ربكم ، ولا تخالفوا أمراءكم ، ولتحسن نيتكم وسيرتكم وطمعتكم ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

فصكت الناس ، فو الله ما أجابيه أحد هيبه لغزو الروم لما يعلمون من كثرة عددهم وشدة شوكتهم ، فقام عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه فقال : يامشر المسلمين ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ دعاكم لمشايعكم .

٥٢ - خطبة خالد بن سعيد بن العاص

فقام خالد بن سعيد بن العاص ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« الحمد لله الذى لا إله إلا هو ، الذى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، فإن الله منجز وعده ، ومُؤمِن دينه ، ومُهلك عدوه » ثم أقبل على أبى بكر فقال : « نحن غير مخالفين لك ، ولا متخلفين عنك ، وأنت الوالى الناصح الشفيق ، تنفر إذا استنفرتنا ، ونطيعك إذا أمرتنا ، ونجيبك إذا دعوتنا .

ففرح أبو بكر بمقالته ، وقال له : « جزاك الله من أخ و خليل خيراً ، قد أسلمت مرتقباً ، وهاجرت محسباً ، وهربت بدينك من الكفار ، لى يطاع الله ورسوله ، وتسكون كلمة الله هى العليا ، فتيسر رحمتك الله » .

فتجهز خالد بن سعيد بأحسن الجهاز وخرج هو وإخوته وغلماؤه ومن تبعه من أهل بيته ، فكان أول من صكر ، وأمر أبو بكر بلالا فتأدى فى الناس : أن انفروا إلى جهاد طوكم الروم بالشام ، فنفروا إليه — وكان خالد من عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكره الإمامة واستق أباً بكر فاعفاه — (فتح الشام ص ١) ورأى أبو بكر أن يكتب كتاباً إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الجهاد ، ويرغبهم فى ثوابه ، وبث الكتاب مع أنس بن مالك .

قال أنس : أتيت أهل اليمن جئنا جئنا و قبيلة قبيلة ، أقرأ عليهم كتاب أبى بكر وإذا فرغت من قراءته قلت :

« الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإن رسول خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول المسلمين إليكم ، ألا وإنى قد تركتهم ممسكين ، ليس بمنهم من الشخص إلى عدوهم إلا انتظاركم ، فمجلوا إلى إخوانكم رحمة الله عليكم أيها المسلمون » .

فكان كل من أقرأ عليه ذلك الكتاب ، ويسمع من هذا القول يحسن الرد على ، ويقول : نحن سائرون وكأنا قد فعلنا .

٥٣ — خطبة ذى الكلاع

حتى انتهيت إلى ذى الكلاع ، فلما قرأت عليه الكتاب ، وقلت هذا المقال ؛ دعا بفرسه وسلاحه ؛ ونهض فى قومه من ساعته ولم يؤخر ذلك ، وأمر بالمسكر فاجرحنا حتى عسكر وصكر منه جموع كثيرة من أهل اليمن وسارعوا ، فلما اجتمعوا إليه قام فيهم :

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : « أيها الناس إن من رحمة الله بإياكم ، ونصته عليكم ، أن يمث فيكم رسولا ، وأنزل عليه كتابا فأحسن عنه البلاغ ، فملىكم ما يرشدكم ، ونهاكم عما يفسدكم ، حتى علمكم ما لم تكونوا تعلمون ، ورغبكم في الخير فيما لم تكونوا ترغبون ، ثم قد دعاكم إخوانكم الصالحون إلى جهاد المشركين ، واكتساب الأجر العظيم ، فليتنفر من أراد النفير معي الساعة » .

ففر بعدد من أهل اليمن كثير ، وقدموا على أبي بكر ففرح بمقدمهم .

(نصح الشام ص ٦)

٥٤ — وصية خالد بن سعيد بن العاص لابن بكر

ولما أراد خالد بن سعيد بن العاص أن يفتد سائرا إلى الشام ، أبس سلاحه ، وأمر إخوته فلبسوا أسلحتهم ، وعرا والحكم وأبان ، وغلطه ومواليه ، ثم أقبل إلى أبي بكر رضي الله عنه بعد صلاة الفداة وصل معه ، فلما انصرفوا قام إليه هو وإخوته ، فجلسوا إليه فحمد الله خالد وأثنى عليه وصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« يا أبا بكر ، إن الله أكرمنا وإياك والمسلمين طرأ بهذا الدين ، فأحق من أقام السنة ، وأما البدعة ، وعدل في السيرة ، والوالى على الرعية ، وكل امرئ من أهل هذا الدين محقوق بالإحسان ، ومعدلة الوالى أعم نفعا ، فأتى الله يا أبا بكر فيمن ولأك الله أمره ، وارحم الأرملة واليتيم ، وأعين الضعيف المظلوم ، ولا يكن رجل من المسلمين إذا رضيت عنه آثر عندك في الحق منه إذا سخطت عليه ، ولا تنضب . ما قدرت على ذلك ، فإن الغضب يجر الجور . ولا تحقد على مسلم وأنت تستطيع ، فإن حقدك على المسلم يملك له عدوا ، وإن اطلع على ذلك منك عاداك ، فإذا عادى الوالى الرعية ، وعادت الرعية الوالى ، كان ذلك قمتا أن يكون إلى هلاكهم داعيا ، وكن لنا للمحسن ، واشدد على المريب ، ولا تأخذك في الله لومة لائم » .

م قال : هات يدك ، فإني لأدري : هل نلتقي في الدنيا بعد هذا اليوم ؟ فإن قضى الله لنا اللقاء فنسأل الله صفوه وغفرانه ؛ وإن كانت هي الفرة التي ليس بعدها اللقاء ، فزفنا الله وإليك وجه النبي صل الله عليه وسلم في جنات النعيم « فأخذ أبو بكر رضي الله عنه يده ، ثم بكى وبكى خالد والمسلمون ، وغنوا أنه يريد الشهادة .
(فتح الشام ص ١٧)

٥٥ - وصية أبي بكر لخالد بن سعيد بن العاص

فلما خرج من المدينة قال له أبو بكر رضي الله عنه :

« إنك قد أوصيتني برشدي وقد وعيته ، وأنا موصيك فاستمع وصيتي وعيها ، إنك امرؤ قد جعل الله لك سابقة في الإسلام ، وفضيلة عظيمة ، والناس ناظرون إليك ، ومستمعون منك ، وقد خرجت في هذا الوجه العظيم الأجر ، وأنا أرجو أن يكون خروجك فيه لحسبة ونية صادقة إن شاء الله ، فثبت العالم ، وعلم الجاهل ، وعاتب السفیه المترف ، وانصح لامة المسلمين ، واخصم الوالي على الجند من نصيحتك ومشورتك ما يحق الله وللمسلمين عليك واعمل لله كأنك تراه ، واحدد نفسك في اللوتى ، واعلم أنا عما قليل ميتون ثم مبعوثون ثم مساءلون ومحاسبون ، جعلنا الله وإياك لأنصه من الشاكرين ولنقمه من الخائفين ثم أخذ يده فودعه » .

وجهز أبو بكر أرمية جيوش على أحدها عمرو بن العاص ووجهه إلى فلسطين ، وعمل الثاني شرحبيل ابن حسنة ووجهه إلى الأردن ، وعمل الثالث يزيد بن أبي سفيان ووجهه إلى البلقاء ، وعمل الرابع أبو عبيدة عامر بن الجراح ووجهه إلى حمص ، وشيخ الأمراء ووصام .
(فتح الشام ص ١٨)

٥٦ - وصية أبي بكر لعمر بن العاص

ولما أجمع أبو بكر أن يبعث الجيوش إلى الشام كان أول من سار من عماله عمرو ابن العاص .

وخرج أبو بكر يمشي إلى جنب راحلة عمرو بن العاص وهو يوصيه ويقول :

« يا عمرو اتق الله في سر أمرك وعلايته ، واستحيه فإنه يراك ويرى عملك ، وقد رأيت تدينني لماك على من هو أقدم سابقاً منك ، ومن كان أعظم غناء عن الإسلام وأهله منك ، فكُن من حال الآخرة ، وأرد بما تعمل وجه الله ، وكن والدا لمن معك . ولا تكسفن الناس عن أستارهم ، واكف بملانيتهم ، وكن مجدافى أمرك ، واصدق القاء إذا لافيت ولا تبين ، وتقدم في العلم ^(١) وعاقب عليه ، وإذا وعظت أصحابك فأوجز وأصلح نفسك تصلح لك رعييتك في وصية له طويلة » .

(تاريخ ابن صاكر ١ : ١٢٩)

٥٧ - وصية أخرى

وأمد أبو بكر أبا عبيدة بجيش عليه عمرو بن العاص ، فلما أراد الشخص خروج معه أبو بكر رضى الله عنه يشمه وقال :

« يا عمرو إنك ذو رأى وتجربة بالأمور وتبصرة بالحرب . وقد خرجت مع أشراف قومك ، ورجال من صلحاء المسلمين ، وأنت قادم على إخوانك فلا تألمهم نصيحة ، ولا تدخر عنهم صالح مشورة ، فرب رأى لك محمود في الحرب ، مبارك في عواقب الأمور » فقال له عمرو : ما أخلقني أن أصدق ظنك وأن أقبل رأيك ، ثم ودعه وانصرف .

(تشرح الشام ص ٤١)

٥٨ - وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان

ودعا يزيد بن أبي سفيان فمقد له وأوصاه فقال :

« يا يزيد ، إني أوصيك بتقوى الله وطاعته ، والإيثار له ، والخوف منه ، وإذا لقيت

العدو فأظفركم الله بهم ، فلا تَقْلُ ولا تَمُتْ ، ولا تنذر ولا تَجِبْ ، ولا تقتلوا وليدا ، ولا شيئا كبيرا ولا امرأة ، ولا تحرقوا نخلا ولا تَقْرَعْ ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تَقْفِرُوا بهيمة إلا لما كَلَّ ، وسترون قوم في الصوامع ، يزعمون أنهم حبسوا أنفسهم لله ، فدعوم وما حبسوا أنفسهم له ، وستجدون آخرين قد فحس الشيطان عن أوساط ردوسهم ، حتى كأن أوساط ردوسهم أفاضيل^(١) القطا ، فاضربوا ما فحسوا من ردوسهم بالسيف ، حتى يُنْبِئُوا إلى الإسلام ، أو يؤدوا الجزية عن يدهم صاغرون ، ولينصرن الله من ينصره ورسله بالنيب « ثم أخذ يده فقال : « إني أستودعك الله وعليك سلام الله ورحمته » ثم ودَّعه وقال : « إنك أول أسرائي ، وقد وليتك على رجال من المسلمين أشراف غير أوزاع^(٢) في الناس ، فأحسن صحبتهم ، ولتكن لهم كنفاً واخضع لهم جناحك وشاورهم في الأمر ، أحسن الله لك الصحابة وعلينا الخلافة » . (تروح الشام ٨)

٥٩ — وصية أخرى ليزيد بن أبي سفيان

روى يزيد بن أبي سفيان أيضا حين وجهه لفتح الشام قال :

« إني قد وليتك لِأَبْلُوكَ وَأَجْرَجَكَ^(٣) ، فإن أحسنت رددتك إلى حملك وزدتك ، وإن أسأت عزلتك ، فليكن بقوى الله ، فإنه يرَى من باطنك مثل الذي يرَى من ظاهرك ، وإن أولى الناس بالله أشد هم توليا له ، وأقرب الناس من الله أشد هم قرىبا إليه بعمله ، وقد وليتك عمل خالد^(٤) ، فأياك وَعَبِيَّةَ^(٥) الجاهلية ، فإن الله يَبْغِضُ وَيُبْغِضُ

(١) جمع أنحوس وهو ما يجثم فيه القطا . (٢) أي ليسوا بأدنياء ولا ضغفاء ولا جفاة .

(٣) خروجه : دربه وعلمه . (٤) هو خالد بن سعيد المص ، وكان أبو بكر سيره إلى الشام أولا ثم عزله . (٥) العبدة : الكبير ، والفخر ، وفي الحديث : « إن الله قد وضع عنكم حية الجاهلية » يعني الكبير .

أهلها ، وإذا قَدِمْتَ عَلَى جَنْدِكَ فَأَحْسِنْ مُحِبَّتَهُمْ وابدأهم بالخير ، وَعِذْهُمْ بِإِيَّاهُ ، وإذا عظمتهم فأوجِزْ ، فَإِنَّ كَثِيرَ الْكَلَامِ يُنْسِي بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ يَصْلُحْ لَكَ النَّاسُ ، وَصَلِّ الصَّلَوَاتِ لَأَوْقَاتِهَا بِإِعْلَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَالتَّخَشُّعِ فِيهَا ، وَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رُسُلُ عَدُوِّكَ فَأَكْرِمْهُمْ وَأَقِلِّ لُبْنَهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ عَسْكَرِكَ وَمِنْ جَاهِلُونَ بِهِ ، وَلَا تُزَيِّتْهُمْ ^(١) فَيَرَوْا خَلْقَكَ ، وَيَطْلُوعَا عِلْمَكَ ، وَأَنْزِلْهُمْ فِي ثَرْوَةِ عَسْكَرِكَ ، وَامْنَعْ مِنْ قِبَلِكَ مِنْ مُحَادَثَتِهِمْ ، وَكُنْ أَنْتَ التَّلَوَّى لِكَلَامِهِمْ ، وَلَا تَجْعَلْ سِرَّكَ لِعُلَانِيَتِكَ ، فَيُغْتَلَطِ أَمْرُكَ ، وَإِذَا اسْتَشْرَتْ فَأَصْدُقِ الْحَدِيثَ تَصَدَّقِ الشُّورَةَ ، وَلَا تَخْزُنْ عَنِ الشَّيْرِ خَبْرَكَ ، فَتَقْوَى مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ ، وَاسْمُرْ بِاللَّيْلِ فِي أَصْحَابِكَ ثَانِيَكَ الْأَخْبَارِ ، وَتَنْكَشِفْ عَنْكَ الْأَسْتَارُ ، وَأَكْثِرْ حَرَسَكَ وَبَدِّدْ فِي عَسْكَرِكَ ، وَأَكْثِرْ مَفَاجِئَهُمْ فِي مُحَارَسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِكَ ، فَمَنْ وَجَدْتَهُ غَفَلَ عَنْ مَحْرُسِهِ ، فَأَحْسِنْ أَدَبَهُ وَعَاقِبَهُ فِي غَيْرِ إِفْرَاطٍ ، وَعَقَّبْ ^(٢) بَيْنَهُم بِاللَّيْلِ ، وَاجْعَلِ النَّوْبَةَ الْأُولَى أَطْوَلَ مِنَ الْآخِرَةِ ، فَإِنَّهَا أَيْسَرُهَا قُرْبُهَا مِنَ النَّهَارِ ، وَلَا تَخَفْ مِنْ عَقُوبَةِ الْمُسْتَحَقِّ ، وَلَا تَلَجِّنْ فِيهَا ، وَلَا تُسْرِعْ إِلَيْهَا ، وَلَا تَخْذَلْ لَهَا مَذْقِمًا ^(٣) ، وَلَا تَقْفُلْ عَنْ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فَتَفْسِدَهُ ، وَلَا تَجَسَّسْ عَلَيْهِمْ فَتَفْضَحَهُمْ ، وَلَا يَكْشِفِ النَّاسُ عَنْ أَسْرَارِهِمْ ، وَاصْطَفِ الْعَبَّائِينَ ، وَاجْعَلِ الصَّدَقَ وَالْوَفَاءَ ، وَاصْدُقِ اللَّقَاءَ ، وَلَا تَجِبُنْ فَيَجِبَنَّ النَّاسُ ، وَاجْتَنِبِ الْمُلُولَ ^(٤) فَإِنَّهُ يَقْرَبُ الْفَقْرَ ، وَيُدْفَعُ النُّصْرَ ، وَسَيَجِدُونَ أَقْوَامًا حَسِبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ ، فَدَعِهِمْ وَمَا حَسِبُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ١٩٦)

(١) مِنَ الرِّث : وَهُوَ الْإِبْطَاءُ . (٢) عَقِبَهُ تَمَقُّبًا : جَاءَ بِمَقْبِهِ . (٣) لَا تَخْذَلْ : مِنْ غَلَا يَخْذُو كَنَسْرٍ وَغَلَى يَغْلَى كَرَضَى إِذَا اسْتَرْخَى ، وَالْمَدَقُّ : الْمُلَصَّقُ بِالْدَّقَاءِ أَوْ الْمَارِبِ أَوْ أَشَدَّ الْمَزَلِ هَذَا لَا ؛ أَيْ وَلَا تُضْعَفُ ، وَلَا تَجِبُنْ أَلَامَ تَغْلِيهِ الْمُقَابِلَةِ وَهُوَ مُقَابِلُ لِقَوْلِهِ : وَلَا تُسْرِعْ إِلَيْهَا . (٤) غُلَّ غُلُولًا : خَانَ .

٦٠ - دعاء أبي بكر

وكان أبو بكر رحمة الله عليه يدعو في كل يوم غُدُوءَ وَعَشِيَّةً في دُبُرِ صلاة النداء وبعد الصبر يقول :

« اللهم إنك خلقتنا ولم نكن شيئاً ، ثم بعثت إلينا رسولا ، رحمة منك لنا ، وفضلا منك علينا ، فهديتنا وكنا ضالّالا ، وحببت إلينا الإيمان وكنا كفارا ، وكثرتنا وكنا قليلا وجمعتنا وكنا أشتاتا ، وقويتنا وكنا ضعافا ، ثم فرضت علينا الجهاد ، وأمرتنا بقتال المشركين حتى يقولوا لا إله إلا الله أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، اللهم لأصبحنا أن نطلب رضاك ، ونجاهد أعداءك ، من عدل بك ، وعبد معك إلها غيرك ، تعاليت عما يقولون علوا كبيرا ، اللهم فأنصر عبادك المسلمين على عدوك من المشركين ، اللهم افتح لهم فتحا يسيرا ، وانصرهم نصرا عزيزا ، واجعل لهم من لدنك سلطانا نصيرا ، اللهم شجع جُبهتهم وثبت أقدامهم ، وززل بدوهم ، وأدخل الرعب قلوبهم ، واستأصل شأقتهم ، واقطع دابرهم ، وأبد خضراءهم ، وأورثنا أرضهم وديارهم وأموالهم ، وكن لنا وليا ، وبنا حفيّا ، وأصلح لنا شأننا كله ونياتنا وقضاءنا وتبماننا ، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين ، واغفر لنا والمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، ثبتنا الله وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، إنه بالمؤمنين رءوف رحيم » . (فتوح الشام ص ١٩)

٦١ - وصيته لشرحبيل بن حسنة

وجه شُرْحُبَيْل بن حسنة ، وودعه فقال له : يا شرحبيل ، ألم تسمع وصيتي ليزيد ابن أبي سفيان ؟ قال : بلى ، قال : فإني أوصيك بمثلها ، وأوصيك بمخال أغفلت ذكرهن

ليزيد : أوصيك بالصلاة في وقتها ، وبالصبر يوم البأس حتى تظفر أو تقتل وبسيادة للرضى ، وبحضور الجنائز ، وذكر الله كثيرا على كل حال ،
(تفروح الشامس ١١)

٦٢ - وصيته لأبي عبيدة بن الجراح

ولما أراد أن يبيت أبا عبيدة بن الجراح دعاه فودعه ثم قال له :
« اسمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له ، ثم يعمل بما أمر به ، إنك تخرج في أشراف الناس ، وبيوتات العرب ، وصلحاء المسلمين ، وفُرسان الجاهلية ، كانوا يقاتلون إذ ذاك على الحِمِيَّة ، وهم اليوم يقاتلون على الحِسْبَةِ والنية الحسنة ، أحسن صحبة من صَحْبِكَ ، وليسكن الناس عندك في الحق سواء ، واستعن بالله وكفى بالله مينا ، وتوكل على الله وكفى بالله وكيفا ، اخرج من غد إن شاء الله » .
(تفروح الشامس ١٢)

٦٣ - وصيته لأبي عبيدة بن الجراح أيضا

فلما كان من الند خرج أبو بكر رضى الله عنه يمشى في رجال من المسلمين ، حتى أتى أبا عبيدة ، فسار معه حتى بلغ ثَلَاثَةَ الْوُدَاع ، ثم قال حين أراد أن يفارقه :
« يا أبا عبيدة ، اعمل صالحا . وعش مجاهدا ، وتوف شهيدا ، يعطك الله كتابك يمينك ، ولتقر عينك في دنياك وآخرتك ، فوالله إنى لأرجو أن تكون من الثوابين الأولَّين المُحِبَّين^(١) الزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، إن الله قد صنع بك خيرا . وساقه إليك ، إذ جعلك تسير في جيش من المسلمين إلى عدوه من المشركين ، فقاتل من كفر بالله وأشرك به ، وعَبدَ معه غيره » .
(تفروح الشامس ١٤)

(١) في الأصل « المعشقين » ، وأُغَيِّرَ : غشع وتواضع .

٦٤ - خطبة أبي بكر

وسار أبو عبيدة حتى إذا دنا من الجابية بلغه أن هرقل ملك الروم بأنطاكية ، وأنه قد جمع لهم جموعاً كثيرة ، فكتب أبو عبيدة إلى أبي بكر يخبره بذلك ، فقام أبو بكر رضى الله عنه في الناس

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإن إخوانكم المسلمين معافون مكثون^(١) ، مدفوع عنهم ، مصنوع لهم ، وقد ألقى الله الرعب في قلوب عدوهم منهم ، وقد اعتصموا حصونهم ، وأغلقوا أبوابها دونهم عليهم ، وقد جاءنى رسلكم يخبروننى بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم ، حتى نزل قرية من قرى الشام في أقصى الشام ، وقد بعثوا إلى ي خيبروننى أنه قد وجه إليهم هرقل جنداً من مكانه ذلك ، فرأيت أن أمد إخوانكم المسلمين بجند منكم يشدد الله بكم ظهورهم ، ويكتب بهم عدوهم ، ويلق بهم الرعب في قلوبهم . فانتدبوا رحمة الله مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص . واحتسبوا في ذلك الأجر والخير فإنكم إن نصرتم فهو الفتح والغنية . وإن تهلكوا فهي الشهادة والكرامة » .
(نصح الشام ص ٢٧)

٦٥ - وصية أبي بكر لهاشم بن عتبة

ولما سار هاشم بن عتبة ودعه أبو بكر رضى الله عنه وقال له :

« يا هاشم إنا إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تديره ، وكنا ننتفع من الشاب بصبره وبأسه ونجدته ، وإن الله عز وجل قد جمع لك تلك الخصال كلها ، وأنت حديث السن مستقبل الخير ، فإذا قيمت عدوك فاصبر وصابر ، واعلم أنك لا تخطو خطوة ، ولا تنفق نفقة ، ولا يصيبك ظلم ولا نصب ولا خصمة^(٢) في سبيل الله إلا كتب الله لك به عملاً صالحاً ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

فقال هاشم : إن يرد الله بي خيرا يحسنى كذلك ، وأنا أفضل ولا قوة إلا بالله ، وأنا أرجو إن أنا لم أقتل أن أقتل ثم أقتل إن شاء الله .

فقال له عمه سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه : « يا بن أخى لا تظن طعنة ولا تضر بن ضربة إلا وأنت تريد بها وجه الله ، واعلم أنك خارج من الدنيا رشيدا ، وراجع إلى الله قريباً ، ولن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدم صدق قدمته ، أو عمل صالح أسلفته » .

فقال أى عم : لا تخال^(١)نى غير هذا ، إني إذا لم ألتحق أسيرين ، إن جعلت حولي وارتحالي وغدوى ورواحى وسيفى وطمعى برعى وضرى بسيفى رياء للناس .

ثم خرج فقدم على أبي عبيدة فتيأشر بمقدمه المسلمون . (فتوح الشام ص ٢٨)

٦٦ — خطبة خالد بن الوليد يوم اليرموك

وجه هرقل إلى كل جيش من جيوش المسلمين جيشا يفوقه ، فأشار عمرو بن العاص على الأمراء بالاجتماع ، فأرسلوا إلى أبي بكر في ذلك فأشار عليهم بمثل رأى عمرو . فاجتمعوا باليرموك وكل واحد من الأمراء أمير على جيشه ، والروم أمامهم ، وبين الفريقين خندق ؛ فكان الروم يقاتلون باختيارهم ، وإن شاءوا احتجزوا بخنادقهم ، فأرسل الأمراء إلى أبي بكر يستملونه فكتب إلى خالد بن الوليد أمير جند المراق يأمره أن يستخلف على جنده بعد أن يأخذ منه نصفه ويتوجه إلى الشام مدداً للأمراء ؛ فسار إلى الشام ؛ ووافى المسلمين وهم متضايقون ، إذ وصل باهان بجيش مدد الروم ، فولى خالد قتاله ، وقاتل كل أمير من يآزره متساندين^(٢) ، فرأى خالد أن هذا القتل لا يجنى نفعه مادامت كل فرقة من الجيش لها أمير فجمع الأمراء وخطبهم .

فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« إن هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البنى ، أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بمسلككم ، فإن هذا يوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوما على نظام وتسمية ، على تسا :

(١) في الأصل « لا تخالنى » . (٢) لى تحت رايات شتى لتجميعهم راية أمير واحد .

واشعار ، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي ، وإن من وراءكم^(١) لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالقدى ترون أنه الرأي من واليكم وعجته .

قالوا : فها الرأي ؟ قال : إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أننا سنتياسر^(٢) ، ولو علم بالقدى كان ويكون لما جمعكم . إن القدى أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيتهم ، وأنفع للمشركين من أمدادهم ، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فأنه الله فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان ، لا ينتقص منه أن دان لأحد من أسراء الجنود ، ولا يزيده عليه أن دانوا له ، إن تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ، ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هلموا فإن هؤلاء قد تهيأوا ، وهذا يوم له ما بعده إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وإن هزمونا لم نفلح بعدها ، فلهوا فلتتجاوز^(٣) الإمارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غدا ، والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ودعوى أنأمر اليوم فأمروه وانتهت الواقعة بهزيمة الروم شر هزيمة (سنة ١٣ هـ) .

(تاريخ الطبري ٤ : ٣٣ والكمال لابن الأثير ٢ : ٢٠٠)

٦٧ - خطبة أبي عبيدة في وقعة اليرموك

ولما برز المسلمون إلى الروم في وقعة اليرموك سار أبو عبيدة في المسلمين ثم قال : « يا عباد الله ، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، فإن وعد الله حق ، يا معشر المسلمين اصبروا ، فإن الصبر منجاة من الكفر ، ومرضاة للرب ، ومدحضة للعار ، فلا تبرحوا مصافكم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ولا تبدؤهم بقتال ، وأشرعوا الرماح ، واستقروا بالدرق ، والزمو الصمت إلا من ذكر الله ، حتى أمركم إن شاء الله » .

(فتح الشام ص ١٩٥)

٦٨ - قصص معاذ بن جبل

وخرج معاذ بن جبل يقص على الناس ويقول :

« يا قرأ القرآن ، ومستحفظي الكتاب ، وأنصار الهدى ، وأولياء الحق ، إن رحمة الله - والله - لا تُفأل ، وجنته لا تدخل بالأمانى ، ولا يؤتى الله للفرقة والرحمة الواسعة إلا الصادقين المصدقين بما وعدهم الله عز وجل ، ألم تسموا قول الله « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » .

أنتم إن شاء الله منصورون ، فأطيعوا الله ورسوله ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ، واستحيوا من ربكم أن يراكم قرأرا من عدوكم ، وأنتم في قبضته ورحمته ، وليس لأحد منكم ملجأ ولا ملتبأ من دونه ولا متمرئ بنير الله » .

فجعل يمشى في الصفوف ويحرضهم ويقص عليهم ثم انصرف إلى موقفه .

(نصح للشام ص ١٩٥)

٦٩ - خطبة عمرو بن العاص

وصر عمرو بن العاص يومئذ على الناس ، فجعل يظلم ويقص عليهم ، ويحرضهم

ويقول :

« أيها الناس : غضوا أبصاركم ، واجتئوا على الركب ، وأشرعوا الرماح ، والزموا مرا كزكم ومصافكم ، فإذا حمل عليكم عدوكم فأهلوهم ، حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة ، فثبوا في وجوههم وثوب الأسد ، فوالقدي يرضى الصدق ويمقت الكذب ويمقاب عليه ،

ويجزى بالإحسان ، لقد بلغنى أن المسلمين سيفتحونها كفرة^(١) ، وقصرا قصرا ، فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم ، فإنكم لو قد صدقتموه الشدة لقد اندعروا اندعار أولاد الحبل^(٢) .
(فتوح الشام ص ١٩٦)

٧٠ - خطبة أبي سفيان بن حرب

وكان أبو سفيان بن حرب يسير في الناس يوم اليرموك ، ويقف على أهل كل رابية وعلى كل جماعة فيحرض الناس ويحضرهم ويعظمهم ويقول :

« إنكم يا معشر المسلمين أصبحتم في دار المعجم ، منقطعين عن الأهل^(٣) ، نائين عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين ، وقد والله ، أصبحتم بإزاء عدو كثير عددهم ، شديد عليكم حنقه ، وقد وترتموه في أنفسهم ونسائهم وأولادهم وأموالهم وبلادهم ، فلا والله لا ينجيكم منهم اليوم وتبلغون رضوان الله إلا بصدق اللقاء ، والصبر في مواطن المكروه ، فامتنعوا بسيوفكم ، وتقرّبوا بها إلى خالقكم ، ولتكن هي الحصون التي تلجئون إليها ، وبها تمنعون » .

وقاتل أبو سفيان يومئذ قتالا شديداً ، وأبلى بلاء حسنا . (فتوح الشام ص ١٩٧)

٧١ - وصية أبي بكر لعمر رضى الله عنهما عند موته

« إني مستخلفك من بعدى ، وموصيك بتقوى الله ، إن الله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا يُقبلُ نافلةٌ حتى تُؤدَّى الفريضةُ ، فإنما نُقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة بانباغهم الحق في الدنيا وثقله عليهم ،

(١) القرية . (٢) الحبل : الذكر من القبيح .

(٣) في الأصل « الأهل » وهو تحريف .

وَحَقُّ لِمِيزَانٍ لَا يَوْضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا ، وَإِنَّمَا خُفْتُ مُوَازِينَ مِنْ خُفْتُ مُوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ وَخُفْتُ عَلَيْهِمْ ، وَحَقُّ لِمِيزَانٍ لَا يَوْضَعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا . إِنْ اللَّهُ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ ، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرَهُمْ قُلْتُ إِنِّي أَخَافُ أَلَّا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ فَذَكَرَهُمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرْ حَسَنَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرَهُمْ قُلْتُ إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ مَعَ آيَةِ الْعَذَابِ لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا رَاهِبًا ، وَلَا يُقْنِي عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ، وَلَا يُبْقِي يَدَهُ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، فَإِذَا حَفِظْتُ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَهُوَ آتِيكَ ، وَإِنْ ضَيَعْتُ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَبْغَضُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَلَسْتُ بِمُعْجِزٍ اللَّهُ .

(البيان والتبيين ٢ : ٢٢ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢٠٨ ، والمقد الفريد : ٢٩٨)

٧٢ - كلامه لعبد الرحمن بن عوف في علته التي مات فيها

وقال عبد الرحمن بن عوف :

« دخلت يوماً على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، في علته التي مات فيها ، فقلت له : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أما إني على ذلك لشديد الوجع ، وَلَمَّا لَقِيتُ مِنْكُمْ يَا مُشَرِّقَ الْمَاجِرِينَ أَشَدَّ عَلَىَّ مِنْ وَجَعِي ، إِنِّي وَلَيْتُ أُمُورَكُمْ خَيْرَ كُمْ فِي نَفْسِي ، فَكَلِمَتُكُمْ وَرِمَ أَفْهَ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْأَمْرُ مِنْ دُونِهِ ، وَاللَّهُ لَتَتَّخِذَنَّ نَفْسًا ثَدًى^(١) الدَّبِيَّاجِ وَسُتُورَ الْحَرِيرِ ، وَلَقَالَتُ النَّوْمَ عَلَى الصَّوْفِ الْأَذْرَبِيِّ^(٢) ، كَمَا يَأْتُمُ أَحَدَكُمْ النَّوْمَ عَلَى حَنَكِ السَّعْدَانِ^(٣) ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَأَنْ يَقْدَّمَ أَحَدُكُمْ فَتَضْرِبَ

(١) جمع نفيسة ؛ وهي الوسادة وما ينضد من المتاع . (٢) نسبة إلى أذربيجان .

(٣) نبت كبير المسك تأكله الإبل تقسم عليه ويقتلونها غذاء لا يوجد في غيره ، وفي المثل : مريض

هتفه في غير حدّ خير له من أن يخوض غمرات الدنيا ، يا هادى الطريق جُرْتُ إنما هو والله
الفجر أو البُجر^(١) ،

قلت : خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا يَهِيضُكَ^(٢) إلى
ما بك ، فوالله ما زِلْتُ صالحاً مصلحاً ، لا تأسى على شيء فأتاك من أمر الدنيا ، ولقد
تخلّيت بالأمر وحدك فما رأيت إلّا خيراً .

(تهذيب الكامل ١ : ٦ ، وإعجاز القرآن ١١٦ ، والمقد الفريد ٢ : ٢٠٨ ، وتاريخ الطبرى ٤ : ٥٢)

٧٣ - خطبة السيدة عائشة في الانتصار لآبائها

بروى أنه بلغ عائشة رضى الله عنها أن أقواماً يتناولون أبا بكر رضى الله عنه
فأرسلت إلى أزْقَلَةٍ^(١) من الناس ، فلما حضروا أشدّت^(٢) أستاذها ، وعلّت وسادها ،
ثم قالت :

« أبى وما أبىه ، أبى والله لا تَعْلُوهُ الأيدي^(٣) ، ذاك طَوْدٌ مُنِيف^(٤) ، وَفَرَع^(٥)
مديد ، هِيَّاتِ كَذَبَتِ الظنون ، أنجح^(٦) إذا كدَيْتُمْ ، وسبق إذ وَنَيْتُمْ^(٧) ، سَبَقَ
الجواد إذا استولى على الأمد^(٨) ، فتي قریش ناشتاً ، وكهفها^(٩) كهلا ، يفك عانيها ،
وَيَرِش^(١٠) مُمْلِقِهَا ، وَيَرَأَبُ شَعْبَهَا^(١١) ، وَيَلْمُ شَعْبَهَا ، حتى حَلَيْتِ^(١٢) قلوبها ، ثم

(١) الفجر والأمر العظيم . يقول : إن انتظرت حتى يضى لك الفجر والطريق أبصرت قصيدك ؛ وإن
خبطت الظلام وربكت المشواء هجماً بك على المسكروه ؛ وضرب ذلك مثلاً لغمرات الدنيا وتحيرها أهلها .
(٢) هاض العظم : كسره بعد الجبور .

(٣) جماعة . (٤) سذله يسذله : كنصر وضرب وأسذله أرغاه . (٥) تتناولوه .

(٦) الطود : الجبل ، والمنيف : المشرف . (٧) فرع كل شيء أعلاه ، ومن القوم شريفهم .

(٨) أنجح : صار ذا نجح . (٩) الكدية : بضم فسكون الأرض الغليظة ، والصفاء العظيمة

الشديدة ، وحفر فأكدى إذا صادفها فلا يمكته الحفر (وسأله فأكدى وجهه مثلها) ؛ وونيت أى فترمت وضغمت

(١٠) الغاية والمنتهى . (١١) الكهف : الوزر والملجأ ، والكهل من جاوز الثلاثين أو أربعا

وثلاثين إلى إحدى وخمسين . (١٢) راش السهم يريشه ألزق عليه الريش كريشه ؛ والمراد يمينه ويساعده .

(١٣) يصلح . والشعب : الصدع . (١٤) حل الشيء : استحلّه .

استشرى^(١) في دين الله ، فابرحت شكيمته^(٢) في ذات الله عز وجل ، حتى انخذ
بِفِئَاتِهِ مسجداً ، يحى فيه ما أمات البطلون ، وكان رحمه الله غزير الدِّمَّة ، وقيد^(٣)
الجوانح ، شجى النشيج^(٤) ، فانقضت إليه نسوان مكة وولدهاها ، يسخرون منه ويسهرنون
به ، الله يستهزئ بهم ، ويمدُّهم في طُفْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ^(٥) ، فأكبرت ذلك رجالات
من قریش ، فحنث قيسياً ، وفوت سهامها^(٦) ، وامتلوه^(٧) غرضاً ، فاقولوا صفاة^(٨) ،
ولا قصفوا له قناة ، ومر على سبائيه^(٩) ، حتى إذا ضرب الدين بجرانه^(١٠) ، ورست
أوتاده ، ودخل الناس فيه أفواجاً ، ومن كل فرقة أرسلالاً^(١١) واشتاتاً ، اختار الله لنبیه
ما عنده ، فلما قبض الله نبیه صلى الله عليه وسلم ضرب الشيطان رؤوفه^(١٢) ، ومدَّ
طُفْبِهِ^(١٣) ، ونصب حباله ، وأجلب^(١٤) بخيله ورجله ، واضطرب حبل الإسلام ،
ومرج^(١٥) عهده ، وماج أهله ، وبني النوائل ، فظنت رجال أن قد أكثبت^(١٦)
أطاعهم ، ولات حين ادى يرجون ، وأنى والصدق بين أظهرهم ، فقام حاسراً مشمراً ،

(١) غضب ولج .

(٢) الشكيمة الأنفة وفي الجاهم الحديدة المعترضة في فم الفرس . وهو شديد الشكيمة أنف أبي لا ينفاد .

(٣) الوئيد : الصريع والشديد المرض المشرف . (٤) الشجى : الحزين ، والنشيج : صوت البكاء

نشج الباكي ينشج كجلس غص بالبكاء في حلقة من غير انتحاب . (٥) الممه بفتحين التردد في الفضل .

(٦) فوق السهم : جبل له فوقاً ، وهو موضع الوتر من السهم . (٧) امتلوه : مثلوه .

(٨) الحجر الصلد : الضخم . شفته . حله على سبائه الحق أى على حله ، والسبياء : عظم

الظهر ، والعرب تضر به مثلاً لشدة الأمر . (٩) جران البهر : مقدم عتقه من مذبحه إلى منحره .

(١٠) جمع رمل بفتحين ، وهو القطيع من كل شيء . (١٢) فسطاطه . (١٣) حبل طويل يشد به

مرادق البيت أو الوتد . (١٤) أجلب : صاح ، والحيل : الخيالة ، ومته : ياغييل الله اركبى

والرجل : اسم جمع راجل كالصاحب والركب ، أى صاح بالركاب والمشاة وقرى ورجلك بكسر

والجيم وضما .

(١٥) المرج : بفتحين الفساد والقلق والاختلاط والاضطراب (وإنما يمكن مع المرح) .

(١٦) أكتب : قرب ، والنهز جمع نهزة بضم النون وهى الفرصة .

جَمَعَ حَاشِيَتَهُ ^(١) ، وَرَفَعَ قُطْرِيَهُ ^(٢) ، فَرَدَّ رَسَنَ ^(٣) الْإِسْلَامِ عَلَى غَرْبِهِ ^(٤) ، وَلَمْ
 شَمَعْتُهُ بَطْبَهُ ، وَاتَّاشَ ^(٥) الْدِّينَ فَنَمَشَهُ ، فَلَمَّا أَرَاهُ ^(٦) أَلْحَقَ عَلَى أَهْلِهِ ، وَقَرَّرَ الرُّمُوسَ
 عَلَى كَوَاهِلِهَا ^(٧) ، وَحَقَّنَ السَّمَاءَ فِي أَهْبِهَا ^(٨) ، أَتَتْهُ مَنِيَّتُهُ ، فَسَدَّ ثُلُثُهُ بِنَظِيرِهِ فِي الرِّحَةِ ،
 وَشَقِيقِهِ فِي السَّيْرِ وَالْمَدَلَّةِ ، ذَاكَ ابْنُ الْخَطَّابِ ، فَفَقَّ دَرَّ أَمَّ ^(٩) حَلَّتْ بِهِ ، وَدَرَّتْ عَلَيْهِ ،
 لَقَدْ أَوْحَدَتْ ^(١٠) بِهِ ، فَفَتَحَ ^(١١) الْكُفْرَةَ ، وَدَيَّخَهَا ^(١٢) ، وَشَرَّدَ الشَّرْكَ شَذَرَ مَذَرَ ^(١٣) ،
 وَابْتَمَجَ ^(١٤) الْأَرْضَ وَبَحَثَهَا ^(١٥) ، فَنَاقَتْ أَكْلَهَا ^(١٦) وَلَقَطَتْ حَبَّهَا ، تَرَأَاهُ ^(١٧) وَيَصْدِفُ
 عَنْهَا ، وَتَصَدَّى ^(١٨) لَهُ وَيَأْبَاهَا ، ثُمَّ وَزَعَ فِيهَا فِيْهَا ، وَوَدَّعَهَا كَمَا صَحَبَهَا ، فَأَرُونِي مَاذَا
 تَرْتَوْنُ ، وَآيَ يَوْمَى أَبِي تَنْقِمُونَ ، أَيُّومَ إِقَامَتِهِ إِذْ عَدَلَ فِيكُمْ أَمْ يَوْمَ ظَنَنْتَهُ إِذْ نَظَرَ لَكُمْ ^(١٩) ؟
 أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهَا ، فَقَالَتْ : أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ
 هَلْ أَنْكَرْتُمْ مَا قُلْتُ شَيْئًا ، قَالُوا : اللَّهُ لَا

(صبح الأملی : ١ ، ٢٤٨ ، والمقدد للفريد : ٢ : ٢٠٦ ، ونهاية الأرب : ٧ : ٢٣٠)

-
- (١) حاشية كل شيء : جانبه وطره . (٢) القطر : الناحية . (٣) الجبل .
 (٤) الغرب : حد الشيء . (٥) انتشل ، ونعشه الله كأنه شمه ، ونعشه : رفعه .
 (٦) أراح على فلان حقه : رده عليه . (٧) الكامل : مقدم أعلى الظهر مما يلي المتق .
 (٨) جمع إهاب ، وهو الجلد ، والمراد الأجسام . (٩) اللد : اللبن والنفس والعمل .
 (١٠) أوحدت المرأة : ولدت واحدا ، أي جاءت به منفردا لا نظير له . (١١) أذل وقهر .
 (١٢) داخ البلاد ودوخها وديخها : قهرها واستولى على أهلها . (١٣) تفرقوا شذر مذر : ذهبوا
 في كل وجه . (١٤) شقها : كناية عن الفتح . (١٥) قهر أهلها واستخرج ما فيها من الكنوز وأموال
 الملوك . (١٦) الأكل : ما يؤكل ؛ أي أخرجت خيراتها . (١٧) تملط عليه ، ويصدف أي
 يمرض . (١٨) تنعرض . (١٩) أي فيما يصلحكم قول عليكم عمر .

٧٤- رثاؤها لآيها

لما توفي أبو بكر رضى الله عنه ، وقفت عائشة على قبره فقالت :

« نَعَّرَ ^(١) الله وجهك يا أَبَتِ ، وشكر لك صالحَ سعيك ، فلقد كنتَ للدنيا مُذِلًّا
بإدبارك عنها ، وللآخرة مُعِزًّا بإقبالك عليها ، ولئن كان أجلُ الحوادث بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم رُزُوكَ ، وأعظمُ المصائب بعده قَدُّكَ ، إن كتاب الله ليعِدُّ بحسن الصبر
فيك حُسْنَ المَوْضِ منك ، وأنا أَسْتَنْجِزُ مَوْعِدَ الله تعالى بالصبر فيك ، وأَسْتَقْضِيهِ ^(٢)
بالاستغفار لك ، أما لئن قاموا بأمر الدنيا ، لقد قت بأمر الدين ، لما وَهَى شَعْبُهُ ^(٣) ،
وتفاقم صَدَّاهُ ^(٤) ، وَرَجَّتْ ^(٥) جوانبه ، فمليك سلام الله توديعَ غَيْرِ قَالِيَةِ ^(٦) لحيانك ،
ولا زَارِيَةِ ^(٧) على القضاء فيك . »

(زهر الآداب ١ : ٤٠ ، المقد الفريد ٢ : ٧ ، نهاية الأرب ٥ : ١٦٧ ، البيان والتبيين ٢ : ١٦٠)

(١) من النضرة والنضارة يفتح النون وهى الحسن .

(٢) أطلب قضاءه . (٣) وهى ضعف ، والشعب الجميع . (٤) الصدى : الشق .

(٥) اضطربت . (٦) مبخضة . (٧) عاتبة ولائمة .

خطب عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

٧٥ - خطبته حين ولي الخلافة

لما استخلف عمر رضي الله عنه صد النبر فقال : « إني قاتل كلمات قاتلوا عليهن » فكان أول منطق نطق به حين استخلف ، قال :

« إنما مثل العرب مثل جل أنف^(١) اتبع قائده فليتنظر قائده حيث يقوده ، وأما أنا فو رب السكبة لأحملهم على الطريق » . (تاريخ الطبري ٤ : ٥٤ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢٠٨)

٧٦ - خطبة أخرى

وقال ابن قتيبة في عيون الأخبار : لما ولي عمر صد النبر فقال :

« ما كان الله ليراني أرى نفسي أهلاً للجلس أبي بكر ، ثم نزل عن مجلسه مِرْقاة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « اقرءوا القرآن تترقوا به ، واحملوا به تكونوا من أهله إنه لم يبلِّغ حق ذي حقٍ أن يطاع في معصية الله ، ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله

(١) أنف البعير : اشتكى أنفه من البرة فهو أنف وكأف ؛ وفي الحديث : « المؤمن كالجلجل الأنف إن قيد انقاد ؛ وإن استنخج حل صخرة استنخج » وذلك لوجع الذي به فهو ذلول متقاد .

بمنزلة والى اليتيم ، إن استغثتُ صَفَّتْ ، وإن افتقرتُ أَكَلْتُ بالمعروف ، تَقَرَّمُ^(١)
الْبَهْمَةُ^(٢) الْأَعْرَابِيَّةُ ، الْقَضْمُ لَا يَخْلُصُ^(٣) .

(عيون الأخبار ٢ ص ٢٣٥ ، والمقد الفريد ٢ : ١٣٢)

٧٧ — خطبة له

وذكر الطبري أنه خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكّر الناس بالله عزّ وجل واليوم الآخر ، ثم قال :

«يأيها الناس : إني قد وليت عليكم ، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم ، وأقواكم عليكم ، وأشدكم استطلاعا^(٤) بما ينوب من مُهِمِّ أموركم ، ما توليت ذلك منكم ، ولكفى عمرَ مِهْمًا مُخْزَنًا انتظارُ موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها ، ووضعها أين أضعها ، وبالسير فيكم كيف أسير ، فربّي للسمان ، فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عزّ وجل برحمته وعونه وتأيدته .»

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ ص ١٢٤)

٧٨ — خطبة له

ثم خطب فقال :

«إن الله عز وجل قد ولّاني أمركم ، وقد علمت أشنع ما بمحضرتكم لكم ، وإني أسأل الله أن يميني عليه ، وأن يحرّسني عنده كما حرسني عند غيره ، وأن يُبَلِّغني العدل

(١) تَقَرَّمُ السَّبْيُ أَكَلَ أَكْلًا ضَعِيفًا ، وَذَلِكَ فِي أَوَّلِ أَكْلِهِ . (٢) الْبَهْمَةُ : أَوْلَادُ الضَّأْنِ وَالْمَرْزِ وَالْبَقَرِ . (٣) الْقَضْمُ : الْأَكْلُ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ وَالْخَضْمُ الْأَكْلُ بِأَقْصَى الْأَضْرَاسِ . (٤) اللَّيْثُ فِي كِتَابِ الْفَنَاءِ «اسْطِلَاحٌ» يَقَالُ هُوَ مُسْتَطَلِعٌ بِهَذَا الْأَمْرِ ، أَيْ قَوِي عَلَيْهِ .

فِي قَسَمِكُمْ كَأَلَدَى أَمْرِي بِهِ ، وَإِنِّي أَمْرُؤُ مُسَلِّمٌ وَعَبْدٌ ضَعِيفٌ ، إِلَّا مَا أَعَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَنْ يَغْيِرَ الَّذِي وَلِيْتُ مِنْ خِلَافَتِكُمْ مِنْ خَلْقٍ شَيْئًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، إِنَّمَا الْعِظْمَةُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَيْسَ لِلْعِبَادِ مِنْهَا شَيْءٌ ، فَلَا يَقُولُونَ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنْ عَمِرَ تَغْيِيرٌ مِنْذُ وَلِيِّي ، أَعْقِلُ الْحَقُّ مِنْ نَفْسِي ، وَأَتَقَدَّمُ وَأَبِينُ لَكُمْ أَمْرِي ، فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ كَأَنَّ لَهُ حَاجَةٌ ، أَوْ ظُلُمٌ مَظْلَمَةٌ ، أَوْ حُبٌّ عَلَيْنَا فِي خَلْقٍ فَلْيُؤْذَنِي ، فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ ، فَلْيَكُمُ بِنُصْرَتِي اللَّهُ فِي سِرِّكُمْ وَعِلَانِيَتِكُمْ وَخُرُومَاتِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ ، وَأَعْطُوا الْحَقَّ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، وَلَا يَحْمِلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَى أَنْ تَحْكُمُوا إِلَيَّ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ هَوَادَةٌ ، وَأَنَا حَبِيبٌ إِلَى صَلَاحِكُمْ ، عَزِيزٌ عَلَى عَنَتِكُمْ ، وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ عَامَّتُكُمْ حَضَرَ فِي بِلَادِ اللَّهِ ، وَأَهْلُ بِلَادٍ لَا زَرْعَ فِيهِ وَلَا ضَرْعَ ، إِلَّا مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ ، وَإِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَعَدَكُمْ كِرَامَةً كَثِيرَةً ، وَأَنَا مُسْتَوِلٌ عَلَى أَمَانَتِي وَمَا أَنَا فِيهِ ، وَمُتَّعٌ عَلَى مَا يَحْضُرُنِي بِنَفْسِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، لَا أَكِلُهُ إِلَى أَحَدٍ ، وَلَا أَسْتَطِيعُ مَا بَعْدَهُ مِنْهُ إِلَّا بِالْأَمْنَاءِ وَأَهْلِ النَّصِيحَةِ مِنْكُمْ لِلْعَامَّةِ ، وَلَسْتُ أَجْلُ أَمَانَتِي إِلَى أَحَدٍ سِوَاكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٣ : ١٢٤)

٧٩ — خطبة أخرى

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ : وَخُطِبَ إِذْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ : صَعْدَ الْمَنْبَرِ ، فَحَمْدُ اللَّهِ ، وَأَثْنٌ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

«يَأَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي دَايِعٌ فَأَمَّنُوا ، اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظٌ فَكَلِّفْنِي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ ، بِمُوَافَقَةِ الْحَقِّ ، ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ وَالْهَادِرِ الْآخِرَةِ ، وَارْزُقْنِي التَّنَافُظَ وَالشَّدَّةَ عَلَى أَعْدَائِكَ ، وَأَهْلِ الدَّعَاةِ^(١) وَالنِّفَاقِ ، مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ مِنِّي لَهُمْ ، وَلَا اعْتِدَاءٍ عَلَيْهِمْ ، اللَّهُمَّ إِنِّي شَهِيجٌ ، فَسَخِّنِي

في نوائب المعروف ، قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا مُنمعة ، واجعلني أجتني بذلك وجهك والدار الآخرة ، اللهم ارزقني خفنَ الجَنَاح ، وَلَيْنَ الجانب للمؤمنين ، اللهم إني كثير الغفلة والنسيان ، فألمني ذكرك على كل حال ، وَذِكْرَ الموت في كل حين .
 اللهم إني ضيف عن العمل بطاعتك ، فارزقني النشاط فيها ، والقوة عليها ، بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك ، اللهم ثبتي باليقين والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك ، وأخياء منك ، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني ، والمحاسبة لنفسي ، وإصلاح الساعات والحذر من الشبهات ، اللهم ارزقني التفكير والتدبر لما يتلوه لسان من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر في عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، إنك على كل شيء قدير .
 (المعتمد الفريد ٢ : ١٢٣)

٨٠ - خطبة له

وخطب أيضاً ، فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم :
 « أيها الناس ، إن بعض الطمع فقر ، وإن بعض اليأس غنى ، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون ، وتأمّلون ما لا تدركون ، وأنتم موجدون في دار غرور ، كنتم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخذون بالوحي ، فمن أسر شيئاً أخذ بسريره ، ومن أعلن شيئاً أخذ بملانيته ، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم ، والله أعلم بالسراير ، فإنه من أظهر لنا قبيحاً وزعم أن سريره حسنة لم نصدقه ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً ، واعلموا أن بعض الشئ شعبة من النفاق ، فأنفقوا خيراً لأنفسكم ، ومن يؤقّ شئ نفسه فأولئك هم المفلحون . أيها الناس أطيبوا متواكم ، وأصلحوا أموركم ، واتقوا الله ربكم ، ولا تلبسوا نساءكم القبايل^(١) فإنه إن لم يشف فإنه يصف . أيها الناس : إني لوددتُ

(١) القبائل (بضم الأول وتشديد الآخر ، أو القبائل بفتح الأول وتخفيف الآخر) ثياب كتان يبيض رفاق كانت تعمل في مصر جمع قبيلة (بضم القاف نسبة إلى القبط هل غير قياس وقد تكسر) وشف القوب يشف رق فحك ماعته ، وتوله : فإنه يصف أي ماعته من أجزاء البدن ويحدها لونه وطراوته

أن أنجو كغافاً لا لى ولا على ، وإنى لأرجو أن تُعزّت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله ؛ وأن لا يبقى أحد من المسلمين وإن كان في بيتٍ إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله وإن لم يُعمل إليه نفسه ، ولم يُنصب إليه بدنه ، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله ، ولقليل في رفق خيرٌ من كثير في عنف ، والقتل حتف من الخوف ، يصيب البرّ والفاجر ، والشهيد من احنسب نفسه ، وإذا أراد أحدكم ميواً فليتمد إلى الطويل العظيم فليضربه بمصراً ، فإن وجده حديد القواد فليشتره .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ : ص ١٢٥)

٨١ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر ، واتخذ عليكم الحجج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا من غير مسألة منكم له ، ولا رغبة منكم فيه إليه ، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً ، لنفسه وعبادته ، وكان قادراً أن يجعلكم لأهون خلقه عليه ، فجعل لكم عاقبة خلقه ، ولم يجعلكم لشيء غيره ، وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض ، وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة ، وجعلكم فى البر والبحر ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ، ثم جعل لكم سمعاً وبصراً ، ومن نعم الله عليكم نعم عمّ بها بنى آدم ، ومنها نعم اختص بها أهل دينكم ، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها فى دولتكم وزمانكم وطبقتكم ، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قيس ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أنعمهم شكرها ، وقدحهم حقها إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله ، فإنتم مستخلفون فى الأرض ، قاهرون لأهلها ، قد نصر الله دينكم ، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أثنان ، أمة مستبعدة للإسلام وأهله ،

يتجرون لكم ، تستصفون^(١) معايشهم وكذا نعمهم ورتبهم جياهم ، عليهم الثبوت ولكم للنفعة ، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم ولية ، قد ملأ الله قلوبهم رعبا ، فليس لهم مَقِيلٌ يلجئون إليه ، ولا مَهْرَبٌ يتقون به ، قد دهمهم جنود الله عز وجل ، ونزلت بأسهم مع رقاغة^(٢) العيش ، واستفاضة المال ، وتتابع البحوث ، وسدَّ النور بإذن الله في العافية الجليلة العامة ، التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام ، والله المحمود مع الفتوح العظام في كل بلد ، فما عسى أن يباغ مع هذا شكرُ الشاكرين ، وذِكْرُ^(٣)
الذاكرين ، واجتهادُ المجتهدين ، مع هذه النعم التي لا يحصى عددها ، ولا يقدرُ قدرها ، ولا يستطيع أداء حقها ، إلا بحسن الله ورحمته ولطفه . فتسأل الله الذي لا إله إلا هو ، الذي أبلانا هذا ، أن يرزقنا العمل بطاعته ، والمسارة إلى مرضاته . فاذكروا عباد الله بلاء الله عندكم ، واستموا نعمة الله عليكم ، وفي مجالسكم منقًى وفرادى فإن الله عز وجل قال لموسى : « أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ » وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم : « وَادِّكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ » فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها ، وتستريحون إليها ، مع المعرفة بالله ودينه ، وترجون بها الخير فيما بعد الموت لكان ذلك ، ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة ، وأعظم الناس جمالة . فلو كان هذا الذي ابتلاكم به لم يكن معه حظ في دنياكم . غير أنه ثقة لكم في آخرتكم ؛ التي إليها الماد والمنقلب ، وأنتم من جهد الميشة على ما كنتم عليه ، كنتم أحرى أن تشعشعوا على نصيحتكم منه ، وأن تظهروه على غيره قبله^(٤) ما أنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا ، وكرامة الآخرة ، أولم نشاء أن يجمع له ذلك منكم . فاذكروا الله الحائل بينكم وبين قلوبكم ، إلا ما عرفتم حق الله

(١) استصفى الشيء : أخذ منه صفوه .

(٢) رفع عيشه ككرم رقاغة : اتسع ، والرقاغة والرقافية : سمة العيش والخصب والسعة .

(٣) بله : اسم فعل بمعنى دح واترك ، فإيها منصوب ، ومصدر بمعنى الترك ، فإيها مجرور

بالإضافة ، وادم مرادف لكيف فإيها مرفوع بالابتداء .

فصَلِّمْ لَهُ ، وَقَسِّرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَجَعَلْتُمْ مَعَ السُّرُورِ بِالنِّعَمِ خَوْفًا لَزْوَالِهَا وَلَا تَتَقَالَمُ ،
وَوَجَلًا مِنْ تَحْوِيلِهَا ، فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَسْلَبَ لِنِعْمَةٍ مِنْ كُفْرَانِهَا ، وَإِنَّ الشُّكْرَ أَمِنْ لِلنَّيْرِ ،
وَنِجَاءَ لِنِعْمَةٍ ، وَاسْتِجْلَابَ لِلزَّيَادَةِ ، وَهَذَا قَوْلُهُ عَلَى مَنْ أَمَرَكُمْ وَنَهَيْكُمْ وَاجِبٌ .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٧ وشرح ابن أبي الحديد ٢ ص ١٢٥)

٨٢ — خطبة له

وخطب أيضا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ ، فَلْيَأْتِ أَبِي بَنْ كَسْبٍ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ
يَسْأَلَ عَنِ الْفَرَائِضِ ، فَلْيَأْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ . وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفَقْهِ فَلْيَأْتِ مُعَاذَ
ابْنِ جَبَلٍ . وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْمَالِ فَلْيَأْتِنِي ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي لَهُ خَازِنًا وَقَاسِمًا ، إِنِّي
بَادِيُ بَازِوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعُطِيعِينَ ، ثُمَّ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا
مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ أَنَا وَأَصْحَابِي ، ثُمَّ بِالْأَنْصَارِ الَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ،
ثُمَّ مَنْ أَسْرَعَ إِلَى الْمُهْجَرَةِ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الْعَطَاءُ ، وَمَنْ أَبْطَأَ عَنِ الْمُهْجَرَةِ أَبْطَأَ عَنْهُ الْعَطَاءُ ،
فَلَا يُلُومُنَّ رَجُلٌ إِلَّا مُتَأَخِّرًا رَاحِلَتُهُ ، إِنِّي قَدْ بَقِيتُ فِيكُمْ بَعْدَ صَاحِبِي ، فَابْتُلَيْتُ بِكُمْ ،
وَابْتُلَيْتُمْ بِي ، وَإِنِّي لَنْ يَحْضُرَنِي مِنْ أُمُورِكُمْ شَيْءٌ فَأَكُلُهُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِ الْجَزَاءِ وَالْأَمَانَةِ ،
فَلَنْ أَحْسِنُوا لِأَخِيْنِ إِلَيْهِمْ ، وَلَنْ أَسَاءُوا لَا تُكَلِّنَ بِهِمْ » . (المقدم للفريد ٢ : ١٣٢)

٨٣ — خطبة له

وخطب أيضا فقال :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّنَا بِالْإِسْلَامِ ، وَأَكْرَمَنَا بِالْإِيمَانِ ، وَرَحَّمَنَا بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَهَدَانَا بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَجَعَلَنَا بِهِ مِنَ الشَّتَاتِ ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَنَصَرَنَا عَلَى

عدونا ، وَمَكَّنْ لَنَا فِي الْبِلَادِ ، وَجْعَلْنَا بِهِ إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ ، فَاحْذَرُوا اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعَةِ ،
وَأَسْأَلُوهُ الْمَزِيدَ فِيهَا وَالشُّكْرَ عَلَيْهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكُمْ الْوَعْدَ ، بِالنَّصْرِ عَلَى مَنْ خَالَفَكُمْ ،
وَإِيَّاكُمْ وَالْعَمَلَ بِالْمَامُورِ ، وَكَفَّرَ النِّعَةَ ، فَقَلْبًا كَفَرُ قَوْمٌ بِنِعْمَةِ ، وَلَمْ يَنْزِعُوا إِلَى التَّوْبَةِ ،
إِلَّا سَلَبُوا عِزَّهُمْ ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ دَعْوَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ،
وَجَمَعَ كُلَّهَا ، وَأَظْهَرَ فَلَجَهَا^(١) وَنَصَرَهَا وَشَرَّفَهَا ، فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ عَلَى نِعْمَةِ ، وَاشْكُرُوا
عَلَى آلَاتِهِ ، جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ .
(المقد الفريد ٢ : ١٣٢)

٨٤ - خطبة له

وخطب عمر الناس فقال :

« وَالَّذِي بَدَأَ عَمْدًا بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ جَلَاهُكَ ضِيَاعًا بِشَطِ الْفَرَاتِ ، خَشِيتُ أَنْ يَسْأَلَ
اللَّهُ عَنْهُ آلَ الْخُطَابِ » .

قال أبو زيد « آل الخطاب » يعنى نفسه ما يعنى غيرها . (تاريخ الطبرى ٥ : ١٨)

٨٥ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّهُ أُنْزِلَ عَلَيَّ حِينَ ، وَأَنَا أَحْسَبُ أَنْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ إِنَّمَا يَرِيدُ بِهِ اللَّهُ
وَمَا عِنْدَهُ ، أَلَا وَإِنَّهُ قَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَرِيدُونَ بِهِ مَا عِنْدَ النَّاسِ ،
أَلَا فَأَرِيدُوا اللَّهَ بِقِرَاءَتِكُمْ ، وَأَرِيدُوهُ بِأَعْمَالِكُمْ ، فَإِنَّمَا كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذَ الْوَحْيِ يَنْزِلُ ،
وَإِذَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا ، فَقَدْ رَفَعَ الْوَحْيَ ، وَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَإِنَّمَا أَعْرِفُكُمْ بَمَا أَقُولُ لَكُمْ ، أَلَا فَن أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا ظَنَنَّا بِهِ خَيْرًا ، وَأَتَيْنَا بِهِ عَلَيْهِ

ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً ، وأبغضنا عليه ، أقدَّعوا^(١) هذه النفوس عن شهواتها ، فإنها طُلْمَة^(٢) وإنكم إلا تَقْدَعُوهَا تَنْزِعْ بكم إلى شراً غاية ، إن هذا الحق ثقيل مرى^(٣) ، وإن الباطل خفيف وبى^(٤) ، وَتَرَكَ الخطيئة خير من معالجة التوبة ، ورب نظرة زرعت شهوةً ، وشهوةٍ ساعةٍ أورثت حزناً طويلاً .

وفي رواية صاحب المقد : « ألا وإنى إنما أبث عمالي ليعلموك دينكم وستكم ، ولا أبشهم ليضربوا ظهوركم ، ويأخذوا أموالكم ، ألا من رابه شيء من ذلك فَلْيَرْفَعْهُ إِلَى ، فوالذى نفسى بيده لأَقْصَتَكُمْ منه ، فقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ، أرايت إن بَشَنَتَ عاملاً من عمالك ، فأدَّبَ رجلاً من رعيته فضر به ، أتَقَصَّه منه ؟ قال : نعم والذى نفس عمر بيده لأَقْصَتَهُ منه ، فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه . »
وفي رواية الطبرى :

وخطب عمر الناس يوم الجمعة فقال :

« اللهم إنى أشهدك على أمراء الأمصار ، أنى إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ، وأن يقيموا فيهم فيهم ، وأن يعدلوا ، فإن أشكل عليهم شيء رفقوا إلى . »
« يأياها الناس : إنى والله ما أرسل إليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكنى أرسلهم إليكم ليعلموك دينكم وستكم ، فن فعل به شيء سوى ذلك فليرضه إلى ، فوالذى نفس عمر بيده لأَقْصَتَهُ منه . »

فوثب عمرو بن العاص فقال :

يا أمير المؤمنين : أرايتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعية فأدَّبَ بعض رعيته إنك لتقصه منه ؟ قال : إى والذى نفس عمر بيده إذن لأَقْصَتَهُ منه ، وكيف

(١) قذعه كنهه : كفه . (٢) نفس طلمة : تكثر الصلح إلى الشيء . (٣) حيد المابقة .

(٤) وخيم المابقة .

لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ؟ ألا لا تضربوا
المسلمين فذلوم ولا تجرمهم فضتوم ، ولا تمنعهم حقوقهم فكفرؤم ، ولا تنزلهم
الغياض فتضيئهم .

(البيان والتبيين ٣ : ٧١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢١٤ ، والمقد الفريد ٢ : ١٢٢)

(وتاريخ الطبرى ٥ : ١٩)

٨٦ - خطبته عام الرمادة

وخطب عام الرمادة^(١) بالعباس رحمه الله :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ، ثم قال :

« أيها الناس : استغفروا ربكم إنه كان غفارا ، اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك ،
اللهم إنا نتقرب إليك بسم نبيك وبقية آبائه وكبار رجاله ، فإنك تقول : (وَقَوْلِكَ الْحَقُّ)
« وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ، وَكَانَ
أَبُوهُمَا صَالِحًا » فحفظتهما لصلاح أبيهما ، فاحفظ اللهم نبيك في عمه ، اللهم اغفر لنا إنك
كنت غفارا ، اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالة ، ولا تدع الكبيرة بمضيعة ، اللهم قد
صرع الصغير ورك السكير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم أئهِم
بغيائك ، قبل أن يقتلوا قَبِيلَكُوا ، فإنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

فا برحوا حتى علقوا الحذاء ، وقلصوا المآزر ، وطلق الناس بالعباس يقولون :
« هنيئا لك يا ساقى الحرمين » .

(المقد الفريد : ١٣٢)

(١) في السنة الثامنة عشرة أصابت الناس مجاعة شديدة بالمدينة وما حولها فكانت تسب إذا ريحت ترابا

كالرماد ؛ فسمى ذلك العام عام الرمادة (الطبرى ٤ : ٢٢٣) .

٨٧ - خطبته وقد بلغه أن قوما يفضلونه على أبي بكر

وبلغه أن قوما يفضلونه على أبي بكر الصديق ، فوثب مُغَضَّبًا حتى صَدَّ المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أيها الناس : إني سأخبركم عنى وعن أبي بكر ، إنه لما تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَدَتِ العرب ، وَمَنَعَتْ شَاتِئَهَا وَبَعِيرَهَا ، فَأَجْعَ رَأْيُنَا كُلُّنَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ قُلْنَا لَهُ يَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ : إِنْ رَسُولُ اللَّهِ كَانَ يُقَاتِلُ الْعَرَبَ بِالْوَحَى وَالْمَلَائِكَةِ يُعِذُّهُ اللَّهُ بِهِمْ ، وَقَدْ أَقْطَعَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَالْزِمْ بَيْتَكَ وَمَسْجِدَكَ ، فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكَ بِقِتَالِ الْعَرَبِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَوْ كَلِّكُمْ رَأْيَهُ عَلَى هَذَا ؟ فَقُلْنَا نَعَمْ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَنْ أُخْرِجَ مِنَ السَّمَاءِ فَتُخْطَفَنِي الطَّيْرُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ رَأْيِي هَذَا ، ثُمَّ صَدَّ لِلنَّبِيِّ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ :

« أيها الناس : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ . أَيُّهَا النَّاسُ : أَلَنْ كَثُرَ أَعْدَاؤُكُمْ ، وَقُلَّ عُدَدُكُمْ ، رَكِبَ الشَّيْطَانُ مِنْكُمْ هَذَا الْمَرْكَبَ ؟ وَاللَّهِ لَيُظْهِرَنَّ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، قَوْلُهُ الْحَقُّ ، وَوَعْدُهُ الصَّدَقُ ، بَلْ تَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَذِمُّهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ . وَكَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَاللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ : لَوْ مَنَعُونِي عَقْلًا^(١) لَجَاهَدْتُهُمْ عَلَيْهِ ، وَاسْتَعْنَتْ عَلَيْهِمُ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ مَعِينٍ » ثُمَّ زَلَّ .

(تهذيب الكمال ٨: ١)

(١) النقال : زكاة هام من الإبل والنم ، أو المراد به الخيل مبالغة في التشديد .

خطب الفتوح في عهد عمر

في فتح فارس

كان المُثَنَّى بن حارثة الشَّيبَانِي أمير جيش العراق قدم على أبي بكر بالمدينة يستمده فألفاه مريضاً ، ووصى أبو بكر عمر بالمبادرة إلى إرسال الجيوش معه ، فكان أول ما عمل به عمر ، أن ندَّبَ الناس مع المثنى إلى أهل فارس ، قبل صلاة الفجر ، من الليلة التي مات فيها أبو بكر - وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم ، وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم ، وشوكتهم ، وعزم ، وقهرهم الأمم - وجعل يندبهم ثلاثة أيام فلا ينتدب أحد إلى فارس ، فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس إلى العراق ، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي - وأراد المختار - وتتابع الناس ، وتكلم المثنى بن حارثة فقال :

٨٨ - خطبة المثنى بن حارثة الشيباني

« أيها الناس : لا يَعْظُمَنَّ عليكم هذا الوجه ، فإننا قد تَبَحَّحْنَا^(١) ريف فارس ، وغلبناهم على خير شَيْءٍ السَّوَاد ، وشاطرناهم ونلنا منهم ، واجترأنا من قِيلنا عليهم ، ولما إن شاء الله ما بعدها .

٨٩ - خطبة عمر رضي الله عنه

وقام عمر في الناس فقال :

« إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النُّجَّة^(٢) ، ولا يَقْوَى عليه أهل إلا بذلك ،

(١) تبجح : تمكن في المقام والمألوف كجبح ، والدار توسطها . (٢) طلب الكلا في موضعه .

أين الطريق^(١) للمهاجرون عن موعود الله ، سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها ، فإنه قال : « لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » والله مُظْهِر دِينِهِ ، وَمُمِيز نَاصِرِهِ ، وَمَوْلَى أَوْلِيهِ مَوَارِيثَ الْأُمَمِ ، أين عباد الله الصالحون ... ؟

فلما اجتمع له البعث أُمِرَ عليهم أو لم ابتدأ^(٢) وهو أبو عبيد وقال له :

« اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشركم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تنبئ ، فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلاَّ الرجل المكيث^(٣) الذي يعرف الفرصة والكف » .
(تاريخ الطبري ٤ : ٦٠ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢١١)

٩٠ - وصية عمر لأبي عبيد بن مسعود

وتقدم عمر إلى أبي عبيد بن مسعود فقال :

« إنك تقدم على أرض السكر والخديعة ، والخيانة والخبثية ، تقدم على قوم قد جرؤوا على الشر فعلوه ، وتناصوا الخير فجعلوه ، فانظر كيف تكون ، واخزن لسانك ، ولا تفشين سرك ، فإن صاحب السر - ماضبطه - متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه ، وإذا ضيعه كان بمضيعة » .
(تاريخ الطبري ٤ : ٦٦)

٩١ - خطابة له وقد شيع جيش سعد بن أبي وقاص

وشيع جيش سعد بن أبي وقاص ، حين وجهه لحرب العراق ، فقام في الناس خطيباً فقال :

« إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال ، وصرف لكم الأقوال ، ليُحْمَى بها

(١) جمع طاريء ، من طرأ عليهم كنع أنام من مكان أو خرج عليهم منه فجأة .

(٢) نوب القوم إلى الأمر : دعاهم وحشهم ، واختبوا إليه أسرهم . (٣) الرزين .

القلوب ، فإنَّ القلوب ميتة في صدورِها حتى يُحييها الله ، من علم شيئاً فليُنْضِعْ به ، وإنَّ للعدل أماراتٍ وتبشيرٍ ، فأما الأمارات : فالحياء ، والسخاء ، والهيئ ، واللين . وأما التبشير : فالرحمة ، وقد جعل الله لكل أمر باباً ، وَيَسَّرَ لكل باب مفتاحاً . فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات ، والاستعداد له بتقديم الأعمال ، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق ، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق ، ولا تُصَانَع في ذلك أحداً ، واكتف بما يكفيك من الكفاف ، فإن من لم يكنه الكفاف ، لم يُقْنِته شيء ، إني بينكم وبين الله ، وليس بيني وبينه أحد ، وإن الله قد أزمى دفع السوء عنه ، فَأَنْهَوْا شَكَاتِكُمْ إِلَيْنَا ، فن لم يستطع ، فألى من يُبَلِّغُنَاها ، نأخذ له الحق غير مُتَمَتِّع .
(تاريخ الطبري ٤ : ٨٥)

٩٢ — وصيته لسعد بن أبي وقاص

وصى سعد بن أبي وقاص حين أمَّره على حرب العراق فقال :
« يَا سَعْدُ سَعْدَ بْنَ وَهَبٍ ، لَا يُفَرِّقَنَّكَ مِنْ اللَّهِ أَنْ قِيلَ خَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمَحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ وَلَكِنَّهُ يَمَحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلَّا طَاعَتُهُ ، فَإِنَّ النَّاسَ شَرَّيْفُهُمْ وَوَضِيمُهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ سَوَاءٌ ، اللَّهُ رَهَبٌ وَمُعْبَادُهُ ، يَتَفَاضَلُونَ بِالْعَاقِبَةِ ، وَيَدْرِكُونَ مَا عِنْدَهُ بِالطَّاعَةِ ، فَاَنْظِرِ الْأَمْرَ الَّذِي رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْذُ بُعِثَ إِلَيَّ أَنْ فَارِقْنَا فَأَلَزَمْتُهُ ، فَإِنَّهُ الْأَمْرُ ، هَذِهِ عَظْمِي إِيَّاكَ إِنْ تَرَكْتَهَا وَرَغِبْتَ عَنْهَا حَبِطَ عَمَلُكَ ، وَكُنْتَ مِنَ الْخَاسِرِينَ .
(تاريخ الطبري ٤ : ٨٤ ؛ والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٠)

٩٣ — وصيته لسعد بن أبي وقاص أيضاً

ولما أراد أن يسرَّحه دعاه فقال :
« إني قد وليتكَ حرب العراق ، فاحفظ وصيتي فإنك تقدم على أمرٍ شديد كربه ،

لا يَخْلَصُ مِنْهُ إِلَّا الْحَقُّ ، فَمَوِّذُ نَفْسِكَ وَمِنْ مَعِكَ الْخَيْرَ وَأَسْتَفْتِحُ بِهِ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ عَادَةٍ عَقَادًا ^(١) ، فَمَتَكَدِ الْخَيْرَ الصَّبْرُ ، فَالصَّبْرَ الصَّبْرُ عَلَى مَا أَصَابَكَ أَوْ نَابَكَ ، يَجْتَمِعُ لَكَ خَشْيَةُ اللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ فِي أَمْرَيْنِ : فِي طَاعَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ ، وَإِنَّمَا أَطَاعَهُ مَنْ أَطَاعَهُ بِبُغْضِ الدُّنْيَا وَحُبِّ الْآخِرَةِ ، وَعَصَاهُ مِنْ عَصَاهِ حُبِّ الدُّنْيَا وَبُغْضِ الْآخِرَةِ ، وَلِقُلُوبٍ حَقَائِقُ يُنْشِئُهَا اللَّهُ إِنْشَاءً ، مِنْهَا السَّرَّ ، وَمِنْهَا الْمَلَانِيَّةُ . فَأَمَّا الْمَلَانِيَّةُ فَإِنَّ يَكُونُ حَامِدُهُ وَذَائِمُهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، وَأَمَّا السَّرُّ فَيَعْرِفُ بِظُهُورِ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ وَبِحُبَّةِ النَّاسِ ، فَلَا تَزْهَدُ فِي التَّحَبُّبِ ، فَإِنَّ النَّبِيِّينَ قَدْ سَأَلُوا مَحَبَّتَهُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا حَبَّبَهُ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا بَغَضَهُ ، فَاعْتَبِرْ مَنَزَلَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنَزَلَتِكَ عِنْدَ النَّاسِ مِمَّنْ يَشْرَعُ مَعَكَ فِي أَمْرِكَ .

(تاريخ الطبري ٤ : ٨٥)

٩٤ — وصية أخرى كتبها إلى سعد بن أبي وقاص

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ومن معه من الأجناد .

« أما بعد : فَإِنِّي أَمُرُّكَ وَمِنْ مَعِكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْمَدَّةِ عَلَى الْعُدُوِّ ، وَأَقْوَى الْمَكِيدَةِ فِي الْحَرْبِ ، وَأَمُرُّكَ وَمِنْ مَعِكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنَ الْمَعَاصِي مِنْكُمْ مِنْ عُدُوكُمْ ، فَإِنَّ ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخَوْفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عُدُوِّهِمْ ، وَإِنَّمَا يُنْصَرُّ الْمُسْلِمُونَ بِمَعْصِيَةِ عُدُوِّهِمْ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ ، لِأَنَّ عِدْدَنَا لَيْسَ كَعِدْدِهِمْ ، وَلَا عِدَّتُنَا كَعِدَّتِهِمْ ، فَإِنَّ اسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ ، كَانَ لِمَنْ الْقُضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ ، وَإِلَّا تَنَصَّرَ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ تَقْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا ، فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سِيرِكُمْ حَفَظَةً مِنْ اللَّهِ يَعْمَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ ، فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ وَلَا تَقْتُلُوا بِمَعَاصِي اللَّهِ وَأَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،

(١) الجناد : المدة .

ولا تقولوا إنَّ عدونا شرُّ منا ، ولن يُسَلِّطَ علينا ، قَرُبَ قَوْمٍ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ شَرُّ مِنْهُمْ كَمَا سُلِّطَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ (لَمَّا عَمَلُوا بِمَسَاحِطِ اللَّهِ) كُفَّارُ الْمُجُوسِ ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْمَوْنَ عَلَى أَعْيُنِكُمْ ، كَمَا نَسَأَلُونَهُ النَّصَرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ .
 أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى ذَلِكَ لَنَا وَلَكُمْ . وَتَرَفَّقَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ ، وَلَا تَجَشَّمَهُمْ مَسِيرًا يُتَجَمَّعُ بِهِمْ ، وَلَا تُقَصِّرْ بِهِمْ عَنْ مَنَزِلٍ يَرْفُقُ بِهِمْ ، حَتَّى يَبْلُغُوا عَدُوَّهُمْ (وَالسَّفَرُ لَمْ يَنْقُصْ قُوَّتَهُمْ) فَإِنَّهُمْ سَاطِرُونَ إِلَى عَدُوِّهِمْ ، حَاسِي الْأَنْفُسِ وَالْكُرَاعِ ^(١) ، وَأَقَمَ بَنُ مَعَكْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً ، حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةٌ يُحْيُونَ فِيهَا أَنْفُسَهُمْ ، وَيَرْمُونَ ^(٢) أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتَنَهُمْ ، وَنَحَّ مَنَازِلَهُمْ عَنْ قُرَى أَهْلِ الصَّلْحِ وَالذِّمَّةِ ، فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَنَقَّى بَدِينَهُ ، وَلَا يَزَارُ ^(٣) أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا شَيْئًا ، فَإِنْ لَهُمْ حَرَمَةٌ وَذِمَّةٌ ابْتَلَيْتُمْ بِالْوَفَاءِ بِهَا ، كَمَا ابْتَلَوْا بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا ، فَمَا صَبَرُوا لَكُمْ فَتَوَلَّوْهُمْ خَيْرًا ، وَلَا تَسْتَنْصِرُوا عَلَى أَهْلِ الْحَرْبِ بَظْلَ أَهْلِ الصَّلْحِ ، وَإِذَا وَطِئْتَ أَرْضَ الْعَدُوِّ فَأَذْكِرِ ^(٤) الْعِيُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، وَلَا يَخْفَ عَلَيْكَ أَمْرُهُمْ ، وَلِيَكُنْ عِنْدَكَ مِنَ الْعَرَبِ ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نَصَحِهِ وَصَدَقِهِ ، فَإِنَّ الْكَذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبْرُهُ ، وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ ، وَالنَّاشِ عَيْنُكَ عَلَيْكَ ، وَلَيْسَ عَيْنًا لَكَ ، وَلِيَكُنْ مِنْكَ عِنْدَ دَنُوكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تُكَثِّرَ الطَّلَاعَ ، وَتَبْتَ السَّرَايَا ^(٥) بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، فَتَقْطَعَ السَّرَايَا أَمْدَادَهُمْ وَمَرَافِقَهُمْ ، وَتَنْتَجِعَ الطَّلَاعُ عَوْرَاتِهِمْ ، وَتَنَقِّ ^(٦) طُلُوعَ أَهْلِ الرِّأْيِ وَالْبَأْسِ مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَتَخْجِرَ لَهُمْ سَوَابِقَ الْخَيْلِ ، فَإِنْ لَقُوا عَدُوًّا كَانَ أَوَّلَ مَا تَلْقَاهُمُ الْقُوَّةُ مِنْ رَأْيِكَ ، وَاجْعَلْ أَمْرَ السَّرَايَا إِلَى أَهْلِ الْجِهَادِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْجِلَادِ ، وَلَا تَخْصُصْ بِهَا أَحَدًا بَهْوًى ، فَتَضِيعَ مِنْ رَأْيِكَ وَأَمْرِكَ ، أَكْثَرَ مِمَّا حَاطَتْ بِهِ أَهْلُ

(١) الكُرَاعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : طَرَفُهُ وَاسْمُ يَجْمَعُ الْخَيْلَ .

(٢) رَمَهُ يَرْمِيهِ : أَصْلَحَهُ . (٣) رَزَا : مَالَهُ : أَصَابَتْهُ شَيْئًا . (٤) أَذْكَى عَلَيْهِ الْعِيُونَ :

إِذَا أُرْسِلَ عَلَيْهِ الطَّلَاعُ . (٥) جَمِيعُ سَرِيَةٍ ، وَهِيَ مِنْ خَمْسَةِ أَنْفُسٍ إِلَى ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ .

(٦) نَفَاةٌ وَاتَّقَاةٌ : اخْتَارَهُ .

خاصتك ، ولا تبعن طليعة ، ولا سرية ، في وجه تخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكابة ، فإذا عاينت العدو ، فاضم إليك أخصيك وطلائعك وسراياك ، واجمع إليك مكيدتك وقوتك ، ثم لاتماجلهم الناجزة ، ما لم يستكبرك قتال ، حتى تبصر حوزة عدوك ومقاتله ، وتعرف الأرض كلها كمرفة أهلها ، فتصنع بدوك ، كصنعه بك ، ثم أذك أحراسك على عسكريك ، وتيقظ من البيات جهذك ، ولا تؤثني بأسير ليس له عقد^(١) إلا ضربت عنقه ، لترهب به عدو الله وعدوك ، والله ولي أمرك ومن معك ، وولى النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان .

(المقد القرني : ١ : ٤٠)

٩٥ - وصيته المجاهدين

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول عند عقد الألوية :

« بسم الله وبالله ، وعلى عون الله ، امضوا بتأييد الله ، وما النصر إلا من عند الله ، ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تستدوا إن الله لا يحب المعتدين ، ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور^(٢) ولا تقتلوا هريماً ولا امرأة ولا وليداً ، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان ، وعند شن^(٣) الفارات .

(المقد القرني : ١ : ٤٠)

(١) عهد .

(٢) الغلبة .

(٣) شن : اندفاع طليعة : صبا من كل وجه .

٩٦ - وصية عمر ليعلى بن أمية

في إجلاء أهل نجران

روى الطبرى قال :

كان أول بعث بعثه عمر بعث أبي عبيد ، ثم بعث يعلى بن أمية إلى اليمن ، وأمره بإجلاء أهل نجران ، لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه بذلك ، ولوصية أبي بكر رحمه الله بذلك في مرضه ، وقال :

« اتهم ولا تفتنهم عن دينهم ، ثم أجلبهم من أقالم منهم على دينه ، وأقرر المسلم ، واسمح أرض كل من تجلبى منهم ، ثم خيرهم البلدان ، وأعلمهم أنا نجليهم بأمر الله ورسوله ألا يُترك بجزيرة العرب دينان ، فليخرجوا من أقالم على دينه منهم ، ثم نمطهم أرضا كأرضهم إقرارا لهم بالحق على أنفسنا ، ووفاء بدمتهم ، فيما أمر الله من ذلك بدلا بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالريف . »

(تاريخ الطبرى ٤ : ٦٢)

٩٧ - خطبة لعمر

ولما انتهى إلى عمر قتل أبي عبيد بن مسعود نادى في المهاجرين والأنصار وخرج حتى أتى صيرارا فسكر به ، واستشار الناس فكلهم أشار عليه بالسير إلى فارس واستشار ذوى الرأي فأشاروا عليه أن يقيم ويبيت رجلا ققام في الناس فقال :

« إن الله عز وجل قد جمع على الإسلام أهله ، فألف بين القلوب ، وجعلهم فيه إخوانا ، والمسلمون فيما بينهم كالجلد لا يخلو منه شيء من شيء أصحاب غيره . وكذلك يمتحن على المسلمين أن يكونوا (وأمرهم شورى بينهم) بين ذوى الرأي منهم ، فالتاس تبع لمن قام

بهذا الأمر ، ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم ، ومن قام بهذا الأمر تبع لأولى رأيهم مارأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم .

يأيها الناس إني إنما كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج فقد رأيت أن أقيم وأبث رجلاً ، وقد أحضرت هذا الأمر من قدمتُ ومن خلقتُ .

(تاريخ الطبري ٤ : ٨٢)

٩٨ - خطبة جرير بن عبد الله البجلي

وقال الثني بن حارثة وهو على قتال فارس : من يتبع الناس إلى السَّيْب ؟ فقام جرير بن عبد الله البجلي في قومه فقال :

« يا معشر بَجِيلَة : إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابِقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحد منهم في هذا المجلس غدا من النَّفَل مثل الذي لكم منه ، ولكم ربيع خسه قفلاً من أمير المؤمنين ، فلا يكون أحد أسرع إلى هذا العدو ، ولا أشد عليه منكم الذي لكم منه ، ونيةً إليّ مارجون ، فإنما تنتظرون إحدى الحسنين : الشهادة والجنة أو العنينة والجنة » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٧٦)

٩٩ - خطبة سعد بن أبي وقاص يوم أرمات

وخطب سعد بن أبي وقاص يوم أرمات^(١) (سنة ١٤ هـ) فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« إن الله هو الحق لا شريك له في الملك وليس لقوله خلف » قال الله جل ثناؤه :

(١) هو اليوم الأول من أيام القعدة .

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) ،
 إن هذا ميراثكم وموعدو ربكم ، وقد آتاكم من قبل ثلاث حجج ، فأنتم تعلمون منها
 وتأكلون منها ، وتقتلون أهلها وتجبونها وتنبئونها إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب
 الأيام منكم ، وقد جاءكم منهم هذا الجمع ، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم ، وخيار كل قبيلة
 وعز من وراءكم ، فإن زهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة ،
 ولا يقرب ذلك أحدا إلى أجله ، وإن تفشلوا وتبينوا وتضعفوا تذهب ربحكم وتوبقوا
 آخرتكم .
 (تاريخ الطبري ٤ : ١١٤)

١٠٠ — خطبة عاصم بن عمرو

وقام عاصم بن عمرو فقال :

« إن هذه بلاد قد أحل الله لكم أهلها ، وأنتم تنالون منها منذ ثلاث سنين ما لا ينالون
 منكم ، وأنتم الأعلون والله معكم ، إن صبرتم وصدقتهم الضرب والظعن فلكم أموالهم
 ونساؤهم وأبنائهم وبلادهم ، وإن خرتهم وفشلتم — والله لكم من ذلك جاز وحافظ — لم
 يبق هذا الجمع منكم باقية ، غافقة أن تعودوا عليهم بمائدة هلاك ، الله الله ، اذكروا
 الأيام وما منعكم الله فيها ، أو لا ترون أن الأرض وراءكم بسابس^(١) فقارليس فيها خمر^(٢)
 ولا وزر يعقل إليه ويمتنع به ؟ اجلوا همك الآخرة .
 (تاريخ الطبري ٤ : ١١٤)

١٠١ — خطبة طليحة بن خويلد الأسدي

وحمل أصحاب الغيلة من جيش الفرس على المسلمين ، وكادت بجيلة أن تؤكل ، فرت
 عنها خيلها ففارا ، فأرسل سعد إلى بني أسد : ذببوا^(٣) عن بجيلة ، وقام طليحة بن خويلد
 الأسدي في قومه حين استصرخهم سعد فقال :

(١) البسب : القفر . (٢) الخمر : ما وارك من شجر وشبهه . (٣) دافعوا عنها .

« يا عَشِيرَتَاهُ : إِنْ لِلنَّوَّةِ بِاسْمِهِ الْمُنَوَّقُ بِهِ ، وَإِنْ هَذَا لَوْ عَلِمَ أَنَّ أَحَدًا أَحَقَّ بِإِغَاثَةِ هَؤُلَاءِ مِنْكُمْ اسْتَفْهَمَ ، ابْتَدِئْتُمْ الشَّدَّةَ ، وَأَقْدَمُوا عَلَيْهِمْ إِقْدَامَ الْيَوْتِ الْخَرِيبَةِ ^(١) ، فَإِنَّمَا تُسَمِّمُ أَهْلًا لَتَفْعَلُوا فَعْلَهُ ، شَدُّوا وَلَا تَصُدُّوا وَكُرُّوا وَلَا تَفِرُّوا ، اللَّهُ دَرُّ رِيحَةٍ أَيْ فَرَى يَفِرُّونَ ، وَأَيُّ قَرْنٍ يُنْتَوْنَ ! هَلْ يَوْصَلُ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ ؟ فَأَغْنُوا عَنْ مَوَاقِفِكُمْ أَعَانَكُمْ اللَّهُ ، شَدُّوا عَلَيْهِمْ بِاسْمِ اللَّهِ » .

(تاريخ الطبري ٤ : ١١٨)

١٠٢ — الْخُنُسَاءُ تَحْرُضُ أَوْلَادَهَا عَلَى الْقِتَالِ

حضرت الخنساء حرب القادسية ومعا بنوها أربعة رجال ، فقالت لهم :

« يَا بَنِيَّ ، أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ طَائِفِينَ ، وَهَاجَرْتُمْ مَخْتَارِينَ ، وَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، إِنْ كُنْ لِبَنِي رَجُلٍ وَاحِدٍ ، كَمَا أَنْتُمْ بَنُو امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ ، مَا خُنْتُ أَبَاكُمْ ، وَلَا فَضَّضْتُ خَالَكُمْ ، وَلَا هَجَنْتُ ^(٢) حَبَّكُمْ ، وَلَا غَيَّرْتُ ^(٣) نَسَبَكُمْ ، وَقَدْ تَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ فِي حَرْبِ الْكَافِرِينَ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ الدَّارَ الْبَاقِيَةَ خَيْرٌ مِنَ الدَّارِ الْفَانِيَةِ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) فَإِذَا أَصْبَحْتُمْ غَدًا ، فَاغْدُوا إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ مُسْتَبْصِرِينَ ، وَفِيهِ عَلَى أَعْدَائِهِ مُسْتَنْصِرِينَ » .

فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكمهم ، ففقدوا واحداً بعد واحد ، يُشَدُّونَ الْأَرَابِيزَ ، فَقَاتَلُوا حَتَّى اسْتَشْهِدُوا جَمِيعًا ، فَلَمَّا بَلَغَهَا الْخَبْرَ قَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِمْ ، وَأَرْجُو مِنْ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَ بِهِمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ » . فَكَانَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُعْطِيهَا أَرْزَاقَ أَوْلَادِهَا الْأَرْبَعَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِائَةَ دِرْهَمٍ ، حَتَّى قُبِضَ وَمَاتَتِ الْخُنُسَاءُ .

(غزاة الأدب : ١ ، ٣٩٥)

(١) حرب : كليب واشتد غضبه فهو حرب . (٢) النهجين : التضييع .

(٣) غيره : لطمه بالنهار ، أي دنست .

١٠٣ — خطبة عتبة بن غزوان

وفي سنة ١٤ هـ وجه عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان إلى البصرة وأمره بنزلها بمن معه وقطع مادة أهل فارس عن الدين بالمدائن ونواحيها منهم ، فرفعوا له منبراً وقام يخطب بحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أما بعد : فإن الدنيا قد تولت حذاء^(١) مذبرة^(٢) ، وقد آذنت أهلها بصرم^(٣) ، وإنما بقي منها ضبابة^(٤) كغصابة الإناء يضطئها صاحبها ، ألا وإنكم مفارقوها لا محالة ، ففارقوها بأحسن ما يحضركم ، ألا وإن من العجب أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الحجر الضخم يُلقى في النار من شفيرها^(٥) ، فيتهوى فيها سبعين خريفاً^(٦) ، ولجهنم سبعة أبواب ما بين البابين منها مسيرة خمسمائة سنة^(٧) ، ولتأتين عليها ساعة وهي كظيظ^(٨) بالرحام ، ولقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سابعة ، مالنا طمأناً إلا ورق البشام^(٩) ، حتى قرحت أشداقنا ، فوجدت أنا وسعد بن مالك ثمرة ، فشقتها بيني وبينه نصفين ، والتفتت بؤدة فشقتها بيني وبينه^(١٠) ، فأنزرت بنصفها ، وأنزرت بنصفها ، وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر من الأمصار ، وإنه لم يكن نبوة قط إلا تناسختها^(١١) جبرية^(١٢) ، وأنا أعوذ بالله أن أكون في نفسى عظيماً ، وفي أعين الناس صغيراً ، وستجربون الأمراء من بعدى ، فتمرقفون وتنكرون » .

(تاريخ الطبري ٤ : ١٤٩٠ - العقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢٧ ،

والكمال لابن الأثير ٢ : ١٨٨)

(١) الصريمة الماضية التي لا يصلق بها شيء . (٢) آذنت : أطلعت ، والصرم : القطع .

(٣) الصبابة : بقية الماء في الإناء . (٤) الشفير : حواف كل شيء .

(٥) سنة : والمراد أنها بعيدة الأقطار شاسعة الأرجاء . (٦) من كلفه الطمام : ملأه حتى لا ياتيح النفس ، ورجل كلف وكظيظ : مكفلوظ تهبطه الأمور حتى يصجر ضها . (٧) البشام : شجر عطر للرائحة يستاك به .

(٨) في الحديث « لم تكن نبوة إلا تناسخت » أي تحولت من حال إلى حال ، يعني أمر الأمة وتغيير أحوالها ، والجبرية الجبروت .

١٠٤ - خطبة لسعد بن أبي وقاص

ولما نزل سعد بـهـرَ سِير - وهى المدينة الدنيا - طلب السفن ليمبر بالناس إلى المدينة القصوى (على نهر دجلة) فلم يقدر على شيء ووجدهم قد ضموا السفن ، فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصون إليه معه ، وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا ، فيناوشونكم فى سفنهم ، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤثتوا منه ، فقد كفا كوه أهل الأيام ، وعطلوا ثغورهم ، وأفنوا ذاتهم . وقد رأيت من رأى أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم » .

فقالوا جميعا : عزم الله لنا ولك على الرشد فأفضل .

واقتمع دجلة وفتح للمدينة القصوى (سنة ١٦ هـ) . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٧٠)

١٠٥ - خطبة عمر

ولما تجملت جموع الفرس بنهاوند كتب سعد إلى عمر يخبره بذلك فاجتمع الناس وقام عمر على المنبر خطيبا فأخبرهم الخبر واستشارهم وقال :

« هذا يوم له ما بعده من الأيام ، ألا وإني قد همت بأمر وإني عارضه عليكم فاسمعوه ، ثم أخبروني وأوجزوا ، ولا تنازعوا ففضلوا وتذهب ريعكم ، ولا تكثرُوا ولا تطيلوا فضشَّع^(١) بكم الأمور ، ويلتوى عليكم الرأى ، أفن الرأى أن أسير فيمن قبل ومن قدرت عليه ، حتى أنزل منزلا وسطا بين هذين المصرين فأستغفرم ثم أكون

(١) فضشَّع كمنه : علاه حتى غلاه .

لهم ردءا حتى يفتح الله عليهم ويقضى ما أحب ، فإن فتح الله عليهم أن أضربهم عليهم في بلادهم ليزنازعوا ملكهم » .

فقام عثمان بن عفان ورجال من أهل الرأي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلموا كلاما فقالوا :

« لا نرى ذلك ، ولكن لا يشين عنهم رأيك وأثرك ، وقالوا : يلزائهم وجوه العرب وفرسانهم وأعلامهم ومن قد فضّ جوعهم ، وقتل ملوكهم ، وبأثر من حروبهم ما هو أعظم من هذه ، وإنما استأذنوك ولم يستصرخوك فأذن لهم واندب إليهم وادع لهم » .
(تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٧)

١٠٦ - خطبة لعلي

وقام علي بن أبي طالب فقال :

« أصحاب القوم يا أمير المؤمنين الرأي ، وفهموا ما كُتب به إليك ، وإن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا قلّة ، هو دينه الذي أظهره ، وجنده الذي أعز وأيده باللائكة حتى بلغ ما بلغ ، فنحن على موعود من الله ، والله منجز وعده ، وناص جنده ، ومكانك منهم مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه ، فإن انحَلَّ تفرق ما فيه وذهب ، ثم لم يجتمع بمخايفه أبدا ، والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فهي كثير عزيز بالإسلام ، فأقم واكتب إلى أهل الكوفة ، فهم أعلام العرب ورؤساؤهم ، ومن لم يحفّ بمن هو أجمع وأحد وأجدّ من هؤلاء ، فليأتهم الثلثان وليقم الثلث ، واكتب إلى أهل البصرة أن يمدوم يبعض من عندهم » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٧)

فسر عمر بحسن رأيهم وأعجبه ذلك منهم .

١٠٧ — خطبة طلحة بن عبيد الله

وقام طلحة بن عبيد الله وكان من خطباء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشهد ثم قال :
 « أما بعد يا أمير المؤمنين فقد أحكمتك الأمور، وعَجَمَتَكَ ^(١) البلايا، واحتَنَكَّتَكَ ^(٢)
 التجارب، وأنت وشأنك، وأنت ورأيك، لا تنبؤ في يديك ولا نكلٌ عليك، إليك
 هذا الأمرُ فَرُّنا نطعم، وادعُنَا نجب، واحملْنَا نركب، ووقَدْنَا نَفِد، وقُدْنَا نَنقَد، فإنك
 وليّ هذا الأمر، وقد بلوتَ وجربتَ واختبرت، فلم ينكشف شيءٌ من عواقب قضاء الله
 لك إلا عن خيار » ثم جلس .
 (تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٨)

١٠٨ — خطبة عثمان بن عفان

فباد عمر فقال : إن هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا ، فقام عثمان بن عفان
 فتشهد وقال :
 « أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شأهم ، وتكتب
 إلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم، ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصرين : البصرة
 والكوفة ، فتلقى جميع المشركين يجمع المسلمين ، فإنك إذا سرت بمن مملك وعندك .
 قل في نفسك ما قد تكاثر من عدد القوم ، وكنت أعزّ عزا وأكثر يا أمير المؤمنين ،
 إنك لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقيةً ، ولا تمتنع من الدنيا بعزير ، ولا تلوذ منها
 بحريز ، إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام ، فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنه »
 ثم جلس .
 (تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٨)

(١) عجم العود : غصه ليعرف صلابته من خوره .

(٢) أحكمتك .

١٠٩ - خطبة على بن أبي طالب

فما دعر فقال : إن هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا ، قام على بن أبي طالب فقال :

« أما بعد يا أمير المؤمنين فإنك إن أشخصت أهل الشام من شأهم ، سارت الروم إلى ذراريهم ، وإن أشخصت أهل اليمن من بينهم ، سارت الحبشة إلى ذراريهم ، وإنك إن شخّصت من هذه الأرض ، انتقضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها ، حتى يكون ما تدع وراءك أممٌ إليك مما بين يديك من الموراث والميالات ، أقرّر هؤلاء في أمصارهم ، واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق : فلتقم فرقة لهم في حرّمهم وذراريهم ، ولتقم فرقة في أهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم ، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مددا لهم .

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا قالوا هذا أمير العرب وأصل العرب ، فكان ذلك أشد لكليهم والبتهم^(١) على نفسك ، وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله أكرمهم لمسيرهم منك ، وهو أقدر على تغيير ما يكره ، وأما ما ذكرت من عديم فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكننا كنا نقاتل بالنصر .

فقال عمر : أجل والله لئن شخّصت من هذه البلدة لتنتفضن على الأرض من أطرافها وأكتافها ، ولئن نظرت إلى الأعاجم لا يفارقن القرصة^(٢) ، وليمدّتهم من يديهم ، وليقولن : هذا أصل العرب ، فإذا اقتطعتموه اقتطعت أصل العرب :

فأشيروا على رجل أوله ذلك النسر غدا ، قالوا أنت أفضل رأيا ، وأحسن مقدرة . قال : أشيروا على به واجعلوه عراقيا ، قالوا يا أمير المؤمنين أنت أعلم بأهل العراق

(١) ألّب إليه القوم : أدّوه من كل جانب . (٢) إلصاحة .

وجندك قد وفدوا عليك ورأيتهم وكلتهم، فقال : أما والله لأولين أمرهم رجلا ليكون
لأول الأسته إذا لقيا غدا ، قليل من يا أمير المؤمنين ؟ فقال : النعمان بن مقرن المزني ،
قالوا : هو لها ، والنعمان يومئذ بالبصرة ، فولاه . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٨)

١١٠ — خطبة النعمان بن مقرن

ونشب القتال بين المسلمين والفرس ، وكان النعمان يسير في الناس على رذوف
أحوى^(١) قريب من الأرض فيقف على كل راية ويحمد الله وينثي عليه ويقول :

« قد علمت ما أعزكم الله به من هذا الدين ، وما وعدكم من الظهور ، وقد أنجز لكم
هوادي^(٢) ما وعدكم وصدوره ، وإنما بقيت أعجازه وأكارع ، والله منجز وعده ، ومتبّع
آخر ذلك أوله ، واذكروا ماضى إذ كنتم أذلة ، وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة ،
فأنتم اليوم عباد الله حقا وأبلياءه ؛ وقد علمت انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة ،
والذى لهم في ظفركم وعزكم ، والذى عليهم في هزيمتكم وذلتكم ، وقد ترون من أنتم بإزائه
من عدوك ، وما أخطرتكم وما أخطروا لكم ، فأما ما أخطروا لكم فهذه الرثة^(٣) وما ترون
من هذا السواد ، وأما ما أخطرتكم لهم فدينكم ويضتكم ، ولا سواها ما أخطرتكم وما أخطروا ،
فلا يكوننّ على دنياهم أحى منكم على دينكم ، واتقى الله عبدُ صدق الله وأبلى نفسه فأحسن
البلاء ، فإنكم بين خيرين منتظرين : إحدى الحسين ، من بين شهيد حى مرزوق أو فتح
قريب وظفر يسير ، فكفى كل رجل ما يليه ، ولم يكمل قرنه إلى أخيه ، فيجتمع عليه قرنه
وقرن نفسه ، وذلك من اللأمة ، وقد يقاتل الكلب عن صاحبه ، فكل رجل منكم
مسلط على ما يليه ، فإذا قضيت أمرى فاستعدوا ، فإنى مكبر ثلاثا ، فإذا كبرت التكبير

(١) وصف من الحوة وهى : حرة إلى السواد . (٢) أوائل جمع هاد .

(٣) الرثة : ضفراء الناس .

الأولى فليتهباً من لم يكن تهباً ، فإذا كبرت الثانية فليشد عليه سلاحه وليتهباً للهوض ،
فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله فاحلوا معا ، اللهم أعز دينك وانصر عبادك ،
واجمل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك .

وزلق فرسه في دماء القوم فصرع فاستشهد . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٤٢)

خطب رجال من الفاتحين

بين يدي يزيد جرد ملك الفرس وقواده

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على فتح العراق يأمره أن يبعث إلى يزيد جرد ملك الفرس رجالا من أهل المنقرة^(١) والرأى والجلد يدعونه ، فاخترهم وأنفذهم إليه بالمدائن ، فلما دخلوا عليه أمر التترجمان بينه وبينهم فقال : سلم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا ، أمن أجل أنا أجمعناكم^(٢) ونشأغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟ فقال لهم النعمان بن مقرن : إن شئتم أجبت عنكم ، ومن شاء آثرته ، فقالوا : بل تكلم ، فحكلم النعمان فقال :

١١١ - خطبة النعمان بن مقرن

« إن الله رحمتنا فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير ، ويأمرنا به ، ويمرنا الشر ، وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة ، فلم يدعُ إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين : فرقة تقارب ، وفرقة تباعد ، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص ، فكث بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن ينفذ إلى من خالفه من العرب ، وبدأ بهم وفعل ، فدخلوا معه جميعا على وجوهين : مكره عليه فاغتبط ، وطائع أتاه فازداد ، ففرقنا جميعا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه ، من العداوة والضيقة ، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يليان من الأمم ، فنذعوهم إلى الإنصاف ، ففتح ندعوكم إلى ديننا ، وهو دين حسن

(١) المنقرة . (٢) من أجمعناكم . أي أرحناكم وانصرفتكم عنكم .

الْحَسَنَ ، وَقَبَّحَ الْقَبِيحَ كُلَّهُ ، فَإِنْ أَيْتِمَ فَأَمَرْتُ مِنَ الشَّرِّ ، هُوَ أَهْوَنُ مِنْ آخِرِ شَرٍّ مِنْهُ ،
الْجِزَاءُ^(١) ، فَإِنْ أَيْتِمَ فَلِلْمَاجِرَةِ ، فَإِنْ أَجَيْتِمَ إِلَى دِينِنَا خَلَقْنَا فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ ، وَأَقْنَاكُمْ
عَلَيْهِ ، عَلَى أَنْ تَحْكُمُوا بِأَحْكَامِهِ ، وَنَرْجِعَ عَنْكُمْ وَشَأْنَكُمْ وَبِلَادَكُمْ ، وَإِنْ اتَّقَيْتُمُونَا بِالْجِزَاءِ
قَبْلِنَا وَمَنْعَنَاكُمْ ، وَإِلَّا قَاتَلْنَاكُمْ .

فَقَالَ يَزْدَجَرْدُ : إِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أُمَّةً كَانَتْ أَشَقَّي وَلَا أَقْلَ عِدْدًا ، وَلَا أَسْوَأَ
ذَاتَ بَيْنٍ مِنْكُمْ ، قَدْ نَوَكَّلْتُ بِكُمْ قُرَى الضَّوَاخِي فَيَكْفُونَنَاكُمْ ، لَا تَنْزُوكُمْ فَارِسَ ،
وَلَا تَطْمَعُونَ أَنْ تَقُومُوا لَهُمْ ، فَإِنْ كَانَ غُرُورُ لِحَقِّكُمْ ، فَلَا يَغْنَمُكُمْ مِنَّا ، وَإِنْ كَانَ
الْجِلْدُ دَعَاكُمْ ، فَضِنَّا لَكُمْ قُوَّتًا إِلَى خِيَابِكُمْ ، وَأَكْرَمْنَا وَجُوهَكُمْ ، وَكَسَوْنَاكُمْ ، وَمَلَكْنَا
عَلَيْكُمْ مَلَكًا يَرْفُقُ بِكُمْ ، قَامَ الْمَغِيرَةُ بْنُ زُرَّارَةَ فَقَالَ :

١١٢ - خطبة المغيرة بن زرارَةَ

أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنْ هَؤُلَاءِ رَدُّوسُ الْعَرَبِ وَوُجُوهُهُمْ ، وَهُمْ أَشْرَافُ بَسْتَحْيُونَ مِنْ
الْأَشْرَافِ ، وَإِنَّمَا يَكْرُمُ الْأَشْرَافَ الْأَشْرَافُ . وَيَعْظُمُ حَقُوقُ الْأَشْرَافِ الْأَشْرَافُ ،
وَيَغْنَمُ الْأَشْرَافُ الْأَشْرَافُ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا أُرْسِلُوا بِهِ جَمْعُهُ لَكَ ، وَلَا كُلُّ مَا تَكَلَّمْتَ
بِهِ أَجَابُوكَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَحْسَنُوا وَلَا يَحْسُنُ بِمِثْلِهِمْ إِلَّا ذَلِكَ ، لِنَجَافِي لَأَكُونَ الَّذِي
أَبْلَغْتُكَ ، وَيَشْهَدُونَ عَلَى ذَلِكَ ، إِنَّكَ قَدْ وَصَفْتَنَا صِفَةً لَمْ تَسْكُنْ بِهَا عَالِمًا ، فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ
مِنْ سُوءِ الْحَالِ ، فَمَا كَانَ أَسْوَأَ حَالًا مِنَّا ، وَأَمَّا جُرْعَتُنَا فَلَمْ يَكُنْ يَشْبَهُ الْجُوعَ ، كُنَّا نَأْكُلُ
الْخَنَافِسَ ، وَالْجَمْلَانَ^(٢) وَالْعَقَارِبَ وَالْحَيَّاتِ فَدَرَى ذَلِكَ طَعَامُنَا ، وَأَمَّا لِلْمَنَازِلِ فَإِنَّمَا هِيَ ظُهُرُ
الْأَرْضِ ، وَلَا نَلْبِسُ إِلَّا مَا غَزَلْنَا مِنْ أَوْبَارِ الْإِبِلِ ، وَأَشْعَارِ الْغَنَمِ ، دِينِنَا أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُ

بعضاً ، وَيُغَيِّرُ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَذُنُّ ابْنَتَهُ وَهِيَ حَيَّةٌ كِرَاهِيَةٌ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ طَعَامِنَا ، فَكَانَتْ حَالُنَا قَبْلَ الْيَوْمِ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَكَ ، فَبِعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَجُلًا مَعْرُوفًا نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَنَعْرِفُ وَجْهَهُ وَمَوْلَاهُ ، فَأَرْضَهُ خَيْرُ أَرْضِنَا ، وَحَسَبُهُ خَيْرُ أَحْسَابِنَا ، وَبَيْتُهُ أَكْثَمُ بَيْوتِنَا ، وَقَبِيلَتُهُ خَيْرُ قَبِيلَتِنَا ، وَهُوَ بِنَفْسِهِ كَانَ خَيْرِنَا فِي الْحَالِ الَّتِي كَانَ فِيهَا ، أَصْدَقْنَا وَأَحْلَنَّا ، فَدَعَانَا إِلَى أَمْرٍ ، فَلَمْ يَجِبْ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْ رَبِّبِ كَانَ لَهُ ، وَكَانَ الْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَقَالَ وَقَلْنَا ، وَصَدَّقْ وَكَذِبْنَا ، وَزَادَ وَنَقَصْنَا فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا إِلَّا كَانَ ، فَكَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِنَا التَّصْدِيقَ لَهُ وَاتِّبَاعَهُ ، فَصَارَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَمَا قَالَ لَنَا هُوَ قَوْلَ اللَّهِ ، وَمَا أَمَرَنَا فَهُوَ أَمْرُ اللَّهِ ، فَقَالَ لَنَا : إِنْ رَبِّكُمْ يَقُولُ : إِنْ أَنَا اللَّهُ وَحْدَى لَا شَرِيكَ لِي ، كُنْتُ إِذْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ ، وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهِي ، وَأَنَا خَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَإِلَىٰ بَصِيرِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِنْ رَحْمَتِي أَدْرَكْتَكُمْ ، فَبِعَثَ إِلَيْكُمْ هَذَا الرَّجُلَ ، لِأَدُلَّكُمْ عَلَى السَّبِيلِ الَّتِي بِهَا أُجِيبُكُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ عَذَابِي ، وَلَأَحْلِلَّكُمْ دَارِي دَارَ السَّلَامِ ، فَتَشْهَدُ عَلَيْهِ أَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ الْحَقِّ ، وَقَالَ : مَنْ تَابِعْتُمْ عَلَى هَذَا ، فَلَهُ مَا لَكُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْكُمْ ، وَمَنْ أَبَى فَاغْرَضُوا عَلَيْهِ الْجُزْيَةَ ثُمَّ امْنَعُوهُ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ ، وَمَنْ أَبَى فَقَاتِلُوهُ ، فَأَنَا الْحَكَمُ بَيْنَكُمْ ، فَمِنْ قَتَلَ مِنْكُمْ أَدْخَلْتُهُ جَنَّتِي ، وَمَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ أَقْبَتُهُ النَّصْرُ عَلَى مَنْ نَاوَاهُ ، فَاخْتَرِ إِنْ شِئْتَ الْجُزْيَةَ عَنْ يَدِي وَأَنْتَ صَاغِرٌ ، وَإِنْ شِئْتَ فَالسِّيفُ ، أَوْ تَسْلِمُ فَتَجِبُ نَفْسَكَ .

قال بزدجرد : أُنْتَخِبَانِي بِمَثَلِ هَذَا ؟ لَوْلَا أَنَّ الرِّسْلَ لَا تَقْتُلُ لَقَتَلْتَكُمْ ، لَا شَيْءَ لَكُمْ عِنْدِي ، ثُمَّ قَالَ : ائْتُونِي بِوَقْرٍ ^(١) مِنْ تَرَابٍ ، فَقَالَ احْمِلُوهُ عَلَى أَشْرَفِ هَؤُلَاءِ ، ثُمَّ سَوِّقُوهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ بَابِ اللَّدَائِنِ .

(تاريخ الطبري ٤ : ٩٢ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢٢٢)

(١) الوقر : الحمل الثقيل أو أعم .

١١٣ — مقال ربعي بن عامر عند رستم قائد جيش الفرس

وأرسل رستم قائد جيش الفرس ، إلى سعد بن أبي وقاص ، أن ابث إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا ، فبث إليه ربعي بن عامر ، فلما انتهى إليه قال له التَّزُجَّانُ (واسمه عبود من أهل الحيرة) ما جاء بكم ؟ قال :

« الله ابتعثنا ، والله جاء بنا ، لنُخرج من شاء من عبادة العباد ، إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندهمهم إليه ، فن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه بلبها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً ، حتى نُنفِضَ إلى موعود الله ، قال وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقى » .

(تاريخ الطبري ٤ : ١٠٦ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢٢٧)

١١٤ — خطبة المغيرة بن شعبة في حضرة رستم

وبث إليه أيضاً المغيرة بن شعبة ، فتكلم بحضرته ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« إنَّ الله خالق كل شيء ورازقه ، فمن صنع شيئاً فأبنا هو يصنعه والذي له ، وأما الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الظهور على الأعداء ، والتمكن في البلاد ، وعِظَمَ السلطان في الدنيا ، فنحن نعرفه ، ولنا نكركه ، فإله منكم بكم ، ووضع فيكم وهو له دونكم ، وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال ، وضيق المعيشة ، واختلاف القلوب ، فنحن نعرفه ، ولنا نكركه ، والله ابتلانا بذلك ، وصيرنا إليه ، والدنيا دُولٌ ، ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرخاء ، حتى يصيروا إليه ، ولم يزل أهل رخائها يتوقعون الشدايد ، حتى تنزل بهم ، ويصيروا إليها ، ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوى شكر ، كان

شكركم بقصر عما أوتيتم ، وأسلكم ضعف الشكر إلى تغير الحال ، ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر ، كان عظيم ما تتابع علينا ، مستجلباً من الله رحمة يرفقه بها عنا ، ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه ، أو كنتم تعرفوننا به ، إن الله تبارك وتعالى بث فينا رسولاً ، ثم ذكر مثل الكلام الأول .

(تاريخ الطبري ٤ : ١٠٩ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٨)

١١٥ - خطبة المغيرة بن شعبه

لما اجتمعت جيوش المسلمين ببهاوند (سنة ٢١ هـ) وأميرم النعمان بن مقرن المزني أرسل بُندارُ المِلج إليهم أن أرسلوا إلينا رجلاً نكلمه ، فأرسلوا إليه المغيرة بن شعبه ، فأدخل إليه وترجم له قوله :

« إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير ، وأطول الناس جوعاً ، وأشق الناس شقاءً ، وأقذر الناس قدراً ، وأبعد هاراً ، وما معنى أن أسر هؤلاء الأساورة ^(١) حولي أن ينظموكم بالشباب إلا تنجسوا لجيفكم ، فإنكم أرجاس ، فإن تذهبوا نُحِّلْ عنكم ، وإن تأبوا نُرِكْ معارِعكم » .

قال : فحمدت الله وأثنت عليه فقلت : « والله ما أخطأت من صفتنا شيئاً ولا من نتنتا . إن كنا لأبعد الناس داراً ، وأشد الناس جوعاً ، وأشق الناس شقاءً ، وأبعد الناس من كل خير ، حتى بث الله عز وجل إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فوعدنا النصر في الدنيا والجنة في الآخرة ، فوالله ما زلنا نعرف من ربنا منذ جاءنا رسوله بالفتح والنصر حتى أتيناكم ، وإنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى تغلبكم على ما في أيديكم ، أو تقتل بأرضكم » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٤)

(١) الأساورة : جمع أسوار ، والأسوار : بالضم والكسر قائد الفرس .

١١٦ - خطبة عمر

وغزا الأحنف بن قيس خراسان وحارب يزدجرد سنة ٢٢ هـ ثم أقبل أهل فارس على الأحنف فصالحوه وعاقدوه ودفعوا إليه خزان يزدجرد وتراجعوا إلى بلادهم ، وبث الأحنف بالخبر والفتاى إلى عمر بن الخطاب فجمع الناس وخطبهم فقال فى خطبته :

« إن الله تبارك وتعالى ذكر رسوله صلى الله عليه وسلم وما بعثه به من الهدى ، ووعد على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة فقال : (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) فالحمد لله الذى أنجز وعده ، ونصر جنده ، ألا إن الله قد أهلك ملك الجوسية وفرق شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شيئا يضر بسلام ، ألا وإن الله قد أوردكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبنائهم لينظر كيف تعملون .

ألا وإن المصرين من مسالحنا^(١) اليوم كأنهم والمصريين فيما مضى من البعد ، وقد غلوا فى البلاد ، والله بالغ أمره ومنجز وعده ، ومُتَّبِع آخر ذلك أوله ، فقوموا فى أمره على رجل يوفى لكم بعهده ، ويؤتكم وعده ، ولا تُبَدِّلُوا ولا تُفَيِّرُوا فَيَسْتَبْدِلَ اللهُ بكم غيره ، فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تُؤْتَى إلا من قبلكم .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٦٧)

١١٧ - خطبة عثمان بن أبى العاص

ولما فتح عثمان بن أبى العاص إسطنخَرَ (سنة ٢٣ هـ) وجمع إليه ما آفاه الله على المسلمين ختمه ، وبث بالخمس إلى عمر ، وقسم أربعة أخماس الغنم فى الناس ،

(١) المالح : جمع سلحة ، وهى النتر .

وعنت الجند عن النهاب ، وأدوا الأمانة ، واستدقوا^(١) الدنيا ، فجمعهم عثمان ثم قام
فيهم وقال :

« إن هذا الأمر لا يزال مقبلا ، ولا يزال أهله معافين عما يكرهون ما لم يَفُتُوا ،
فإذا غَلَوْا رأوا ما يُنكرون : ولم يسدّ الكثير مسدّ القليل اليوم » .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢)

(١) رأوها دقيقة حقيرة .

في فتح الشام

١١٨ - بين الروم ومعاذ بن جبل

وبعث الروم إلى أبي عبيدة أن « أرسل إلينا رجلا من صلحائكم نسأله عما تريدون ، وما نسألون ، وما تدعون إليه ، ونخبره بذات أنفسنا ، وندعوك إلى حظكم إن قبلتم ، فأرسل إليهم أبو عبيدة معاذ بن جبل ، فأتاهم ، فقالوا للترجمان قل له :

« أخبرونا ما تطلبون ؟ وإلام تدعون إليه ؟ وما أدخلكم بلادنا ؟ وتركتم أرض الحبشة وليسوا منكم يبعيد ، وتركتم أرض فارس وقد هلك ملك فارس وهلك ابنه ، وإنما تملكهم اليوم النساء ونحن مملكتنا حتى ، وجنودنا عظيمة كثيرة ، وإن اقتحمتم من مدائننا مدينة ، أو من قرانا قرية ، أو من حصوننا حصنا ، أو هزمت لنا عسكرا ، أظنتم أنكم قد ظفرتم بجماعتنا ؟ وأنكم قد قطعتم حربنا عنكم ؟ أو فرغتم من وراءنا منا ، ونحن عدد نجوم السماء وحصى الأرض ! وأخبرونا لم تستحلون قتالنا ، وأنتم تؤمنون بنبيينا وكتابنا ؟ » .

فلما قالوا هذا القول وفسره الترجمان لماذ سكتوا ، فقال معاذ للترجمان : قد فرغوا ؟ قال له : نعم ، قال : فأفهمهم عني أن أول ما أنا ذا كر حمد الله الذي لا إله إلا هو ، والصلاة على محمد نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن أول ما أدعوك إلى الله أن تؤمنوا بالله وحده ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأن تصلوا صلاتنا وتستقبلوا قبلتنا ، وأن تستنوا بسترنا نينا صلى الله عليه وسلم ، وتكسروا الصليب ، وتجتنبوا شرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير ، ثم أنتم منا ونحن منكم ، وأنتم إخواننا في ديننا ، لكم ما لنا ، وعليكم ما علينا ، وإن

أبيتم فأذوا الجزية إلينا في كل عام وأنتم صاغرون ، ونكف عنكم ، وإن أنتم أيمن
هاتين الخصلتين فليس شيء مما خلق الله عز وجل نحن قابضوه منكم ، فابرزوا إلينا حتى
يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، فهذا ما نأمركم به وما ندهوكم إليه .

وأما قولكم : « ما أدخلكم بلادنا وتركتم أرض الحبشة وليسوا منكم بعيد ،
وتركتم أهل فارس ، وقد هلك ملكهم » فإني أخبركم عن ذلك : ما بدأنا قتالكم
لأنكم أقرب إلينا منهم ، وإنكم عندنا جميعاً بالسواء ، وما جاءنا كتابنا بالكف
عنهم ، ولكن الله عز وجل أنزل في كتابه على نبينا صلى الله عليه وسلم فقال : (يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) وكنتم أقرب
إلينا منهم ، فبدأنا بكم لذلك ، وقد أتاكم طائفة منا وهم يقاتلونهم ، وأرجو أن يظفرهم الله
ويفتح عليهم فينصر .

وأما قولكم : « إن ملكنا حي » وإن جنودنا عظيمة ، وإنا عدد نجوم السماء
وحصى الأرض » وتونسونا من الظهور عليكم فإن الأمر في ذلك ليس إليكم ، وإنما
الأمر كلها إلى الله ، وكل شيء في قبضته وقدرته ، وإذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ،
وإن يكن ملككم هرقل فإن ملكنا الله عز وجل الذي خلقنا ، وأميرنا رجل منا ،
إن عمل فينا بكتاب ديننا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم أقرناه علينا ، وإن عمل بخير ذلك
عزلناه عنا ، وإن هوسرق قطعنا يده ، وإن زنى جلدناه ، وإن شتم رجلاً منا شتمه كما
شتمه ، وإن جرحه أفاده ^(١) من نفسه ، ولا يحتجب منا . ولا يتكبر علينا ،
ولا يستأثر علينا في فيثنا الذي أفاده الله علينا وهو كرجل منا .

وأما قولكم : « جنودنا كثيرة » فإنها وإن عظمت وكثرت حتى تكون أكثر
من نجوم السماء وحصى الأرض ، فإننا لا نتق بها ولا نتكل عليها ، ولا نرجو النصر على

عدونا بها ، ولكننا تنبرأ من الحول والقوة ، وَتَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَتَتَّقِ رَبَّنَا ، فكم من فئة قليلة قد أعزَّها الله ونصرها وأغناها ، وغلبت فئة كثيرة بإذن الله ، وكم من فئة كثيرة قد أذلَّها الله وأهانها ، قال تبارك وتعالى : « كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّائِرِينَ » .

وأما قولكم « كيف نستحلون قتالنا وأنتم تؤمنون بنبينا وكتابنا » فإنا أخبركم عن ذلك : نحن نؤمن بنبينا ونشهد أنه عبدٌ من عبيد الله ، وأنه رسولٌ من رسل الله ، وأنَّ مثله عند الله كمثل آدم خلقه من ترابٍ ثم قال له كُنْ فَيَكُونُ ، ولا نقول إنه الله ، ولا نقول إنه ثاني اثنين ، ولا ثالثُ ثلاثة ، ولا إنَّ لله والِدًا ولا إنَّ له صاحبة ولا وَلَدًا ، ولا إنَّ معه آلهة أخرى ، لا إله إلا هو ، تعالى عما يقولون علواً كبيراً ، وأنتم تقولون في عيسى قولاً عظيماً ، فلو أنكم قلتم في عيسى كما نقول ، وآمنتمُ بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم كما تجدونه في كتابكم ، وكما نؤمن نحنُ بنبينا ، وأقررتم بما جاء به من عند الله ، ووحدتم الله ، ما قاتلناكم ، بل كنا نسالكم ونواليكم ونقاتل معكم عدوكم » .

فلما فرغ معاذ من خطابه قالوا له : ما نرى بيننا وبينك إلا متباعدا ، وقد بقيتْ خصلة نحن نمرضاها عليكم ، فإن قبلتموها منا فهو خير لكم ، وإن أبيتُمْ فهو شرٌّ لكم . نطيعكم البقاء وما والى أرضكم من سواد الارْدُنِّ ، ونحنوا عن بقية أرضنا وعن مدائننا ، ونكتب عليكم كتابا نسمى فيه خياركم وصلحاءكم ، ونأخذ عهدكم ومواثيقكم على ألا تطلبوا من أرضنا غير ما صالحناكم عليه ، وعليكم بأهل فارس فتاتلوم ، ونحنُ معكم نعينكم عليهم حتى تقتلهم وتظهروا عليهم .

فقال معاذ : هذا الذي عرضتم علينا وتعطوناه كلُّه في أيدينا ولو أعطيتونا جميع ما في أيديكم مما لم نظهر عليه ، ومنتمونا خصلة من الخصال الثلاثة التي وصفت لكم ما فعلنا » .

فنهضوا عند ذلك وقالوا : نتقرب إليك وتتباع عنا ؟ اذهب إلى أصحابك فوالله إنا لنرجو أن نفرقكم في الجبال غداً ، فقال معاذ : أما الجبال فلا ، ولكن والله لتفقتنا عن آخرنا ، أو لنخرجنكم من أرضكم أذلة وأنتم صاغرون » وانصرف معاذ .

١١٩ - بين أبي عبيدة ورسول الروم

وانصرف معاذ إلى أبي عبيدة فأخبره بما قالوا ، ثم أرسل الروم رسولا من قبلهم إلى أبي عبيدة فقال له : أنا أعرض عليكم أمراً لكم فيه حظ إن قبِلْتُموه : نحن نعطيك دينارين دينارين وثوباً ثوباً ، ونعطيك أنت ألف دينار ، ونعطى الأمير الذى فوقك - يسنون عمر - ألفي دينار ، وتنصرفون عنا ، وإن شئتم أعطيناكم أرض البلقاء وما والى أرضكم من سواد الأردن ، وخرجتم من مدائننا وأرضنا وبلادنا ، وكتبنا فيما بيننا وبينكم كتاباً يستوثق فيه بعضنا من بعض بالآيمان اللظظة ليقومن به وليقين بما عاهد الله عليه .

فحمد الله أبو عبيدة وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« إن الله بثّ فينا رسولا نبيا ، وأنزل عليه كتابا حكيماً ، وأمره أن يدعو الناس إلى عبادة ربهم رحمة منه للعالمين ، وقال لهم : إن الله إلهٌ واحدٌ ، عزيزٌ حكيمٌ ، عليٌّ مجيدٌ ، وهو خالق كلِّ شيء وليس كمثل شيء ، وأمرهم أن يؤحدوا الله الذى لا إله إلا هو ، ولا يتخذوا له صاحبة ولا ولداً ، ولا يتخذوا معه آلهة أخرى ، وأن كلَّ شيء يعبدُه الناس دونه فهو خلقه ، وأمرنا صلى الله عليه وسلم فقال : إذا أتيتم المشركين فادعهم إلى الإيمان بالله وبرسوله ، وبالإقرار بما جاء من عند الله عز وجل ، فمن آمن وصدق فهو أخوكم في دينكم ، له مالكم وعليه ما عليكم ، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية حتى يؤدوها عن يدي وم صاغرون ، فإن أبوا أن يؤمنوا أو يؤدوا الجزية

فَاتْلُومُوا قَاتِلَكُمْ الْمُحْتَسِبَ بِنَفْسِهِ شَهِيدٌ عِنْدَ اللَّهِ ، وَهُوَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ،
وَقَتِيلَ عَدُوِّكُمْ فِي النَّارِ » .

فَإِنْ قَبِلْتُمْ مَا سَمِعْتُمْ مِنْهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَإِنْ أَيْبَمْتُمْ ذَلِكَ فَأَبْرَزُوا إِلَيْنَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ » .

فَقَالَ الرَّومِيُّ : قَدْ أَيْبَمْتُ إِلَّا هَذَا ؟ قَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ : نَعَمْ ، فَقَالَ لَهُ الرَّومِيُّ : أَمَّا وَاللَّهِ
عَلَى ذَلِكَ ، إِنِّي لَا أَرَاكُمْ تَتَمَنُّونَ أَنْكُمْ قَبْلَتُمْ مُنَادُونَ مَا عَرَضْنَا عَلَيْكُمْ .

(تَبْوِجُ الشَّامِ ص ١٠٠)

١٣٠ — بَيْنَ بَاهَانَ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ

وَبَعَثَ بَاهَانُ أَمِيرَ الرُّومِ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَنْ يَقْبَلَ إِلَيْهِ خَالِدٌ ، فَقَالَ بَاهَانُ :
إِنْ شِئْتَ فَتَسْكَلْ ، وَإِنْ شِئْتَ بَدَأْتُكَ فَتَسْكَلْتُ ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : فَتَسْكَلْ ،
فَقَالَ بَاهَانُ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ بَيْنَنَا أَفْضَلَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَلِكَنَا أَفْضَلَ الْمُلُوكِ ، وَأَمْتَنَا خَيْرَ الْأُمَمِ ،
فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الْمَكَانَ ، قَالَ خَالِدٌ لِقَرِيبَانِ : وَقَطَعَ عَلَى صَاحِبِ الرُّومِ مَنْطِقَهُ ثُمَّ قَالَ :
« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا نُوْمَنَ بَنِيْنَا وَنَبِيِّكُمْ وَبِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَجَعَلَ الْأَمِيرَ الَّذِي وَلَّيْنَا
أُمُورَنَا رِجَالًا كَبِعضُنَا ، فَلَوْ زَعَمَ أَنَّهُ مَلِكٌ عَلَيْنَا لَمَزَلْنَا عَنَّا ، وَلَسْنَا نَرَى أَنَّ لَهُ عَلَى رَجُلٍ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَضْلًا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَنْتَ مِنْهُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَبْرٌ » ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ أَمْتَنَا
تَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتَقَرُّ بِالْقَدْبِ وَتَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْهُ ، وَتَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ
لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » قُلِ الْآنَ مَا بَدَأْتُكَ .

فَاصْفَرَّ وَجْهُ بَاهَانَ وَمَكَثَ قَلِيلًا ، ثُمَّ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَبْلَانَا فَأَحْسَنَ الْبَلَاءِ
عِنْدَنَا ، وَأَغْنَانَا مِنَ الْفَقْرِ ، وَنَصَرَنَا عَلَى الْأُمَمِ ، وَأَعَزَّنَا فَلَا نَذَلُ ، وَمَنْعَنَا مِنَ الضَّيْمِ ،
فَلَا يُبَاحُ حَرَمُنَا ، وَلَسْنَا فِيمَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ وَأَعْطَانَا مِنْ دِينِنَا يَبْطِرِينَ وَلَا مَرَحِينَ وَلَا

باغين على الناس ، وقد كانت لنا منكم يا معشر العرب جيران كُفّا نحسين جوارهم ،
وَنُصْطَم قُدرهم ، وَنُفْضِل عليهم ، وَتَفِي لهم بالعهد ، وَخَيْرُناهم بلادنا ، يَنْزِلون منها حيث
شاموا ، فيَنْزِلون آمَنين ، وَيرحلون آمَنين ، وَكنا نرى أن جميع العرب مِن لا يَجاوِرنَا
سِيْشْكَر لنا ذلك الذي أَتينا إلى إِخوانهم ، وما اصْطَنَعنا عندهم ، فلم يَرْغَبنا منكم
إِلا وقد فَاجَأْتُمونا بِالْخَيْل وَالرَّجَال ، تَقَاتِلُونَا على حَصُوننا ، وَتريدون أن تَنْقِلُونَا على
بلادنا ، وقد طَلَب هذا منا قَبْلَكم مِن كان أَكْثَرَ منكم عِدداً ، وَأَعْظَم مَكِيدَةً ،
وَأَوْفَى جُنُداً ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُمْ عنها ، فلم يَرْجِعُوا عَنَّا إِلا وهم بَيْن قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ ، وَأَرَادَ ذلك
منا فارس ، فَقَدْ بَلَّسَكُمْ كَيْفَ صَنَعَ اللهُ عَزَّ جَلَّ بِهِمْ ، وَأَرَادَ ذلك منا التَّرك فَلَقيْنَاهُمْ
بِأَشَدِّ مِمَّا لَقِينَا بِهِ فارس ، وَأَرَادَنَا غَيْرَكم مِن أَهل للشرق والمغرب مِن ذَوِي المَنْعَةِ والعِزِّ
والجُنُود العَظِيمَةِ ، فَكَلَّمَهُم أَظْفَرْنَا اللهُ بِهِمْ ، وَصَنَعَ لنا عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ تَكُن أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ
بَارِقَةً عِنْدَنَا مِنْكُمْ شَأْناً ، وَلَا أَصْغَرَ أَضْطَرَّاراً^(١) إِنَّمَا جُلَّسْكُمْ رِعاةَ الشَّاءِ وَالْإِبِلِ ،
وَأَهْلَ الصَّخْرِ وَالْحَجَرِ وَالْبُؤْسِ وَالشَّقاءِ ، فَأَنْتُمْ تَطْمَعُونَ أن نَنْجِي لَكُمْ عَن بلادنا ؟ بئس
ما طَمَعْتُمْ فِيهِ منا ، وَقَدْ ظَنَنَّا أَنَّهُ لَمْ يَأْت بِكُمْ إِلى بلادنا - وَنَحْنُ يَتَقَى كُلُّ مَنْ حَوْلَنَا مِنَ الأُمَمِ
العَظِيمَةِ الشَّأْنَ الكَثِيرَةَ العِدَدِ ، مَعَ كَثَرَتِنا وَشِدَّةِ شَوْكَتِنا - إِلا جَهْدَ نَزْلِ بَعْضِ مَنْ جَدُوبَةُ
الأَرْضِ وَقَطْعِ الطَّرِيقِ ، وَعِثْمَ فِي بلادنا وَأَفْضَدْتُمْ كُلَّ الفَسادِ ، وَقَدْ رَكِبْتُمْ مَرَاكِبَنَا ، وَلَيْسَتْ
كُنَّا كَبِكم ، وَلِبَسَم ثِيَابنا وَلَيْسَتْ كُنْيَا بَكم ، وَثِيَابُ الرُّومِ البَيْضِ كَأَنَّها صَفَانُحُ الفِضَّةِ ،
وَطَعْتُمْ مِن طَعَامِنا وَلَيْسَ كَطَعَامِكم ، وَأَصَبْتُمْ مِنَّا وَمَلَأْتُمْ أَيْدِيَكُم مِنَ الذَّهَبِ الأَحْمَرِ وَالْفِضَّةِ
الْبَيْضاءِ وَالنَّاعِجِ الفَاخِرِ ، وَقَدْ لَقِينَا كَما الآنَ وَذلك كُلُّهُ لنا ، فَهُوَ فِي أَيْدِيَكُم ، فَنَحْنُ نَسْلَمُ
لَكُمْ فَاهْرَجُوا بِهِ وَانْصَرَفُوا عَن بلادنا ، فَإِنْ أَبَتْ أَنْفُسُكُمْ إِلا أَنْ تَحْرُصُوا وَتَشْرَهُوا ،
وَأَرَدْتُمْ أَنْ نَزِيدَكُم مِن مَيُوتِ أَمْوالِنا ما يَقْوَى بِهِ الضَّعِيفُ مِنْكُمْ ، وَبَرَى الغَائِبُ أَنْ قَدْ

رجع إلى أهله بخير ، فقلنا ، ونأمر للأمير منكم بشرة آلاف دينار ، ونأمر لك بمثلها ،
ونأمر رؤسائكم بألف دينار ألف دينار ، ونأمر لجميع أصحابك بمائة دينار مائة دينار ،
على أن توثقوا لنا بالأيمان المثلثة ألا تمودوا إلى بلادنا ، ثم سكت .

١٢١ — جواب خالد

قال خالد رحمه الله : الحمد لله الذي لا إله إلا هو ، فلما فسر له الترجمان قوله : الحمد لله
الذي لا إله إلا هو رفع يده إلى السماء ، ثم قال لخالد نعم ما قلت ، ثم قال خالد : وأشهد
أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فسر له الترجمان قال باهان : الله أعلم ،
ما أدرى ، لعله كما تقول ، فأخبر خالد الترجمان . ثم قال خالد رحمه الله :

« أما بعد : فإن كل ما ذكرت به قومك من الغنى والعز ومنع الحريم والظهور
على الأعداء ، والتمكن في البلاد ، فمنع به عارفون ، وكل ما ذكرت من إصنامكم
على جيرانكم منا ، فقد عرفناه ، وذلك لأمر كنتم تصلحون به دنياكم ، وإصلاحكم
كان إليهم وإحسانكم إليهم ، كان ذلك زيادة في ملككم وعزا لكم ، ألا ترون أن
ثلثيهم أو شطرهم دخلوا معكم في دينكم فهم يقاتلوننا معكم ؟ »

وأما ما ذكرتنا به من رعي الإبل والغنم ، فما أقل من رأيت واحداً منابكرهه ، ومالم
يكن يكرهه منا فضل على من يفعله ، وأما قولكم : إنا أهل الصخر والحجر والبؤس
والشقاء ، فقلنا والله كما وصفته ، ما نتقي من ذلك ولا نتبرأ منه ، وكنّا على أسوأ
وأشد مما ذكرت ، وسأقص عليك قصتنا ، وأعرض عليك أمرنا ، وأذهوك إلى حظك
إن قبلت ، ألا إنا كنّا معشر العرب أمة من هذه الأمم ، أنزلنا الله — وله الحمد —
منزلاً من الأرض . ليست به أنهار جارية ، ولا يكون به من الزرع إلا القليل ، وكل
أرضنا المهامة ^(١) والقفار ، فكنا أهل حجر ومدّر ^(٢) وشاه وبمير ، وعيش شديد ، وبلاء

(١) جمع مهمه : القفر . (٢) الممر : قطع العين اليابس .

دائم لازم ، قطع أرحامنا وقتل خشية الإملاق أولادنا ، وبأكل قوتنا ضعيفنا ، وكثيرنا قليلنا ، ولا تأمن قبيلة منا قبيلة إلا أربعة أشهر من السنة^(١) ، نمد من دون الله أربابا وأصناما ، نتحتها بأيدينا من الحجارة التي نختارها على أعيننا ، وهي لا تضر ولا تنفع ، ونحن عليها مُسَكِبُونَ ، فيبدا نحن كذلك على شفا^(٢) حُفْرة من النار ، من مات من مات مشركا ، وصار إلى النار ، ومن بقي منا بقي كافرًا مشركا بربه ، قاطعًا لِرَحْمِهِ ، إذ بعث الله فينا رسولاً من صميمنا وشرقاتنا وخيارنا وكرماتنا وأفضلنا ، دعانا إلى الله وحده أن نعبد ولا نشرك به شيئاً ، وأن نخلص الأنداد التي يعبدونها للمشركون دونه ، وقال لنا لا تتخذوا من دون الله ربكم لها ولا ولياً ولا نصيراً ، ولا تجعلوا معه صاحبة ولا ولداً ولا تعبدوا من دونه ناراً ولا حجراً ، ولا شمساً ولا قرراً ، واكتفوا به رباً ولها من كل شيء دونه ، وكونوا أوليائه ، وإليه فادعوا ، وإليه فارغبوا ، وقال لنا : قاتلوا من اتخذ مع الله آلهة أخرى ، وكل من زعم أن لله ولداً وأنه ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة حتى يقولوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويدخلوا في الإسلام ، فإن فعلوا حرمت عليكم دماؤهم وأموالهم وأعراضهم إلا بحقها ، وهم إخوانكم في الدين ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، فإن هم أبوا أن يدخلوا في دينكم وأقاموا على دينهم فاعرضوا عليهم الجزية أن يؤدوها عن يديهم صاغرون ، فإن هم فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ، وإن أبوا فقاتلواهم فإنه من قتل منكم كان شهيداً حياً عند الله مرزوقاً ، وأدخله الله الجنة ، ومن قتل من عدوكم قتل كافرًا ، وصار إلى النار مخلداً فيها أبداً ، ثم قال خالد :

وهذا والله الذي لا إله إلا هو أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فعملنا وأمرنا به أن ندعو الناس إليه ونحن ندعوك إلى ما دعانا إليه نبينا صلى الله عليه وسلم ، وإلى ما أمرنا به أن ندعو إليه الناس ، فندعوك إلى الإسلام ، وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإلى أن تقيموا الصلاة ، وتؤتوا الزكاة ، وتقروا بما جاء من عند الله

عز وجل ، فإن فلتم فأنتم إخواننا في الإسلام ، لكم مالنا ، وعليكم ما علينا ، وإن أيتم فإنا نفرض عليكم أن تعطوا الجزية عن يدي وأنتم صاغرون ، فإن فلتم قبلنا منكم وكففتنا عنكم ، وإن أيتم أن تفعلوا فقد والله جاءكم قوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة ، فأخرجوا بنا على اسم الله حتى نحاكمكم إلى الله ، فإنما الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » ثم سكت خالد .

فقال باهان : أما أن ندخل في دينكم فما أبعد من ترى من الناس من أن يترك دينه ويدخل في دينكم ، وأما أن تؤدّي الجزية — فتفترس الصمّاء^(١) وتقتل عليه وعظمت عنده — فقال : سيموت من ترى جميعاً قبل أن يؤدّوا الجزية إلى أحد من الناس ، وهم يأخذون الجزية ولا يعطونها ، وأما قولك : فأخرجوا حتى يحكمكم الله بيننا ، فلمعري ما جاءك هؤلاء القوم وهذه الجوع إلا ليحاكموك إلى الله ، وأما قولك : إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده فقدت ، والله ما كانت هذه الأرض التي قاتلكم عليها وتقاتلوننا فيها ، إلا لأمة من الأمم كانوا قبلنا فيها ، قاتلناهم عليها فأخرجناهم منها ، وقد كانت قبل ذلك لقوم آخرين فأخرجهم منها هؤلاء الذين كُنّا قاتلناهم عنها ، فأبرزوا على اسم الله فإنّا خارجون إليكم .

(فتوح الشام ص : ١٧٩)

١٢٢ - خطبة عمرو بن العاص

ولما قضى أهل الأردن العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين ، قام عمرو بن العاص ، وجمع إليه من كان قبله من المسلمين :

فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أما بعد فقد برئت ذمة الله من رجل من أهل عهدنا من أهل الأردن قدِمَ

(١) التفترس الطويل .

على رجل من أهل إيليا ، أو كان عنده لم يأتنا به ، ولم يرفعه إلينا ، ألا ولا يَبْقَيْنَ رجل من أهل عهدنا إلا هَيَّأ واستعد ، حتى يسير معي إلى أهل إيليا ، فإنني أريد المسير إليهم ، والنزولَ بساحتهم ، ثم لا أَزِيلُهُمْ حتى أَقتل مقاتلتهم ، وأسبِ ذَرَارِيَهُمْ ، أو يودُّوا الجزية عن يَدٍ وهم صاغرون .
(فتح الشام ص ١٤٦)

١٢٣ - خطبة عمر

ولما حصر أبو عبيدة أهل إيليا ورأوا أنهم لاطاقة لهم بحربه سألوه الصلح على أن يكون مرءو الذي يعطيهم الهدى ، ويكتب لهم الأمان ، فأقبل عمر إلى الشام حتى انتهى إلى الجابية فقام في الناس فقال :

« الحمد لله الحميد المستحمد الحميد ، الدافع النفورُ الودود ، الذي من أراد أن يهديه من عباده اهتدى ، ومن يضلل فإن تجد له وليا مرشدا .

أما بعد - فإنني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن خيار أمتي الذين يلونكم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب حتى يشهد الرجل على الشهادة ولم يُسْتَشْهَد عليها ، وحتى يحلف كلِّ اليمين ولم يُسألها ، فن أراد يَجْبُوْحَةً^(١) الجنة فليلزم الجماعة ، ولا يبالِ الله شدوْدَ من شذ ، ألا لا يَخْلُوْنَ رجل منكم بامرأة إلا أن يكون لها محرماً فإن ثالثهما الشيطان .
(فتح الشام ص ٢٢٦)

١٢٤ - خطبة عمر

ولما كان عمر رضى الله عنه بالشام ، قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« يا أهل الإسلام ، إن الله قد صدقكم الوعد ، ونصركم على الأعداء ، وورثكم البلاد ، ومكن لكم في الأرض ، فلا يكن جزاء ربكم إلا الشكر ، وإياكم والعمل بالمعصية ، فإن العمل بالمعصية كفرٌ للنعم ، وقد كفر قوم بما أنعم الله عليهم ثم لم يفرحوا إلى التوبة ، إلا سلبوا عزهم ، وسلط عليهم عدوهم » ثم نزل .
(فتوح الشام ص ٢٣١)

١٢٥ — خطبة لعمر

وقفل عمر من الشام إلى المدينة في ذي الحجة سنة ١٧ هـ ، وخطب حين أراد القول بحمد الله وأثنى عليه وقال :

« ألا إني قد وليت عليكم ، وقضيت الذي هلّ في القدي ولأني الله من أمركم إن شاء الله ، قسطنطين^(١) بينكم فيسكنكم ومنازلكم ومنازلكم ، وأبلغنا ما لديكم ، نجندنا لكم الجنود ، وهبنا لكم الفروج^(٢) ، وبوأناكم ووسعنا عليكم ما بلغ فيسكنكم ، وما قاتلتم عليه من شامكم ، وسمينا لكم أطباعكم ، وأمرنا لكم بإعطائكم أرزاقكم ومعاونكم ، فمن علم علم شيء ينبئ العمل به قبلنا نعمل به إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله »
(تاريخ الطبري ٤ - ٢٠٤)

١٢٦ — خطبة عمر

ولما رجع عمر رضي الله عنه إلى المدينة ، استقبله الناس يهتفون بالنصر والفتح ، فجاء حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى ركعتين عند المنبر ، ثم صعد المنبر فاجتمع الناس إليه ، فقال :

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ،
 إِنَّ اللَّهَ قَدْ اصْطَنَعَ عِنْدَ هَذِهِ الْأَمَّةِ أَنْ يَحْمَدُوهُ وَيُشْكِرُوهُ ، وَقَدْ أَعَزَّ دَعْوَتَهَا ، وَجَمَعَ كَلِمَتَهَا ،
 وَأَظْهَرَ قَلْبُهَا ^(١) ، وَنَصَرَهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَشَرَّفَهَا وَمَكَّنَهَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَوْرَثَهَا
 بِلَادَ الْمُشْرِكِينَ وَدِيَارَ أُمَمِهِمْ ، فَأَحْدِثُوا لِلَّهِ شُكْرًا يَزِيدَكُمْ ، وَاحْمَدُوهُ عَلَى نِعْمَةِ عَلَيْهِكُمْ
 يُدِيمُهَا لَكُمْ ، جِئْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ » ثم نزل . (فتح الشام ص ٢٢٩)

١٢٧ - وصية أبي عبيدة المسلمين

وقد أصابه طاعون عمواس

وكان طاعون عمواس قد عمَّ أهل الشام (سنة ١٨ هـ) ومات فيه بشرٌ كثير ،
 ومات فيه أبو عبيدة رحمه الله .

ولما طعن أبو عبيدة وهو بالأردن ، دعا المسلمين ، فلما دخلوا عليه قال :

« إِنِّي أَوْصِيكُمْ بِوَصِيَّةٍ إِنْ قَبِلْتُمُوهَا لَمْ تَزَلُوا بِخَيْرٍ مَا بَقِيتُمْ ، وَبَعْدَ مَا تَهْلِكُونَ ،
 أَفِيئُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ ، وَصُومُوا وَتَصَدَّقُوا ، وَحُجُّوا وَاعْتَمِرُوا ، وَتَوَاصَلُوا وَتَحَابَّوْا
 وَاصْدَقُوا أَمْرًاكُمْ وَلَا تَقْشُومْ ، وَلَا تُلْهِكُمُ الدُّنْيَا ، فَإِنْ أَمْرًا لَوْ عَمَرَ أَلْفَ حَوْلٍ مَا كَانَ
 لَهُ بِدٍ مِنْ أَنْ يَصِيرَ إِلَى مَضْرَعِي هَذَا الَّذِي تَرَوْنَ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ لِلْوَتِ عَلَى بَنِي آدَمَ
 فُهُمْ مَيِّتُونَ ، وَأَكْرَمُهُمْ مِنْهُمْ أَلْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ ، وَأَعْلَمُهُمْ لِيَوْمِ مَعَادِهِ » ثم قال : يَا مَعَاذُ صَلِّ
 بِالنَّاسِ ، فَصَلَّى مَعَاذَ النَّاسِ ، وَمَاتَ أَبُو عُبَيْدَةَ رحمه الله . (فتح الشام ص : ٢٤٠)

(١) التلج : الفوز والتظفر .

١٢٨ - خطبة معاذ بن جبل عند موت أبي عبيدة

فقام معاذ بن جبل في الناس فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ تَوْبَةً ، فَإِنَّ عَبْدًا أَنْ يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَائِبًا مِنْ ذَنْبِهِ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ذُنُوبَهُ ، وَمَنْ كَانَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ فَلْيَقْضِهِ ، فَإِنَّ السِّدَّ مَرَّتَيْنِ بَدِينَةٍ ، وَمَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مَصَارِمًا^(١) مَسْلًا فَلْيَلْقِهِ وَلْيَصَالِحْهُ إِذَا لَقِيَهُ وَلْيَصَالِحْهُ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَالَّذَنْبُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ ، وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ قَدْ فَجِئْتُمْ بِرَجُلٍ وَاللَّهُ مَا أَرْعَمَ أَنْيَّ رَأَيْتَ مِنْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَطُّ أَقْلَ عَمْرًا^(٢) ، وَلَا أَبْرَ صَدْرًا ، وَلَا أَبَدَ مِنَ الْغَائِلَةِ^(٣) ، وَلَا أَنْصَحَ لِلْعَامَةِ ، وَلَا أَشَدَّ عَلَيْهِمْ تَحَنُّنًا وَشَفَقَةً مِنْهُ ، فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِ ثُمَّ احْضَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَاللَّهُ لَا يَلِي عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ مِثْلُهُ أَبَدًا » .

فاجتمع النَّاسُ ، وَأَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، وَتَقَدَّمَ مَعَاذٌ فَصَلَّى عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا أَتَى بِهِ قَبْرَهُ ، دَخَلَ قَبْرَهُ مَعَاذٌ وَعَمْرُو بْنُ النَّاصِ وَالضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ ، فَلَمَّا وَضَعُوهُ فِي قَبْرِهِ وَخَرَجُوا مِنْهُ فَسَقَوْا عَلَيْهِ التُّرَابَ ، قَالَ مَعَاذُ :

١٢٩ - رثاء معاذ بن جبل لأبي عبيدة

« رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ ، فَوَاقِفٌ لِأَنْتَيْنِ عَلَيْكَ بَمَا عَلِمْتُ ، وَاللَّهُ لَا أَقُولُ بِاطْلَا ، أَخَافُ أَنْ يَلْحَقَنِي مِنَ اللَّهِ مَقَتٌ ، كُنْتُ وَاللَّهُ — مَا عَلِمْتُ — مِنَ الدَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا ، وَمِنَ الْقَدِيرِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ، وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ، وَمِنْ

الذين يبيعون ربهم سُجْدًا وقيامًا ، ومن الذين إذا انفقوا لم يُسرفوا ولم يَقْتَرُوا ، وكان بين ذلك قَرَامًا ، وكنتَ والله — ما علتُ — من المحبتين للتواضعين ، ومن الذين يرحمون اليتيم والمساكين ، ويُفيضون الخِفافَ والتكبيرين » .

ولم يكن أحدٌ من الناس كان أشدَّ جزعًا على فقد أبي عبيدة وعلى موته ولا أطول حُزنًا عليه من معاذ بن جبل .
(فروح الشام ص : ٢٤٢)

١٣٠ — ابن العاص ومعاذ والطاعون

وصلى معاذ بالناس أياها ، واشتد الطاعون ، وكثر الموت في الناس ، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص قال : أيها الناس ، إن هذا الطاعون هو الرّجز الذي عذب الله به بني إسرائيل مع الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وأمر الناس بالفرار منه ، فأخبر معاذ بقول عمرو ، فقال : ما أريد إلى ما يقول مالا علم له به ، ثم جاء معاذ حتى صعد المنبر .

فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الوباء فقال : ليس كما قال عمرو ولكنه رحمة بكم . ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ، اللهم أعط معاذًا وآل معاذ منه النصيب الأوفر .

١٣١ — وصية لمعاذ بن جبل

ثم صلى ورجع إلى منزله ، فإذا هو بابنه عبد الرحمن قد طعن ، فلم يلبث إلا قليلا حتى مات رحمه الله ، وصلى عليه معاذ ثم دفنه ، فلما رجع معاذ إلى منزله طعن ، فاشتد به وجعُه ، وجعل أصحابه يختلفون إليه ، فإذا أتاه أصحابه أقبل عليهم فقال لهم :

« اغتسلوا وأنتم في مُهلَةٍ وحياتِهِ ، وفي بَقِيَّةٍ من آجالكم من قبل أن تَمُوتُوا العمل فَلَا تَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا . وَأَنْفِقُوا مِمَّا عِنْدَكُمْ لِمَا حَذَّكُمُ بِهِ قِيلَ أَنْ تَنْهَكُوا وَتَدْعُوا ذَلِكَ كَلِمَةً مِيراثًا لِمَنْ بَعْدَكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ إِلَّا مَا أَكَلْتُمْ وَشَرَبْتُمْ وَلَيْسَتْ وَأَنْفَقْتُمْ وَأَعْطَيْتُمْ فَأَمْضَيْتُمْ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَلِلْوَارِثِينَ . » (فتوح الشام ص ٢٤٢)

١٣٢ - وصية لمعاذ بن جبل أيضا

وأَتَاهُ رَجُلٌ فِي مَرَضِهِ فَقَالَ : يَا مُعَاذُ عَلَنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَنِي ، فَلَا أُرَاكَ وَلَا تَرَانِي ، وَلَا أَجِدُ مِنْكَ خَلْفًا ، ثُمَّ كَلَّمَ أَنْ أَحْتَاجَ إِلَى سُؤَالِ النَّاسِ عَمَّا يَنْفَعُنِي بِعَدِّكَ ، فَلَا أَجِدُ فِيهِمْ مِثْلَكَ ، فَقَالَ مُعَاذٌ : كَلَّا إِنَّ صَلَاحَاءَ الْمُسْلِمِينَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - كَثِيرٌ ، وَلَنْ يُضَيِّحَ اللَّهُ أَهْلَ هَذَا الدِّينِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :

« خُذْ عَنِّي مَا أَمُرُّكَ ، كُنْ مِنَ الصَّائِمِينَ بِالنَّهَارِ ، وَمِنَ الْمُصَلِّينَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، وَمِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ، وَمِنَ الْقَادِرِينَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ كَثِيرًا ، وَلَا تَشْرَبِ الْخَمْرَ ، وَلَا تَزْنِ ، وَلَا تَقُتْ وَالِدَيْكَ ، وَلَا تَأْكُلْ مَالَ الْيَتِيمِ ، وَلَا تُفَرِّقَ مِنَ الرَّحْفِ ، وَلَا تَأْكُلْ الرِّبَا ، وَلَا تَدْعَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ ، وَلَا تُضَيِّعَ الزَّكَاةَ الْمَقْرُوضَةَ ، وَصِلْ رَحِمَكَ وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ، وَلَا تَقْلُمِ مُسْلِمًا ، وَحُجَّجٌ وَاعْتَبِرْ وَجَاهِدْ ، ثُمَّ أَنَا لَكَ زَعِيمٌ بِالْجَنَّةِ . » (فتوح الشام ص ٢٤٤)

وَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَقَدْ اسْتَخْلَفَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَصَلَّى عَلَيْهِ عَمْرُو .

فَلَمَّا دَفَنَهُ قَالَ :

« رَحِمَكَ اللَّهُ يَا مُعَاذُ ، فَقَدْ كُنْتَ - مَا عَلِمْنَاكَ - مِنْ نُسَحَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَمِنْ خِيَارِهِمْ وَأَعْلَامِهِمْ ، ثُمَّ كُنْتَ مُؤَدِّبًا لِلْجَاهِلِ ، شَدِيدًا عَلَى الْفَاجِرِ ، رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ ، وَإِيمًا بِاللَّهِ لَا يُسْتَخْلَفُ مِنْ بَعْدِكَ مِثْلَكَ . » (فتوح الشام ص ٢٤٥)

ولما انتهى إلى عمر رضى الله عنه ذلك أبي مبيدة وهلاك مماذ فرق عماله على كور الشام ، فبث مبد الله ابن قرط على حصن ثم عزله وولى ميادة بن الصامت الأنصارى ، واستعمل على دمشق أبا الدرداء الأنصارى وكتب إلى يزيد بن أبي سفيان أن يسير إلى قيسارية .

١٣٣ - خطبة عبادة بن الصامت

فلما قدم عبادة على أهل حمص قام في الناس خطيبا .

حمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد ، ألا إن الدنيا عرض حاضر ، يأكلُ منه البرّ والقاجر ، ألا وإن الآخرة وعدٌ صادقٌ يحكم فيه ملكٌ قادرٌ ، ألا وإنكم معروضون على أعمالكم ، فمن يعمل مثقالَ ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقالَ ذرة شرا يره ، ألا وإن الدنيا بينين وللآخرة بينين ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن كل أمة ينتهبها بنوها يوم القيامة » .
(نوح الشام ص ٢٤٨)

١٣٤ - خطبة شداد بن أوس

ثم قال لشداد بن أوس قم يا شداد فسط الناس وكان شداد مغواها ، قد أعطى لساناً وحكمةً وفضلاً وبياناً ، فقام شداد فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد ، أيها الناس راجعوا كتاب الله وإن تركه كثير من الناس ، فإنكم لم تروا من الخير إلا أسبابه ، ولا من الشر إلا أسبابه ، وإن الله جمع الخير كله بمحذافيره فجهل في الجنة ، وجمع الشر بمحذافيره فجعله في النار ، ألا وإن الجنة وعرة حرة ، ألا وإن النار سهلة ليثة ، ألا وإن الجنة حفت بالكثرة والصبر ، ألا وإن النار حفت

بالمهوى والشهوة ، ألا فن كشف حجاب الكثرة والصبر أشقى على الجنة ، ومن أشقى على الجنة كان من أهلها ، ألا ومن كشف حجاب المهوى والشهوة أشقى على النار ، وكان من أهلها ، فاعملوا بالحق تنزلوا منازل أهل الحق يوم لا يُقضى إلا بالحق » .
(نصح الشام ص ٢٤٩)

١٣٥ - خطبة أبي الدرداء

وقام أبو الدرداء في أهل دمشق خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد ، يا أهل دمشق اسموا مقالة أخ لكم ناصح ، فما بالكم تجمعون مالا تأكلون ، وتبنون مالا تسكنون ، وتأملون مالا تدركون ؟ وقد كان من كان قبلكم جمعوا كثيراً ، وبنوا شديداً ، وأملوا بعيداً ، وماتوا قريباً ، فأصبحت أعمالهم بُوراً ، ومساكنهم قُبوراً ، وأملهم غُروراً ، ألا وإن عاداً وثموداً كانوا قد ملئوا ما بين بصرى وعدن أموالاً وأولاداً ونساءً ، فن يشتري منى ما تركوا بدرهمين ؟ » .
(نصح الشام ص ٢٥٠)

١٣٦ - خطبة يزيد بن أبي سفيان

وسار يزيد بن أبي سفيان إلى قيسارية فقام في جنده فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد : فإن كتاب أمير المؤمنين عمر المبارك الفاروق أتاني يحثني على السير إلى قيسارية ، وأن أدعوم إلى الإسلام ، وأن يدخلوا فيما دخل فيه أهل الكور من

أهل الشام ، فيؤذوا الجزية عن يديهم وصغارون ، فإن أبوا نزلت عليهم فلم أزالهم
حتى أقتل مقاتلتهم وأسبي ذراريهم ، فسيروا ، رحمكم الله ، إليهم فإني أرجو أن يجمع الله لكم
الغنمة في الدنيا والآخرة .
(فتح الشام ص ٢٥١)

١٣٧ - وصية العباس بن عبد المطلب (المتوفى سنة ٥٣٢ هـ)

لابنه عبد الله

قال عبد الله بن عباس : قال لي أبي :

يا بُنَيَّ ، إني أرى أمير المؤمنين - يعني عمر بن الخطاب - قد اختصك دون من ترى
من المهاجرين والأنصار ، وإني موصيك بخلال أربع : لا يجرِّبنَّ عليك كذباً ،
ولا تفتنَّينَّ عنده مسلماً ، ولا تُفشينَّ له سراً ، ولا تطلعوا عنه نصيحة ، قال : قلت يا أبا .
كل واحد منها خير من ألف ، فقال : كل واحد منها خير من عشرة آلاف .

(تهذيب الكامل ١ : ١٥ والمقد الفريد ١ : ١١)

١٣٨ - وصية عمر للخليفة من بعده

وأوصى عمر الخليفة من بعده . ، فقال :

« أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً ، أن تعرف
لهم سابقتهم ، وأوصيك بالأنصار خيراً ، فأقبل من محبتهم ، وتجاوز عن مسيئتهم ،
وأوصيك بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم رذء العدو ، وجبابة القوم ، لا تحمل فيهم ، إلا عن
فضل منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيراً ، فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام ، أن
تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم ، فتدَّ على قرائهم ، وأوصيك بأهل القدمة خيراً ، أن

تقاتل من ورانهم ، ولا تكلفهم فوق طاقتهم ، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً ، أو من
يَدِّهم صاغرون ، وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ، ومحافة مقتته ، أن يطَّلع منك
على ريبة ، وأوصيك أن تخشى الله في الناس ، وتخشى الناس في الله ، وأوصيك بالعدل
في الرعية ، والتفرغ لخوانجهم وتغورهم ، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم ، فإن ذلك ياذن الله
سلامة لقلبك ، وحطَّ لوزرك ، وخير في عافية أمرك ، حتى تُنْفِىَ من ذلك إلى من
يعرف سريرتك ، ويحول بينك وبين قلبك ، وأمرك أن تشتد في أمر الله ، وفي حدوده
ومعاصيه ، على قريب الناس وبيدكم ، ثم لا تأخذك في أحد رَأْفَةً حتى تنتهك منه ،
مثل ما انتهك من حرمة الله ، واجل الناس عندك سواء ، لا تبالي على من وجب الحق ، ثم
لا تأخذك في الله لومة لائم ، وإياك والأثرة والحباية فيما ولَّك الله ، بما آفاه الله على المؤمنين ،
فنجور وتظلم ، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك ، وقد أصبحت بمنزلة من منازل
الدنيا والآخرة ، وأنت إلى الآخرة جد قريب فإن اقتربت لديناك عدلاً وعفة عما بسط الله لك ،
اقتربت به إيماناً ورضواناً ، وإن غلبك الهوى ، اقتربت به سخط الله ، وأوصيك ألا ترخص
لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة ، وقد أوصيتك وحضضتك ونصحتك ، فابتغِ بذلك
وَجْهَ الله والدار الآخرة ، واخترت من دلائلك ما كُنْتُ دالاً عليه نفسي وولدي ، فإن
عملت بالذي وعظمتك ، وانتهيت إلى الذي أمرتك ، أخذت به نصيباً وافراً ، وحظاً وافياً ،
وإن لم تقبل ذلك ، ولم يَهْمَك ، ولم تُنْزِلْ معاذم الأمور عند الذي يرضى الله به عنك ،
يكن ذلك بك انتقاصاً ، ورأيك فيه مدخولاً ، لأن الأهواء مُشْتَرِكَةٌ ، ورأس كل خطيئة
إبليس ، وهو داع إلى كل هَلَكَةٍ ، وقد أضلَّ القرون السالفة قبلك ، فأوردتهم النار ،
وليس الثمن أن يكون حظُّ امرئ موالاةً عدوِّ الله الداعي إلى معاصيه ، ثم اركب الحق
وحُضْ إلى القمرات ، وكن واعظاً لنفسك ، أنشدك الله كما ترَّسخت على جماعة السليين ،
فأجلت كبيرهم ، ورحمت صغيرهم ، ووقرت عالمهم ، ولا تضربهم فيذُلُّوا ، ولا تستأثر

عليهم بالنى . فتبعضهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محملها فتفقروهم ، ولا تجترهم^(١)
في البعوث ، فتقطع نسلهم ، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك
دونهم ، فيأكل قوتهم ضعيفهم . هذه وصيتي إياك ، وأشهد الله عليك ، وأقرأ
عليك السلام . (شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٩٦ والبيان والتبيين ٢ : ٢٢ و تاريخ الطبري ٥ : ١٣)

وفي رواية الطبري :

قال : « وأوصى الخليفة من بعدى بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان أن يحسن
إلى محبيهم ، وأن يغفروا عن سيئهم ، وأوصى الخليفة من بعدى بالعرب ، فإنها مادة
الإسلام ، أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في قرائتهم ، وأوصى الخليفة من بعدى
بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يوفى لهم بهدمهم ، اللهم هل بلغت ؟
تركت الخليفة من بعدى على أئني من الراحة » .

(١) جهر الجوش : حبسهم في أرض العدو ولم يقتلهم .

خطب يوم الشورى

بعد دفن عمر اجتمع أهل الشورى ، وهم : عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ،
وعلى بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله
- وكان طلحة غائباً - فبدأ عبد الرحمن بن عوف بالكلام ، فقال :

١٣٩ - خطبة عبد الرحمن بن عوف

« يا هؤلاء ، إن عندى رأياً ، وإن لكم نظراً ، فاسمعوا تملؤا ، وأجيبوا تفقهوا ،
فإن حايياً^(١) خير من زاهق^(٢) ، وإن جِرْعة من شراب^(٣) بارد ، أنفع من عذب
مُوب^(٤) ، أنتم أئمة يُهتدى بكم ، وعلماء يُصدّر^(٥) إليكم ، فلا تفلؤا المُلدى بالاختلاف
بينكم ، ولا تُغمدوا السيوف عن أعدائكم ، فتوترُوا^(٦) تَارَكَم ، وتَوَلَّتُوا^(٧) أعمالكم ،
لكلُّ أجل كتاب ، ولكلُّ بيت إمام ، بأمره يقومون ، وبنييه يَرِغُونَ^(٨) ، قَلَدُوا
أمركم واحداً منكم ، تمشوا المويِّف ، وتَلَحَّصُوا العُلم ، لولا فتنة عُمياء ، وضلالة حيراء ،
يقول أهلها ما يرون ، وتَحْلُمُهم الحبْو كَرَى^(٩) ، ما عَدَّت نيائكم معرفتكم ، ولا أعمالكم

-
- (١) الحايي من السهام : ما يزحف إلى الهدف . (٢) السهم الزاهق : ما جاوز الهدف .
(٣) الشراب والشريب والشروب : ما يشرب . (٤) أصله موي ، سهل من موي .
(٥) يرجع . (٦) قال في اللسان : « قال الأزهري : هو من الوتر (الثَّار) يقال : وترت فلانا
إذا أصبت بوتره ، وأوترته أوجنته ذلك (أى أنظفرت به ، أوجنت فلانا مطلقه أى أنظفرت به) قال : والثَّار
هاهنا المَعْد لأنه مَوْضِع الثَّار ، والمعنى لا توجدوا عدوكم الوتر في أنفسكم » .
(٧) أنه حقه يأته وآلته : نقصه . (٨) ورج برح : كورث يرث من الورع ، وهو التقوى .
(٩) رمل يفضل فيه السالك ، والنداية .

نيانكم ، احذروا نصيحة الموى ، ولسان القرقة ، فإن الحيلة فى المنطق أبلغ من السيوف فى الكلام ، علّقوا أمركم رَحْب الفراع فيما حلّ ، مأمون التيب فيما نزل ، رِضًا منكم وكلكم رضا ، ومُقْتَرَعًا^(١) منكم وكلكم منتَهَى ، لاتطيعوا مُفسدا يتنصّح^(٢) ، ولا تخالفوا مرشدا ينقصر ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم :

ثم تكلم عثمان بن عفان ، فقال :

١٤٠ — خطبة عثمان بن عفان

« الحمد لله الذى اتخذ عمداً نبياً ، وبشّه رسولا ، صدّقه وعدّه ، ووهب له نصره على كل من بدّدَ نَسَبًا ، أو قرّبَ رَحِمًا صلى الله عليه وسلم ، جعلنا الله له تابعين ، وبأمره مُهْتَدِينَ ، فهو لنا نور ، ونحن بأمره قوم عند تفرّق الأهواء ، ومجادلة الأعداء ، جعلنا الله بفضلّه أئمة ، وبطاعته أمراء ، لا يَخْمُجُ أمرنا منا ، ولا يَدْخُلُ علينا غيرنا ، إلا من سَفَه الحقّ ، ونكّل من القصد ، وأخربها يابن عوف أن تُتْرَكَ ، وأجدر بها أن تكون ، إن خولف أمرُك ، وتُتْرِكَ دعاؤُك ، فأنا أوّل مجيب لك ، وداع إليك ، وكفيل بما أقول زعيم ، وأستغفر الله لى ولكم . »

ثم تكلم الزبير بن العوام بعده فقال :

١٤١ — خطبة الزبير بن العوام

« أما بعد : فإن داعى الله لا يُجْهَلُ ، وبجيبه لا يُخْذَلُ ، عند تفرّق الاهواء ، ولّى الأعتاق ، ولن يقصر عما قلت إلا غوى ، ولن يترك ما دعوت إليه إلا شقى ، لولا حدود الله فرضت ، وفرائض الله حدّت ، تُرّاح^(٣) على أهلها ، ونجيا لا تموت ، لكان

(١) مختاراً . (٢) تنصح : تشبه بالصحاء . (٣) أراح حقه عليه : رده عليه .

الموت من الإمارة نجاةً ، والفرار من الولاية عصاةً ، ولكن الله علينا إجابة الدعوة ، وإظهار السنة ، لثلاث موت ميتة عجمية^(١) ، ولا نحمي عني الجاهلية ، فأنا مجيبك إلى ما دعوت ، ومعينك على ما أمرت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، واستغفر الله لي ولكم .

١٤٢ - خطبة سعد بن أبي وقاص

ثم تكلم سعد بن أبي وقاص فقال :

« الحمد لله بديناً^(٢) كان ، وآخرًا يعود ، أحدهم لما تنجاني من الضلالة ، وبصرني من الفجوة ، فبهدي الله فاز من نجا ، وبرحته أفلح من زكا ، وبمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أنارت الطرق ، واستقامت السبل ، وظهر كل حق ، ومات كل باطل ، إياكم أيها النفر وقول الزور ، وأمنية أهل الغرور ، فقد سلبت الأمان قوماً قبلكم ، ورثوا ما ورثتم ، ونالوا ما نالتم ، فأنخذم الله عدوا ، ولنهم لنا كبيراً ، قال الله عز وجل : (لِمَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) إني نسكبت^(٣) قرني ، فأخذت سهي الفالج^(٤) ، وأخذت لطلحة ابن عبيد الله ما ارتضيت لنفسى ، فأنا به كفيل ، وبما أعطيت عنه زعيم ، والأمر إليك يا بن هوف بجهد النفس ، وقصد النصح ، وعلى الله قصد السبيل ، وإليه الرجوع ، واستغفر الله لي ولكم ، وأعوذ بالله من مخالفتكم . »

(١) العمية : الكبير أو الضلال .

(٢) البدي : الأول . (٣) أنكبت : الطرح . والقرن : الجبهة . (٤) الفالج : الطائر .

١٤٣ - خطبة علي بن أبي طالب

ثم تكلم علي بن أبي طالب فقال :

« الحمد لله الذي بعث محمداً منا نبياً ، وبعثه إلينا رسولا ، فنعن بيت النبوة ، ومعزدين
الحسنة ، وأمان أهل الأرض ، ونجاة لمن طُلب ، لنا حق إن نُعطه نأخذه ، وإن نُمنعه
تركب أعجاز الإبل ، ولو طال السرى ، لو عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً
لأنفذنا عهده ، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت ، لن يسرع أحد قبلى إلى دعوة
حق ، وصلة رحم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اسمعوا كلامي ، وعُوا منطقي ، عسى أن
تروا هذا الأمر من بعد هذا الجمع ، تُنتَصَى^(١) فيه السيوف ، وتُخَان فيه اليهود ، حتى
تكونوا جماعة ، ويكون بضعكم آئمة لأهل الضلالة ، وشيعة لأهل الجمالة ، ثم أنشأ يقول :

فإن تك جاسم^(٢) هلكت فإنى بما فعلت بنو عبد بن ضخم

مطيع في المواجر كل عى بصير بالنوى من كل نجم

(تاريخ الطبرى ٥ : ٣٨ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٣٦)

خطب عثمان بن عفان

رضى الله عنه

١٤٤ - خطبته حين بايعه أهل الشورى

روى الطبري قال : « لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدم كآبة ، فأتى
مِنير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي
صلى الله عليه وسلم ، وقال :

« إنكم في دار قُلعة^(١) ، وفي بقية أعمار ، فبادِرُوا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ،
فلقد أُتِيتُمْ ، صُبِّحْتُمْ أَوْ مَسَيْتُمْ ، ألا وإن الدنيا طُوبِتْ على النور ، فلا تَتَرَكَمُ الحياة
الدنيا ، ولا يَبْرُكْ نِعَمُ اللَّهِ الْغُرُورُ ، اعتبروا بمن مضى ثم جِدُوا ولا تَقْفَلُوا ، فإنه لَا يُفْقَلُ
عنكم ، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين آثروها وعَمَرُوها ، ومُتَمَّوْا بها طويلا ، ألم
تَلْفِظْهُمْ ؟ أَرْتُمُوا بالدنيا حيث رَمَى الله بها ، واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلا ،
والذي هو خير ، فقال عز وجل : (وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ
السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ، الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ
رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) وأقبل الناس يبایعونه . »

(تاريخ الطبري : ٥ : ٤٣)

(١) أى انقلع ، ومنزلنا منزل قلعۃ « بتسكين اللام وضمتها ونقصها » أى ليس بمستوطن ، أو لامتلكه ،
أو لاندري متى تتحول منه .

١٤٥ - خطبته بعد البيعة

وقال أيضاً : خطب عثمان الناس بعد ما بويع ، فقال :

« أما بعد ، فإنني قد سُمِّلتُ وقد قَبِلْتُ ، ألا وإنني متَّبِعٌ ، ولست بمبتدِع ، ألا وإن لكم عليّ بعد كتاب الله عزّ وجل ، وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثاً : اتَّباع من كان قبلي فيما اجتمع عليه وسننهم ، وسنّ سنّة أهل الخَيْر فيما لم يَسْتَوْا عن ملأ ، وَالْكَفّ عَنْكُمْ إِلَّا فيما استوجبتم . ألا وإنّ الدنيا خَصِرَةٌ قد شَهَّيت إلى الناس ، ومال إليها كثير منهم ، فلا تَرَكُوا إلى الدنيا ، ولا تَتَّبِعُوا بها ، فإنها ليست بنقّة ، واهلوا أنها غير تاركة إلا من تركها . »
(تاريخ الطبري ٥ : ١٤٩)

١٤٦ - خطبة أخرى

وقال ابن قتيبة : لما ولي عثمان صعد المنبر ، فجلس على ذروته ، فرماه الناس بأبصارهم ، فقال :

« إن أول مرّكَب صعب ، وإن مع اليوم أليماً ، وما كنا خطباء ، وإن نَمَشْ لَكُمْ تَأْتِيَكُمْ انْطَلَبَةٌ على وجهها إن شاء الله تعالى . »

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٥ ، والمقدّم الفريد ٢ : ١٣٣)

١٤٧ - خطبة لعثمان

وبعث عثمان بدء الفتنة إلى عمال الأمصار فقدموا عليه ، فقال : ويحكم ، ما هذه الشكاية وما هذه الإذاعة ؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدّوقا عليكم ، وما يمُصَّب هذا إلا بي ، ثم قال : أشيروا عليّ ، فأشار عليه كلُّ بما يراه .

وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« كل ما أشرتم به على قد سمعت ، ولكل أمر باب يؤتى منه ! إن هذا الأمر الذى يخاف على هذه الأمة كائن ، وإن باب الذى يُتعلق عليه فيكفكف به العين والمؤاناة والمتابعة إلا فى حدود الله تعالى ذكره ، التى لا يستطيع أحد أن يبادى بسبب أحدها ، فإن سده شيء فرقى ، فذاك والله ليُفتحن ، وليست لأحد على حجة حق ، وقد علم الله أنى لم آل الناس خيرا ولا نفسى ، والله إن رحى الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان إن مات ولم يجر كها ، كفكفوا الناس وهبوا لهم حقوقهم ، واغفرُوا لهم ، وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تُدهنوا فيها . »
(تاريخ الطبرى ٥ : ١٠٠)

١٤٨ - خطبة عثمان

ولما حدثت الأحداث بالمدينة خرج منها رجال إلى الأمصار ، ثم رجعوا جميعا إلى المدينة إلا من كان بالشام ، فأخبروا عثمان بخبرهم ، فقام عثمان فى الناس خطيباً فقال :

« يا أهل المدينة ، أنتم أصل الإسلام ، وإنما يفسد الناس بفسادكم ، ويصلحون بصلاحكم ، والله والله والله لا ييلفتنى عن أحدٍ منكم حدث أحدثته إلا سيرته ، ألا فلا أعرفن أحدا عرض دون أولئك بكلام ولا طلب ، فإن من كان قبلكم كانت تُقطع أعضاؤهم دون أن يتكلم أحد منهم بما عليه ولا له . »

وأيتم الله لأخذن العفو من أخلاقكم ولأبدلنن لكم من خلقى ، وقد دنت أمور ، ولا أحب أن تحمل بنا وبكم ، وأنا على وجل وحذر ، فاحذروا واعتبروا . »

(تاريخ الطبرى ٥ : ١٢٥)

١٤١ - خطبته حين نقم عليه الناس

وخطب عثمان حين نقم عليه الناس ما قدموا فقال :

« أما بعد : فإن لكل شيء آفة ؛ وإن لكل نعمة عاة ، وإن آفة هذه الأمة ، وعاة هذه النعمة ، عَيَّابُونَ غُلَّتَانُونَ ، يُظْهِرُونَ لَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ، وَيُخْفُونَ مَا تَكْرَهُونَ ، يقولون لكم وتقولون ، طَعَامٌ ^(١) مثل النعام ، يَتَّبِعُونَ أَوَّلَ نَائِقٍ ، أَحَبُّ مَوَارِدِهِمْ إِلَيْهِمُ النَّازِحُ ^(٢) ، لَا يَشْرِبُونَ إِلَّا نَقَصًا ^(٣) ، وَلَا يَرُدُّونَ إِلَّا عَسْكَرًا ، لَا يَقُومُ لَهُمْ رَائِدٌ ، وَقَدْ أَعْيَتْهُمُ الْأُمُورُ ، وَتَعَذَّرَتْ عَلَيْهِمُ الْمَكَاسِبُ .

لقد أفرتم لابن الخطاب بأكثر مما نَقِمْتُمْ عَلَيَّ ، ولكنه وطئكم برجله ، وضربكم بيده ، وَوَقَمَكُمْ وَقَعَكُمْ ^(٤) وزجركم زجر النعام الخزيمة ^(٥) ، فَدَيْتُمْ لَهُ عَلَى مَا أَحْبَبْتُمْ أَوْ كَرِهْتُمْ ، وَلَيْتَ لَكُمْ وَأَوْطَأَتْ لَكُمْ كُنْفِي ، وَكَفَفَتْ يَدِي وَلِسَانِي عَنْكُمْ ، فَاجْتَرَأْتُمْ عَلَيَّ .

أما والله إني لأقرب الناس منكم ، وأعز نفرا ، وأكثر عدداً ، وأقنن - إن قلت لهم - أن تجاب دعوتي من عمر .

ولقد أعددت لكم أقرانكم ، وأفضلت عليكم فضولا ، وكشرت لكم عن نأبي ، وأخرجت مني خلقاً لم أكن أحسنه ، ومنطقاً لم أنطق به .

(١) أوغاد الناس ، الواحد والجمع فيه سواء ، أو واحد كسحابية . (٢) المورد النازح : الذي نزح ماءؤه ، أي غاض وقل أو بعد . (٣) نقص البعير كفرح : لم يتم شربه . (٤) وقم الدابة جلب عتاتها ، ووقه قهره وأذله أو رده أتيح للرد وحزنه أشد الحزن وقعه : ضربه بالمقمة وقهره وأذله . (٥) خزم البعير : جعل في جانب منخره الخزمة ، والطير كلها مخزومة وخزمة لأن وتيرات أنوفها مخزومة ؛ وكذا النعام .

فكفوا عليكم أنفسكم ووطنكم ، وعيكم على ولائكم ، فإنى قد كففتُ عنكم من
لو كان هو الذى يكلمكم لرَضِيتُ منه بدون منطقي هذا .

أَلَا فَا تَفْقَدُونَ مِنْ حَقِّكُمْ ؟ فَوَاللَّهِ مَا قَصُرْتُ فِي بُلُوغِ مَا كَانَ يَبْلُغُ مِنْ كَانَ قَبْلِي ،
وَمَنْ لَمْ تَكُونُوا تَخْتَلِفُونَ عَلَيْهِ ، فَضَلَ فَضْلٌ مِنْ مَالِي ، فَالَى لَا أَصْنَعُ فِي الْفَضْلِ مَا أُرِيدُ ؟
إِذَنْ فَلَمْ كُنْتُ إِمَامًا ؟ . (تاريخ الطبرى ٥ : ٩٧ وإيجاز القرآن ص ١١٨ ،
وصحح الأمشى ١ : ٢١٤ والبيان والتبيين ١ : ٢٠٠) .

١٥٠ — خطبته التى نزع فيها ، وأعطى الناس من نفسه التوبة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أَمَا بَعْدَ أَيُّهَا النَّاسُ : فَوَاللَّهِ مَا عَابَ مِنْ عَابِ مِنْكُمْ شَيْئًا أَجْهَلُ ، وَمَا جِئْتُ شَيْئًا
إِلَّا وَأَنَا أَعْرَفُهُ ، وَلَكِنِّي مَنَّتُ نَفْسِي وَكَذَّبْتُ نَفْسِي ، وَصَلَّيْتُ عَلَى رَشْدِي ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ زَلَّ فَلْيَتُوبْ ، وَمَنْ أخطَأَ فَلْيَتُوبْ ، وَلَا يَتَبَادَى
فِي الْمَلَكَةِ ، إِنَّ مَنْ تَمَادَى فِي الْجَوْرِ ، كَانَ أَبْعَدَ مِنَ الطَّرِيقِ » فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ انْصَبَ ،
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بِمَا فَعَلْتُ . وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، فَتَلَى نَزَعَ وَتَابَ ، فَإِذَا نَزَلَتْ فَلْيَأْتِنِي أَشْرَافُكُمْ ،
فَلْيُرُونِي رَأْيَهُمْ ، فَوَاللَّهِ لَنْ رَدَّتْ الْحَقَّ عَبْدًا لَأَسْتَتِنَ بِسَنَةِ الْعَبْدِ ، وَلَا أَذِلَّ ذُلَّ الْعَبْدِ ،
وَلَا كُونَنَّ كَالْمُرْقُوقِ ، إِنْ مَلَكَ صَبْرٌ ، وَإِنْ هُتِيَ شُكْرٌ ، وَمَا عَنِ اللَّهِ مَذْهَبٌ إِلَّا إِلَيْهِ ،
فَلَا يَمْتَحِرَنَّ عَنْكُمْ خِيَارُكُمْ أَنْ يَدْنُوا إِلَيَّ ، لَنْ أَبْتَ يَمِينِي لَتَأْتِيَنِي شِمَالِي .

(تاريخ الطبرى ٥ : ١١١ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ٨٠)

١٥١ - خطبته في الرد على الثوار

وقال يرد على الثوار :

« الحمد لله ، أحمده ، وأسئله ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ؛ أما بعد : فإنكم لم تسدلوا في النطق ، ولم تُنصِفُوا في القضاء ، أما قولكم تخلع نفسك ، فلا أنزع قيصاً قمصتيه الله عز وجل ، وأكرمني به ، وخصني به على غيره ، ولكني أتوب وأنزع ، ولا أعود لشيء عابه المسلمون ، فإني والله الفقير إلى الله ، الخائف منه » .

قالوا : إن هذا لو كان أول حدث أحدثته ثم ثبت منه ، ولم يُقَمَّ عليه ، لكان علينا أن نقبل منك ، وأن ننصرف عنك . . . إلى آخر ما قالوا .

قال عثمان : « أما أن أتبرا من الإمامة ، فإن تصلبوني أحب إلي من أن أتبرا من أمر الله عز وجل وخلافته ، وأما قولكم قتاتلون من دوني ، فإني لا أمرُ أحداً بقتالكم ، فن قاتل دوني فإنما قاتل بغير أمري ، ولمرى لو كنت أريد قتالكم ، لقد كنت كتبت إلى الأجناد ، فقادوا الجنود ، وبشوا الرجال ، أولحقت ببعض أطراف بصر أو عراق ، فأفقه الله في أنفسكم ، فأبقوا عليها ، إن لم تبقوا على » ، فإنكم مجلبون بهذا الأمر إن قتلتوني دماً » فانصرفوا عنه ، وآذنوه بالحرب .

١٥٢ - خطبته وقد اشتد عليه الحصار

ولما اشتد الحصار عليه أرسل إلى عليّ وطلحة والزبير فحضروا ، فأشرف عليهم ، فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : اجلسوا ، فجلسوا : المحاربُ والسلامُ ، فقال لم يَأْهَلْ لِلدِّينَةِ ، أَسْتَوْدِعُكُمْ اللَّهَ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَحْصِنَ عَلَيْكُمْ الْخِلَافَةَ مِنْ بَدْيٍ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَمْلِكُونَ أَنْكُمْ دَعَوْتُمْ اللَّهَ عِنْدَ مَصَابِ عَمْرٍو أَنْ يَخْتَارَ لَكُمْ ، وَيَجْعَلَ لَكُمْ خَيْرًا ؟ أَتَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْتَجِبْ لَكُمْ ، وَهَتَمَ عَلَيْهِ ، وَأَنْتُمْ أَهْلُ حَقِّهِ ؟ أَمْ تَقُولُونَ هَانَ عَلَى اللَّهِ دِينُهُ ، فَلَمْ يَبَالِ مَنْ وَلِيَ ، وَالَّذِينَ لَمْ يَتَفَرَّقْ أَهْلُهُ يَوْمَئِذٍ ؟ أَمْ تَقُولُونَ لَمْ يَكُنْ أَخْذٌ عَنْ مَشُورَةٍ ، إِنَّمَا كَانَ مَكَايَرَةً ، فَوَكَّلَ اللَّهُ الْأُمَّةَ إِذْ عَصَتْهُ ، وَلَمْ يَشَاوِرُوا فِي الْإِمَامَةِ ، أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْلَمْ عَاقِبَةَ أَمْرِي ؟ أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ أَتَمْلِكُونَ لِي مِنْ سَابِقَةِ خَيْرٍ ، وَقَدَّمَ خَيْرٍ ، قَدَّمَ اللَّهُ لِي يَحِقُّ عَلَى كُلِّ مَنْ جَاءَ بَدْيٌ أَنْ يَعْرِفُوا لِي فَضْلَهَا ؟ فَهَلَا لَا تَقْتُلُونِي ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ إِلَّا قَتْلُ ثَلَاثَةٍ : رَجُلٍ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ ، أَوْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ ، أَوْ قَتَلَ نَفْسًا بَغِيرِ حَقِّ ، فَإِنْ كُمْ إِذَا قَتَلْتُمُونِي وَضَعْتُمُ السَّيْفَ عَلَى رِقَابِكُمْ ، ثُمَّ لَمْ يَرْفَعْ اللَّهُ عَنْكُمْ الْاِخْتِلَافَ أَبَدًا » .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٣ : ٨٤)

١٥٣ - آخر خطبة خطبها عثمان

« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ الدُّنْيَا لِتَطْلُبُوا بِهَا الْآخِرَةَ ، وَلَمْ يُعْطِكُمْهَا لِتَرْتَكُنُوا إِلَيْهَا ، إِنَّ الدُّنْيَا تَفْنَى وَالْآخِرَةُ تَبْقَى ، فَلَا تَبْطِرَنَّكُمْ الْفَانِيَّةُ ، وَلَا تَشْغَلَنَّكُمْ عَنِ الْبَاقِيَّةِ ، فَاتَّبِعُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى ، فَإِنَّ الدِّينَ مُنْقَطِعَةٌ ، وَإِنْ الْمَصِيرُ إِلَى اللَّهِ ، اتَّقُوا اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ ،

فإن تقواه جنة من بأمره ، ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الفير ، والزموا جماعتكم ، لا تصيروا أحراباً ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتكم بنعمته إخواناً » .
(تاريخ الطبري ٥ : ١٢٦ ، ١٤٩)

١٥٤ - خطبة الوليد بن عقبة

قال الطبري :

لما أصاب الوليد بن عقبة حاجته من أرمينية (سنة ٥٢٤ هـ) - وكان أهلها قد منعوا ما صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر - ودخل الموصل فنزل المدينة ، أتاه كتاب من عثمان رضى الله عنه :

« أما بعد فإن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين يجمع عظمية ، وقد رأيت أن يُمدم إخوانهم من أهل الكوفة ، فإذا أتاك كتابي هذا قابض رجلا ممن ترضى نجاته وبأسه وشجاعته وإسلامه ، في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف ، من المكان الذي يأتيك فيه رسولي والسلام » .

فقام الوليد في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد : أيها الناس فإن الله قد أهلك المسلمين في هذا الوجه بلاء حسنا فرد عليهم بلادهم التي كفرت ، وفتح بلادا لم تكن قُصحت ، وردهم سالين غانمين مأجورين ، فالحمد لله رب العالمين .

وقد كتب إلى أمير المؤمنين يأمرني أن أندب منكم ما بين العشرة الآلاف إلى الثمانية الآلاف تمدون إخوانكم من أهل الشام ، فإنهم قد جاشت عليهم الروم ، وفي ذلك الأجر العظيم ، والفضل اللين ، فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة الباهلي » -

(تاريخ الطبري ٥ : ٤٦)

فانتدب الناس

١٥٥ — خطبة سعيد بن العاص حين قدم الكوفة واليا عليها

عزل عثمان رضى الله عنه الوليد بن عقبة بن أبي مُصيط من إمارة الكوفة ، وكان قد اتهم بشرب الخمر وولى مكانه سعيد بن العاص سنة ٤٣٠ هـ ، فلما قدم الكوفة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« والله لقد بُيئت إليكم وإني لكاره ، ولكنى لم أجِد بداً إذ أمرت أني أُنتَصِر ، ألا إن الفتنة قد أطلمت خُطُماً^(١) وعينها ، والله لأضربنَّ وجهها حتى أقمها أو تُشَيِّبني^(٢) ، وإني لأرأى^(٣) نفسى اليوم » ثم نزل (تاريخ الطبري ٥ : ١٢)

١٥٦ — خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية^(٤)

قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفان بفتح إفريقية ، فأخبره مشافهة ، وقص عليه كيف كانت الواقعة ، فأعجب عثمان ما سمع منه ، فقال له : أتقوم بمثل هذا الكلام على الناس ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أهيب لك منى لهم ، فقام عثمان في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس : إن الله قد فزع عليكم إفريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله ، وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر ، فقام خطيباً — وكان أول من خطب إلى جانب المنبر — فقال :

« الحمد لله الذى ألف بين قلوبنا ، وجعلنا متحابين بعد البُغْضَةِ ، الذى لا يُجْعِدُ كُفْرَهُ ، ولا يزول ملكه ، له الحمد كما حَمِدَ نفسه ، وكما هو أهله ، انتخب عمداً صلى الله

(١) الخطم : جمع خطم ، وهو ما وضع في أنف البعير ليقاد به ، والمراد ظهورها ونشوبها .

(٢) أى تصيرنى . (٣) الردود : العطب .

(٤) قصتها عبد الله بن سعد بن أبي مروح سنة ٢٦ هـ ، وأحمد عثمان بجيش يراه عبد الله بن الزبير .

عليه وسلم ، فاختاره بعله ، وَأَتَمَّتْهُ عَلَى وَجْهِهِ ، واختار له من الناس أعوانا ، قذف في قلوبهم تصديقه ومحبتة ، فَأَمَتُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ ^(١) وَوَقَّرُوهُ ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، فاستشهد ^(٢) الله منهم من استشهد على النهج الواضح ، والبيع الراجح ، وبقي منهم من بقي ، لا تأخذهم في الله لومة لائم .

أيها الناس : رحمكم الله إنا خرجنا للوجه الذي علمتم ، فكننا مع والٍ حافظ ، حفظ وصية أمير المؤمنين ، كان يسير بنا الأبرار ^(٣) ، وَيَخْفِضُ ^(٤) بنا في الظهار ، ويتخذ الليل سجلاً ، يُمَجِّلُ الرحلة من النزل الجذب ، ويطيل اللبث في المنزل الخصب ، فلم نزل على أحسن حالة نمرُّها من ربنا ، حتى انتهينا إلى إفريقية ، فزلنا منها حيث يسمعون صهيل الخيل ، ورغاء الإبل ، وقصعة السلاح ، فأقنا أياماً ، نُجِئُ كُرَاعَنَا ^(٥) ، ونصلح سلاحنا ، ثم دعوناهم إلى الإسلام والدخول فيه ، فأبعدوا منه ، فالتناهم الجزية عن صَافٍ أو الصلح ، فكانت هذه أبعد ، فأقنا عليهم ثلاث عشرة ليلة تَتَأَنَّم ، وتختلف رسلنا إليهم ، فلما ينس منهم ظم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر فضل الجهاد ، وما لصاحبه إذا صَبَرَ واحتسب ، ثم نهضنا إلى عدونا ، وقالتناهم أشد القتال ، يَوْمَئِذٍ فِيهِ الْفَرِيقَانِ فكانت بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، واستشهد الله فيهم رجالاً من المسلمين ، فَبَيْنَا وَبَاتُوا ، والمسلمين دَوِيٌّ بِالْقِرَآنِ كدوى النحل ، وبات المشركون في خمرهم وملاهم ، فلما أصبحنا أخذنا مصافنا التي كنا عليها بالأمس ، فزحف بعضنا على بعض ، فأفرغ الله علينا صبره ، وأنزل علينا نصره ، ففتحناها من آخر النهار ، فأصبنا غنائم كثيرة ، وفيثاً واسعاً ، بلغ فيه الخس خمسمائة ألف ، فَصَفَّقَ ^(٦) عليها مروان بن الحكم ، فتركت المسلمين قد

(١) التعزيز : التضخيم والتعظيم والإعانة ، وهو أيضاً ضرب دون المد أو هو أشد الضرب ضد .

(٢) استشهد (مبنياً للمجهول) قتل في سبيل الله .

(٣) الأبردان : النداء والشي . (٤) خفض بالمكان : أقام ، والظهار : جمع ظهيرة .

(٥) الكراع : سباحة الخيل ، وأجم للفرس : ترك ركوبه . (٦) صفق الباب يصفقه وأصفقه

لفظه : أي أغلق عليها باب الخزان .

قَرَّتْ أَمِينَهُمْ ، وَأَغْنَاهُم النَّقْلَ ، وَأَنَا رَسُولُهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبْشِرْهُ وَإِنَّا كَمَا بِنَا فَتَحَ اللَّهُ
مِنَ الْبِلَادِ ، وَأَذَلَّ مِنَ الشَّرِكِ ، فَاتَّخَذُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ عَلَى آلَائِهِ ، وَمَا أَحْلَ بِأَعْدَائِهِ ،
مِنْ بَأْسِهِ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ .

ثُمَّ سَكَتَ فَهَضَّ إِلَيْهِ أَبُوهُ الزَّيْرُ ، فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ : (ذُرِّيَّةٌ بَغَضُهَا مِنْ
بَعْضِ اللَّهِ تَمِيعٌ عَالِمٌ) يَا بُنَى مَا زِلْتَ تَنْطَلِقُ بِلِسَانِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى صَمَتَ .

(المقد الفريد ٢ : ١٤٩)

١٥٧ — خطبة عبد الله بن مسعود

(المتوفى سنة ٣٢ هـ)

أَصْدَقُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَأَوْثَقُ الْمُرَاكَلَةِ التَّوْقَى . أَكْرَمُ الْمُلُكِ مَلَةُ إِبْرَاهِيمَ ،
وَخَيْرُ السَّنَنِ سَنَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّاتُهَا .
مَا قُلَّ وَكَفَى خَيْرٌ عَمَّا كَثُرَ وَالْهَى . خَيْرُ النَّفْسِ غَفَى النَّفْسِ ، وَخَيْرُ مَا أَلْبَى فِي الْقَلْبِ الْيَقِينَ .
الْخَيْرُ جَمَاعُ الْآثَامِ . النِّسَاءُ حِبَالَةُ الشَّيْطَانِ . الشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجَنُونِ . حُبُّ الْكُفَايَةِ
مِفْتَاحُ الْمَجَرَّةِ . شَرُّ النَّاسِ مَنْ لَا يَأْتِي الْجَمَاعَةَ إِلَّا دُبْرًا ، وَلَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا هَجْرًا^(١) .
أَعْظَمُ اخْطَايَا الْبَشَرِ الْكَذِبُ ، سَيِّبُ الْمُؤْمِنِ فَسْقٌ ، وَقَتْلُهُ كُفْرٌ ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مَعْصِيَةٌ .
مَنْ يَتَأَلَّ^(٢) عَلَى اللَّهِ يَكْذِبُهُ ، وَمَنْ يَغْفِرُ يَغْفِرْ لَهُ . مَكْتُوبٌ فِي دِيْوَانِ الْحَسَنِينَ : مَنْ عَفَا
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ . الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَالْمُسْعِدُ مَنْ وَعَظَ بَغِيرِهِ . الْأُمُورُ بِعَوَاقِبِهَا .
مِلَاكُ الْعَمَلِ خَوَاتِيمُهُ . أَشْرَفُ الْمَوْتِ الشَّهَادَةُ . مَنْ يَعْرِفُ الْبَلَاءَ يَصْبِرْ عَلَيْهِ . وَمَنْ لَا يَعْرِفُ
الْبَلَاءَ يَنْكَرُهُ . (إعجاز القرآن ١٢٢ ، المقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، البيان والتهيين ٢ : ٢٧)

(١) المجبر ككف : الذي يمشى مثلاً ضعيفاً : أي لا يعرف الله إلا وقت الشدة .

(٢) تأل : أنسى .

١٥٨ - أبو زيد الطائي يصف الأسد

قال عثمان بن عفان رضى الله عنه يوماً لأبى زُبَيْد : حَرَمَلَةٌ بن المنذر الطائي - وكان نصرانياً - يا أَخَا تَبِعِ المسيح ، أَسَمِينَا بعض قولك ، فقد أُثْبِتَتْ أَنَّكَ نَجِيد ، فَأَنشده قصيدة له في وصف الأسد ، فقال عثمان : تَأَلَّه تَفَقُّتاً تَذَكَّرَ الأسد ما حَيَّيتُ الله إني لأحسبك جَبَانًا هَرَابًا ، قال : كَلَّا ، يا أمير المؤمنين ، ولكنى رأيت منه مَنَظَرًا ، وَشَهِدْتُ منه مَشْهَدًا ، لَا يَبْرَحُ ذِكْرُهُ يَتَجَدَّدُ وَيَقْدُدُ في قلبي ، ومعدود أنا يا أمير المؤمنين غيرُ معلوم ، فقال له عثمان : وَأَنَّى كَانَ ذلك ؟ قال :

« خَرَجْتُ في صَيَابَةٍ ^(١) أَشْرَافٍ من أبناء قبائل العرب ، ذوى هيئة وشارفة ^(٢) حسنة ، تَرْمِي بنا المَهَارَى ^(٣) بِأَكْسَائِهَا ^(٤) ، ونحن نريد الحارث بن أبى شَيْمَرِ الْقَسَّانِي ملك الشام ، فَأَخْرَجُونَا ^(٥) بنا السير في حِمَارَةٍ الْقَيْظِ ، حتى إذا عَصَبَتِ الأفواه ، وَذَبَلَتِ الشَّفَاةُ ، وَشَالَتِ ^(٦) المياه ، وَأَذَكَّتِ الْجُوزَاهُ الْمِرْزَاءُ ^(٧) ، وَذَابَ الصَّيْبُ ^(٨) ، وَصَرَ الْجُنْدُ ^(٩) وَأَصَافَ الْمُصْفُورُ الضَّبَّ في وَكْرِهِ ، وَجَاوَرَهُ في جُحْرِهِ ، قال قائل : أيها الركب ، غُورُوا ^(١٠) بنا في دَوْحِ هذا الوادي ، وإذا وادٍ قد بد لنا كثير الدَّغَلِ ^(١١) ، دَائِمُ الْقَلَلِ ^(١٢)

(١) الصيابة بالشدية وتخفف : الخالص والصميم والخيار من الشيء . (٢) الشارة : الهيئة واللباس والزينة ، والجمال . (٣) مهرة بن حيدان (بفتح الميم والحاء) : حتى تنسب إليه الإبل المهرية ، وجمعها مَهَارَى (بفتح الميم والراء) ومهارة (منقوصة) ومهارة . (٤) الأكساء : جمع كساء (كقفل وعنت) وكساء كل شيء : مؤخره . (٥) اخروج بهم الطريق : طالع وامد .

(٦) قلت . (٧) أذكت : أشعلت ، والمِرْزَاءُ من المِرْزِ بالتحريك : وهو الصلابة ، مكان أمز وأرض ممره ، كناية عن اشتداد الحر . (٨) الصيب : الصخرة الصلبة والموضع الشديد وكل موضع تحمى عليه الشمس حتى ينشوى اللحم عليه . (٩) نوع من الجراد ، وصر : صوت .

(١٠) النور والنتور : النخول في الشيء . واللوح : جمع دوح ، وهي الشجرة العظيمة .

(١١) الدغل : الشجر الكثير اللغف ، واشتباك تثبت وكثرة . (١٢) الغلل : المساء الذي يجري

أشجاره مُفَنَّةٌ^(١) ، وأطياره مُرْتَنَةٌ^(٢) ، فَحَطَطْنَا رَحَالَنَا بِأَصُولِ دَوَّحَاتٍ كَنَهَبُلَاتٍ^(٣) فَاَصْبَدْنَا مِنْ فَضَلَاتِ الزَّوَادِ ، وَاتَّبَعْنَاهَا لِلْمَاءِ الْبَارِدِ ، فَإِنَّا لَنَصِيفُ حَرًّا يَوْمَنَا وَمُنْمَاطُهُ إِذْ صَرَ أَقْصَى الْخَلِيلِ أَذْيُهُ^(٤) ، وَقَحَصَ الْأَرْضَ بِيَدَيْهِ ، فَوَاللهِ مَا لَبِثَ أَنْ جَالَ ثُمَّ حَتَمَ^(٥) ، فَبَالَ ، ثُمَّ قَلَّ فَهَلْ الْفَرْسُ الْقَدَى يَلِيهِ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ، فَتَضَمَّضَتِ الْخَلِيلُ وَتَكَلَّمَتِ^(٦) الْإِبِلُ ، وَتَقَهَّرَتِ الْبَنَالُ ، فَمِنْ نَافِرٍ بِشِكَاكِهِ^(٧) ، وَنَاهَضَ بِمِقَالِهِ ، فَضَلْنَا أَنَا قَدْ أَتَيْنَا ، وَأَنَّهُ السَّبْعُ لَاشَتْ فِيهِ ، فَفَزَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى سَيْفِهِ ، فَاسْتَلَّهُ مِنْ جَرُوبَانِهِ^(٨) ، ثُمَّ وَقَفْنَا رَزْدَقًا أَرْسَالًا^(٩) ، وَأَقْبَلَ أَبُو الْحَارِثِ مِنْ أَرْجَحَتِهِ ، يَتَظَالَعُ^(١٠) فِي مِشْيَتِهِ ، كَأَنَّهُ مَجْنُوبٌ أَوْ فِي هِجَارٍ^(١١) ، لِيَصْدِرَهُ تَحِيْطٌ^(١٢) ، وَلِيَبْلَاغِهِ غَطِيْطٌ^(١٣) ، وَلِيَطْرِفَهُ وَبِيضٌ ، وَلِأَرْسَافِهِ تَقِيْضٌ^(١٤) كَأَنَّمَا يَخْبِطُ هَشِيمًا ، أَوْ يَطَّأُ صَرِيحًا^(١٥) ، وَإِذَا هَامَةٌ كَالْمَجْنُنِ^(١٦) وَخَذُّ كَالْمَيِّنِ ، وَعَيْنَانِ سَجَرَاوَانِ^(١٧) كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ يَتَقَدَّدَانِ ،

(١) أذن الذباب : صوت ، ويقال : واد مغن ، وهو الذي صار فيه صوت الذباب ، ولا يكون للذباب إلا في واد غصب مبشب ، والنتة (بالضم) صوت في الخيشوم ، والأذن : الذي يتكلم من قبل غياشيه عن يمين بالفتح فهو أذن ، ومنه قالوا واد أذن : أي كبير المشب لأنه إذا كان كذلك أله الذباب وفي أصواتها غنة ، وروضة غناء كذلك ، أو تمر فيها الرياح غير صافية الصوت لكثافة مشبها .

(٢) رنت وأرنت : صاحت . (٣) الكنبيل : شجر عظام ، والمزاد : جمع مزود كبير ، وهو وهاء الزاد . (٤) صر الحمار بأذنه وصرها وأصر بها : سواها ونصبها للاستماع .

(٥) الحمصة والتحمص : صياح الفرس حين يقصر في الصهيل ويستعين بنفسه ، وصوته إذا طلب العلف . (٦) خافت وفزعت ، كصكته فتكمكع : جبنه وخوفه . (٧) الشكال : الجبل الذي تشده قوائم الدابة . (٨) الجريان : غمد السيف . (٩) الرزدق : الصف من الناس والأرسل جمع رسل كسب ، وهو القطيع من كل شيء .

(١٠) من ظلع كنع : إذا غمز في مشيه . (١١) جنبه : قاده إلى جنبه ، فهو جنب وجنب وجنب والمجبار : جبل يشد في رخس رجل البعير ثم يشد إلى حقوه ، وإن كان مرحولا شد إلى الحقب .

(١٢) التحيط : التزير ، والتناطح : من يحمل شيئا . (١٣) غط البعير غطيظا : هدر ، والتائم صوت وكذا المنبوح والمنخوق . (١٤) نقيض الأصابع والأضلاع والمفاصل : أصواتها .

(١٥) ثمر صريم : أي مقطوع . (١٦) المجن : الترس . (١٧) عين سجرا : خالطت بياضها حرة .

وَقَصْرَةُ رَيْبَةٍ^(١) ، وَلِزِمَةُ رَهْلَةٍ^(٢) ، وَكَتْدٌ مُغْبِطٌ^(٣) وَزَوْزٌ مُفْرَطٌ^(٤) وَسَاعِدٌ
مَجْدُولٌ ، وَعَضْدٌ مُفْتُولٌ ، وَكَفٌّ شَنْتُهُ الْبِرَّانُ^(٥) إِلَى مَخَالِبَ كَالْمَحَاجِنِ^(٦) ،
فَضْرِبَ بِيَدَيْهِ فَأَرْهَجَ^(٧) ، وَكَثَّرَ^(٨) فَأَفْرَجَ عَنْ أُنْيَابٍ كَالْمَعَالِيلِ ، مَصْفُوقَةٌ ، غَيْرُ مَقْلُوقَةٍ ،
وَقَمِّ أَشْدَقِ^(٩) كَالنَّارِ الْأَخْوَقِ^(١٠) ، ثُمَّ تَمَطَّى فَأَسْرَعَ بِيَدَيْهِ ، وَخَفَزَ^(١١) وَرَكِبَهُ بِرَجْلَيْهِ ،
حَتَّى صَارَ ظِلُّهُ مِثْلَيْهِ ، ثُمَّ أَقْبَى^(١٢) فَاقْشَرَ^(١٣) ، ثُمَّ مَثَّلَ مَا كَفَرَهُ^(١٤) ، ثُمَّ نَجَّهَهُمْ فَازَبَّأَهُ^(١٥) ،
فَلَاوَذُو^(١٦) يَبْتُهُ فِي السَّمَاءِ ، مَا اتَّقِيْنَاهُ إِلَّا بِأَخٍ لَنَا مِنْ فَرَاةٍ ، كَانَ ضَخْمُ الْجُزَارَةِ^(١٧) ،
فَوَقَّصَ^(١٨) ثُمَّ قَهَّضَهُ قَهْضَةً ، فَقَضَقَصَ^(١٩) مَتْنِيَهُ ، فَجَلَّ بَلْعُ فِي دَمِهِ ، فَذَمَرَتْ^(٢٠) ،
أَحْبَابِي ، قَبْعَدَ لَايٍ^(٢١) مَا اسْتَقْدَمُوا ، فَهَجَّهَجْنَا^(٢٢) بِهِ ، فَكَّرَ مُقْسِمِ الزُّبُرَةِ^(٢٣) ،

(١) القصرة : أصل المتق ، والربالة بالفتح : كثرة اللحم ، وهي ربلة ومربلة .

(٢) الهمزتان نائتان تحت الأذنين ، والجمع لازم ، ورهل لحمه : كفرح انتفخ وورم من غير داء .

(٣) الكتد : مجمع الكتفين ، أو الكامل ، أو ما بين الكامل إلى الظهر ، وأغبط النبات : غطي

الأرض ، وكشف وتداى ، وأرض مغبطة بفتح الباء ، أي وكامل مغطي بالشعر .

(٤) من أفرط : إذا ملاء حتى أسال الماء فهو مفروط . (٥) شنته : أي غليظة خشنة ، شنت

كفه : كفرح وكرم ، والبران : جمع برثن كبرقع ، وهو غلب الأسد . (٦) المحاجن : جمع محجن

كثير ومكنسة : المعالم الموجة وكل مطوف موج . (٧) أرهج : أثار الغبار ، والرهج (كشش

وسهب) الغبار . (٨) كثر عن أسنانه : أبهى . (٩) من الشفق (كسب) وهو سعة الشفق .

(١٠) من الخوق (كسب أيضا) وهو الامة ومنه مفازة خوقاه . (١١) حفزه : دفعه .

(١٢) أقبى : جلس على استه مفترشا رجله ناصبا يديه . (١٣) مثل : قام منتصبا ، والمكفر

من الوجوه : الضارب لونه إلى القبرة مع غلظ ، والمتعيس . (١٤) تجهمه وجهه (كنع وسمع) استقبله

بوجه كرهه ، وازيار : قتمش . (١٥) ذو : بمعنى الذي في لغة طيبي :

• فصبى من ذو عنهم ما كفاني •

(١٦) الجزارة : بالضم اللذان والرجلان والمتق . (١٧) وقص عقه : كسرها . (١٨) من نقض

البناء : أي علمه ، وقضقض : مزق . (١٩) النمر : اللامة ، والحش والتهد . (٢٠) اللأى : الإبطاء

والاحباس . (٢١) هججهج بالأسد : صاح . (٢٢) الزيرة (كفرصة) هي الشعر المجتمع بين كتفي

الأسد .

كَأَن بِهِ شَيْهَمًا^(١) حَوِيلًا ، فَاخْتَلَجَ^(٢) رَجُلًا أَعْبَرَ ذَا حَوَايَا ، فَفَقَضَهُ نَفْثَةً تَزَابَلَتْ مِنْهَا مَفَاصِلُهُ ، ثُمَّ هَمَّ هَمَّ قَرَقَرًا^(٣) ، ثُمَّ زَفَرَ فَيَزِيرُ^(٤) ، ثُمَّ زَارَ فَجَرَ جَرَّ^(٥) ، ثُمَّ لَحَظَ ، فَوَاللَّهِ تَخَلَّتْ الْبَرْقُ بِطَيَّارٍ مِنْ تَحْتِ جُفُونِهِ ، عَنْ شِمَالِهِ وَيَمِينِهِ ، فَأَرَعِشَتِ الْأَيْدِي ، وَأَضْطَكَّتِ الْأَرْجُلُ ، وَأَطَلَّتِ^(٦) الْأَضْلَاعُ ، وَارْتَجَّتِ الْأَسْمَاعُ ، وَشَخَصَتِ^(٧) الْعَيُونُ ، وَتَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ ، وَانْمَزَلَتْ^(٨) اللَّتُونُ ، وَلَحِقَتْ الظُّهُورُ بِالْبَطُونِ ، ثُمَّ سَاءَتِ الظُّلُونُ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : اسْكُتْ قَطَعَ اللَّهُ لِسَانَكَ ! فَقَدْ أَرَعَبْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ » .

(الأنفاني ١١ : ٢٣ والمحاسن والأضداد ص ١١٢)

(١) الشيم : معظم شوكة من ذكران القنافظ ، والحول : مائل عليه حول .

(٢) اختلج : جذب وانترع ، والأعبر : السمين ، عجر : كفرح غلظ ومن وضخم بطنه ، والحوايا جمع حاوية ؛ وهي مانعوى من الأمماء أى استدار ، والمعنى أنه عظيم البطن . (٣) المهمة : تردد الزئير في الصدر ، وكل صوت منه يحج ، والقرقرة : هدير البعير . (٤) البريرة : الجلبة والصياح . (٥) الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرتة . (٦) الأطيط : صوت الرجل والإبل إذا أُنْتُ تمبا أو حنينا ، وصوت الظهر ، والجوف من الجوع . (٧) شخص بصره كخج : فتح عينيه وجعل لا يطرف . (٨) الانخزال والتمزول : مشية في تناقل . ومتنا الظهر : مكتنفا الصلب عن يمينه وشماله .

خلافة الإمام على

كرم الله وجهه

١٥٩ - وصية على لقيس بن سعد

ولما قتل عثمان رضي الله عنه وولى على بن أبي طالب الأمر ، دعا قيس بن سعد ابن عبادة الأنصارى وولاه مصر سنة ٣٦ هـ .

وقال له :

« سر إلى مصر فقد وليتكها ، واخرج إلى رحلك ، واجمع إليك ثقاتك ، ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند ، فإن ذلك أرعب لعدوك ، وأعز لوليك ، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن ، واشتد على اللريب ، وارقق بالعامّة ، وبخاصّة فإن الرفق يُمن » .
(تاريخ الطبري ٥ : ٢٢٧)

١٦٠ - خطبة لقيس بن سعد

ولما دخل قيس مصر قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم وقال :

« الحمد لله الذي جاء بالحق وأمات الباطل ، وكبت الظالمين .
أيها الناس إنا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقوموا أيها الناس فبايعوا على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن نحن لم نعمل لكم بذلك فلا يئمة لنا عليكم » .
فقام الناس فبايعوا .
(تاريخ الطبري ٥ : ٢٢٨)

فتنة أصحاب الجمل

ولما قدمت السيدة عائشة رضي الله عنها البصرة ، الطلب بدم عثمان ، خرج إليه من أهلها من أراد أن يكون معها ، واجتمع القوم بالمريد ، وجعلوا يشربون ، حتى غمر بالناس ، فتكلم طلحة ، فأنصتوا له :

١٦١ - خطبة طلحة

حمد الله وأثنى عليه ، وذكر عثمان رضي الله عنه وفضله ، والبلد وما أُسْتُحِلَّ منه ، وعظم ما أتى إليه ، ودعا إلى الطلب بدمه وقال :

« إن في ذلك إعرارَ دين الله عز وجل وسلطاناه ، وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم ، فإنه حدٌّ من حدود الله ، وإنكم إن فعلتم أصبتم ، وعاد أسركم إليكم ، وإن تركتم لم يقرم لكم سلطان ، ولم يكن لكم نظام » .

وتكلم الزبير بمنثل ذلك ، ثم تكلمت السيدة عائشة وكانت جَهْوَريّة الصوت .

١٦٢ - خطبة السيدة عائشة بالمريد

حمدت الله عز وجل ، وأثنت عليه وقالت :

« كَانَ النَّاسُ يَتَجَوَّنُونَ ^(١) عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَيَتَرَدُّونَ ^(٢) عَلَى عَمَالِهِ ، وَيَأْتُونَنَا بِالْمَدِينَةِ ، فَيَسْتَشِيرُونَنَا فَمَا يَجْزِيهِمْ مِنْهُمْ ، فَنَنْظُرُ فِي ذَلِكَ فَتَجِدُهُ بَرِيًّا ، تَقِيًّا وَفِيًّا ،

(١) تجنى عليه : ادعى ذنباً لم يفعله . (٢) زرى عليه : عابه كآزرى لكنه قليل .

ونجدم فَجَرَّةَ غَدَرَةٍ كَذَّابَةٍ ، يحاولون غير ما يُظهرون ، فلما قَوَّوا على السكائرة كائروه ،
 واتصموا عليه داره ، واستحلوا الدَّمِ الحرام ، واللال الحرام ، والبلد الحرام ، بلا رِزَةٍ (١)
 ولا عذر ، ألا إن عما يبنني ، لا يبنني لكم غيره ، أَخَذَ قَتْلَهُ عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وإقامة
 كتاب الله عز وجل : (أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى
 كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) الآية .

(تاريخ الطبري ٥ : ١٧٥ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ١٠٥)

١٦٣ - خطبة لعلی

وخطب على لما سار الزبير وطلحة من مكة ومعهما عائشة يريدون البصرة قال :
 « أيها الناس : إن عائشة سارت إلى البصرة ومعها طلحة والزبير ، وكل منهما يرى
 الأمر له دون صاحبه ، أما طلحة فابن عمها ، وأما الزبير فختنها ، والله لو ظفروا بما
 أرادوا - ولن ينالوا ذلك أبداً - لضرين أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد ،
 والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا تحمل عقدة ، إلا في مصيبة الله وسخطه ،
 حتى تُورد نفسها ومن معها موارد المملكة ، إى والله لَيُقْتَلَنَّ ثلثهم ، وَلَيَهْزَيْنَ ثلثهم ،
 وليتوبن ثلثهم ، وإنها التي تنبها كلاب الحوآب ، وإنهما ليعلمان أنها مخطئان ، ورُبَّ
 عالم قتله جهله ، ومعه علمه لا ينفعه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، فقد قامت الفتنة فيها الفتنة
 الباغية ، أين المحسبون ؟ أين المؤمنون ؟ مالى وقريش ! أما والله لقد قتلتم كافرين ،
 ولأقتلهم مفتونين ، وما لنا إلى عائشة من ذنب إلا أننا أدخلناها في حيزنا ، والله لأبقرن
 الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته ، قتل قريش فلتضج ضجيجها » ثم نزل .

(ابن أبي الحديد ١ : ٧٨)

١٦٤ - خطبة لعلی

ولما رجعت رسل علی من عند طلحة والزبیر وعائشة یؤذنونہ بالحرب قام فحمد الله وأثنى علیہ وصلى علی رسوله ثم قال :

« أیہا الناس : إنی قد راقت هؤلاء القوم کی یرعوا أو یرجعوا ، ووبختهم بکنهم ، وعرقهم بضمهم فلم یستحبوا ، وقد بعثوا إلی أن یرزأ لطلعان ، واصبر للجلاد ، وإنما تمنیک نفسك أمانی الباطل ، وتمدک الفرور ، ألا هیلتهم ^(١) المہبول ، لقد کنت وما أهدد بالحرب ، ولا أرهب بالضرب ، ولقد أنصف القارة ^(٢) من رامها ، فلیرعدوا ولیرفوا ، فقد رأونی قدیما ، وعرفوا نکایتی ، فكیف رأونی ؟ أنا أبو الحسن الذی فلت حدّ الشریکین ، وفزقت جماعتهم ، وبذلک القلب ألقى عدوی الیوم ، وإنی لعلی ما وعدنی ربی من النصر والتأیید ، وعلى یقین من أمری ، وفی غیر شبهة من دینی .

أیہا الناس : إن اللوت لا یفوتہ للقیم ، ولا یجزء المارب ، لیس عن اللوت تحید ولا تحیص ، من لم یقتل مات ، إن أفضل اللوت القتل ، والذی نفس علی یدہ لألف ضربة بالسيف أهون من موة واحدة علی الفراش .

اللهم إن طلحة نکث بیعتی ، وألب علی عثمان حتی قتله ، ثم عصفنی ^(٣) به ورمانی ، اللهم فلا تمهلہ .

اللهم إن الزبیر قطع رحمی ، ونکث بیعتی ، وظاهر علی عدوی ، فاکفنی الیوم بما شئت » ثم نزل .
(ابن أبی الحدید ١ : ١٠١)

(١) هبلته أمه : شکله .

(٢) القارة : قبيلة ، وهم قوم رماة . (٣) عصفه : بهمه وقال فیہ ما لم یکن .

١٦٥ - خطبة لعلی

حمد الله وصلى على رسوله ثم قال :

« أما بعد فإنه لما قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس ، لا ينازعنا سلطانه أحد ، ولا يطعم في حقنا طامع ، إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا ، فصارت الإمرة لغيرنا ، وصرنا سوقة يطعم فينا الضعيف ، ويتمرز علينا الدليل ، فبكت الأعين منا لذلك ، وخشنت الصدور ، وجزعت النفوس . وأثم الله لولا مخافة الفُرقة بين المسلمين ، وأن يعود الكفر ويور الدين ، لكننا على غير ما كنا لهم عليه ، فولى الأمر ولالة لم يألو الناس خيرا ، ثم استغرجموني أيها الناس من بيتي ، فبايعتموني على شئ مني لأمركم ، وفِراسة تصدقني ماني قلوب كثير منكم ، وبايعني هذان الرجلان في أول من بايع - تعلمون ذلك - وقد نكثا وغدرا ونهضا إلى البصرة بمائشة ، ليفرقا جماعتكم ، ويلتقيا بأسكم بينكم ، اللهم خذهما بما عملا أخذة واحدة رابية ، ولا تنقش لهما صرعة ، ولا تُثقل لهما عثرة ، ولا تمهلها فَوَاقًا^(١) ، فإنهما يطلبان حقًا تركاه ، ودما سفكاه ، اللهم إني أقضيك وعدك ، فإنك قلت وقولك الحق « ثُمَّ يُفَى عَلَيْكُمْ كَيْفَ صَرَّهَ اللَّهُ » اللهم فأنجز لي موعودك ، ولا تكلفني إلى نفسي إنك على كل شيء قدير .

(ابن أبي الحديد م ١ : ١٠١)

١٦٦ - خطبة عدی بن حاتم

يستنفر قومه لنصرة الإمام على

ولما شَخَّصَ الإمام على كَرَّمَ الله وجهه من المدينة إلى البصرة وقد علم بمسير طلحة والزبير وعائشة إليها ، قام عدی بن حاتم إليه فقال : يا أمير المؤمنين لو تقدمتُ إلى قومي

(١) الفواق بالضم ويفتح : ما بين الحلبتين من الوقت ، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع .

(١٩ - جمهرة حطب العرب - أول)

أخبرهم بمسيرك ، وأستغفرهم ، فإن لك من طيٍّ مثل الذى معك ، فقال على : نعم فافعل ، فتقدم عدى إلى قومه ، فاجتمعت إليه رؤساء طيٍّ ، فقال لهم :

« يا معشر طيٍّ : إنكم أمسكنم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشرك ، ونصرتم الله ورسوله فى الإسلام على الردّة ، وعلى قادمٍ عليكم ، وقد ضمنتُ له مثلَ عِدَّةٍ منْ معه منكم ، فَخِفُوا ^(١) معه ، وقد كنتم تقاتلون فى الجاهلية على الدنيا ، فقاتلوا فى الإسلام على الآخرة ، فإن أردتم الدنيا فعند الله منامٌ كثيرةٌ ، وأنا أدعوكم إلى الدنيا والآخرة ، وقد ضمنتُ عنكم الوفاء ، وباهيت بكم الناس ، فأجيبوا قولى ، فإنكم أعز العرب داراً ، لكم فضلُ معاشكم وخيلكم ، فاجعلوا فضل الماش لِلدِيَالِ ^(٢) ، وفضل الخيل للجهاد ، وقد أظلمكم على والناس معه من المهاجرين والبدرين ^(٣) وَالْأَنْصَار ، فسكونوا أكثرهم عدداً ، فإن هذا سَبِيلٌ للحى فيه النفى والسرور ، وللقتل فيه الحياة والرزق » .

فصاحت طيٍّ : نعم نعم ! حتى كاد أن يُعَمَّ من صياحهم .

(الإمامة والسياسة ١ : ٤٥)

١٦٧ — خطبة زفر بن زيد

يستنفر قومه لنصرة على أيضاً

وقام إلى على زفر بن زيد الأسدى - وكان من سادة بنى أسد - فقال : يا أمير المؤمنين ، إن طيئنا إخواننا وجيراننا قد أجابوا عديداً ، ولى فى قومي طاعة ، فأذن لى فأتيتهم ، قال : نعم ، فأتاهم فجمعهم ، وقال :

(١) أى ارتحلوا مسرعين . (٢) جمع عيل (كجيد) وهو من يجب الإنفاق عليه .

(٣) أى الذين حضروا وقعة بدر .

« يا بني أسد : إن عدي بن حاتم صين ليلي قومه ، فأجابوه ، وقصّوا عنه ذمّاه^(١) ، فلم يقتل القتي بالفتى ، ولا الفقير بالفقر ، وواسى بعضهم بعضاً حتى كانوا المهاجرون في الهجرة ، والأنصار في الأنصرة^(٢) ، وهم جيرانكم في الديار ، وخلطواكم^(٣) في الأموال ، فأنشدكم الله لا يقول الناس غداً : نصرت طيئاً ، وخذلت بنو أسد ، وإن الجار يقاس بالجار ، كالنمل بالنمل ، فإن خفتم فتوسّعوا في بلادهم ، وانضموا إلى جيلهم ، وهذه دعوة لها ثواب من الله في الدنيا والآخرة . »

(الإمامة والسياسة : ١ : ٤٦)

١٦٨ — خطبة على بالربذة

روى الطبري قال :

لما أتى علياً الخبر - وهو بالمدينة - بأمر عائشة وطلحة والزبير أنهم قد توجهوا نحو العراق ، خرج يبادر وهو يرجو أن يدركهم ويردهم ، فلما انتهى إلى الربذة^(١) أتاه عنهم أنهم قد أمعنوا ، فأقام بالربذة أياماً ، وبقى بها شهياً ، وأرسل إلى المدينة فلقحه ما أراد من دابة وسلاح ، وقام في الناس فخطبهم وقال :

« إن الله عز وجل أعزنا بالإسلام ، ورفقنا به ، وجعلنا به إخواناً بعد ذلة وقلة ، وتباغض وتباعد ، فخرى الناس على ذلك ما شاء الله ، الإسلام دينهم ، والحق فيهم ، والكتاب إمامهم ، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان ، ليتزغ بين هذه الأمة ، ألا إن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلهم ، فعوذ بالله من شر ما هو كائن . »

(١) المهدي والحرة . (٢) أي يؤثر كل منهم أخاه على نفسه ، ويفضله كما فعل الأنصار بالمهاجرين

« وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » (٣) الخلطاء : جمع غليظ ، وهو الشريك .

(٤) قرب المدينة .

ثم عاد ثانية فقال : إنه لا بد مما هو كائن أن يكون . ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، شرها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعملى ، فقد أدركتم ورأيتم ، فالزموا دينكم واهدوا بهدى نبيكم صلى الله عليه وسلم واتبعوا سنته ، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن ، فاعرفه القرآن فالزموه ، وما أنكره فردوه ، وارضوا بالله عز وجل ربنا وبالإسلام ديننا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، وبالقرآن حكما وإماما .
(تاريخ الطبرى • : ١٨٥)

١٦٩ خطبة سعيد بن عبيد الطائى

ولما كان الإمام على كرم الله وجهه بالربذة ، أتته جماعة من طيى ، فقبل على : « هذه جماعة من طيى قد أتتك ، منهم من يريد الخروج منك ، ومنهم من يريد التسليم عليك » قال : « جزى الله كلاً خيراً ، وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْفَاعِلِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » ثم دخلوا عليه ، فقال على : ما شهدتمونا به ؟ قالوا : شهدناك بكل ما تحب ، قال : « جزاكم الله خيراً ، فقد أسلمت طائعين ، وقاتلت المرتدين ، ووافيتهم بِصَدَقَاتِكُمُ الْمَالِينَ » فنهض سعيد بن عبيد الطائى فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن من الناس مَنْ يُعَبِّرُ لسانه عما فى قلبه ، وإنى والله ما كُلتُ ما أُجِدُّ فى قلبى يُعَبِّرُ عنه لسانى ، وسأجهدُ (وبالله التوفيق) أما أنا فأسألك فى السِّرِّ والعلانية ، وأقاتل عدوك فى كل موطن ، وأرى لك من الحق ما لا أراه لأحد من أهل زمانك ، لفضلك وقرابتك » .

قال : رحمتك الله ا قد أدى لسانك عما يُخِجُ^(١) ضميرك ، فقتل معه صفيين رحمه الله !

(تاريخ الطبرى • : ١٨٤)

١٧٠ - خطبة الحسن بن علي

ولما دخل الحسن وعمار الكوفة اجتمع إليهما الناس فقام الحسن فاستنفر الناس .
فحمد الله وصلى على رسوله ثم قال :

« أيها الناس ! إننا جئنا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله ، وإلى أفعه من تفقه من المسلمين وأعدل من تدلون ، وأفضل من تفضلون ، وأوفى من تبايعون ، من لم يمه القرآن ، ولم تجهله السنة ، ولم تقعد به السابقة ، إلى من قرّبه الله تعالى ورسوله قرابتين قرابة الدين وقرابة الرحم ، إلى من سبق الناس إلى كل مآثرة ، إلى من كفى الله ورسوله والناس متخاذلون ، قُرب منه وهم متباعدون ، وصلى معه وهم مشركون ، وقاتل معه وهم منهزمون ، وبارز معه وهم محجمون ، وصدقته وهم يكذبون ، إلى من لم تردّ له ولا تكافأ له سابقة ، وهو يسألكم النصر ، ويدعوكم إلى الحق ، ويأمركم بالمسير إليه لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته ، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه ، ومثلوا بهاله ، واتهبوا بيت ماله ، فاشخصوا إليه رحمكم الله ، ففروا بالمروف وانهاوا عن المنكر ، واحضروا بما يحضر به الصالحون » .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ٢٩٢)

١٧١ - خطبة أخرى للحسن

« الحمد لله العزيز الجبار ، الواحد القهار ، الكبير المتعال ، سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ، أحمد على حسن البلاء ، وتظاهر النماء ، وعلى ما أحينا وكرهنا من شدة ورخاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، امتن علينا بنبوته ، واختصه برسالته ، وأنزل عليه وحيه ، واصطفاه على جميع خلقه ، وأرسله إلى الإنس والجن ، حين عبثت الأوثان ، وأطبع الشيطان ، ووجد الرحمن ، وصلى الله عليه وعلى آله ، وجزاه أفضل ما جرى للمسلمين .

أما بعد ، فإني لا أقول لكم إلا ما تعرفون ، إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ،
أرشد الله أمره ، وأعز نصره ، بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب ، وإلى العمل بالكتاب ،
والجهاد في سبيل الله ، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون ، فإن في آجله ما تحبون
إن شاء الله .

ولقد علمت أن علياً صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده . وإنه يوم صدق به
لني عاشر من سنه ، ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله جميع مشاهدته ، وكان من
اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم ، ولم يزل
رسول الله صلى الله عليه وآله راضياً عنه ، حتى غمضه بيده ، وغسله وحده ، ولللائكة
أعوانه ، والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء ، ثم أدخله حفرة ، وأوصاه بقضاء دينه وعِداته
وغير ذلك من أموره ، كل ذلك من من الله عليه .

ثم والله ما دعا إلى نفسه ، ولقد تذاك الناس عليه تذاك الإبل الهيم عند ورودها ،
فبايعوه طائعين ، ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه ، ولا خلاف أتاه ، حسداً
له وبنيها عليه .

فليكن عباد الله بقوى الله وطاعته والجد والصبر والاستماعة بالله والخوف إلى ما دعاكم
إليه أمير المؤمنين ، عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه وأهل طاعته ، وألمنا وإياكم
نقواء ، وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ٢٩٢)

١٧٢ — خطبة عمار بن ياسر

وقام بعده عمار ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال :
أيها الناس أخو نبيكم وابن عمه يستنفركم لنصر دين الله وقد بلاكم الله بحق دينكم ،
وحرمة أمكم ، فحق دينكم أوجب ، وحرمة أعظم .

« أيها الناس عليكم بإمام لا يؤدّب ، وقيه لا يعلم ، وصاحب بأس لا ينكّل ، وذى سابقة فى الإسلام ليست لأحد ، وإنكم لو قد حضرتموه بيّن لكم أمركم إن شاء الله » .

١٧٣ - خطبة أبى موسى الأشعرى

فلما سمع أبو موسى الأشعرى خطبة الحسن وعمار قام فصعد المنبر وقال :

الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد فجمنا بعد الفرقة ، وجعلنا إخواناً متحابين بعد العداوة وحرّم علينا دماءنا وأموالنا ، قال الله سبحانه : (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ) وقال تعالى : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا) فانقوا الله عباد الله . وضعوا أسلحتكم ، وكفوا عن قتال إخوانكم .

أما بعد ، يا أهل الكوفة إن طيعوا الله بأديا ، وتطيعونى ثانيا تكونوا جُرُومة^(١) من جرائم العرب ، ياوى إليكم المضطر ، ويأمن فيكم الخائف ، إن علياً إنما يستنفركم لجهاد أمكم عائشة وطلحة والزبير حوارى رسول الله ومن معهم من المسلمين ، وأنا أعلم بهذه الفتن . إنها إذا أقبلت شُبّهت ، وإذا أدبرت أسفرت ، إني خائف عليكم أن يلتقى غاراً من منكم فيقتل ، ثم يُترك كالأحلاس لللقاء بِنَجوة من الأرض لا يُدرى من أين تؤتى ، تترك الحليم حيران ، كأنى أسمع رسول الله صلى الله عليه وآله بالأس يذكر الفتن فيقول : أنت فيها ناعماً خير منك قاعداً ، وأنت فيها جالساً خير منك قائماً ، وأنت فيها قائماً خير منك ساعياً ، فتلّوا سيوفكم ، وقصّفوا رماحكم ، وأنصّلوا^(٢) سهامكم ، وقطعوا أوتاركم ، وخلوا قریشاً ترتق فتقها ، وترأب صدعها ، فإن فعلت فلا تنفسها مافعلت ، وإن أبت فعلت أنفسها ما جنت ، سمنها فى أديمها ، استنصحنى ولا تستفشنى ، وأطيعونى ولا تعصونى ، يتبين لكم رشدكم ، وتصلى هذه الفتنة من جناها .

(شرح ابن الحليد م ٢٩٣)

(١) جر موفة الشيء: أصله . (٢) أنصل السهم ونصله بالثدي: جعل فيه نصلاً وأزاله عنه ضد .

صورة أخرى

١٧٤ - خطبة أبي موسى الأشعري

وكانت الإمام عليّ من الرّبذة أبا موسى الأشعري - وكان عامله على الكوفة -
ليستنفر الناس لقتال عائشة ومن معها ، فتبطلهم وخطبهم ، فقال :

« أيها الناس : إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين محبوبوه في المواطن ، أعلم بالله
جلّ وعزّ وبرسوله صلى الله عليه وسلم ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقا ، فأنا مؤدّيه
إليكم ، كان الرأي ألاّ تستخفوا بسلطان الله عزّ وجلّ ، ولا تجترئوا على الله عزّ وجلّ ،
وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قديم عليكم من المدينة فتدروهم إليها ، حتى يجتمعوا ، وهم
أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم ، ولا تكلّفوا الدخول في هذا ، فأما إذ كان ما كان ،
فإنها فتنة صمّا ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد . والقاعد خير
من القائم ، والقائم خير من الراكب ، فكونوا جرّومة^(١) من جرائم العرب ،
فأغيدوا^(٢) السيوف ، وأنصّلوا الأسنة ، واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهد ،
حتى يلتمّ هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفتنة » .

(١) تاريخ الطبري ٥ : ١٨٧ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ١١٣)

١٧٥ - صورة أخرى

وخطب أيضاً في هذا الصدد ، قال :

« أيها الناس : أطيعوني تكونوا جرنومة من جرائم العرب ، يأوى إليكم المظلوم ، ويأمن فيكم الخائف ، إنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعلم بما سمعنا ، إن الفتنة إذا أقبلت شُبِّهَتْ ، وإذا أدبرت بَيِّنَتْ ، وإن هذه الفتنة باقرة^(١) كداء البطن ، تجري بها الشمال والجنوب ، والصبأ^(٢) والدَّبَّور ، فتسكن أحياناً ، فلا يُدْرَى من أين تأتي ، تَذَرُ الحليم كابن أمس ، شيموا^(٣) سيوفكم ، وقَصِّدُوا^(٤) رماحكم ، وأرسلوا سهامكم ، واقطعوا أوتاركم ، والزموا بيوتكم ، خلُّوا قريشاً إذا أبَوْا إلاَّ الخروجَ من دار الهجرة ، وفراد أهل العلم بالأمرة ، ترتق^(٥) فتقها ، وتَشْتَقِب^(٦) صدعها ، فإن فملت فلا نفسها سَمَتْ ، وإن أبت فعل أنفسا جنت ، سمها هَرَبِيْق في أديمها ، استنصحوني ولا تستغشوني ، وأطيعوني ينالكم لكم دينكم ودنياكم ، وبشيءٍ يحرق هذه الفتنة من جناها . »

١٧٦ - خطبة زيد بن صوحان

فقام زيد بن صوحان ، فثال^(٧) يده المقطوعة ، قال :

« يا عبد الله^(٨) بن قيس ، رُدَّ الْفُرَات عن أدراج^(٩) ، أَرُدَّه من حيث يحى . »

-
- (١) فتنة باقرة : صادعة للآفة شاقة للعصا . وفي الكامل لابن الأثير : فاقرة بانفاه ، وهي الداعية تسكر نقار الظهر . (٢) الصبأ : ريح تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار . والدبور : ريح تقابلها . (٣) شام سيفه يشيمه : غمده واستله ، ضد . (٤) التقصيد والقصد : السكسر بأى وجه كان أو بالنصف ، ورمح قصه ككتف وقصيد وأقصاد متكسر . (٥) رتق الفتق : سدّه . (٦) الشب : الإصلاح والإفساد ، والجمع والتفريق ، ضد . (٧) ثال : رفع ؛ قطعت يده يوم جلّولاه ، وقيل بالقادسية وقتال الفرس ؛ وقتل يوم الجبل (أسد الغابة ٢ : ٢٣٤) . (٨) هو اسم أب موسى . (٩) جمع درج بفتحين ، وهو للطريق .

حتى يعود كما بدأ ، فإن قدرت على ذلك ، فستقدر على ما تريد ، فدع عنك ما لست
مُدْرِكَه ، ثم قرأ : (اَلَمْ ، اَحْسِبَ النَّاسُ اَنْ يُبْرَكُوا اَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ،
وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِيْنَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَافِرِيْنَ) سبوا
إلى أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، وَأَنْفِرُوا^(١) إليه أجمعين ، تصيبوا الحق .

١٧٧ — خطبة القعقاع بن عمرو

قام القعقاع بن عمرو فقال :

« إني لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، أحب أن تَرْشُدُوا^(٢) ، وَلَا تُؤَلَّنْ لَكُمْ قَوْلًا
هُوَ الْحَقُّ ، أما ما قال الأمير فهو الأمر ، لو أن إليه سبيلاً ، وأما ما قال زيد فزيد عدو هذا
الأمر ، فلا تَنْتَصِحُوهُ ، فإنه لا يَنْزِعَ أحد من الفتنة طعن فيها ، وجرى إليها ، والقول
الذي هو الحق أنه لا بد من إمارة تنظيم الناس ، وَنَزَعَ^(٣) الظالم ، وَتَبَزَّعَ^(٤) المظلوم ، وهذا
على يلى بما ولى ، وقد أنصف في الدعاء ، وإنما يدعو إلى الإصلاح ، فأنفروا وكونوا من هذا
الأمر بمرأى ومسمع » .

١٧٨ — خطبة سيحان بن صوحان

وقال سيحان :

« أيها الناس : إنه لا بد لهذا الأمر وهؤلاء الناس من وال ، يدفع الظالم وَيُعِزُّ
المظلوم ، ويجمع الناس ، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه^(٥) ، وهو المأمون
على الأمة ، الفقيه في الدين ، فمن نَهَضَ إليه ، فإننا سائرُونَ معه » .

(١) اذهبوا . وكانت السيدة عائشة قد كتبت إليه كتاباً تأمره فيه بملازمة بيته أو نصرتها ، فقال :

أمرت أن أقر في بيتها ، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة ، فأمرتنا بما أمرت به ، وركبت ما أمرنا به .

(٢) رشد : كسر وفرح . (٣) نزَعَ وتكف . (٤) طلحة والزبير .

١٧٩ - خطبة الحسن بن علي

وقام الحسن بن علي رضي الله عنه ، فقال :

« أيها الناس : أجيئوا دعوة أميركم ، وسيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من يتغير إليه ، والله لأن يليه أولو النهى أمثل في العاجلة ، وخير في العاقبة ، فأجيئوا دعوتنا ، وأعِينُونَا عَلَى مَا ابْتَلَيْنَا بِهِ وَابْتَلَيْتُمْ ، وإن أمير المؤمنين يقول : قد خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً ، وإنى أذكر الله رجلاً رعى حق الله إلا نفَرَ ، فإن كنت مظلوماً أعانني ، وإن كنت ظالماً أخذ مني ، والله إن طلحة والزبير لأول من يابى ، وأول من غدر ، فهل استأثرت بمال ، أو بدلت حكماً ؟ فانفَرُوا ، فمروا بالمعروف ، وانفروا عن المنكر » .

(تاريخ الطبري ٥ : ١٨٨ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ١١٤)

١٨٠ - وفادة القعقاع بن عمرو إلى أصحاب الجمل

ولما نزل الإمام علي كرم الله وجهه بذي قار ، دعا القعقاع بن عمرو ، فأرسله إلى أهل البصرة ، وقال له : اتق هذين الرجلين — طلحة والزبير — يابن الحنفلية ، « وكان القعقاع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم » فادعُهما إلى الألفة والجماعة ، وعظم عليهما الفرقة ، وقال له : كيف أنت صانع فيما جاءك منهما ، مما ليس عندك فيه وصاة^(١) مني ؟ فقال : نلقاهم بالذي أمرت به ، فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأي ، اجتهدنا الرأي ، وكلمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي ، قال : أنت لها .

فخرج التمعقاع حتى قَدِمَ البصرة فبدأ بمائثة رضى الله عنها ، فسلم عليها ، وقال :
 أَيْ أُمِّ : مَا أَشْخَصَكَ وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبِلْدَةَ ؟ قَالَتْ : أَيْ يُنَى : إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ ،
 قَالَ : فَأَبْعَثِي إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، حَتَّى نَسْمَعَ كَلَامِي وَكَلَامَهُمَا ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِمَا نَجْدًا ، فَقَالَ :
 إِنِّي سَأَلْتُ أُمَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَشْخَصَهَا وَأَقْدَمَهَا هَذِهِ الْبِلَادَ ؟ فَقَالَتْ : إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ ،
 فَمَا تَقُولَانِ أُنْتُمَا ؟ أُمْتُابَانِ أَمْ مُخَالِفَانِ ؟ قَالَا : مُتَمَايِمَانِ ، قَالَ : فَأَخْبِرَانِي ، مَا وَجْهَ هَذَا
 الْإِصْلَاحِ ؟ فَوَاللَّهِ لَنْ عَرَفْنَاهُ أَنْصَلِحَنَّ ، وَلَنْ أَنْكَرْنَاهُ لَا نُصْلِحْ ، قَالَا : قَتَلَتْ عُمَانُ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنْ هَذَا إِنْ تَرِكَ كَانَ تَرَكًا لِلْقُرْآنِ ، وَإِنْ عَمِلَ بِهِ كَانَ إِحْيَاءً لِلْقُرْآنِ ،
 فَقَالَ : قَدْ قَتَلْنَا قَتْلَةَ عُمَانِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَأَنْتُمْ قِيلَ قَتَلْتُمْ أَقْرَبُ إِلَى الْإِسْقَامَةِ مِنْكُمْ
 الْيَوْمَ ، قَتَلْتُمْ سَمَائِيَّةَ إِلَّا رَجُلًا ، فَغَضِبَ لَهُمْ سِتَّةَ آلَافٍ ، وَاعْتَزَلُوكُمْ ، وَخَرَجُوا مِنْ بَيْنِ
 أَظْهُرِكُمْ ، وَطَلَبْتُمْ ذَلِكَ الَّذِي أَقْلَتْ — يَنْفِي حُرْقُوصَ بْنِ زُهَيْرٍ — فَغَضِبَ سِتَّةَ آلَافٍ
 وَمِنْ عَلَى رَجُلٍ ، فَإِنْ تَرَكْتُمُوهُ كُنْتُمْ تَارِكِينَ لِمَا تَقُولُونَ ، فَإِنْ قَاتَلْتُمُوهُمُ وَالَّذِينَ اعْتَزَلُوكُمْ
 فَأُذِيبُوا^(١) عَلَيْكُمْ ، فَالَّذِي حَذَرْنَاهُ وَقَرَّبْنَاهُ^(٢) بِهِ هَذَا الْأَمْرَ أَعْظَمُ مِمَّا أَرَأَاكُمْ تَكْرَهُونَ ،
 وَأَنْتُمْ أَحْمَقُ مِنْكُمْ مَضْرُورِيَّةٌ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ ، فَاجْتَمِعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ وَخِذْلَانِكُمْ نَصْرَةَ هَؤُلَاءِ
 كَمَا اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ لِأَهْلِ هَذَا الْخَلْدِ الْعَظِيمِ ، وَالذَّنْبِ الْكَبِيرِ .

فَقَالَتْ أُمُ الْمُؤْمِنِينَ : فَتَقُولُ أَنْتِ مَاذَا ؟ قَالَ : أَقُولُ هَذَا الْأَمْرَ دَوَاوِهُ التَّسْكِينِ ، وَإِذَا
 سَكَنَ اخْتَلَجُوا^(٣) ، فَإِنْ أَنْتُمْ بَايَعْتُمُونَا فَعَلَامَةُ خَيْرٍ ، وَتَبَاشِيرُ رَحْمَةٍ ، وَدَرَكٌ بِثَارِ هَذَا
 الرَّجُلِ ، وَعَافِيَةٌ وَسَلَامَةٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَإِنْ أَنْتُمْ آيَيْتُمْ إِلَّا مَكَابِرَةَ هَذَا الْأَمْرِ وَاعْتَصَفَاهُ ،
 كَانَتْ عَلَامَةُ شَرٍّ وَذَهَابَ هَذَا النَّارُ ، وَبَشَرَةُ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ هَزَاهَا^(٤) ، فَأَتَرُوا الْعَافِيَةَ
 تَرَزُّقُوهَا ، وَكُونُوا مَقَاتِيحَ الْخَيْرِ ، كَمَا كُنْتُمْ تَكُونُونَ ، وَلَا تَمْرُضُونَا لِلْبَلَاءِ ، وَلَا تَمْرُضُوا

(١) أَيْ غَلِبُوا وَانْتَصَرُوا عَلَيْكُمْ . (٢) قُرْبُهُ (كَسَمْعٍ) قُرْبُ مِنْهُ (كَكِرَامٍ) .

(٣) اضْطَرَبُوا وَتَفَكَّكُوا . (٤) الْمَهْزُوزَةُ وَالْمُزَاهَرَةُ : تَحْرِيكُ الْبَلَاءِ وَالْحُرُوبِ النَّاسِ .

هـ ، فَيَصْرَعَنَّا وَإِيَّاكُمْ ، وَأَيُّكُمْ أَفْهَى إِنْى لَأَقُولُ هَذَا وَأَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ ، وَإِنِى لَخَائِفٌ الْإِلَهِمْ
حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَاجَتَهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، الَّتِى قُلْتُ مُتَاعَهَا ، وَنَزَلَ بِهَا مَا نَزَلَ ، فَإِنْ
هَذَا الْأَمْرُ الَّذِى حَدَثَ لَيْسَ يُقَدَّرُ ، وَلَيْسَ كَالْأُمُورِ ، وَلَا كَقَتْلِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ ، وَلَا
النَّفَرِ الرَّجُلَ ، ، وَلَا الْقَبِيلَةِ الرَّجُلَ .

فَقَالُوا : نَعَمْ ، إِذْنِى قَدْ أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ الْمَقَالَةَ فَارْجِعْ ، فَإِنْ قَدَّمَ عَلَىَّ ، وَهُوَ عَلَى مِثْلِ
رَأْيِكَ ، صَلَحَ هَذَا الْأَمْرُ ، فَارْجِعْ إِلَى عَلَى فَأَخْبِرْهُ ، فَأَعِجِبْهُ ذَلِكَ ، وَأَشْرَفَ الْقَوْمُ عَلَى الصَّلَاحِ ^(١) .
(تاريخ الطبرى ٥ : ١٩١)

١٨١ - خطبة على بن أبى طالب

فَلَمَّا رَجَعَ الْقَمَقَاعُ مِنْ عِنْدَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَطَلْحَةَ وَالزَّيْبِرِ ، جَمَعَ الْإِمَامُ عَلَى النَّاسِ ، ثُمَّ قَامَ
عَلَى الْفَرَائِثِ ، فَحَمِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَكَرَ
الْجَاهِلِيَّةَ وَشَقَّاقَهَا ، وَالْإِسْلَامَ وَالسَّامِدَةَ ، وَإِنْعَامَ اللَّهِ عَلَى الْأُمَّةِ بِالْجَمَاعَةِ بِالْخَلِيفَةِ ، بِمَدْرُوسِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَدْنَى إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَدْنَى إِلَيْهِ ، ثُمَّ حَدَّثَ هَذَا الْحَدَّثَ ، الَّذِى جَرَّهَ
عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَقْوَامٌ طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا ، حَسَدُوا مِنْ أَقْدَامِهَا اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى الْفَضِيلَةِ ، وَأَرَادُوا
رَدَّ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَدْبَارِهَا ، وَافَّهَ بَانْعُ أَمْرِهِ ، وَمُصِيبُ مَا أَرَادَ ، أَلَا إِنِى رَاحِلٌ غَدًا فَارْتَحِلُوا ،
أَلَا وَلَا يَرْتَحِلُنْ غَدًا أَحَدٌ أَعَانَ عَلَى عِمَّانِ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ بَشِيءَ ، فِى شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ ،
وَلَيْفَئِى السَّفَهَاءُ عَنِ أَنْفُسِهِمْ .

(تاريخ الطبرى ٥ : ١٩٤)

(١) وَلَكِنْ السَّبْتَيْنِ أَحْبَبُوا مَسَاعِى الصَّلَاحِ ، إِذْ خَرَجُوا إِلَى الْفَلَسِ دُونَ أَنْ يَشْرِبَ بِهِمْ أَحَدٌ ؛ فَقَصَدَ
مَضْرَبَهُمْ مَضْرَبَ الْبَصَرَةِ ، وَرَبِيْعَهُمْ رَبِيْعَةَ الْبَصَرَةِ ، وَبَعَثَهُمْ بِمِنْ الْبَصَرَةِ ، وَوَضَعُوا فِيهِمُ السَّلَاحَ . فَتَارَكَ كُلَّ
قَوْمٍ قَوْمَ وَجْهِهِ أَصْحَابَهُمْ . وَدَارَتْ رَحَى الْقِتَالِ بَيْنَهُمْ ، وَكَلَّا تَفْرِيقَيْنِ لِيَلْمَ بِكُتْلِكَ الْمَكِيدَةَ ، وَكَانَ
بَيْنَهُمَا مَا كَانَ .

١٨٢ - خطبة لعلی

ولما أراد علیّ السیر إلى البصرة قام فخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله :

إن الله لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله . استأثرت علينا قریش بالأمر ، ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة ، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين ، وسفك دمائهم ، والناسُ حديثو عهد بالإسلام ، والذين يُمخض مخض الوطْب^(١) يفسده أدنى وهن ، وينكسه^(٢) أقل خلق ، فولى الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهدا ، ثم انتقلوا إلى دار الجزاء ، والله ولى تمحيص سيئاتهم ، والمفوع عن هفواتهم ، فما بال طلحة والزيير — وليس من هذا الأمر بسبيل — لم يصبرا علىَّ حولا ولا أشمرا حتى وثبا ومرفا ، ونازعاني أمرا لم يحل الله لها إليه سبيلا ، بعد أن بايعاني طائعين غير مكرهين ، يرتضعان أمّا قد قطعت ، ويحييان بدعة قد أميتت ، أدمَ عثمان زعما ؟ والله ما التيمة إلا عندهم وفيهم ، وإن أعظم حجتهم لعلی أنفسهم ، وأنا راض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم ، فإن فاءا وأنا با خظهما أحرزا ، وأنفسهما غنيا ، وأعظم بهما غنيمَةً ، وإن أبا أعطيتهما حدَّ السيف ، وكفى به ناصرا لحقٍّ ، وشافيا لباطل » ثم نزل .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ١٠٢)

(١) الوطْب : سقاء اللبن . (٢) في الأصل « ويمكسه » وأثره محرفا . شكه : قلبه على رأسه .

١٨٣ - خطبة لعل

وخطب فقال :

« الحمد لله على كل أمر وحال ، في الندوة والآصال ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ابتعثه رحمة للعباد ، وحياء للبلاد ، حين امتلأت الأرض فتنة ، واضطرب حيلها ، وعُبد الشيطان في أكنافها ، واشتمل عدو الله إبليس على عقائد أهلها ، فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي أطفأ الله به نيرانها ، وأخذ به شرارها ، ونزع به أوتادها ، وأقام به ميلها ، إمام الهدى ، والنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، فلقد صدع بما أمر به ، وبلغ رسالات ربه ، فأصلح الله به ذات البين ، وآمن به السبل ، وحقق به الدماء ، وألف به بين ذوى الضغائن الواغرة في الصدور ، حتى أتاه اليقين ، ثم قبضه الله إليه حميدا .

ثم استخلف الناس أبا بكر فلم يأل جهده ، ثم استخلف أبو بكر عمر فلم يأل جهده ، ثم استخلف الناس عثمان ، فقال منكم وتلم منه ، حتى إذا كان من أمره ما كان ، أتيتموني لتبايعوني فقلت لا حاجة لي في ذلك ودخلت منزلي فاستخرجتموني ، فقبضت يدي فبسطتموها ، وتذا ككنتم علي حتى ظننت أنكم قاتلي ، وأن بعضكم قاتل بعض ، فبايعتموني وأما غير مسرور بذلك ولا جذل ، وقد علم الله سبحانه أني كنت كارها للحكومة بين أمة محمد صلى الله عليه وآله ، ولقد سمعته صلى الله عليه وآله يقول : « ما من وال يلى شيئا من أمر أمتي إلا أتني به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه على رؤوس الخلائق ، ثم يُنشر كتابه ، فإن كان عادلاً نجاً ، وإن كان جائرًا هوى » حتى اجتمع على ملوكهم ، وبايعني طلحة والزبير ، وأنا أعرف الصدر في أوجههما ، والنسك في أعينهما ، ثم استأذنانى في العمرة فأعلمتهما أن ليس العمرة يريدان ، فساراً إلى مكة واستخفعا نساء وخدعاهما ، وشخص معهما أبناء الطلقاء ، فقدموا البصرة فقتلوا بها المسلمين وفعلوا للنكر ، وباعبجا

لاستقامتهما لأبي بكرٍ وعمر وبقيهما علىٰ وهما يفلّان أنىٰ لست دون أحدهما ، ولو شئت أن أقول لقلتُ ، ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشّام كتاباً يخدعهما فيه ، فكتماهُ عني ، وخرجا يوهمان الطّعام أنهما يطلبان بدم عثمان ، والله ما أنكرا علىٰ منكرنا . ولا جعلنا بيني وبينهم نصفاً ، وإن دم عثمان لمصوب بهما ومطلوبٌ منهما ، يا خيبة الدّاعي إلّام دعا ؟ وبماذا أجيب ؟ والله لئنهما لملىٰ ضلالة صمّاء ، وجهالة عنياء ، وإنّ الشيطان قد ذمر لها حزبه ، واستجلب منهما خيله ورّجه ، ليعيد الجور إلىٰ أوطانه ، ويردّ الباطل إلىٰ نصابه .

ثم رفع يديه فقال : اللهم إنّ طلحة والزبير قطعاني وظلماني وألبّا علىٰ ، فاحلّ ما قدّدا ، وانكّ ما أبرما ، ولا تنفر لهما أبداً ، وأرهما للسّاءة فيما عملا وأمثلا .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ١٠٢)

١٨٤ — خطبة الأشتر

فقام إليه الأشتر فقال :

« الحمد لله الذي منّ علينا فأفضل ، وأحسن إلينا فأجمل ، قد سمينا كلامك يا أمير المؤمنين ، ولقد أصبتَ ووُفقتَ وأنت ابن عم نبينا ، وصهره ووصيه ، وأزل مصدق به ومصلّ معه ، شهدت مشاهدك كلها ، فكان لك الفضل فيها علىٰ جميع الأمّة ، فن اتبعك أصاب حظّ ، واستبشر بفلّج^(١) ، ومن عصاك ورغب عنك فإلىٰ أمه الهاوية ، لعمري يا أمير المؤمنين ما أسر طلحة والزبير وعائشة علينا بمُخيل^(٢) ، ولقد دخلَ الرّجلان فيما دخلا فيه ، وفارقا علىٰ غير حدّث أحدثت ولا جّور صنعت ، فإن زعما أنهما يطلبان بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما ، فإنهما أوّل من ألب عليه وأغرى النّاس بدمه ، وأشهد الله أن لم يدخلوا فيما خرّجا منه لنلحقنهما بعثمان ، فإن سيوفنا في عواتقنا ، وقلوبنا في صدورنا ، ونحن اليوم كما كنّا أمس » ثم قدّم .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ١٠٢)

(١) الفلج : الفوز . (٢) من أخالت النّاقة إذا كان في ضرعها لبن ، والأرض بالنبات ازدانت .

١٨٥ — خطبة السيدة عائشة (توفيت سنة ٥٧ هـ)

وخطبت السيدة عائشة وقد أخذ الناس مصافهم للحرب فقالت :

« أما بعد : فإننا كنا نعلمنا على عثمان ضرب السوط ، وإسرة الفتيان ، وموقع السعابة المحمية ، ألا وإنكم استعبتموه فأعبتكم ، فلما مُصّتموه^(١) كما يخاص الثوب الرّحيض^(٢) عدوتم عليه ، فارتسبتم منه دما حراما ، وإيم الله إن كان لأحسنكم فرجا ، وأتقاكم لله » .

(شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٨١)

١٨٦ — خطبة لعلی

وخطب على لما تواقف الجمعان فقال :

« لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤكم ، فإنكم محمد الله على حجة ، وكفكم عنهم حتى يبدؤكم حجة أخرى ، وإذا قاتلتهم فلا تجهزوا على جريح ، وإذا هزمتهم فلا تتبعوا مدبرا ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تملأوا بقتيل ، وإذا وصلتم إلى حال القوم فلا تهتكوا سقرا ، ولا تدخلوا دارا ، ولا تأخذوا من أموالهم شيئا ، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أمراضكم ، وسببن أمراءكم وصلحاءكم ، فإنهن ضعاف القول والأنفس والعقول ، لقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات ، وإن كان الرجل لينتاول المرأة بالهراوة والجريدة ، فيعير بها وعقبه من بعده »

(شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٨١)

(١) الموص : ذلك باليد . (٢) رخص الثوب كتمه : غشاه فهو رحيض ومرحوض .

١٨٧ - خطبة السيدة عائشة يوم الجمل

وخطبت السيدة عائشة رضي الله عنها أهل البصرة يوم الجمل فقالت :

« أيها الناس : مه مه ، إن لي عليكم حقًّا الأُمومة ، وَحُرْمَةُ الْمَوْعِظَةِ ، لَا يَتَّبِعُنِي إِلَّا مَنْ عَمِيَ رَبِّهِ ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَخَرِي ^(١) وَنَحْرِي ، فأنا إحدى نسائه في الجنة ، له أدخرنِي رَبِّي ، وَخَلَصَنِي مِنْ كُلِّ بَضَاعَةٍ ، وَبِي مَيْزَ مَنَافِقِكُمْ مِنْ مُؤْمِنِكُمْ ، وَبِي أَرْخَصَ اللَّهُ لَكُمْ فِي صَيِّدِ الْأَنْبَاءِ ^(٢) ، ثُمَّ أَيْ ثَانِي اثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا وَأَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ صِدِّيقًا ، مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاضِيًا عَنْهُ ، وَطَوَّقَهُ أَعْبَاءُ الْإِمَامَةِ ، ثُمَّ اضْطَرَبَ حَبْلُ الدِّينِ بَعْدَهُ ، فَسَكَ أَبُو بَطْرِيفِهِ ، وَدَثِقَ لَكُمْ فَتَقَ النِّفَاقِ ، وَأَغَاضَ نَبْعَ الرَّدَّةِ . وَأَطْلَأَ مَا حَسَّ ^(٣) يَهُودُ ، وَأَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ جُعِلَتِ الْعِيُونَ ، تَنْظُرُونَ الْقَدْرَةَ ، وَتَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ ، فَرَأَبَ الثَّانِي ^(٤) وَأَوْدَ ^(٥) مِنَ الْفِلْطَلَةِ ، وَانْتَأَشَ مِنَ الْهُوَةِ ،

(١) السحر : الرثة . (٢) الصميد : الزراب أو وجه الأرض ، والأنباء : قرية بها قبر أمّة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم ، تشبّر إلى ما حدث ببركتها من ترخيص المولى (جبل وعلا) للمسلمين في التيمم إذا لم يجدوا ماء يتوضئون به . وفي الحديث : « عن عائشة رضي الله عنها : قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقدي ، فأقام رسول الله على القمامة ، وأقام الناس معه وليسوا على ماء ، ذق الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة ؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ، وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فجاء أبو بكر ورسول الله قد نام ، فقال حبست رسول الله والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فقالت عائشة فأتيتني أبو بكر ، وقال ما شاء الله أن يقول ، وجعل يطمئن يديه في خصاصرقي ، فقام رسول الله حين أصبح على غير ماء ، فأنزل الله آية التيمم ، فتييموا ، فقال أسيد بن الحضير (بصيغة التصغير) ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر ، قالت فبعثنا البعير الذي كنت عليه فأصبنا المقدحته » (راجع الحديث كاملا في باب التيمم من صحيح البخاري ١ : ٧٠ ، وصحيح مسلم ١ : ١٤٦) . (٣) حش النار : أوقدها . (٤) الثأبي ، والثأبي يسكون الهزنة وتضعها : الإفساد . (٥) أودّه فتأود : عطفه فانمطف .

وَأَجْتَعَى^(١) دَفِينَ الْمَاءِ ، حَتَّى أَغْلَقَ^(٢) الْوَارِدُ ، وَأَوْرَدَ الصَّادِرُ ، وَعَلَى^(٣) النَّاهِلِ ،
فَقَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَاطْمَأَنَّ عَلَى هَامَاتِ^(٤) النِّفَاقِ ، مُذْكَيًا^(٥) نَارَ الْحَرْبِ لِلْمُشْرِكِينَ ، فَانْتَضَمَتْ
طَائِفَتُكُمْ بِجَبَلِهِ ، فَوَلَّى أَمْرَكُمْ رَجُلًا مُرْعِيًّا إِذَا رُكِنَ إِلَيْهِ ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ اللَّابَتَيْنِ^(٦) ،
عُرْكَةَ لِلْأَذَاةِ يَحْتَنِيهِ^(٧) ، صَقُوحًا عَنْ أَذَاةِ الْجَاهِلِينَ ، يَقْظَانُ اللَّيْلَ فِي نَصْرَةِ الْإِسْلَامِ ،
فَسَلَكَ مَسْلَكَ السَّابِقَةِ ، فَفَرَّقَ شَمْلَ الْقِتَّةِ ، وَجَمَعَ أَعْضَادَ مَا جَمَعَ الْقُرْآنُ ، وَأَنَا نُصَبُ الْمَسْأَلَةَ
عَنْ مَسِيرِي هَذَا ، لَمْ أَلْمَسْ إِنَّمَا ، وَلَمْ أُوْنِسْ قِتَّةَ أُوطِسْكُوهَا ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا صَدَقًا وَعَدْلًا ،
وإِعْذَارًا وَإِنْذَارًا ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَصِلَ عَلَى عَمْدٍ ، وَأَنْ يَخْلِفَهُ فِيكُمْ بِأَفْضَلِ خِلَافَةِ الْمُرْسَلِينَ .
(المقد للفرید ٢ : ١٥٦ - ٢٢٦)

١٨٨ - خطبة زفر بن قيس

وكتب الإمام على كرم الله وجهه ، مع زُفَرِ بْنِ قَيْسٍ إِلَى جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ
— وَكَانَ عَلَى ثَوَرٍ تَمَّذَانِ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهِ عُمَانُ — كِتَابًا يَخْبِرُهُ فِيهِ بِمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِ
الْجَلِ ، وَمَا أَوْقَى مِنَ الْإِنْتِصَارِ عَلَيْهِمْ ، وَاسْتَعْمَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ ، فَلَمَّا قَدِمَ زُفَرٌ عَلَى
جَرِيرٍ بِكِتَابٍ عَلَى قِرَاءَةِ جَرِيرٍ ، قَامَ زُفَرٌ خَطِيبًا ، فَحَمْدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَيْكُمْ بِكِتَابٍ ، لَا نَقُولُ بَعْدَهُ إِلَّا رَجِيْعًا^(٨) مِنْ
الْقَوْلِ ، إِنْ النَّاسُ بَايَعُوا عَلِيًّا بِالْمَدِينَةِ غَيْرَ مَحَابَاتٍ يَبِيعْتُهُمْ ، لَعَلَّهُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَبِرِّى الْحَقِّ

(١) اجتماع : استأصله . (٢) أعلن الإبل : حبسها عند الماء . (٣) النل والليل : (بفتحين)

للشرب بعد الشرب ثباعا هل يمل يكرس العين وضعا ، والنهل : أول الشرب نهل ينهل كفتح .

(٤) جمع هامة : وهى الرأس . (٥) مشعلا . (٦) اللابة : الحرة : يفتح الماء (أرض ذات حجارة

نخرة سود) ولابتا المدينة : حرتان تكتنفانها . أرادت أنه واسع الصدر واسع البطن فاستارت له اللابة ، كما

يقال : رحب الفناء واسع الجنب . (٧) أى يترك الأذى بحبسه : أى يحتمله . وفى هذه الخطبة تحريف شديد

فى الأصل وقد أصلحته كما يتبين بالمراجعة . (٨) الرجيع : كل مردود .

فيه ، وإن طلحة والزبير تَقَضَّاهُ بَيْمَةً عَلَيَّ عَلَى غَيْرِ حَدَثٍ ، ثُمَّ لَمْ يَرْضَا حَتَّى نَصَبَا لَهُ
الْحَرْبَ ، وَالْبَأْسَ^(١) عَلَيْهِ النَّاسُ ، وَأَخْرَجَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ مِنْ حِجَابٍ ضَرَبَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا ، فَفَقِيهْمَا فَأَعْدَرَفِي الدَّعَاءَ ، وَخَشِيَ الْبَغْيَ ، وَحَمَلَ النَّاسُ عَلَى
مَا يَمْرُقُونَ ، فَهَذَا عَيَانٌ^(٢) مَا غَابَ عَنْكُمْ ، وَإِنْ سَأَلْتُمُ الزِّيَادَةَ زِدْنَاكُمْ .
(الإمامة والسياسة ١ : ٦٩)

١٨٩ — خطبة جرير بن عبد الله البجلي

وَقَامَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ خَطِيْبًا ، فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
« أَيُّهَا النَّاسُ : هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَهُوَ لِلْأُمَمِ عَلَى الدِّينِ
وَالدُّنْيَا ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرُ عَدُوِّهِ مَا قَدْ سَمِعْتُمْ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَفْضَلِيَّتِهِ ، وَقَدْ بَايَسَهُ
السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَالتَّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ ، وَلَوْ جَعَلَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ
شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لَكَانَ عَلِيٌّ أَحَقَّ بِهَا ، أَلَا وَإِنْ الْبَقَاءُ فِي الْجَمَاعَةِ ، وَالْقَنَاءُ فِي الْفِرْقَةِ ،
وَعَلَيٌّ حَامِلُكُمْ مَا اسْتَقَمْتُمْ لَهُ ، فَإِنْ مِثْلُكُمْ أَقَامَ مِثْلَكُمْ . »
قَالَ النَّاسُ : سَمِعْنَا وَطَاعْنَا ، وَرِضَانَا رِضًا مِنْ بَعْدِنَا .
(الإمامة والسياسة ١ : ٦٩)

١٩٠ — خطبة زياد بن كعب

وَكُتِبَ الْإِمَامُ عَلَى كَرِّمِ اللَّهِ وَجْهَهُ ، إِلَى الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ — وَكَانَ عَامِلًا
بِأَذْرَبِجَانَ ، اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا عُثْمَانُ — بِمِثْلِ مَا كُتِبَ بِهِ إِلَى جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَوَجْهَهُ
بِالْكِتَابِ مَعَ زِيَادِ بْنِ كَعْبٍ ، فَلَمَّا قَرَأَ الْأَشْعَثُ كِتَابَ عَلِيٍّ ، قَامَ زِيَادُ بْنُ كَعْبٍ خَطِيْبًا
فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

(١) حرصا . (٢) مصدر عابن الشيء : إذا رآه بعينه .

« أيها الناس : إنه مَنْ لم يَكْفِهِ القليل ، لم يَكْفِهِ الكثير ، وإنَّ أمرَ عثمان لم يَنْفَع فيه اليَمَانُ ، ولم يَشْفِ منه الخَبَرُ ، غيرَ أَنَّ مَنْ سَمِعَهُ ليس كمن عاينَهُ ، وإنَّ المهاجرين والأنصار بايعوا عليًّا راضين به ، وإنَّ طلحة والزبير نقضا سَيِّئةَ عَلِيٍّ على غير حَدَثٍ ، وأخرجوا أمَ المؤمنين على غير رضا ، فسار إليهم ولم ينلهم ، فتركهم وما في نفسهم منهم حاجةٌ فأورثه الله الأرضَ ، وجعل له عاقبةً للمتقين » .
(الإمامة والسياسة ١ : ٧٠)

١٩١ - خطبة الأشعث بن قيس

فقام الأشعث بن قيس فقال :

« أيها الناس : إنَّ عثمان رحمه الله وَلَانِي أَذْرِيَّجَان ، وهلكَ وهى في يدي ، وقد بايعَ الناسَ عَلِيًّا ، وطاعَتُنَا لَهُ لازمةٌ ، وقد كان من أمرِهِ وأمرِهِ عِدْوَةٌ ماقد بِنفسكم ، وهو للمأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك » .
(الإمامة والسياسة ١ : ٧٠)

١٩٢ - خطبة جرير بن عبد الله البجلي

وبعثَ عليٌّ إلى معاوية مع جرير بن عبد الله البجلي بكتاب يدعوهُ إلى بيعته ، فلما قرأ الكتاب قام جرير فخطب فقال :

« الحمد لله الحمود بالعوائد ، للمأمول فيه الزوائد ، المرجى منه الثواب ، المستعان على النوائب ، أحده وأستمينه في الأمور التي تَحْمِيُّ دُونَهَا الألباب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بعد فترة من الرسل الماضية ، والقرون الخالية ، فبلغ الرسالة ، ونصح اللامة ، وأدَّى الحق الذي استودعه الله وأمره بأدائه إلى أمته ، صلى الله عليه وآله ، من رسول ومبتمتٍ ومنتخبٍ وعلى آله .

أيها الناس إن أمر عثمان قد أعيان من شهده ، فكيف بمن غاب عنه ، وإن الناس
 بايوا عليا غير وتر ولا موتور ، وكان طلحة والزبير بمن بايعاه ، ثم نكثنا بيعته على غير
 حدث ، ألا وإن هذا الدين لا يحتمل الفتن ، وقد كانت بالبصرة أمس روعة مُلِّمة ، إن
 يشفع البلاء بمثلي فلا بقاء للناس ، وقد بايئت الأمة علياً ، ولو ملكنا والله الأمور لم
 نختر لها غيره ، فادخل معاويةُ فيما دخل فيه الناس ، فإن قلت استعملني عثمان ثم لم يعزني
 فإن هذا قول لو جاز لم يتم لله دين ، وكان لكل امرئ ما في يديه ، ولكن الله جعل
 للأخ من الولاء حقَّ الأول . وجعل الأمور موطأة ينسخ بعضها بعضاً ثم قعد .

(شرح ابن أبي الحديد : ١ : ٢٤٨)

١٩٣ — خطبة معاوية

فقال معاوية : أنظر وتنظر وأستطلع رأي أهل الشام ، فضت أيام ، وأمر معاوية
 مناديا ينادى : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس صعد المنبر ثم قال :
 « الحمد لله الذي جعل الدعائم للإسلام أركاناً ، والشرائع للإيمان برهانا ، يتوقد قَبَسُه
 في الأرض للقدسة ، جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عباده ، فأحلهم أرض الشام ،
 ورضيهم لها ، لما سبق في مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم خلفاءه والقوَّام بأمره ،
 والذابين عن دينه وحرمانه ، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاماً ، وفي سبيل الخيرات أعلاماً ،
 يردع الله بهم الناكثين ، ويجمع بهم أئمة المؤمنين ، والله نستعين على ما تشب من أمر
 المسلمين بعد الانشام ، وتباعد بمد القرب .

اللهم انصرنا على أقوام يوقظون نائمنا ، ويخيفون آمنتنا ، ويريدون إراقة دماءنا ،
 وإخافة سبلنا ، وقد علم الله أنا لا نريد لهم عقاباً ، ولا نهتك لهم حجاباً ، ولا نوطئهم زلفاً ،
 غير أن الله الحميد كانا من الكرامة ثوباً لن نزع طوعاً ، ما جابوب الصدى ، وسقط
 الندى ، وعُرف الهدى ، حلهم على ذلك البنى والحسد ، فنستعين بالله عليهم .

« أيها الناس قد علمتم أني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وأمير المؤمنين عثمان ابن عفان عليكم ، وأنى لم أقم رجلا منكم على خِزَاية قط ، وأنى ولّى عثمان وقد قتل مظلوما ، والله تعالى يقول « وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا » وأنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان .

فقام أهل الشام بأجمعهم فأجابوا إلى الطلب بدم عثمان وبايعوه على ذلك ، وأوثقوا له على أن يبذلوا بين يديه أموالهم وأنفسهم حتى يدركوا بثأره أو تلحق أرواحهم بالله .
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٤٨)

فتنة معاوية

استطلاع الإمام عليّ - كرم الله وجهه آراء أصحابه

وقد أراد السير إلى الشام

لما أراد الإمام عليّ - كرم الله وجهه السير إلى الشام ، دعا من كان معه من المهاجرين والأنصار فجمعهم .

١٩٤ - خطبة الإمام عليّ -

نم حمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فإنكم مَيَّامِينُ الرأى ، مَرَّاجِحُ الحلم ، مُبَارِكُوا الأمر ، مَقَاوِيلُ بالحق ، وقد عزمنا على السير إلى عدونا وعدوكم ، فأشيروا علينا برأيكم » .

١٩٥ - خطبة هاشم بن عتبة

فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقَّاص ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد - يا أمير المؤمنين - فأنا بالقوم جِدُّ خَيْرٍ ، هم لك ولأشياحك أعداء ، وهم لمن يطلب حَرْثُ^(١) الدنيا أولياء ، وهم مقاتلوك ومجادلوك ، لَا يُبْقُونَ جُهْدًا ، مُشَاحَّةً^(٢) على الدنيا ، وَضِنًا^(٣) بما في أيديهم منها ، ليس لهم إِرْبَةٌ^(٤) غيرها ،

(١) لى متاعها . (٢) بخلا عليها وحرسا . (٣) ضن ضنا : بالكسر وضنافة بالفتح : بخل .

(٤) الإربة : الأرب .

إِلَّا مَا يَخْذَعُونَ بِهِ الْجَهْلَالُ ، مِنْ طَلَبِ دَمِ ابْنِ عَفَانَ ، كَذَبُوا لَيْسُوا لَهُمْ يَنْفِرُونَ^(١) وَلَكِنْ الدُّنْيَا يَطْلُبُونَ ، انْهَضْ بَنَا إِلَيْهِمْ ، فَإِنْ أَجَابُوا إِلَى الْحَقِّ فَلَيْسَ بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ، وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا الشَّقَاقُ ، فَذَلِكَ ظَنِّي بِهِمْ ، وَاللَّهِ مَا أَرَامُ يَبَايَعُونَ ، وَقَدْ بَقِيَ فِيهِمْ أَحَدٌ مِمَّنْ يَطَّاعٌ إِذَا نَعَى ، وَلَا يَسْمَعُ إِذَا أَمَرَ .

١٩٦ - خطبة عمار بن ياسر

وَقَامَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ، خَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ :
« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ اسْتَطَعْتُ أَنْ لَا تُقِيمَ يَوْمًا وَاحِدًا فَافْعَلْ ، اشْخَصْ بِنَا قَبْلَ اسْتِعَارِ^(٢) نَارِ الْفَجْرِ ، واجْتَماعِ رَأْيِهِمْ عَلَى الصَّدُودِ وَالْفُرْقَةِ ، وَاذْعَمِهِمْ إِلَى حَظِّهِمْ وَرُشْدِهِمْ ، فَإِنْ قَبِلُوا سَعِدُوا ، وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا حَرْبَنَا ، فَوَاللَّهِ إِنْ سَفَكَ دِمَائَهُمْ ، وَالْجِدَّةُ فِي جِهَادِهِمْ ، لَقُرْبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ، وَكَرَامَةٌ مِنْهُ . »

١٩٧ - خطبة قيس بن سعد بن عباد

ثُمَّ قَامَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَبَّادَةَ ، خَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : انْكَشِ^(٣) بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا وَلَا تُعَرِّجْ ، فَوَاللَّهِ لَجِهَادِهِمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جِهَادِ التُّرْكِ وَالرُّومِ ، لِإِدْهَانِهِمْ^(٤) فِي دِينِ اللَّهِ ، وَاسْتِذْلَالِهِمْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ ، إِذَا غَضِبُوا عَلَى رَجُلٍ جَبَسُوا وَضَرَبُوهُ وَحَرَمَوْهُ وَسَيَّرُوهُ^(٥) ، وَقَتِينَا لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَلَالٌ ، وَنَحْنُ لَهُمْ فِيمَا يَزْعَمُونَ قَطِينٌ^(٦) . »

(١) نفر للأمر : ذهب له . (٢) أي اشتغال . (٣) انكش وتكش : أسرع .
(٤) الإدهان : اللدانة والقتل . (٥) المراد أبعدوه . (٦) القطين : الرقيق والخدم .

قال أشياخ الأنصار ، منهم خزيمة بن ثابت وأبو أيوب وغيرهما : لِمَ تَقَدَّمْتَ
أشياخ قومك ، وبدأنهم بالكلام يا قيس ، فقال : أما إني عارف بفضلكم ، مُعْظَم
لثأنكم ، ولكنني وجدت في نفسي الضغن الذي في صدوركم ، جاش حين ذكرت
الأحزاب ، فقال بعضهم لبعض : ليقم رجل منكم ، فليُجِيبَ أمير المؤمنين عليه السلام
عن جماعتكم .

١٩٨ - خطبة سهل بن حنيف

قام سهل بن حنيف ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« يا أمير المؤمنين : نحن سِلْمٌ لِمَنْ سَأَلَ ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَ ، وَرَأَيْنَا رَأْيَكَ ،
وَنَحْنُ بِعَيْنِكَ ، وَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ تَقُومَ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَتَأْمُرَهمُ بِالشُّخُوصِ ، وَتُغَيِّرَهمُ بِمَا صُنِعَ
لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْفَضْلِ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْبِلَادِ ، وَهَمَّ النَّاسُ ، فَإِنْ اسْتَقَامُوا لَكَ ، اسْتَقَامَ لَكَ
الَّذِي تَرِيدُ وَتَطْلُبُ ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَيْسَ عَلَيْكَ خِلَافٌ مِنَّا ، مَتَى دَعَوْتَنَا أَجَبْنَاكَ ، وَمَتَى
أَمَرْتَنَا أَطَعْنَاكَ » .

١٩٩ - خطبة الامام علي

وقام الإمام علي خطيباً على منبره ، يحرّض الناس ويأمرهم بالمسير إلى صفين ، لقتال
أهل الشام ، فقال :
« سِيرُوا إِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ ، سِيرُوا إِلَى أَعْدَاءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ ، سِيرُوا إِلَى بَقِيَةِ الْأَحْزَابِ ^(١)
وَقَتَلَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ » .

(١) يشير إلى الأحزاب التي تألبت وتظاهرت على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ،
وعطفان ، وبنو مرة ، وبنو أشجع ، وبنو سلم ، وبنو أسد في غزوة الأحزاب - غزوة الخندق - التي كانت
سنة خمس الهجرة ، وكانت عدة الجميع عشرة آلاف مقاتل وقتلهم أبو سفيان .

قام رجل من بني قُزارة فقال له : أريد أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل الشام
تقتلهم كُلاً ، كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة تقتلهم كُلاً ؟ ها الله^(١)
إذن لا نضل ذلك ، قام الأشتر فقال : من هذا المارق ؟ فهَرَبَ الْفَزَارِيُّ ، واشتد الناس
على أثره ، فَلَحِقَ فِي مَكَانٍ مِنَ السُّوقِ ، تَبَاعَ فِيهِ الْبَرَاذِينُ^(٢) ، فَوَطَّئُوهُ بِأَرْجُلِهِمْ ،
وَضَرَبُوهُ بِأَيْدِيهِمْ وَنَصَلَ سِوْفُهُمْ ، حَتَّى قُتِلَ ، فَأَتَى عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقِيلَ لَهُ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قُتِلَ الرَّجُلُ ، قَالَ : وَمَنْ قَتَلَهُ ؟ قَالُوا : قَتَلْتَهُ هَهُذَانِ وَمَعَهُمْ شَوْبُ^(٣)
مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَ : قَتِيلٌ عِمِّيَّةٌ^(٤) لَا يُذْكَرُ مَنْ قَتَلَهُ ، دَبَّتْهُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ،
فَقَامَ الْأَشْتَرُ فَقَالَ :

٢٠٠ - خطبة الأشتر النخعي

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَهْدُوكَ مَا رَأَيْتَ ، وَلَا يُؤَلِّفُكَ مِنْ نَعْرِنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ
مَقَالَةِ هَذَا الشَّقِيِّ الْخَائِثِ ، إِنْ جَمِيعٌ مِمَّنْ تَرَى مِنَ النَّاسِ شَيْعَتُكَ ، لَا يَزْعُمُونَ بِأَنْفُسِهِمْ
عَنْ نَفْسِكَ ، وَلَا يَحِبُّونَ الْبَقَاءَ بِدُوكَ ، فَإِنْ شِئْتَ قَسِرْنَا إِلَى عِدْوِكَ ، فَوَاللَّهِ مَا يَنْجُو مِنْ
لُوتٍ مَنْ خَافَهُ ، وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءُ مِنْ أَحَبِّهِ ، وَإِنَّا لَعَلَّ بَيْنَنَا مِنْ رَبَّنَا ، وَإِنْ أَنْفُسُنَا
لَنْ تَمُوتَ حَتَّى يَأْتِيَ أَجْلُهَا ، وَكَيْفَ لَا قَاتِلَ قَوْمًا كَمَا وَصَفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ
وُثِّبَتْ عِصَابَةٌ مِنْهُمْ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَمْسِ ، وَبَاعُوا خَلَاقَهُمْ^(٥) بِعَرَضٍ مِنْ
الدُّنْيَا يَسِيرُ . »

فَقَالَ عَلَى : الطَّرِيقُ مُشْتَرَكٌ ، وَالنَّاسُ فِي الْحَقِّ سَوَاءٌ ، وَمَنْ اجْتَهِدَ رَأْيَهُ فِي نَصِيحَةِ
السَّامَةِ ، فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ « ثُمَّ نَزَلَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ . »

(١) هـى ها التنيه ، وهى تدخل على اسم الله فى القسم عند حذف الحرف ، تقول : ها الله بقطع
الحزبة ووصلها ، وكلاهما مع إثبات أنفه ها وحذفها . (٢) البراذين : الدواب ، جمع برذون .
(٣) غليط . (٤) قتل عميا بكسر العين والميم مشددة مع تشديد الياء : لم يد من قتله . (٥) الخلاق :
التصيب الوافر من الخير .

٣٠١ - مقال من ثبطوه عن المسير

ولما أمر الإمام بالمسير إلى الشام ، دخل عليه عبد الله بن المقمّم المَدَنِي وَحَفَظَته ابن الزَّيَّيع التَّمِيمِي ، في رجال كثير من غَطَفَان وَبَنِي تَمِيم ، فقال له حَفَظَته :

« يا أمير المؤمنين : إنا قد مشينا إليك في نصيحة فاقْبَلْها ، وَرَأَيْنَاكَ رَأْيًا فَلَا تَرَدُّهُ عَلَيْنَا ، فَإِنَّا نَظَرْنَا لَكَ وَلَمْ نَمَعَكَ ، أَقِمْ وَكَاتِبَ هَذَا الرَّجُلِ ، وَلَا تَفْجَلْ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ ، فَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَدْرِي وَلَا تَدْرِي لِمَنْ تَكُونُ الْمَلَبَةُ إِذَا التَقَيْتُمْ ، وَلَا عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّيْرَةُ ^(١) . »

وقال ابن المقمّم مثل قوله ، وتكلم القوم الذين دخلوا معهم بمنزل كلامهما .

٣٠٢ - رد الإمام عليهم

فحمد على عليه السلام الله وأثنى ، ثم قال :

« أما بعد : فَإِنَّ اللَّهَ وَارِثُ الْمِبَادِ وَالْبِلَادِ ، وَرَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، يُوَفِّي الْمَالِكَ مِنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمَالِكَ مِنْ يَشَاءُ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، أَمَا الدَّيْرَةُ ، فَإِنَّهَا عَلَى الضَّالِّينَ الْمَاصِينَ ، ظَفَرُوا أَوْ ظَفَرُوا بِهِمْ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ قَوْمٍ مَا أَرَامُ بِمَرْفُوعٍ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا . »

فقام إليه مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ الرَّيَّاحِيُّ فَقَالَ :

« يا أمير المؤمنين : إِنْ هُوَ لَاءُ وَاللَّهِ مَا آتَوْكَ بِنَصَحٍ ، وَلَا دَخَلُوا عَلَيْكَ إِلَّا بِفَشٍ ، فَاحْذَرِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ أَدْنَى الدَّيْرِ . »

(١) الديرة بسكون الباء وضحاها : الغزيرة في القتال .

وقال له مالك بن حبيب : « إنه بلغني يا أمير المؤمنين أن حنظلة هذا يكاتب معاوية ، فأدفعه إلينا نحسبه ، حتى تَنْقَضِيَ غَزَاتُكَ وتُتَصَرَّفَ » .
 وقام من بني عبس قَائِدُ بْنُ بُكَيْرٍ ، وَعَيَّاشُ بْنُ رَيْبَعَةَ ، فقالا :
 « يا أمير المؤمنين ، إن صاحبنا عبد الله بن المَعْتَمِرِ قد بلغنا أنه يكاتب معاوية ،
 فأحسبهُ أَوْ مَسْكِنًا مِنْ حَبْسِهِ ، حتى تَنْقَضِيَ غَزَاتُكَ ثُمَّ تَتَصَرَّفَ » .
 فقالا : « هذا جزاء لمن نظر لكم ، وأشار عليكم بالرَّأْيِ فيما بينكم وبين عدوكم ؟ »
 فقال لهما عليٌّ عليه السلام : « الله بيني وبينكم وإليه أُوَكِّلُكُمْ ، وبه أَسْتَظْهَرُ
 عليكم ، اذهبوا حيث شئتم ^(١) » .

٢٠٣ - خطبة عدي بن حاتم الطائي

وقام عَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ الطَّائِي ، بين بَدَى عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، خَلِيْدَ اللهِ ، وَأُثْنَى
 عَلَيْهِ ، وَقَالَ :

« يا أمير المؤمنين ، مَا قُلْتُ إِلَّا بِعِلْمٍ ، وَلَا دَعَوْتُ إِلَّا إِلَى حَقٍّ ، وَلَا أَمَرْتُ
 إِلَّا بِرُشْدٍ ، وَلَكِنْ إِذَا رَأَيْتَ أَنْ نَسْتَأْذِنَ ^(٢) هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَنَسْتَدِيْعَهُمْ . حَتَّى نَأْتِيَهُمْ
 كَتْمِيكَ ، وَتَقْدَمَ عَلَيْهِمْ رُسُلُكَ ، فَهَمَمْتُ ، فَإِنْ يَقْبَلُوا يُصِيبُوا رُشْدَهُمْ ، وَالْعَاقِبَةُ أَوْسَعُ لَنَا
 وَلَهُمْ ، وَإِنْ يَتَجَادَوُا فِي الشَّقَاقِ ، وَلَا يَنْزِعُوا عَنِ الْغَيِّ ، نَسِيرَ إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا إِلَيْهِمْ
 الْعِذْرَ ، وَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى مَا فِي أَيْدِينَا مِنَ الْحَقِّ ، فَوَاقَهُ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ أَبَعْدُ ، وَعَلَى اللهِ أَهْوَنُ

(١) هذا ، وقد عرجا إلى معاوية في رجل من قومه . ولكنهما لم يقاتلا معه واعتزلا الفريقين .

(٢) تنتظر .

من قوم قاتلناهم أُمسٍ بناحية البصرة ، لَمَّا دعوناهم إلى الحق فتركوه ، ناوخناهم بِرَاكَاة القتال^(١) ، حتى بلغنا منهم ما نحب ، وبلغ الله منهم رضاه .

٢٠٤ — خطبة زيد بن حصين الطائي

فقام زيد بن حُصَيْن الطائي — وكان من أصحاب البرانس المجتهدين — فقال :
« الحمد لله حتى يَرْضَى ، ولا إله إلا الله رَبُّنَا ، أما بعد : فوالله إن كنا في شك في قتال من خالفنا ، ولا تَصْلُحُ لنا النَّيَّةُ في قتالهم حتى نستديمهم ونستأنيتهم ، فإلّا تَبَابٌ^(٢) ، ولا السُّمُ إلا في ضلال ، والله تعالى يقول : (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)^(٣) إننا والله ما ارتبنا طَرْفَةَ عين فيمن يتبعونه ، فكيف بِأَتْبَاعِهِ القاسية قلوبهم ، القليل من الإسلام حَطُّهم ، أعوان الظلمة ، وأصحاب الجور والمدوان ؟ لبسوا من المهاجرين ولا الأنصار ، ولا التابعين بِإِحْسَانٍ . »

فقام رجل من طيِّ فقال : « يَا زَيْدُ بْنُ حَصِينٍ ، أَكَلَامُ سَيِّدِنَا عَدِيَّ بْنِ حَاتِمٍ يُهَجَّنُ^(٤) ؟ » فقال زيد : « مَا أَنْتُمْ بِأَعْرَفَ بِحَقِّ عَدِيٍّ مِنِّي ، وَلَكِنِّي لَا أَدْعُ الْقَوْلَ بِالْحَقِّ وَإِنْ سَخَطَ النَّاسُ . »

٢٠٥ — خطبة أبي زينب بن عوف

ودخل أبو زينب بن عوف على الإمام عليّ فقال :
« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَئِنْ كُنَّا عَلَى الْحَقِّ لَأَنْتَ أَهْدَانَا سَبِيلًا ، وَأَعْظَمُنَا فِي الْخَيْرِ نَصِيبًا ، وَلَئِنْ كُنَّا عَلَى ضَلَالٍ إِنَّكَ لَأَتَقَلُّنَا ظَهْرًا^(١) ، وَأَعْظَمُنَا وَزْرًا ، قَدْ أَمَرْتَنَا بِالسَّيْرِ

(١) براكاة القتال وبروكاة: موضع اصطدام القوم، وناوخناهم مفاعلة، من أناخ الإبل: إذا أبركها، والمعنى التقينا وإلياهم في ساحة القتال. (٢) خسران. (٣) يتج. (٤) لأنه حيثئذ يكون أكثرهم ذنوبًا.

إلى هذا العدو ، وقد قطعنا ما بيننا وبينهم من الولاية ، وأظهرنا لهم العداوة ، نريد بذلك ما يعلم الله تعالى من طاعتك ، أليس الذى نحن عليه هو الحق البين ، والذى عليه عدونا هو الحوب^(١) الكبير ؟ » .

فقال عليه السلام : « بلى ، شهدت أنك إن مضيت معنا ناصراً لدعوتنا ، صحيح النية فى نصرنا ، قد قطعت منهم الولاية ، وأظهرت لهم العداوة ، كما زعمت ، فإنك ولى الله تسبّح فى رضوانه ، وترزّح فى طاعته ، فأبشّر أبا زينب » وقال له عمار بن ياسر : « أثبت أبا زينب ، ولا تشكّ فى الأحزاب أعداء الله ورسوله » فقال أبو زينب : « ما أحب أن لى شاهدين من هذه الأمة ، شهدا لى عما سألت من هذا الأمر الذى أتمنى مكانكما » .

٣٠٦ - خطبة يزيد بن قيس الأرحبي

ودخل يزيد بن قيس الأرحبي^(٢) على على عليه السلام فقال : « يا أمير المؤمنين : نحن أولو جهاز^(٣) وعدّة ، وأكثرُ الناس أهلَ قوة ، ومن ليس به ضعف ولا علة ، قرئ مُناديك فلينادِ الناس يخرجوا إلى معسكرهم بالنخيلة ، فإن أخوا الحرب ليس بالسثوم ولا النثوم ، ولا من إذا أمكنته الفُرصُ أجَلّها ، واستشار فيها ، ولا من يؤخر عمل الحرب اليومَ لغيره ، وبعد غد » .

٣٠٧ - خطبة زياد بن النضر

فقال زياد بن النضر :

« لقد نصح لك يزيد بن قيس يا أمير المؤمنين ، وقال : ما يعرف ، فتوكل »

(١) الحوب بالفتح والضم : الإثم . (٢) نسبة إلى أرحب : وهى قبيلة من همدان .

(٣) جهاز المسافر والروس والميت (بالكسر والفتح) ما يحتاجون إليه .

على الله وثق به ، واشتخص بنا إلى هذا العدو راشداً مُعَانًا ، فإن يرد الله بهم خيرًا لا يتركوك ، رغبةً عنك إلى من ليس له مثلُ سابقتك وقدمك ، وإلا يُنبئوا ويَقْبَلُوا ، وأبوا إلا حربنا نجد حُرْبَهُمْ علينا هَيِّئًا ، وزحوا أن يعصرَهم الله مصارع إخوانهم ثم^(١) بالأمس .

٢٠٨ - خطبة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي

ثم قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إن القوم لو كانوا ، الله يريدون ، والله يعملون ، ما خالفونا ، ولكن القوم إما يقاتلوننا فرارًا من الأسوة^(٢) ، وحُبًّا للأثرة^(٣) . وَضِنًا بسلطانهم ، وكرهًا لفراق دينهم التي في أبديةهم ، وعلى إحن^(٤) في نفوسهم ، وعداوة يمدونها في صدورهم ، لواقع أوقفها يا أمير المؤمنين بهم قديمة ، قتلت فيها آبائهم وأخوانهم » ثم التف إلى الناس فقال : « كيف يبائع معاوية عليا ، وقد قتل أخاه حنظلة ، وخاله الوليد ، وجدَّه عتبة ، في موقف واحد^(٥) والله ما أظنهم يفعلون ، ولن يستقيموا لكم دون أن تُقصف فيهم قنأ المران^(٦) ، وتُقطع على هامهم^(٧) السيوف ، وتشر حواجيبهم بعمد الحديد ، وتسكون أمور حجة بين الفريقين » .

(١) هناك ، يريد البصرة . (٢) الأسوة بالضم والكسر : القدوة ، أي فرارا من أن يكونوا تابعين لك مسودين وأن تكون لهم إماما وسيدا . (٣) استأثر على أصحابه : اختار لنفسه أشياء حسنة ، والاسم الأثرة . (٤) جمع إحنة ، وهي الحقد والعداوة . أي ويقاتلوننا على إحن : أي من أجلها . (٥) هو جند لأمه عتبة بن أبي ربيعة ، وقد قتلهم على يوم بدر . وفي كتاب بحث به الإمام إلى معاوية يقول : « فأننا أبو حسن قاتل جدك وغالك وأخيك شذخا يوم بدر وذلك السيف معي » . (٦) القنأ : الرماح جمع قنأة ، والمران : الرماح الصلبة اللينة الواحدة مرانة ، وشجر ، والإضافة على المعنى الأول على حد قوله تعالى (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) - إن فسر العرم بالمطر الشديد - (وفسر أيضا بالأحباس والسدود تبنى في الأودية ، وبالجزر ، وبواد جاء السيل من قبله) وعلى المعنى الثاني : أي القنأ المتخذة من الشجر . (٧) الهام جمع هامة : وهي الرأس .

٢٩ — أدب الإمام على ، وكرم خلقه

وخرج حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ ، وعمرُو بْنُ الْحَمِقِ ، يُظْهِرَانِ الْبِرَاءَةَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَأَرْسَلَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِمَا أَنْ كُفَّا عَمَّا يَبْلُغُنِي عَنْكُمَا ، فَأَتِيَاهُ فَقَالَا : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : أَلَسْنَا مُحَقِّقَيْنِ ؟ » قَالَ : بَلَى ، قَالَا : « أَوْ لَيْسُوا مُبْطِلَيْنِ ؟ » قَالَ : بَلَى ، قَالَا : « فَلِمَ مَنَعْتَنَا مِنْ شَتْمِهِمْ ؟ » قَالَ :

« كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِعَازِينَ شَتَّامِينَ ، تَشْتُمُونَ وَتَبْرَهُونَ ، وَلَكِنْ لَوْ وَصَفْتُمْ مَسَاوِي أَعْمَالِهِمْ فَقُلْتُمْ : مِنْ سَيْرَتِهِمْ كَذِبًا وَكَذًا ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ كَذًا وَكَذًا ، كَانَ أَصَوَّبَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَبْلَغَ فِي الْمَذْهِرِ ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ لَعْنَتِكُمْ إِيَّاهُمْ ، وَبَرَاءَتِكُمْ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ احْقِنِ دِمَاءَهُمْ وَدِمَاءَنَا ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَنَا ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْهُمْ مِنْ جِهَلِهِ ، وَيَرْعَوْى مِنَ النَّاسِ وَالْعُدْوَانِ مِنْهُمْ مِنْ لَهَجِهِ ، لَسَكَانِ أَحَبُّ إِلَيَّ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ » .

فَقَالَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَقْبَلُ عَظَمَتَكَ ، وَتَتَأَدَّبُ بِأَدَبِكَ .

٢١٠ — مقال عمرو بن الحمق

وَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ يَوْمَئِذٍ :

« وَآلَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي مَا أَحْبَبْتُكَ وَلَا بَايَعْتُكَ عَلَى قَرَابَةِ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ، وَلَا إِرَادَةِ مَالٍ تُؤْتِيَنِيهِ ، وَلَا التَّمَنَّا سُلْطَانِ تَرْفَعُ ذِكْرِي بِهِ ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُكَ بِخَصَالِ خَمْسٍ ، إِنَّكَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَوَصِيِّهِ ، وَأَبُو الذَّرِيَةِ الَّتِي بَقِيَتْ فِيْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَسْبَقَ النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَعْظَمَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ »

في الجهاد ، فلو أني كُفِّتُ قَلَّ الجبال الرواسي ، ونزَحَ البحور الطَوَاسي^(١) حتى يَأْتِيَ
كَلِّيَّ بومي في أمرٍ أَقْوَى به وَرَيْكَ وأهينُ عدوك ، ما رأيت أني قد أدبت فيه كُلَّ الذي
يَحِقُّ كَلِّيَّ من حَقِّكَ .

فقال عليٌّ عليه السلام : « اللهم نور قلبه بالتقى ، واهدِهِ إلى صراطك المستقيم ،
ليت أن في جندي مائةَ منك » ، فقال حجر : إذن والله يا أمير المؤمنين صح جندك ، وقلَّ
فيهم من يَنْشُك .

٢١١ - مقال حجر بن عدى

وقام حجر بن عدى فقال :

« يا أمير المؤمنين نحن بنو الحرب ، وأهلها الذين نُلَاحِظُهَا^(٢) وَنُفْتِحُهَا ، قد ضارَسْنَا^(٣)
وضارَسناها ، ولنا أعوانٌ وعشيرةٌ ذاتُ عددٍ ، ورأى مجربٌ ، وبأسٌ محمود ، وأزِيتُنَا ،
منقادة لك بالسمع والطاعة ، فإن شِرفَتْ شِرفَتنا ، وإن غَرِبَتْ غَرِبْنَا ، وما أمرتنا به من
أمر فعلنا » .

فقال عليٌّ عليه السلام : أَكُلُّ قومك يرى مثلَ رأيك ؟ قال : ما رأيتُ
منهم إلا حسناً ، وهذه يدى عنهم بالسمع والطاعة وحسن الإجابة ، فقال له عليٌّ
عليه السلام خيراً .

٢١٢ - مقال هاشم بن عتبة

وقال زياد بن النضر الحارثي لعبد الله بن بُدَيْل الخزاعي :

« إن يومنا ليوم عَصَبُصَب^(١) ، ما يصبر عليه إلا كُلُّ مُشْبِعِ القلب ، صادق النية

(١) جمع طام ، من طام البحر : إذا امتلأ . (٢) أصله من ألقح الفحل الناقة . (٣) ضربته

الحرب تقريظاً : جريته وأحكته ، وضارَسَ الأمور : جربها وعرفها . (٤) أى شديد .

رابط الجأش ، وإيم الله ما أظن ذلك اليوم يُنقِى منهم ولا منا إلا الرذال^(١) » فقال
عبد الله بن بديل : أنا والله أظن ذلك ، فبلغ كلامهما علياً عليه السلام ، فقال لهما :
« ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما ، لا تظهرا ، ولا يسمعه منكما سامع ، إن الله
كتب القتل على قوم ولّوت على آخرين ، وكلّ آتية مَنِيَّتُهُ كُنا كعب الله له ،
فلو جئى للمجاهدين في سبيله ، وللقنوليين في طاعته » فلما سمع هاشم بن عتبة ما قاله أتى علياً
عليه السلام فقال :

« سر بنا يا أمير المؤمنين ، إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم ، الذين نبذوا كتاب الله
وراء ظهورهم ، وعملوا في عباد الله ، بنير رضا الله ، فأحلّوا حرامه ، وحرّموا حلاله ،
واستهوى^(٢) بهم الشيطان ، ووعدهم الأباطيل ، ومنّاهم الأمانى ، حتى أزاغهم عن الهدى ،
وقصد بهم قصد الردى ، وحسب إليهم الدنيا ، فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها ،
كرغبنا في الآخرة ، واتحاجز موعد ربنا ، وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من
رسول الله صلى الله عليه وآله رحماً ، وأفضل الناس سابقة قدما ، وهم يا أمير المؤمنين
يملكون منك مثل الذى نعلم ، ولكن كُتب عليهم الشقاء ، ومالت بهم الأهواء ، وكانوا
ظالمين . فأبدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة ، وقلوبنا منشحة لك ببذل النصيحة ،
وأغشنا تنصرك على من خالفك ، وتوَلّى الأمر دونك ، جذّة ، والله ما أحب أن له
ما على الأرض فما أَقَلَّتْ^(٣) ، ولا ماتحت السماء فما أَظَلَّتْ ، وأنى واليت عدوّاً لك ،
وعاديت وليّاً لك .

فقال على عليه السلام : « اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك والواقعة لنبيك .

(١) الذين : الخسيس ، أو الردى من كل شيء . (٢) استهوى : استماله والفاعل منه ومفعوله من

محضون : أى استهوى الشيطان أتباعهم بهم - قاله للبيبة . (٣) لى حلت .

٢١٣ - خطبة الامام علي

ثم إن علياً عليه السلام صعد المنبر ، فخطب الناس ودعاهم إلى الجهاد ، فبدأ بحمد الله والثناء عليه ، ثم قال :

« إن الله قد أكرمكم بدينه ، وخلقكم لعبادته ، فانصّبوا أنفسكم في أداء حقه ، وتجنّبوا موعوده ، واعلموا أن الله جل أمراست^(١) الإسلام متينة ، وعُراه وثيقة ، ثم جل الطاعة حظّ الأنفس ورضا الرب ، وغنيمة الأكياس^(٢) عند تفريط العجزة ، وقد حلت أمر أسودها وأحمرها ، ولا قوة إلا بالله ، ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سقى^(٣) ، نفسه وتناول ما ليس له ، وما لا يدركه ، معاوية وجنده ، الفئة الطاغية الباغية ، يقودهم إبليس ، ويبيّز لهم يبارق تسويقه ، ويدلّهم^(٤) بفروره ، وأنتم أعلم الناس بالحلال والحرام ، فاستغنوا بما علمتم ، واحذروا ما حذركم الله من الشيطان ، وارغبوا فيما عنده من الأجر والكرامة ، واعلموا أن المملوب من سلب دينه وأمانته ، والمغرور من آثر الضلالة على الهدى ، فلا أعرفن أحداً منكم تقاعس^(٥) عني ، وقال في غيرة كفاية ، فإن الدّود إلى الدّود إيل^(٦) : * وَمَنْ لَا يَذُدُّ عَنْ حَوْضِهِ يَتَهَدَّمْ * .

ثم إنى آمركم بالشدة في الأمر ، والجهاد في سبيل الله ، وأن لا تفتأبوا مسلماً ، وانتظروا النصر العاجل من الله ، إن شاء الله .

(١) جمع مرسى بفتحين ، ومرسى جمع مرسة بفتحين أيضاً : وهو الحبل . (٢) جمع كيس : وهو ضد الأحق . (٣) أصله سهفت نفسه ، فلما حول الفعل إلى الرجل انتصب ما بعده بوقوع الفعل عليه لأنه صار في معنى سهف نفسه بالانشديد ، ومثله : رشد أمره وبطر عيشه . (٤) أى يحطهم عن منزلتهم . قال تعالى : (فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ) (٥) تأخر وتقاعد . (٦) الدود : ثلاثة أجرة إلى العشرة أو خمسة عشر أو عشرين أو ثلاثين وهو مثل : أى إذا جمعت القليل مع القليل صار كثيراً : فإلى بمعنى مع .

٢١٤ - خطبة الحسن بن علي

ثم قام بعده ابنه الحسن رضى الله عنه فقال :

« الحمد لله لا إله غيره ، ولا شريك له ، ثم قال : إن مما عظم الله عليكم من حقّه وأسبغ عليكم من نعمه ، مالا يحصى ذِكْرُهُ ، ولا يُودَى شكرُهُ ، ولا يبلغه قول ولا صفة ، ونحن إنما غضبنا لله واسمك ، إنه لم يجتمع قومٌ قطّ على أمرٍ واحدٍ إلا اشتد أمرهم ، واستحكمت عُقدتهم ، فاحتشدوا في قتل عدوكم معاوية وجنوده ، ولا تتخاذلوا ، فإن الخذلان يقطع نياط القلوب^(١) ، وإن الإقدام على الأُسنة نخوة وعِصْية ، لم يمتنع قوم قطّ إلا رضى الله عنهم العلة ، وكفاهم جوائح القلة ، وهداهم إلى معالم المِلَّة ، ثم أنشد :

والصلح تأخذ منه ما رضى به والحرب يكتفيك من أغاسها جُرْع

٢١٥ - خطبة الحسين بن علي

ثم قام الحسين رضى الله عنه ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أهل الكوفة : أنتم الأحبة الكرماء ، والشَّعَار^(٢) دون الدُّنْيَا ، جدُّوا في إطفاء مَا وَتَرَ^(٣) بينكم ، وتسهيل ما تَوَعَّرَ عليكم ، ألا إن الحرب شرها وريع^(٤) ، وطعنها

(١) عرق غليظ نيط به القلب إلى اللوتين ، جمه أنوطه . « واللوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه

جمه أوتة » . (٢) الشعار : ما يلبس على شعر الجسد ، والدُّنْيَا : ما فوق الشعار من الثياب .

(٣) الوتر والوتر : الثَّار ، وتره يره ، ووره حقه : نقسه إياه ، ووتره : أدركه بمكره .

(٤) الريع : الكفاف . أى إن شرها عظيم يدهو الناس إلى أن يكفوا عن غرض غارها .

فطبع ، فن أخذ لها أَهْبَتَهَا ، واستعد لها عُدَّتَهَا ، ولم يَأَلَمْ كُتُومَهَا^(١) قبل حلولها ، فذاك صاحبها ، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها ، واستبصار سميهِ فيها ، فذاك قَبْنِ^(٢) أن لا يَنْفَع قومه ، وأن يَهْلِكَ نفسه ، نسأل الله بَقُوته أن يَدْعَمَكُم بِالْفَيْثَةِ^(٣) « ثم نزل .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٧٨)

٢١٦ - خطبة عبد الله بن عباس

وكتب على إلى ابن عباس بالبصرة .

« أما بعد فاشخص إلى بمن قبلك من السليين وللمؤمنين ، وذكركم بلأني عندهم ، وضوى عنهم في الحرب ، وأعلمهم الذي لهم في ذلك من الفضل والسلام » .
فلما وصل كتابه إلى ابن عباس قام في الناس فقرأ عليهم الكتاب وحده الله وأثنى عليه ، وقال :

« أيها الناس : استعدوا للشخص إلى إمامكم ، وانفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ، فإنكم تقاتلون المجلين القاسطين ، الذين لا يقرءون القرآن ولا يعرفون حكم الكتاب ، ولا يدينون دين الحق ، مع أمير المؤمنين وابن عم رسول الله ، الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والصادع بالحق ، والقيّم بالهدى ، والحاكم بحكم الكتاب ، الذي لا يرتضى في الحكم ، ولا يدهن الفجّار ولا تأخذه في الله لومة لائم » .
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٨٣)

(١) كلوم : جمع كلم ، وهو المرح . (٢) جذير وحقيق . (٣) الفَيْثَةُ : ففتح الفاء وكسرهما ، والهاء : الفَيْثَةُ ، أنه تعالى الله أن يقوكم بما تمنون من عدوك .

٢١٧ - خطبة لمعاوية

ولما نزل على النخيلة متوجها إلى الشام ، وبلغ معاوية خبره ، وهو يومئذ بدمشق قد ألبس منبر دمشق قيص عمان غصياً بالدم وحول النبر سبعون ألف شيخ سيكون حوله لا تحف دموعهم على عمان خطبهم وقال :

« يا أهل الشام قد كنتم تكذبونني في علي ، وقد استبان لكم أمره ، والله ما قتل خليفتم غيره ، وهو أمر بقتله ، وألب الناس عليه ، وآوى قتلته ، وهم جنده وأنصاره وأعوانه ، وقد خرج بهم قاصداً بلادكم ودياركم لإبادتكم .

يا أهل الشام ، الله الله في دم عمان فأنا وليه وأحق من طلب بدمه ، وقد جعل الله لولي للقتول ظمناً سلطاناً ، فأنصروا خليفتم المظلوم ، فقد صنع القوم ما تعلمون ، قتلوه ظمناً وبنياء ، وقد أمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية حتى تفي إلى أمر الله » ، ثم نزل .
فأعطوه الطاعة وافتادوا له وجمع إليه أطرافه واستمد لقاء على .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٨٦)

وفد على معاوية

بعد أن نزل الإمام على كرم الله وجهه بصفين ، دعا بشير بن عمرو بن مخصن الأنصاري ، وسعيد بن قيس الحمداني ، وشبث بن ربعي التميمي ، فقال : اتقوا هذا الرجل ، فادعوه إلى الله ، وإلى الطاعة والجماعة ، فقال له شبث بن ربعي : يا أمير المؤمنين : ألا تعلمه في سلطان توليه إياه ، ومثله يكون له بها أثره عندك إن هو بأمك ؟ فقال على : اتقوه فالتقوه واحتجوا عليه ، وانظروا ما رأيه ؟ - وهذا في أول ذي الحجة سنة ٣٦ هـ - فأتوه ، ودخلوا عليه .

٢١٨ - خطبة بشير بن عمرو

حمد الله أبو عمره بشير بن عمرو ، وأثنى عليه وقال :

« يا معاوية : إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإن الله عز وجل محاسبك بعملك ، وجازيك بما قدمت يداك ، وإنني أنشدك الله عز وجل أن تفرق جماعة هذه الأمة ، وأن نسفك دماءها بينها . »

فقطع عليه الكلام ، وقال : هلا أوصيت بذلك صاحبك ؟ فقال أبو عمره :

« إن صاحبي ليس مثلك ، إن صاحبي أحق البرية كلها بهذا الأمر ، في الفضل ، والدين ، والسابقة في الإسلام ، والقراية من الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال : فيقول ماذا ؟ قال : بأسرك بتقوى الله عز وجل ، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق ، فإنه أسلم لك في دينك ، وخير لك في عاقبة أمرك . »

قال معاوية : وَنَطَّلَ دَمَ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ! لَا وَاللَّهِ لَا أَضِلُّ ذَلِكَ أَبَدًا ، فذهب سعيد بن قيس يتكلم ، فبادره شيبث بن ربعي ، فتكلم :

٢١٩ - خطبة شيبث بن ربعي

لحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال :

« يا معاوية ، إني قد فهمت ما رددت على ابنِ مُحَصَّن ، إنه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب ، إنك لم تجد شيئاً تستغوى به الناس ، وتستميل به أهواءهم ، وتستخلص به طاعنهم ، إِلَّا قَوْلَكَ : « قُتِلَ إِمَامُكُمْ مَظْلُومًا ، فنحن نطلب بدمه » فاستجاب لك سفهاء طغام ، وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر ، وأحببت له القتل ، لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب . وَرُبَّ مُتَمَنَّى أَمْرٍ وَطَالِبِهِ ، اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يحول دونه بقدرته ، وربما أوتى المتمنى أمنيته ، وفوق أمنيته ، ووالله مالك في واحدة منهما خير ، لأن أخفأت ما ترجو ، إنك لشر العرب حالاً في ذلك ، ولئن أصبت ما تَمَنَّى لاتصبيه حتى تستحق من ربك ضِلِّي^(١) النار ، فاتق الله يا معاوية ، ودع ما أنت عليه ، ولا تنازع الأمر أهله . »

٢٢٠ - خطبة معاوية

لحمد الله معاوية وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فَإِنْ أَوَّلَ مَا عَرَفْتُ فِيهِ سَهْكَ ، وَخِيفَةَ حِلْيِكَ ، قَطَعْتُ عَلَى هَذَا الْحَسِيبِ الشَّرِيفِ سَيِّدَ قَوْمِهِ مَنَظَرَهُ ، ثُمَّ جُنَيْتَ بَعْدُ فَيَا لَا أَعْلَمُ لَكَ بِهِ ، فَقَدْ كَذَبْتَ وَوُؤِمْتُ^(٢) ،

(١) صل النار : كرضى ، وصل بها صلياً بكسر الصاد وضمتها ، قاسى حرها .

(٢) لامة لوما : حذله ، وآلامه ولومه المبالغة .

أيها الأعرابي الجلف^(١) الجاني ، في كل ما ذكرت ووصفت ، انصرفوا من عندي ، فإنه ليس بيني وبينكم إلا السيف .

وغضب وخرج القوم وشبث يقول : أفضلنا تهوّل بالسيف ؟ أقسم بالله ليمعجلنّ بها إليك ، فأتوا علياً ، وأخبروه بالذي كان من قوله ، فأخذ على بأسر الرجل ذا الشرف فيخرج معه جماعة ، ويخرج إليه من أصحاب معاوية آخر معه جماعة ، فيقتتلان في خيلهما ورجلها ، ثم ينصرفان ، وكانوا يكرهون أن يلتقوا بجميع أهل العراق أهل الشام ، لما يتخوفون أن يكون في ذلك الاستئصال والهلاك .

(تاريخ الطبري • : ٢٤٢)

وفد على إلي معاوية أيضا

ولما دخلت سنة ٣٧ هـ توادعا على ترك الحرب في المحرم إلى اقتضائه ، طمعا في الصلح واختلفت فيما بينهما الرسل في ذلك دون جدوى ، فبعث على عدي بن حاتم ، ويزيد ابن قيس ، وشبث بن ربعي ، وزيايد بن خَصَفَة إلى معاوية .

٢٢١ - خطبة عدي بن حاتم

فلما دخلوا حمد الله عدي بن حاتم ، ثم قال :

« أما بعد : فإننا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله عز وجل به كلتنا وأمتنا ، ويخفف به الهماء ، ويؤمن به الشبل ، ويصلح به ذات البين ، إن ابن عمك سيد المسلمين ، أفضلها سابقا ، وأحسنها في الإسلام أنرا ، وقد استجمع له الناس ، وقد أرشدهم الله عز وجل بالذي رأوا ، فلم يبق أحد غيرك وغير من معك ، فانت يا معاوية ، لا يصيبك الله وأصحابك بيوم مثل يوم الجمل » .

٢٢٢ - جواب معاوية

فقال معاوية : « كأنك إنما جئت متهددا ، لم تأت مصلحا هيهات يا عدي ، كلاً والله ، إنى لأبئ حرب^(١) ما يقع^(٢) لي بالثنان ، أما والله إنك لمن اللججيين على

(١) هو جهه . (٢) القفصة : تحريك النوى اليابس الصلب مع صوت ، والثنان : جمع شن بالفتح ، وهو القرية البالية ، وإذا تقع بالثنان للإبل فقرت ، وهو مثل يضرب لمن لا يرويه ما لاحقة له .

ابن عفان رضى الله عنه ، وإني لأرجو أن تكون من بَقْتُل^(١) الله عز وجل به ، هَيَّاتْ يا عَدِيُّ بْنُ حاتم ، قد حَلَبْتُ بالساعد الأشد^(٢) .

فقال له شَبْتُ بن رجبى وزيد بن خَصَفَة - وتنازعا جواباً واحداً -

« أتبتناك فيما يصلحنا وإياك ، فأقبلت تضرب لنا الأمثال ، دع مالا يَنْتَفِعُ به من القول والفعل ، وأجبتنا فيما يَمُنُّنا وإياك نَفْعُهُ » .

٢٢٣ - خطبة يزيد بن قيس

ونسلم يزيد بن قيس فقال :

« إنا لم نأتك إلا لنُبَلِّغَكَ ما بُعِثْنَا به إليك ، وَلِنُؤَدِّيَ عنك ما سَمِعنا منك ، ونحن على ذلك - لن نَدَعَ أن ننصح لك ، وأن نذكر ما غلطنا أن لنا عليك به حُجَّةٌ ، وأنتك راجع به إلى الالفة والجماعة ، إنَّ صاحِبَنَا من قد عَرَفَتْ وعَرَفَ السُّلَمون فضلهُ ، ولا أظنه يخفى عليك ، إن أهل الدين والفضل لن يَمْدُلُوا بعلَى ، ولن يُمَيِّلُوا^(٣) بينك وبينه فاتق الله يا معاوية ، ولا تخالف علياً ، فإنما والله ما رأينا رجلاً قطُّ أعملَ بالتقوى ، ولا أزهَدَ في الدنيا ، ولا أجمعَ لِمَصالِ الخير كلها منه » .

٢٢٤ - خطبة معاوية

فحمد الله معاوية وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد : فإنكم دعونم إلى الطاعة والجماعة ، فأما الجماعة التي دعونم إليها فسنا هي ،

(١) أى يقتله . (٢) يعنى بذلك قوة استمداده للقتال وتأييده له . (٣) التميل بين الشيئين ،

كالترجيح بينهما .

وَأَمَّا الطاعة لصاحبكم فإنا لا نراها ، إن صاحبكم قَتَلَ خليفتنا ، وفرَّق جماعتنا ، وآوَى ثَأْرَنَا^(١) وَقَتَلْتَنَا ، وَصَاحِبُكُمْ يزعم أنه لم يقتله ، فنحن لا نرد ذلك عليه ، أَرَأَيْتُمْ قَتَلَهُ صَاحِبُنَا ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ صَاحِبِكُمْ ؟ فَلْيَذْهَبْهُمْ إِلَيْنَا فَلْنَقْتُلَهُمْ بِهِ ، ثُمَّ نَحْنُ نَجِيبُكُمْ إِلَى الطاعة والجماعة .

فقال له شُبْتُ : أيسرك يا معاوية أهلك أَمْ كُنْتَ مِنْ عَمَّارٍ^(٢) تقتله ؟ فقال معاوية :

(١) الثأر : قاتل حيمك . (٢) هو عمار بن ياسر رضى الله عنه ، أحد السابقين الأولين ، وقد عذبه المشركون في داء الدعوة الإسلامية فاحتل العذاب ، وكان يعذب هو وأخوه وأبوه وأمه بالنار ، فرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « صبرا آل ياسر فوعدهم الجنة . اللهم اغفر لآل ياسر » ومراد شُبْتُ بهذا القول إحراج معاوية . نقوله عليه الصلاة والسلام لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » : أى إنك يا معاوية إن قتلْتَ عَمَّاراً — وكان من أصحاب علي — كنت من الفئة الباغية . وتفصيل الخبر في ذلك ما روثه أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : « لما بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده بالمدينة أمر بالذين يضرب وما يحتاج إليه ، ثم قام فوضع رداءه فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا أروئهم وأكسيهم يرتجزون ويقولون ويسلمون .

لئن قُتِلْنَا والنبي يعمل ذلك إذْ نل عمل مضلل

قالت : وكان عُمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رجلاً نظيفاً متفتهاً ، فكان يحمل البتة ويحياها عن ثوبه ، فإذا وضعها نفّس كفيه ، ونظر إلى ثوبه ، فإذا أصابه شيء من التراب نفّسه فنظر إليه على رضى الله عنه فأشدد :

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها واكماً وساجدا

وقائماً طورا وطورا قاعدا ومن يرى عن التراب حائدا

فسميها عمار بن ياسر فجعل يرتجزها وهو لا يدري من ينى ، فسميها عُمَانُ فَقَالَ : يَابْنَ سَمِيَّةَ (وسميّة أمه) ما أعرضني من تعرض ، ومعه جريدة ، فقال لتكفن أو لأعترضن بها وجهك ، فسميها النبي وهو جالس في ظل حائط فقال : « عمار جلدة ما بين عيني وأنفي » فن بلغ ذلك منه فقد بلغ منى ، وأشار بيده فوضعا بين عينيه فكف الناس عن ذلك ، وقالوا لعمار : إن رسول الله قد غضب عليك ، ونخاف أن ينزل فينا قرآن ، فقال : أنا أروسيه كما غضب ، فأقبل عليه فقال : يا رسول الله مال ولاصحابك ؟ قال : مالك ولم ؟ قال يريدون قتل ، يحملون ابنة ويحملون على بنتين ، فأخذ به وطاف به في المسجدة وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول « يابْنَ سَمِيَّةَ لا يقتلك أصحابي ، ولكن تقتلك الفئة للباغية » فلما قتل بصنتين ، وروى هذا الحديث عبد الله ابن عمرو بن الدسر ، قال معاوية : هم قتلوه ، لأنهم أخرجوه إلى القتل ، فلما بلغ ذلك عليا قال : ونحن قتلنا أيضا حزة لأننا أخرجناه (المقد النريد ٢ : ٢٣٧) .

وما يمنعني من ذلك ؟ والله لو أمكنت من ابن سُمَيَّة ما قتلته بثمان رضى الله عنه ولكن كنتُ قَاتِلُهُ بِنَاتِلِ مولى عُمَان ، فقال شُبْتُ :

« وَإِلَهَ الْأَرْضِ وَإِلَهَ السَّمَاءِ ، مَا عَدَلْتُ مُعْتَدِلًا ^(١) ، لَا وَالْقَدَى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، لَا تَصِلُ إِلَى عَمَّارٍ ، حَتَّى تَنْذُرَ ^(٢) الْهَامُ عَنْ كَوَاهِلِ الْأَقْوَامِ ، وَتَضَيِّقَ الْأَرْضُ الْفَضَاءَ عَلَيْكَ بِرُحْبَاهَا ^(٣) » فقال له معاوية : « إِنَّهُ لَوْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ كَانَتْ الْأَرْضُ عَلَيْكَ أَضْيَقَ » وافرَّق القوم عن معاوية ، فلما انصرفوا بعث معاوية إلى زياد بن خَصَفَةَ التَّمِيمِي فَخَلَا بِهِ . فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أَمَا بَعْدَ يَا أَخَا رَيْمَةَ ، فَإِنِ عَلِيًّا قَطَعَ أَرْحَامَنَا ، وَأَوَى قَتْلَهُ صَاحِبَنَا ، وَإِنِ أَسْأَلَكَ النَّصْرَ بِأَسْرَتِكَ وَعَشِيرَتِكَ ، ثُمَّ لَكَ عَهْدُ اللَّهِ جَلٌّ وَعَزٌّ وَمِيثَاقُهُ أَنَّ أَوَّلِيكَ إِذَا ظَهَرَتْ ^(٤) أَيْ لِلْمَعْرِينِ أَحْبَبْتَ ، قَالَ زِيَادٌ : فَلَمَّا قَضَى مُعَاوِيَةُ كَلَامَهُ حَدَّثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْبِئْتَ عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتَ : « أَمَا بَعْدَ فَإِنِ عَلَى سَيِّئَةٍ مِنْ رَبِّي ، وَبِمَا أَنْعَمَ عَلَيَّ ، فَإِنِ أَكُونُ ظَهِيرًا ^(٥) لِلْمَجْرَمِينَ » ثُمَّ قُلْتَ .

(تاريخ الطبري ٦ : ٢)

(١) أى إنك إذا عدلت عمارا بناتل مولى عُمَان : أى سويت بينهما لم تكن معتدلا فى حكمك .

(٢) نذر الشيء كنصر فندورا : سقط من جوف شيء أو من بين أشياء فظهر . والهام الهموس : جمع هامة .

(٣) الرحب بالضم : الاتساع . (٤) أى غلبت وانتصرت . (٥) ميثاقا وناسرا .

وفد معاوية إلى عليّ

و مَث معاوية إلى عليّ حبيب بن مسلمة الفهري ، وشرحبيل بن السمط ، ومغن
ابن يزيد بن الأخنس ، فدخلوا عليه .

٢٢٥ - خطبة حبيب بن مسلمة

حمد الله حبيب وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد فإنّ عثمان رضي الله عنه كان خليفة مَهْدِيًّا ، يعمل بكتاب الله عزّ وجلّ ، وَيُنِيب إلى أمر الله تعالى ، فاستنقلم حياته ، واستبطّأتم وفاته ، فمَدَّوْتم عليه ، فقتلتموه رضي الله عنه ، فادفع إلينا قتلة عثمان - إن زعمت أنك لم تقتله - نقتلهم به ، ثم اعتزل أمر الناس ، فيكون أمرهم شورى بينهم ، يُؤلّي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم » .

فقال له عليّ بن أبي طالب : « وما أنت لا أم لك والقرّل ، وهذا الأمر ؟ اسكت ، فإنك لست هناك ، ولا بأهل له » فقام وقال له : « والله لتربّني بحيث تسكره » ، فقال عليّ : « وما أنت ولو أجبّبت بخيلك ورجلك ؟ لا أبق الله عليك إن أبقيت عليّ ، أحقره^(١) وسوداً ، أذهب فصوب وصعد ما بدا لك . وقال شرحبيل بن السمط :

(١) في كتب اللغة : حقره حقرا بفتح الحاء وحقرية بضمها وتشديد الياء ولم أجِد كلمة « حقرة » وأرى أنها مثل هزاة وضحكة ، يقال رجل هزاة بضم الهاء وسكون الزاي أي يهزأ به وضحكة كذلك أي يضحك منه ، فاللهي أنكون حقرة أي حقيرا وتمودني سودا .

إني إن كنتك فلمعري ما كلامي إلا مثل كلام صاحبي قبل ، فهل عندك جواب غير الذي أجبت به ؟ فقال علي : نعم لك ولصاحبك جواب غير الذي أجبت به .

٢٣٦ - خطبة علي بن أبي طالب

حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أما بعد ، فإن الله جل ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق ، فأخذ به من الضلالة ، وانتش^(١) به من المهلكة ، وجمع به من الفرقة ، ثم قبضه الله إليه ، وقد أدى ما عليه ، صلى الله عليه وسلم ، ثم استخلف الناس أبا بكر رضى الله عنه ، واستخلف أبو بكر عمر رضى الله عنه ، فأحسننا السيرة ، وعدلنا في الأمة ، وقد وجدنا^(٢) عليهم أن توليّا علينا ، ونحن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففقرنا ذلك لها ، وولى عثمان رضى الله عنه فعمل بأشياء عابها الناس عليه ، فساروا إليه فقتلوه ، ثم اتانى الناس وأنا مصترل^(٣) أمورهم ، فقالوا لى : بايع ، فأبيت عليهم . فقالوا لى : بايع ، فإن الأمة لا ترضى إلا بك ، وإنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس ، فبايعتهم ، فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني^(٤) ، وخلاف معاوية الذى لم يحمل الله عز وجل له سابقة في الدين ، ولا سلف صدق في الإسلام ، طليق^(٥) بن طليق ، حزب^(٥) من هذه الأحزاب ، لم يزل لله عز وجل ، ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وللمسلمين عدواً ، هو وأبوه ، حتى دخلا في الإسلام كارهين ،

(١) انتقل وأخرج . (٢) وجد عليه : غضب . (٣) يعنى طلحة والزبير وما كان منهما من الخلاف عليه ، وانفضأهما إلى السيدة عائشة . (٤) الطلقاء : هم الذين عفا عنهم النبى عليه الصلاة والسلام بعد فتح مكة . فقال لهم . اذهبوا فأنتم الطلقاء . (٥) حزب بذلك من طليق التالى : أى ابن حزب من هذه الأحزاب التى تأليت وتظاهرت على حربه صلى الله عليه وسلم من قريش ، وغطفان ، وبني مرة ، وبني أشجع ، وبني سليم ، وبني أسد (فى غزوة الأحزاب ، وهى غزوة الخندق سنة ٥ هـ) وكانت حدة الجميع عشرة آلاف مقاتل ، وقادهم العام أبو سفيان .

فلا غرو^(١) إلا خلافتكم معه ، واثباتكم له ، وتدعون آل نبيكم صلى الله عليه وسلم ، الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافتهم ، ولا أن تعدلوا بهم من الناس أحداً ، ألا إنى أدعوكم إلى كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإمامة الباطل ، وإحياء معالم الدين ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ، ولكل مؤمن ومؤمنة ، ومسلم ومسلمة » .

فقالا : « اشهد أن عثمان رضى الله عنه قتل مظلوماً » فقال لهما : « لا أقول إنه قتل مظلوماً ، ولا إنه قتل ظالماً » . قالا : « فن لم يزعم أن عثمان قتل مظلوماً ، فنحن منه برآء » ثم قاما فانصرفا ، فقال على : « إنك لا تسمع الموتى ، ولا تسمع العجم الدعاء إذا ولوا مدبرين ، وما أنت بهادى المني عن صلاتهم ، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا ، فهم مسلمون » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٤)

(١) فلا غرو : أى لا عجب ، وقوله إلا خلافتكم معه : أى خلافتكم علىّ معه ، أو هو « خلافتكم معه » بالحاء : أى مخالفتكم له ، ومتاصرتكم إياه .

التحريض على القتال من قبل معاوية

٢٢٧ — خطبة عمرو بن العاص (التوفى سنة ٤٣ هـ)

لما بلغ معاوية أن الإمام علياً (كرم الله وجهه) يجهز الجيوش لقتاله ، دعا عمرو ابن العاص ، فاستشاره ، فقال : « أما إذ بلغك أنه يسير فسر بنفسك ، ولا تقيب عنه برأيك ومكيدتك » . قال : « أما إذأ يا أبا عبد الله تجهز الناس » . فجاء عمرو فخصّص للناس ، وضعف علياً وأصحابه ، وقال :

« إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم ، وأوهنوا شوكتهم ، وقتلوا حدم ، ثم إن أهل البصرة مخالفون لعلّ ، قد وترهم وقتلهم ، وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجبل ، وإنما سار في شِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ ، منهم من قد قُتِلَ خليفتم ، فافقه الله في حكم أن تُضَيِّمُوهُ ، وفي دمكم أن تُطْلُوهُ » .
(تاريخ الطبري ٥ : ٢٣٦)

٢٢٨ — خطبة أخرى لعمرو بن العاص

وخطب عمرو بن العاص قبل الوقفة العظمى بصفين ، يحرض أهل الشام « وقد كان منحنياً على قوس » فقال :

« الحمد لله العظيم في شأنه ، القوي في سلطانه ، القلبي في مكانه ، الواضح في برهانه ، أتحده على حُسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، في كل رَزِيَّةٍ من بِلَاءٍ ^(١) ، أو شدة أو رخاء ،

(١) البلاء : يكون محبة ، ويكون منعة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ثم إنا نخشع
عند الله رب العالمين ما أصبح في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، من اشتغال نيوانها ،
واضطراب حبلها ، ووقوع بأسها بينها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله
رب العالمين .

أَو لا تعلمون أن صلاتنا وصلاتهم ، وصيامنا وصيامهم ، وحجتنا وحجهم ، وقبلتنا وقبلهم ،
وديننا ودينهم واحد ؟ ولكن الأهواء مختلفة ، اللهم أصلح هذه الامة بما أصلحت به أولها ،
واحفظ فيها ديننا ، مع أن القوم قد وطئوا بلادكم ، وبتوا عليكم ، فجدوا في قتال عدوكم ،
واستعينوا بالله ربكم ، وحافظوا على حرّماتكم ^(١) ، ثم جلس .
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٥٠٤)

٣٣٩ - خطبة معاوية بن أبي سفيان يحرّض أهل الشام

وقام معاوية في أهل الشام خطيباً ، فقال :

« أيها الناس : أعيرونا بجراحكم وأنفسكم ^(١) ، لا تقتلوا ^(٢) ، ولا تتخاذلوا ^(٣) ،
فإن اليوم يوم أخطار ، ويوم حقيقة وحفاظ ^(٤) ، إنكم لعل حق ، وبأيديكم حجة ،
إنما تقتاتون من نكث البيعة ، وسفك الدم الحرام ، فليس له من السماء عاذر ، قدّموا
أصحاب السلاح المستلزمة ^(٥) ، وأخروا الحائير ^(٦) ، وانجلوا بأجمعكم ، فقد باغ الحق
مقطعه ، وإنما هو ظالم ومظلوم » .
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨١)

-
- (١) جمع حرمة ، وهي ما لا يبل انتهاكه . (٢) أي جودوا بروسكم ، ولا تبخلوا بنفوسكم على القتل .
(٣) في الأصل « لا تقتلوا » على أن القتل مجزوم بلا نهاية ، وأراه محرقاً ، وإنما هو « لا تقتلوا »
مجزوم في جواب الأمر ، أي إن تسفوا ببذل روسكم وتفوسكم وقتلوا مستبشرين تنجوا من القتل .
(٤) في الأصل « ولا تتجادلوا » وأراه مصحفاً عن « ولا تتخاذلوا » أي لتعاونوا ، ولا يخلل بعضكم بعضاً .
(٥) أي يوم محافظة على الأرواح والأعراض والأموال ودفاع عنها . (٦) استلزم : ليس للأمة ،
وهي النزع . (٧) الحائير : من لا مفر له ، ولا درع ، أو لا جنة له .

٢٢٠ - خطبة ذى الكلاع الحميرى^(١)

وطلب معاوية إلى ذى الكلاع الحميرى أن يخطب الناس ، ويمرضهم على قتال على رضى الله عنه ومن معه من أهل العراق ، فقد فرسه « وكان من أعظم أصحاب معاوية خطراً^(٢) » وخطب الناس فقال :

« الحمد لله حمداً كثيراً ، نامياً واضحاً كثيراً ، بكرةً وأصيلاً ، آتحمده وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وكفى بالله وكيلاً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالمرقان إماماً ، وبالهدى ودين الحق ، حين ظهرت للماضى ، ودرست^(٣) الطاعة ، وامتألت الأرض جوراً وضلالة ، واضطربت الدنيا نيراناً وفتنة ، وورث^(٤) عدو الله إبليس على أن يكون قد عيّد في أكذافها ، واستولى على جميع أهلها ، فكان محمد صلى الله عليه وآله هو الذى أطلق الله به نيرانها ، ونزع به أوتادها ، وأوهن به قوى إبليس ، وآيسه مما كان قد طمع فيه من ظفريه بهم ، وأظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون .

ثم كان من قضاء الله أن ضمّ بيننا وبين أهل ديننا يصفين ، وإنا لنعلم أن فيهم قوماً ، قد كانت لهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله سابقة ذات شأن وخطر عظيم ، ولكنى ضربت الأمر ظهراً وبطناً ، فلم أر يسعنى أن يهدر دم عثمان ، صهر نبينا صلى الله عليه وآله ، الذى جهّز جيش المصرة^(٥) ، وألحق فى مصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله بيتاً ،

(١) هو ذو الكلاع الأصغر سميفع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذى الكلاع الأكبر يزيد بن النعمان وهما من أدواء اليمن . (٢) أى شأنا وقياداً . (٣) آتحت . (٤) ورك على الأمر وروكا : قدر . (٥) وذلك أنه فى غزوة تبوك - وكانت سنة تسع الهجرة - أفتق فى تجهيز المقاتلة من المسلمين عشرة آلاف دينار ، وأعطى ثلثائة بغير بأغلاسها وأقتابها (والأغلاس جمع جلس بالكسر : وهو كساء على ظهر البعير تحت البرذعة . والأقتاب جمع قتب بالتحريك : وهو ما يوضع على سنام البعير) وخمين فرسا ، فقال =

وَبْنَى سِقَابَةَ^(١) ، وَبَاعَ لَهُ نَبِيُّ اللَّهِ بِيَدِهِ الْيَسْرَى^(٢) ، وَاخْتَصَمَهُ بِكَرْمِيَّتِهِ أُمُّ كَلْثُومٍ وَرُقِيَّةُ^(٣) ، فَإِنْ كَانَ قَدْ أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَقَدْ أَذْنَبَ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، قَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ : (لِيَنْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) وَقَتْلَ مُوسَى نَفْسًا^(٤) ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ

« عليه الصلاة والسلام : « اللهم ارض عن عبثي ، فإني راض عنك » وكان ذلك في زمن حيرة الناس وجذب البلاد ، وشدة الحر ، قال تعالى : « لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ » أي وقتها ، وهي حالهم في تلك الغزوة ، ذكروا أن الرجلين كانا يقتسمان ثمرة ، وأن الشرة كانوا يمتقبون البعير الواحد . (١) وذلك أنه اشترى بئر رومة (بقم الرء : بئر بالمدينة) ثم تصدق بها على المسلمين ، فكان رشاؤه فيها كرشاه أحدهم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « من حفر بئر رومة فله الجنة » وأشرف عبثان رضى الله عنه على الثوار حين حصروه ومنعوا الماء عنه ، فقال : أنشدكم الله ، هل علمتم أني اشتريت رومة من مالي يستعذب بها ، فجعلت رشائي منها كرشاه رجل من المسلمين ؟ قيل : نعم ، قال : فما يعني أن أشرب منها حتى أنظر على ماء البحر ؟ ثم قال : أنشدكم الله هل علمتم أني اشتريت كذا وكذا من الأرض ، فزدتني المسجد ؟ قيل : نعم ، قال : فهل علمتم أحدا من الناس منع أن يصلي فيه قيل ؟ ثم قال : أنشدكم الله ، هل سمعتم نبي الله صلى الله عليه وسلم يذكر كذا وكذا - أشياء في شأنه ، فجعل الناس يقولون : مهلا عن أمير المؤمنين .

(٢) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قصد إلى مكة في غزوة الهدبية (سنة ست هجرة) بعث عبثان بن صفان إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه إنما جاء زائرا البيت ومطلما لحرمته ، فخرج عبثان إلى مكة وبلغ الرسالة ، واحتجته قريش عندها ، فشاع عند المسلمين أن عبثان قد قتل ، فقال عليه الصلاة والسلام : لا تبرح حتى نتاجز القوم ، ودعا المسلمين إلى البيعة على الموت فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وباع عليه الصلاة والسلام لعثمان ، فضرب بيده اليسرى وقال : هذه يد عبثان .

(٣) تزوج عبثان السيدة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما ماتت جزع عبثان عليها وقال يارسول الله انقطع صهري منك ، قال : إن صهرك مني لا ينقطع ، وقد أمرني جبريل أن أزوجهك أختها بأمر الله : السيدة أم كلثوم .

(٤) وذلك أنه في إبان نشأته بمصر دخل مدينة منف ذات مرة ، فوجد فيها رجلين يقتتلان قتيلا يسخر إسرائيليا ليحمل حبلًا إلى مطبخ فرعون ، فاستنائه الإسرائيل ، فقال موسى لقتلي : خل سبيله ، فقال له لقد هممت أن أحمله عليك ، فوكزه موسى (أي ضربه بجميع كفه) وكان شديد القوة والبأس فقطه ، ولم يكن يقصد قتله (وذكروا أنه كان إذ ذاك ابن اثني عشرة سنة) وقد اغتم لذلك خوفا من عقاب الله . -

فغفر له ، وقد أذنب نوح^(١) ، ثم استغفر الله فغفر له ، وقد أذنب أبوك آدم^(٢) ، ثم استغفر الله فغفر له ، ولم يَمُرْ أحدكم من الذنوب ، وإنما نعلم . قد كانت لابن أبي طالب سابقة حسنة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن لم يكن مالا^(٣) على قتل عثمان فقد

- ومن اختصاص فرعون واستغفر الله فغفر له ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ، فَاسْتَنَفَاةُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَّزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (سورة القصص) وقال تعالى : « وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَعَجَبْنَاكَ مِنَ الْقَتْلِ » (سورة طه)

(١) يشير إلى ما كان من نوح عليه السلام بشأن ابنه كنان حين حدث الطوفان ، قال تعالى : « وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ، يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا ، وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ، قَالَ سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِفُ مِنْ الْمَاءِ ، قَالَ لَا عَاسِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ، وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُفْرَقِينَ » إلى أن قال : « وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ أَبْنَى مِنْ أَهْلِي (أى وقد وعدتني بنجاتهم) وَإِنِّ وَعْدُكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ، قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ، وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (سورة هود) .

(٢) وذلك أنه إذ أسكنه الله هو وزوجه حواء الجنة وأباح لهما أن يأكلا من حيث شاءا ، نهى أن يقربا شجرة فيها له ، فوسوس له إبليس أن يأكل منها فطاعه : وفي ذلك يقول الله تعالى : « وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ، فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ » . «سورة الأعراف» . (٣) ناصر وشايخ .

خذله ، وإنه لأخوه في دينه ، وإبنُ عمِّ^(١) ، وسلفه^(٢) ، وإبنُ عمته^(٣) ، ثم قد أقبلوا من عراهم حتى نزلوا شامكم وبلادكم وبيضتكم^(٤) ، وإنما عانتهم بين قاتل وخاذل ، فاستعينوا بالله واصبروا ، فلقد أبليتُم أيُّها الأئمَّةُ ، ولقد رأيت في منامي في ليلتي هذه ، لكأنا وأهل المِراقِ أَعْتَوَزْنَا^(٥) مُصْحَفًا نضربه بسيوفنا ، ونحن في ذلك جميعا ننادى : وَيَحْكُمُ اللهُ ! ومع أنا والله لافارق الرِّمَّة^(٦) حتى نموت ، فعليكم بتقوى الله ، وليكن الثَّباتُ لله ، فإني سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « إِنَّمَا يَبْعَثُ الْمُقْتُلُونَ عَلَى الثَّباتِ » أفرغ الله علينا وعليكم الصبر ، وأعزَّ لنا ولكم النصر ، وكان لنا ولكم في كل أمر ، وأستغفر الله لي ولكم .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٤)

٣٣١ - خطبة يزيد بن أسد البجلي

وقام يزيد بن أسد البجلي في أهل الشام يخطب الناس بصفين ، وعليه قبالة من خزرج وجماعة سوداء ، آخذاً بقائم سيفه ، واضعاً نعل السيف في الأرض متوكئاً عليه ، فقال :

« الحمد لله الواحد الفرد ، ذي الطول^(١) والجلال ، العزيز الجبار ، الحكيم الضار ، الكبير المتعال ، ذي المعطاء والفعال^(٢) ، والسَّخَاءِ والنَّوَالِ ، والبهاء والجمال ، ولأنَّ

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وعلى بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف . (٢) السلف (يفتح فكسر ويكسر فسكون) من الرجل : زوج أخت امرأته وقد علمت أن عثمان تزوج السيدة رقية أخت السيدة فاطمة زوج الإمام علي . (٣) أم عثمان هي أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأما البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم . (٤) البيضة : ساحة القوم . (٥) اعتوروا الشيء : تداولوه . (٦) الرمَّة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء . (٧) الطول : الفضل والقدرة والثني . (٨) الفعال : اسم الفعل الحسن ، والكرم .

والإفضال ، ما لك اليوم الذي لا يَبَّعَ فيه ^(١) ولا خِلَال ^(٢) ، أتحده على حسن البلاء ،
وتظأهر النعماء ، وفي كل حال من شدة أو رخاء ، أتحده على نعمه التَّوَام ، وآلاته
المِظَام ، حدأ يستتير بالليل والنهار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمة
النَّجاة في الحياة الدنيا وعند الوفاة ، وفيها الخلاص يوم القِصاص ، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله النبي المصطفى ، وإمام الرِّحمة والهدى ، صلى الله عليه وآله .

ثم كان من قضاء الله أن جَعَمَنَا وأهلَ ديننا في هذه الرُّقعة من الأرض ، والله يعلم أني
كنت كارها لذلك ، ولكنهم لم يُبَلِّمُونَا رِبْقَنَا ، ولم يتركونا نرتادُ لأنفسنا ، وننظر لمعادِنَا ،
حتى نزلوا بين أظهرنا ، وفي حريمنا وَبَيَّضَتْنَا ^(٣) ، وقد علمنا أن في القوم أحلامنا
وطفاناً ^(٤) ، ولسنا نأمن طغائهم كُلِّي ذَرَارِينَا ونسائنا ، ولقد كنا نحب أن لا نقاتل أهل ديننا ،
فأخرجونا حتى صارت الأمور إلى أن قاتلناهم عِدَا حَيَّة ^(٥) ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ،
والحمد لله رب العالمين .

أما والذي بعث محمداً بالرسالة لَوَدِدْتُ أني مُت منذ سنة ، ولكن الله إذا أراد أمراً
لم يستطع العباد رَدَّهُ ، فنستعين بالله العظيم ، وأستغفر الله لي وللمسلم .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٥ والأغانى ١٩ : ٥٥)

(١) لا يبع فيه فيحتاج المقهر ما يتدارك به تقصيره ، أو يفدى به نفسه . (٢) الخلال والمخاللة مصدر
خال : المصادقة ، أي ولا مخاللة فيه فيشفع لك خليلك . (٣) البيضاء : ساحة القوم . (٤) الحلم
بالكسر : الأناة والعقل ، وهو حلم والجمع حلماء وأحلام ، والطعام : أوغاد الناس . (٥) الحمية :
الأنفة (وفي الأصل ضا ، وأرى صوابه هنا أي أعداء) .

التحريض على القتال

من قبل الإمام عليّ أيضاً

٢٣٢ - خطبة الإمام علي

وخطب الإمام عليّ كرم الله وجهه أصدابته ، متوكئاً على قوسه ، وقد جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عنده فهم يُلَوْنُهُ - كأنه أحبّ أن يعلم الناس أن الصحابة متوافرون معه - فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فَإِنَّ الْخِيَلَةَ ^(١) مِنَ التَّجَبُّرِ ، وَإِنَّ النَّخْوَةَ ^(٢) مِنَ التَّكْبَرِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ حَاضِرٌ ، يَعِدُّ كَيْدَ الْبَاطِلِ . أَلَا إِنَّ السَّلْمَ أَخُو السَّلْمِ ، فَلَا تَنَابَذُوا ، وَلَا تَحَازِلُوا ، أَلَا إِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ ، وَسَبِيلُهُ قَاصِدَةٌ ^(٣) ، مِنْ أَخْذِ بَهَائِلِ الْحَقِّ ^(٤) ، وَمَنْ فَارَقَهَا بَحِقَّ ^(٥) ، وَمَنْ تَرَكَهَا سَرَقَ ^(٦) ، لَيْسَ لِلْمُسْلِمِ بِالْخَائِنِ إِذَا أَوْثَمُنَ ، وَلَا بِالْخَلِيفِ إِذَا وَعَدَ ، وَلَا بِالْكَذَّابِ إِذَا نَطَقَ ، نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ الرَّحْمَةِ ، وَقَوْلُنَا الصِّدْقُ ، وَفِعْلُنَا الْفَضْلُ ، وَمَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَفِينَا قَادَةُ الْإِسْلَامِ ، وَفِينَا حَمَلَةُ الْكِتَابِ ، أَلَا إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى رَسُولِهِ ، وَإِلَى جِهَادِ عَدُوهِ ، وَالثَّدَةِ فِي أَمْرِهِ ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَلِإِتِّبَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحِجِّ الْبَيْتِ ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَتَوْفِيرِ الْفَقْرِ إِلَى أَهْلِهِ . أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَعْجَبِ

(١) الخيلاء : الكبر . (٢) النخوة : الانضمار والتعظيم . (٣) القصد : استقامة الطريق .

(٤) أي أدرك رضا الله وثوابه . (٥) محقه : عاه ، ومعنى الله الشيء ذهب بركته . (٦) أي

مخرج عن الدين ، وأصله من مرق السهم من الرمية مروفاً : إذا خرج من الجانب الآخر .

المجانب أن معاوية بن أبي سفيان الأموي ، وعمرو بن العاص السهمي ، أصبحا يُحَرِّضَانِ الناس على طلب الدين بزعمهما ، ولقد علمتُ أني لم أخالف رسول الله صلى الله عليه وآله قط ، ولم أغصه في أسر ، أقيته بنفسى في الموطن التي يَنكُصُ^(١) فيها الأبطال وتُرْعَدُ فيها الفرائصُ^(٢) ، بنجدة أكرمنى الله سبحانه بها وله الحمد ، ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإن رأسه لفي حجرى ، ولقد ولت غسله بيدي وحدرى تقلبه لللائكة القربون معى ، وإيم الله ما اختلفت أمة قط بعد نبيا ، إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها إلا ما شاء الله . (شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨١)

٢٣٣ - خطبة أخرى له

وروى أن الإمام علياً قال في هذه الليلة : حتى متى لا نناهض القوم بأجمعنا ؟ فقام في الناس فقال :

« الحمد لله الذى لا يُبرِّمُ ما نَقَضَ ، ولا يُنْقِضُ ما أبرم ، لو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأمة ، ولا من خلقه ، ولا تنازع البشر فى شيء من أمره ، ولا جعد المفضول ذا الفضل فضله ، وقد ساقطنا وهؤلاء القوم الأقدار ، حتى لَقَتْ بيننا فى هذا الموضع ، ونحن من ربنا بمرأى ومستمع ، ولو شاء لَجَلَّ النِّقْمَةُ ، ولكان منه النصر ، حتى يكذب الله الظالم ، ويعلم للحق أين مصيره ، ولكنه جمل الدنيا دار الأعمال ، والآخرة دار الجزاء والقرار ، « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ » ألا إنكم لأقو المدؤ غداً إن شاء الله ، فأطيلوا الليلة القيام ، واكثروا تلاوة القرآن ، واسألوا الله الصبر والنصر ، والقوهم بالحدِّ والحزم ، وكونوا صادقين . »

(شرح ابن أبي الحديد ١ ص ٤٨١ وتاريخ الطبرى ٧: ٦)

(١) تكمن عن الأمر : أحجم عنه .

(٢) جمع فريضة ، وهى لحمة بين الجنب والكنت لاززال ترعد .

٢٣٤ - ومن كلام له كرم الله وجهه

كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين

« معاشِرَ المسلمين : اسْتَشْعِرُوا ^(١) الْخَشْيَةَ ، وَتَجَلَّبَبُوا ^(٢) السَّكِينَةَ ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ ^(٣) ، فَإِنَّهُ أَنْبَى السُّيُوفِ مِنَ الْمَأْمَرِ ^(٤) ، وَأَكْلُوا ^(٥) اللَّائِمَةَ ^(٦) ، وَقَلَقُوا السُّيُوفَ فِي أَعْمَادِهَا ، قَبْلَ سَلِّهَا ^(٧) ، وَالْحَفَظُوا ^(٨) الْخَزَرَ ^(٩) ، وَاطْمَنُّوا ^(١٠) الشَّرَرَ ^(١١) ، وَانْفَحُوا بِالظُّبَا ^(١٢) ، وَصَلُّوا السُّيُوفَ بِالْخَطَا ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَيْنَ ^(١٣) اللَّهِ ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَعَاوَدُوا الْكَرَّ ، وَاسْتَحْيُوا ^(١٤) مِنَ الْفَرِّ ، فَإِنَّهُ عَارٌّ فِي الْأَعْقَابِ ، وَنَارُ يَوْمِ الْحِسَابِ ، وَطَيَّبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا ، وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَسِيًّا ^(١٥) سُبْحَاتًا ^(١٦) ، وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ ^(١٧) الْأَعْظَمِ ، وَالرَّوَاقِ ^(١٨) الْمُطَنَّبِ ^(١٩) ، فَاضْرِبُوا ثُبُجَهُ ^(٢٠) ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ ^(٢١) ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ ^(٢٢) بَدَأَ ، وَأَخَّرَ ^(٢٣) لِنَكُوصِ رِجْلَا ، فَعَصَدًا ^(٢٤) صَمَدًا ^(٢٥) ، حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ ، وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ ، وَلَنْ يَبْرِكَ ^(٢٦) أَعْمَالُكُمْ . »
(نهج البلاغة : ١ : ٥٧)

-
- (١) استشعر : ليس الشار وهو مايل البذن من الثياب . وتجلبب : لبس الجلباب ، والمراد : لازموا الخشية والسكينة .
(٢) النواجذ : جمع ناجذ : أقصى الأضراس ، وبعض المرء نواجه حين يشتد غيظه ، والمراد : استجمعوا كل قوتكم .
(٣) فإنه : الضمير فيه يعود على المصدر المفهوم من الفعل السابق : أي فإن العس على التواجد أنبى السيف ، أي أدعى إل نبوها عن رموسكم ، نيا السيف من الضريبة : كل ، والمأم : الرموس جمع هامة .
(٤) اللائمة : الدرع ، ويجوز أن يبر بالائمة عن جميع أدوات الحرب ، يريد أكلوا السلاح .
(٥) مخافة أن تستعنى عن الخروج وقت سلاها .
(٦) الخزر : الخنزير في أحد الثقلين ، وتلك أمانة الغضب .
(٧) الطن : الجواب ميتا وثبالا .
(٨) نافحوا : كافحوا وضاربوا ، والظبا : جمع ظبة ، وهي حد السيف .
(٩) أي ملحوظون بها .
(١٠) اللين : السهل .
(١١) المدد الكثير .
(١٢) الرواق : بكسر الراء وضمة القسطاط ، يريد به مضرب معاوية للطنب ، أي المشدود بالاطناب (جمع طناب بفتين ، وهو الحبل) وكان معاوية في مضرب عليه قبة عالية وحوله صناديد أهل الشام .
(١٣) أي وسطه .
(١٤) جالبه .
(١٥) الصمد : القصد ، صمده من باب نصر قصده .
(١٦) لن ينقصكم منها شيئا .

٢٣٥ - خطبة أخرى للإمام

وخطب الإمام على ذلك اليوم أيضاً ، فقال :

« أيها الناس : إن الله تعالى ذِكْرُهُ ، قد دلكم على تجارة تُنْجِيكُمْ من العذاب ، وتُشْفِي^(١) بكم على الخير ، إيماناً بالله ورسوله ، وجهاداً في سبيله ، وجعل ثوابه مغفرة الذنوب ، وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ، وأخبركم بالذي يحب فقال : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ، كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْمُوسٌ) فسووا صفوفكم كالبنيان المرموص ، وقدّموا الدارع ، وأخروا الحاسر ، وعَضُّوا على الأضراس ، فإنه أنبئ^(٢) لسيوف عن المسام ، وأزبط للجأش ، وأسكن للقلوب ، وأميئوا الأصوات ، فإنه أطرد للفشل ، وأولى بالوقار ، والتوّأوا في أطراف الرِّمَاح ، فإنه أمّور^(٣) للأسنة ، ورايتكم فلا تُمِيلوها ، ولا تُزِيلوها ، ولا تَجْمَلوها إلا بأيدي شجعانكم ، المساميين الدّمار^(٤) ، والصَّبْرُ عند نزول الحقائق ، أهل الحِفَاطِ الَّذِينَ يَخْفَرُونَ^(٥) برايتكم ويكفونها يضربون خلفها وأمامها ، ولا يُضَيِّعُونَهَا ، أَجْزَأُ كُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قِرْنُهُ^(٦) ، وواسي أخاه بنفسه ، ولم يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ ، فيجمع عليه قِرْنَهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ ، فيكسب بذلك اللّائمة ، ويأتي به دناءة ، أتى هذا ، وكيف يكون هذا ؟ هذا يقاتل اثنين ، وهذا مُنْسِكٌ يَدُهُ ، قد خَلَّى قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ هَارِباً مِنْهُ ، أَوْ قَاتِماً يَنْظُرُ إِلَيْهِ ؟ مَنْ يَقُولُ هذا مقتله الله ، فلا تَمَرَّضُوا لِمَقْتِ اللَّهِ ، فإنما مَرَدُّكُمْ إِلَى اللَّهِ ، قال الله تعالى لِقَوْمٍ عَابِهِمْ : (لَنْ يَنْفَسَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذَنْ لَا تَمُوتُونَ إِلَّا

(١) اشفى عليه : أعرف . (٢) اسم تفضيل من مار ، سهم ماز : أى غفيف نافذ داخل في الأجسام .

(٣) مايلزمك حفظه وحمايته . (٤) خفزه وبه وعليه يخفر بكسر اللها وضهما : أجاره ومنه وآمه .

(٥) القرن : كفؤك في الشجاعة (أو عام) وأجزأه : أغناه وكفاه .

قليلاً) وإيم الله إن فررتُم من سيف الله العاجلة ، لانسَلُون من سيف الآخرة ، استمعِينوا بالصدق والصبر ، فإنه بعد الصبر يُنزل النصر .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٣ وتاريخ الطبري ٦ : ٩)

٢٣٦ - خطبة للإمام علي

وصرة الإمام على كرم الله وجهه على جماعة من أهل الشام ، فيها الوليد بن عتبة وهم يشتمونه ، فخير بذلك ، فوقف فيمن يليهم من أصحابه ، فقال :

« أَهْدُوا^(١) إِلَيْهِمْ ، عَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ ، وَقَارُ الْإِسْلَامِ وَسُمِّي الصَّالِحِينَ ، فَوَاللَّهِ لِأَقْرَبُ قَوْمٍ مِنَ الْجَلِيعِ فَأَتَدُمُ وَمَوْزِنُهُمْ^(٢) معاوية وابن النابغة^(٣) وأبو الأعور السَّامِيُّ ، وابن أبي مُعَيْط ، شارب الخمر ، الجلود حدا في الإسلام ، وهم أولى من يقومون فينْقُصُونِي وَيَحْدُبُونِي^(٤) ، وقيل اليوم ماقلوني ، وأنا إذ ذاك أدهوم إلى الإسلام ، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام ، الحمد لله ، قديماً عاداني الفاسقون ، فسبَّهم^(٥) الله ، أَلَمْ يُفْتَحُوا^(٦) ؟ إن هذا هو الخطل الجليل ، إن فساقاً كانوا غير مَرْضِيَّين ، وعلى الإسلام وأهله متخوفين ، خدعوا شَطَرَ هذه الأمة ، وأشرَبُوا قلوبهم حُبَّ الْفِتْنَةِ ، واسمألوا أهواءهم بالإفك والبُهتان ، قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عز وجل ، اللهم فافضْ خَدَمَهُمْ^(٧) ،

(١) نهّد الرجل : نهض ، ونهّد لعدوه : صدّه . (٢) الأذنين والمؤذن : الزعيم .

(٣) هو عمرو بن العاص ، والنابغة : لقب أمه سلمى بنت حرملة . (٤) الجلب بالتسكين : العيب .

(٥) ذلهم . المبيد : المذل من الطريق وغيره . (٦) الفتح بالسكون : القهر ، والغلبة ، والتذليل .

كالتفخيخ (وفى الأصل : « أَلَمْ يُفْتَحُوا » وهو تصحيف) . (٧) يقال فاض الله خدمهم أي فرق جماعتهم ،

الخلفة بالتصريك سير غليظ مضفور مثل الحلقة يشد في رِصْغ البعير ، ثم يشد إليه مرائح النعل (أي سيورها :

جميع سريجة) فإذا انفتحت الخلفة انحلت المرائح وسقطت النعل ، فضرِب ذلكم مثلاً لذهاب ما كانوا عليه وتفرقه ،

وشبه اجتماع أمرهم واتساقه بالحلقة المستديرة .

وَسَتَّ كَلِمَهُمْ ، وَأَبْلَسَهُمْ ^(١) بِمُخْطَلَامٍ ، فَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مِنْ وَالِيَةٍ ، وَلَا يَعِزُّ مِنْ عَادِيَةٍ ،
(تاريخ الطبري ٦ : ٢٤)

٢٣٧ - خطبة أخرى له

وَمَرَّةً بِأَهْلِ رَايَةِ ، فَرَأَى لَا يَزُولُونَ عَنْ مَوْقِعِهِمْ ، فَغَرَضَ عَلَيْهِمُ النَّاسَ — وَذَكَرَ
أَنَّهُمْ غَسَّانٌ — فَقَالَ :

« إِنْ هَؤُلَاءِ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوْقِعِهِمْ دُونَ طَعْنِ دَرَاكِ ، يُخْرِجُ مِنْهُمْ النَّسَمَ ^(٢) ،
وَضَرْبُ يُفَلِّقُ مِنْهُ الْمَأْمُومَ ^(٣) . وَيَطِيحُ ^(٤) الْعِظَامَ ، وَتَسْقُطُ مِنْهُ الْمَحَارِمُ ^(٥) وَالْأَكْفُ .
وَحَتَّى يُصَدَّعَ جِبَاهُهُمْ بِعُمْدِ الْحَدِيدِ ، وَتَنْفُشَ حَوَاجِبُهُمْ عَلَى الصُّدُورِ وَالْأَذْقَانِ ، أَيْنَ أَهْلُ
الصَّبْرِ ، وَطُلَّابُ الْأَجْرِ ؟ » .
(تاريخ الطبري ٦ : ٢٥)

٢٣٨ - خطبة عبد الله بن عباس

وخطب عبد الله بن عباس أهل المراق بصفين ، فقال :
« الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي دَحَا ^(١) تَحْتَنَا سَبْعًا ، وَوَسَمَكَ ^(٢) فَوْقَنَا سَبْعًا ، وَخَلَقَ فِيمَا
بَيْنَهُنَّ خَلْقًا ، وَأَنْزَلَ لَنَا مِنْهُنَّ رِزْقًا ، ثُمَّ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ، يَنْبِئُ وَيَقْنَى ، غَيْرَ وَجْهِهِ
إِلَى الْقَبْرِ ، الَّذِي يَحْيَا وَيُمِيتُ .

(١) أبسله : أسلمه لهلكة ، أى أهلكهم . (٢) جمع تسمية ، وهى نفس الروح (يفتح القاء)
ثم سميت بها النفس (بالسكون) . (٣) جمع هامة ، وهى الرأس . (٤) يصح أن يكون مضارع
طيح بالتشديد : طيح بثوبه : رمى به فى مضية ، وطيح الثوب : ضربه ، وأن يكون مضارع أطاح : أطاح
شمره أسقطه ، والثوب أثناء ولاذبه ، وأن يكون مضارع طاح : طاح يطيح ويطوح هلك ، أو أشرف على
المهلك وذبح وسقط وتاه فى الأرض . (٥) جمع مصم بكسر الميم ، وهو موضع السوار أو اليد .
(٦) دحا الله الأرض يحرقها ويدحاها : يسطها . (٧) أى رفع .

إن الله تعالى بشت أنبياء ورُسلًا ، فجعلهم حُجَجًا على عباده عُدْرًا وَنُدْرًا^(١) ، لا يُطَاعُ إلا بعلمه وإذنه ، يَمُنُّ بالطاعة على من يشاء من عباده ، ثم يُنْثِبُ عليها ، وَيُعَصِّي بِعِلْمٍ منه ، فيمفو ويغفر بعلمه ، لا يُقَدَّرُ قدره ، ولا يُبْلَغُ شيء مكانته ، أحصى كل شيء عدداً ، وأحاط بكل شيء علماً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام الهدى والنبي المصطفى .

وقد ساقنا قَدْرُ اللهِ إلى ما تَرَوْنَ ، حتى كان مما اضطرب من حبل هذه الأمة ، وانتشر من أمرها ، أن معاوية بن أبي سفيان وجد من طغَم الناس أعواناً على ابن عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَصِهره ، وأوَّلِ ذَكَرٍ صَلَّى معه ، بِدَرِيٍّ^(٢) قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله كُلَّ مَشَاهِدِهِ التي فيها الفضل ، ومعاوية مُشْرِكٌ كان يعبد الأصنام ، والذي ملك الملك وحده ، وبأن به وكان أهله ، لقد قاتل على بن أبي طالب عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : صدق الله ورسوله ، ومعاوية يقول : كذب الله ورسوله : فعليكم بتقوى الله ، وَالْجِدِّ وَالْحَزْمِ وَالصَّبْرِ ، والله إنا لنعلم إنكم لَعَلَّيْ حَقٌّ ، وإن القوم لعلُّ باطل ، فلا يكونَنَّ أولى بِالْجِدِّ على باطلهم منكم في حقكم ، وإنا لنعلم أن الله سيعذبهم بأيديكم أو بأيدي غيركم ، اللهم أَعِنَّا وَلَا تَخْذُلْنَا ، وانصرنا على عدونا ، وَلَا تَحُلْ عَنَّا ، وافتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٥٠٤)

-
- (١) هما مصدران : طرده يطرده طرداً بضم فسكون وبضمين وأثله إنذاراً ونذراً بضم فسكون وبضمين : أو جمان : المجر بضمين جمع عذير وهو الماذر ، والنذر بضمين جمع نذير وهو المنذر .
- (٢) أي حضر غزوة بدر الكبرى التي نشبت بين رسول الله عليه الصلاة والسلام وبين مشركي قريش في السنة الثانية للهجرة .

٢٣٩ - خطبة عبد الله بن بديل الخزاعي

وقام عبد الله بن بديل الخزاعي في أصحابه فخطبهم ، فقال :

« إن معاوية ادعى ماليس له ، ونازع الأمر أهله ، ومن ليس مثله ، وجادل بالباطل ، لِيُدْحِضَ ^(١) به الحق ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب ، وَزَيَّنَ لِمُ الضلالة ، وزرع في قلوبهم حبَّ الفتنة ، وَلَبَّسَ ^(٢) عليهم الأمور ، وزادهم رجساً ^(٣) إلى رجسهم ، وأنتم والله على نور وبرهان ، قاتلوا الطغاة الجفاة ، قاتلوه ولا تخشوه ، وكيف تخشونهم ؟ وفي أيديكم كتاب من ربكم ظاهر مبين ، قوله سبحانه : (اتَّخَشَوْهُمْ فَلَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْهَرُ كُفْرُ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) لقد قاتلهم مع النبي صلى الله عليه وآله ، والله مأمور في هذه بأزكى ولا أنقى ولا أبرّ ، انهضوا إلى عدو الله وعدوكم ، بارك الله عليكم . »

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٣ وتاريخ الطبري ٦ : ٩)

٢٤٠ - خطبة أبي الهيثم بن التيهان

وكان أبو الهيثم بن التيهان يسوّي صفوف أهل العراق ، ويقول :

« يا معشر أهل العراق ، إنه ليس بينكم وبين القتح في العاجل ، والجنة في الآجل . إلا ساعة من النهار ، فأزسوا أقدامكم ، وسووا صفوفكم ، أعيروا ربكم جاحدكم ، واستعينوا بالله إلهكم ، وجاهدوا عدو الله وعدوكم ، وقاتلوه قتلهم الله وأبادهم . واضربوا فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . »

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٤)

(١) دحضت الحجة : بطلت ، وأدحضتها : أبطلتها . (٢) التليس : التخليط .

(٣) الرجس : القذر والمأثم ، وكل ما استقذر من العمل ، والعمل المؤدى إلى المذاب .

٢٤١ - خطبة للإمام علي

وخطب علي عليه السلام بصفتين أيضاً فقال :

« الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البرِّ والفاجر ، وعلى حُجَّجِهِ
البالغة على خلقه من أطاعه منهم ومن عصاه ، إن يَرْحَمَ فيفضله ومنه ، وإنْ عَذَّبَ
فبما كَسَبَتْ أيديهم ، وإن الله ليس بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيد . أَتُحَدِّثُ على حسن البلاء ، وتظاهر
التَّعَمُّاء ، واستمينته على ما تابنا من أمر الدنيا والآخرة ، وَأَتَوَكَّلُ عليه ، وكفى بالله وكيلاً .
ثم إنني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله
بالمهدي ودين الحق ، ارتضاه لذلك وكان أهله ، واصطفاه لتبليغ رسالته وجعله رحمة منه
على خلقه . فكان عَنته فيه رهواً رحياً ، أكرم خلق الله حَسَبًا ، وأجلهم منظرًا ،
وأسخام نفسًا ، وأبرم لوالده ، وأوصلهم لِرَحِمٍ ، وأفضلهم علماً ، وأقلهم حِلْمًا ، وأوفاهم
لعهده ، وآمنهم على عَقْدٍ ، لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بِظُلْمَةٍ قَطُّ ، بل كان يُظَلَمُ فيَغْفِرُ
وَيَقْدِرُ فيَصْنَحُ ، حتى مضى صلى الله عليه وآله مطيعًا لله ، صابرًا على ما أصابه ، مجاهدًا
في الله حتى جهَّاده ، حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وآله ، فكان ذهابه أعظم المصيبة
على أهل الأرض البرِّ والفاجر ، ثم ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعة الله ، وينهاكم
عن مصيئته .

وقد عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً ، فليست أحيده عنه ، وقد حضرتم
عدوكم ، وعلمتم أن رئيسهم منافق يدعوهم إلى النار ، وابن عمِّ نبيكم معكم وبين أظهركم
يدعوكم إلى الجنة ، وإلى طاعة ربكم ، والعمل بسنة نبيكم ، ولا سواء^(١) مَنْ صَلَّى قبل
كلِّ ذكر ، لا يسبقني بصلاة مع رسول الله أحد . وأنا من أهل بدر ، ومعاوية طليق ،

(١) أي ولا مثل من صل .

والله إنا على الحق ، وإنهم على الباطل ، فلا يَحْتَمِنُ على باطلهم ، وتنفروا عن حكم ، حتى ينلب باطلهم حكم ، قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فإن لم تفعلوا يَمْذِبُهُمْ بِأَيْدِي غيركم .

(شرح ابن أبي الحديد ١ ص ٥٠٣)

٢٤٢ - خطبة سعيد بن قيس

وقام سعيد بن قيس بخطب أصحابه بِقُنَاصِرِينَ^(١) ، فقال :

« الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وأورثنا كتابه ، وامتن علينا بنبيه ، فجعله رحمة للعالمين ، وسيد المرسلين ، وقائد المؤمنين ، وخبابا للنبيين ، وحبّة الله العظيم ، على الماضين والتابرين ، ثم كان مما قضى الله وقدره - وله الحمد على ما أحببنا وكرهنا - أن ضَمَّنَا وعدُونَا بِقُنَاصِرِينَ ، فلا يَحْمِلُ بنا اليومَ الحِياصُ^(٢) ، وليس هذا بأوان انصراف ، ولات حين مناص^(٣) ، وقد خصنا الله بمنّة برحمته لا نستطيع أداء شكرها ، ولا قَدْرُ^(٤) قَدْرَها ، إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله المُصْطَفَيْنِ الأخيارَ معنا وفي حَيَازِنَا ، فوالله

(١) قال صاحب اللسان والقاموس : قنصرين موضع بالشام ، ولم يذكره ياقوت في معجمه .

(٢) حاص عنه يحص حيصا ومحيصا ومحاصا على واحد ، والحياص والحايصة : مفاعلة من الحيص أى الملول واخرى . قال صاحب اللسان : وفي حديث مطرف (بتشديد الراء المكسورة) أنه خرج من الطامون ف قيل له فى ذلك ، فقال : « هو الموت نحايصه ولا بد منه » قال أبو حبيد مته : « زورغ عنه » وليس بين العبد والموت مفاعلة ، وإنما المعنى أن الرجل فى فرط حرصه على القرار من الموت كأنه يباريه وينال به ، فأخرج به على المفاعلة لكونها موضوعة لإفادة المبالاة والمغالبة بالفعل ، كقوله تعالى : « يُجَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ » فيقول معنى نحايصه إلى قولك نحصر على القرار منه هـ .

(٣) النوص والمناص : التأخر والقرار ، ناص عن قرنه يتوص : فر وراغ . أى وليس الوقت وقت تأخر وفرار .

(٤) قدر الشيء قدره من التقدير وبابه ضرب ونصر « وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ » أى ما عظموه حق تعظيمه .

الذى هو بالعباد بصير ، أن لو كان قائدنا رجلاً مخدوعاً ، إلا أن معنا من البدرين سبعين رجلاً ، لكان ينبغي لنا أن نحسن بصائرنا ، وتطيب أنفسنا ، فكيف وإنما رئيسنا ابن عم نبينا ، بدرى صدق ، صلى صغيراً ، وجاهد مع نبيكم صلى الله عليه وسلم كثيراً ، ومعاوية طليق من وثاق^(١) الأسارى ، إلا أنه أخو جفاعة ، فأوردهم النار ، وأورثهم العار ، والله يحل بهم القتل والصغار^(٢) ، ألا إنكم ستلقون عدوكم غداً ، فعليكم بتقوى الله من الجِدِّ والحَزْمِ والصدق والصبر ، فإن الله مع الصابرين ، ألا إنكم تفوزون بقتلهم ، ويشقون بقتلكم ، والله لا يقتل رجل منكم رجلاً منهم إلا أدخل الله القاتل جنات عدن وأدخل المقتول ناراً تأنَّى ، لا تفتُر عنهم وهم فيها مبلسون^(٣) ، عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه ، وجعلنا وإياكم ممن أطاعه واطعاه ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم والمؤمنين .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٣)

٢٤٣ — خطبة يزيد بن قيس الأرحبي

وحرض يزيد بن قيس الأرحبي أهل المراق بصفين ، فقال :

« إن المسلم من سلم دينه ورأيه ، وإن هؤلاء القوم والله ما إن يقاتلوننا على إقامة دين رأونا صيغناه ، ولا على إحياء حق رأونا أبتنا ، ولا يقاتلوننا إلا على هذه الدنيا ، ليكونوا فيها جبارةً وملوكاً ، ولو ظهرُوا عليكم — لأراهم الله ظهوراً ولا سروراً — إذن

(١) الوثاق بالفتح ويكسر : ما يشد به ، وأوثقه فى الوثاق شدة «فشدوا الوثاق»

(٢) القتل والضم . (٣) من أبليس : إذا يش وتغير .

لوليكم مثل سَمِيدٍ^(١) والوليد^(٢) وَهَدِ اللهُ بنَ عاصِرٍ^(٣) السفيهَ ، يحدثُ أحدمَ في مجلسه بذيتٍ وَذَيْتٍ^(٤) ، ويأخذُ مالَ الله ، ويقولُ لا إثمَ عَلَيَّ فيه ، كأنما أُعْطِيَ تَرَاتِمَهُ من أبيه . كيف ؟ إنما هو مالُ الله ، أَفَاءَهُ عَلَيْنَا بِأَسْيَافِنَا وَرِمَاحِنَا ، قَاتِلُوا : صَبَّأَ اللهُ : القومَ الظالمين . الحاكِمينَ بغيرِ ما أُنْزِلَ اللهُ ، ولا تَأْخُذْ كَمَ فِيهِمْ لَوْمَةٌ لَائِمٌ . إِنَّهُمْ إِنَّ يَظْهَرُونَ عَلَيْكُمْ ، يُفْسِدُوا عَلَيْكُمْ دِينَكُمْ وَدُنْيَاكُمْ . وَهمَ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ وَجَرَّبْتُمْ . وَاللهُ مَا أَرَادُوا بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا شَرًّا ، وَاسْتَغْفَرَ اللهُ الْعَظِيمَ لِي وَلِكُمْ .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٠ ؛ شرح ابن أبي الحديد ١ : ض ٤٨٥)

٢٤٤ - خطبة هاشم بن عتبة المرقال

وَشَدَّ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ الْمِرْقَالُ^(٥) فِي عَصَابَةِ مَنْ أَصْحَابُهُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ مَرَارًا ،

(١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ؛ قتل أبوه العاص يوم بدر كافرا ؛ قتله علي بن أبي طالب ؛ وقد استعمل عثمان بن عفان سعيدا على الكوفة بعد الوليد بن عتبة ابن أبي معيط ، وولاه معاوية في خلافة المدينة ، فكان يوليه إذا عزل مروان بن الحكم عن المدينة ويول مروان إذا عزله . (٢) هو الوليد بن عتبة بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو ذكوان بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه (أمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس) وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص ، ثم عزله حين اتهم بشرب الخمر ، واستعمل بعده سعيد بن العاص . (٣) هو عبد الله بن عامر بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، استعمله عثمان على البصرة بعد أبي موسى الأشعري ، وولاه أيضا بلاد فارس بعد عثمان بن أبي العاص ، ولم يزل واليا على البصرة إلى أن قتل عثمان ، وقد ولاه معاوية البصرة ثلاث سنين . (٤) ذيت وذيت مثناة الآخر : أي كيت وكيت . (٥) هو هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وهو ابن أخى سعد بن أبي وقاص ، واقب بالمرقال لأن مليا رضي الله عنه أعطاه الراية بصفين ، فكان يرقل بها أي يسرع ، وهو الذي افتتح جلولاء من بلاد الفرس ، وكانت جلولاء تسمى فتح الفتوح ، وفقت فيه يوم اليرموك بالشام ، وقتل في وقعة صفين ، قطعت رجله يومئذ ، فجعل يقاتل من دناءته وهو بارك .

فليس من وجهٍ يَحْمِلُ عليه ، إِلَّا صَبَرَهُ ، وَقَاتَلَ فِيهِ قِتَالًا شَدِيدًا . فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ :
 « لَا يَهْوُلَنَّكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنْ صَبْرِهِمْ . فَوَاللَّهِ مَا تَرَوْنَ فِيهِمْ إِلَّا حَيَّةَ الْعَرَبِ ، وَصَبْرَهَا
 تَحْتَ رَايَاتِهَا ، وَغَدَمَرَا كَرَاهَا ، وَإِنَّهُمْ لَتَلَى الضَّلَالِ ، وَإِنَّكُمْ لَعَلَى الْحَقِّ ، يَاقَوْمُ اصْبِرُوا
 وَصَابِرُوا وَاجْتَمِعُوا ، وَامْشُوا بِنَا إِلَى عَدُونَا ، عَلَى تَوَدِّعٍ رَوِيْدًا ، ثُمَّ اثْبُتُوا وَتَنَاهَرُوا ،
 وَادْكُرُوا اللَّهَ ، وَلَا يَسْأَلُ رَجُلٌ أَخَاهُ ، وَلَا تُكْثِرُوا الْأَلْفَاتِ ، وَاصْمُدُّوا ^(١) صَمْدَمَ ،
 وَجَاهِدُوا مُحْتَسِبِينَ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٢٣)

٢٤٥ — خطبة عمار بن ياسر

وَقَامَ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ يَوْمَ صَفِينٍ ، فَقَالَ :

« انْهَضُوا مَعِيَ : عِبَادَ اللَّهِ : إِلَى قَوْمٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ بِدَمٍ ظَالِمًا ، إِنَّمَا قَتَلَهُ
 الصَّالِحُونَ لِلتَّكْرِؤَنِ لِقُدَّوَانٍ ، الْأَمْرُونَ بِالْإِحْسَانِ ، فَقَالَ هَؤُلَاءِ الدِّينَ لَا يَبَالُونَ إِذَا سَلِمَتْ
 لَهُمْ دَنْيَاهُمْ ، وَلَوْ دَرَسَ ^(٢) هَذَا الدِّينُ ، لِمَ قَتَلْتُمُوهُ ؟ فَقُلْنَا : لِأَحْدَاثِهِ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لَمْ
 يُجَدِّثْ شَيْئًا ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَكْتُمٌ مِنَ الدُّنْيَا ، فَهُمْ يَا كَلُونَهَا وَيَرْعَوْنَهَا ، وَلَا يَبَالُونَ
 لَوْ انْهَدَمَتِ الْجِبَالُ ، وَاللَّهُ مَا أَغْلَبَهُمْ يَطْلُبُونَ بِدَمٍ ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ ذَاقُوا الدُّنْيَا ، فَاسْتَحْلَوْهَا
 وَاسْتَمَرَّزُوهَا ^(٣) ، وَاعْلَمُوا أَنَّ صَاحِبَ الْحَقِّ لَوْ وَلِيَهُمْ حَالٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَأْكُلُونَ
 وَيَرْعَوْنَ مِنْهَا ، إِنْ الْقَوْمُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ سَابِقَةٌ فِي الْإِسْلَامِ ، يَسْتَحِقُّونَ بِهَا الطَّاعَةَ وَالْوَلَايَةَ ،
 فَخَدَعُوا أَتْبَاعَهُمْ بِأَن قَالُوا : قَبِيلُ إِمَامِنَا مَظْلُومًا : لِيَكُونُوا بِذَلِكَ جَبَابِرَةً وَمُلُوكًا ، تِلْكَ

(١) أَيْ اقْتَصَدُوا جِهَتَهُمْ . (٢) أَيْ حَقِّقُوا . (٣) اسْتَمَرَّزُوا : وَجَدَهُ مَرِيضًا أَيْ هَنِئًا

مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ، ولولاها ما تابعهم من الناس رجلٌ ، اللهم إن تنصّرنا ،
فطالما نصرت ، وأن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا لبلادك العذاب الأليم .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٤ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٢١ والكامل لابن الأثير ٢ : ١٢٣)

٢٤٦ — خطبة الأشعث بن قيس

وخطب الأشعث بن قيس أصحابه من كندة ليلة الحرير بصفين فقال :

« الحمد لله أحده واستعينه ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأستنصره وأستغفره ،
وأستجبره ، وأستهديه وأستشير به ، وأستشهد به ، فإنه من هداه الله فلا مضلّ له ، ومن
يضل الله فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله ، صلى الله عليه وآله ثم قال :

قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي ، وما قد فني فيه من
العرب ، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ ، فإرأيت مثل هذا اليوم قط ،
ألا فليبلغ الشاهد الغائب أنا نحن إن تواقفنا غداً إنه لقنيت العرب ، وضيعت الحرّمات ،
أما والله ما أقول هذه المقالة جزأ من الحرب ، ولكني رجل مسنّ أخاف على النساء
والذراري غداً إذا فنيّا .

اللهم إنك تعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آل ، وما توفيق إلا بالله ،
عليه توكلت وإليه أنيب ، والرأي يخطئ ويصيب ، وإذا قضى الله أمراً ما مضاه على
ما أحب العباد أو كرهوا .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث فاعتنمها وبنى عليها تدييره .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ١٨٥)

٢٤٧ - خطبة الأشر النخعي

وقام الأشر بخطب الناس يقنصرين ، وهو يومئذ على فرس آدم مثل حلك^(١)
الغراب ، فقال :

« الحمد لله الذى خلق السموات العلوى ، الرحمن على العرش استوى ، له ما فى
السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، أحمد على حسن البلاء ، وتظاهر
النعماء ، حمداً كثيراً ، بكثرة وأصيلاً ، من هداه الله فقد اهتدى ، ومن يضل فقد
غوى ، أرسل محمداً بالصواب والهدى ، فأظهره على الدين كله ولو كره المشركون ،
صلى الله عليه وآله .

ثم قد كان مما قضى الله سبحانه وقدر ، أن ساقطنا المقادير إلى أهل هذه البلدة من
الأرض ، فلفت بيننا وبين عدو الله وعدونا ، فحن بحمد الله ونعمه ومنه وأفضله ، قريرة
أعيننا ، طيبة أنفسنا ، نرجو بقتالهم حسن الثواب ، والأمن من العقاب ، معنا ابن عم
نينا ، وسيف من سيوف الله ، على بن أبى طالب ، صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
لم يسبقه إلى الصلاة ذكر ، حتى كان شيخاً لم يكن له صبوة^(٢) ، ولا نبوة^(٣) ،
ولا هفوة ، ولا سقطة ، فقيه فى دين الله تعالى ، عالم بمجدود الله ، ذورأى أصيل ، وصبر
جبل ، وعفاف قديم ، فاتقوا الله وعليكم بالحزم والجد ، واعلموا أنكم على الحق ، وأن
القوم على الباطل ، إنما تقاتلون معاوية وأنتم مع البدرين قريب من مائة بدرى ، سوى
من حولكم من أصحاب محمد ، أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ومعاوية مع رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) الحلك : شدة المواد ، وفى الأصل : « حل » وهو تحريف . (٢) الصبوة : جهلة الفتوة

(٣) نبا السهم من المدف : قصر ولم يصبه ، والمراد أنه لا يعرف عنه تقصير فى الدين ولا وهن .

فَن يَشْكُ فِي قِتَالِ هَؤُلَاءِ ؟ إِلَّا مَيَّتَ الْقَلْبُ ، أَنْتُمْ عَلَى إِحْدَى الْحَسَنَيْنِ ، إِمَّا الْفَتْحُ ،
وإِمَّا الشَّهَادَةُ ، عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِمَا عَصَمَ بِهِ مِنْ أَطَاعِهِ وَاتَّقَاهُ ، وَالْهَمْنَا وَإِيَّاكُمْ طَاعَتَهُ
وَتَقْوَاهُ ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ . (شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٤) .

٢٤٨ — خطبة الأشتر في المنهزمين من اليمينة

ولما أهرزت يمينه العراق ، قال له عليّ : يا مالك ، قال : كَيْفَ ، قال : أَنْتَ
هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَتَلَ لَهم : « أَيْنَ فِرَارُكُمْ مِنْ الْمَوْتِ الَّذِي لَنْ تُمْجِرُوهُ ، إِلَى الْحَيَاةِ الَّتِي لَنْ
تَبْقَى لَكُمْ » فَضَى فَاسْتَقْبَلَ النَّاسَ مِنْهَزِمِينَ ، فَقَالَ لَهُمْ هَذِهِ السَّكَلَاتُ ، وَقَالَ : إِلَيَّ أَيُّهَا
النَّاسُ ، أَنَا مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ ، أَنَا مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ ، ثُمَّ ظَنَّ أَنَّهُ بِالْأَشْتَرِ أَغْرَفَ فِي النَّاسِ ،
فَقَالَ : أَنَا الْأَشْتَرُ ، إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْهِ طَائِفَةٌ ، وَذَهَبَتْ عَنْهُ طَائِفَةٌ ، فَنَادَى :
أَيُّهَا النَّاسُ ، عَضَضْتُمْ بَيْنَ^(١) آبَائِكُمْ ، مَا أَقْبَحَ مَا قَاتَلْتُمْ مِنْذُ الْيَوْمِ ! أَيُّهَا النَّاسُ : أَخْلِصُوا
إِلَيَّ مَذْحِجًا^(٢) ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْهِ مَذْحِجٌ فَقَالَ :

« عَضَضْتُمْ بَيْنَ^(٣) الْجَنْدَلِ ، مَا أَرْضَيْتُمْ رَبَّكُمْ ، وَلَا نَصَحْتُمْ لَهُ فِي عَدُوِّكُمْ ، وَكَيْفَ
بِذَلِكَ وَأَنْتُمْ أَبْنَاءُ الْحُرُوبِ ، وَأَسْحَابُ الْفَارَاتِ ، وَفَتَيَانُ الصَّبَاحِ^(٤) ، وَفُرْسَانُ الطَّرَادِ ،
وَحُتُوفُ الْأَقْرَانِ ، وَمَذْحِجُ الطَّمَانِ ؛ الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا يُسَبِّتُونَ بِثَأْرِهِمْ ، وَلَا تُطَلُّ دِمَاؤُهُمْ ،
وَلَا يُزْفُونَ فِي مَوْطِنٍ يَخْشَفُ^(٥) ، وَأَنْتُمْ حَذَّ أَهْلِ مِصْرَكم ، وَأَعَزَّ حَيٍّ فِي قَوْمِكُمْ ،
وَمَا تَفْعَلُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ ، فَإِنَّهُ مَأْثُورٌ بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَاتَّقُوا مَأْثُورَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ ، وَأَصْدُقُوا
عَدُوَّكُمْ الْفَقَاءَ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ، وَالَّذِي نَفْسُ مَالِكٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ هَؤُلَاءِ (وَأَشَارَ بِيَدِهِ

(١) المَنْ : اسمٌ يُكْنَى بِهِ عَنْ الْفَرَجِ . (٢) كَانَ الْأَشْتَرُ مِنَ النَّخَعِ (بِالتَّحْرِيكِ) ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ

كَبِيرَةٌ مِنْ مَذْحِجِ بَالِينٍ . (٣) اللَّصَمُ : جَمْعُ صَتْمَةٍ (كَفَرَسَةٍ) ، وَهِيَ الصَّخْرَةُ الصَّلْبَةُ كَالصَّيْتَةِ .

(٤) الْفَارَةُ . (٥) الْخَشَفُ : الْقُلُ .

إلى أهل الشام) رَجَلٌ عَلَى مِثَالِ جَنَاحٍ بَعُوضَةٍ مِنْ مَعْدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنْتُمْ مَا أَحْسَنْتُمُ الْفِرَاعَ^(١) ، اجْتَلَوْا سَوَادَ وَجْهِ ، يَرْجِعُ فِي وَجْهِ دَمِي ، عَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ قَدْ فَضَّهَ ، تَبِعَهُ مِنْ بَجَائِبِهِ كَمَا يَتَّبِعُ مُؤَخَّرَ السَّبِيلِ مُقَدِّمَهُ .
قَالُوا خُذْ بِنَا حَيْثُ أَحْبَبْتَ .

(تاريخ الطبري ٦ : ١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٧)

٢٤٩ - خطبة أخرى له فيهم

وروي أنه لما اجتمع إليه عظم من كان انهزم عن الميمنة حرّضهم ثم قال :
« عَسَّوْا عَلَى النَّوَاجِذِ مِنَ الْأَضْرَاسِ ، وَاسْتَقْبِلُوا الْقَوْمَ بِهَامِكُمْ ، وَشُدُّوا عَلَيْهِمْ شِدَّةَ قَوْمِ مَوْتُورِينَ^(٢) ، ثَارًا بِآبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ، حِنَاقًا عَلَى عَدُوِّهِمْ ، قَدْ وَطَّنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ ، كَيْلًا يُسَبِّقُوا بِوَتَرٍ ، وَلَا يُلْحَقُوا فِي الدُّنْيَا عَارًا ، وَآيَمُ اللَّهِ مَا وَتَرَ قَوْمٌ قَطُّ شَيْءًا أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يُوتَرُوا دِينَهُمْ ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَفْقَهُونَكُمْ إِلَّا عَنْ دِينِكُمْ ، لِيُمَيِّتُوا الشُّنَّةَ وَيُحْيُوا الْبِدْعَةَ ، وَيَمِيدُوا فِي ضَلَالَةٍ قَدْ أَخْرَجَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا بِحَسَنِ الْبَصِيرَةِ ، فَطَلِبُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنْفُسًا بِدِمَائِكُمْ دُونَ دِينِكُمْ ، فَإِنْ ثَوَّابَكُمْ عَلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ جَنَّاتُ النَّعِيمِ وَإِنَّ الْفِرَارَ مِنَ الزَّحْفِ فِيهِ السَّابُّ لِلْعَزِّ ، وَالنَّالِبَةُ عَلَى النَّيِّ ، وَذَلِ الْمَحْيَا وَالْمَاتِ ، وَعَارُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَسَخَطُ اللَّهِ وَأَلِيمُ عِقَابِهِ » .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٧)

(١) المقارنة والمناخلة . (٢) وتره : إذا أصابه وتر ، وهو النار .

٣٥٠ - خطبة على فيهم وقد عادوا إلى مواقفهم

ولما رأى الإمام كرم الله وجهه ميمته قد عادت إلى مواقفها ومَصَافِّها ، وكشفت من يِلَازِئِها من عدوها ، حتى صار يوم في مواقفهم ومرا كرمهم ، أقبل حتى أتتهى إليهم فقال :

« إني قد رأيت جَوَلْتَكُمْ وانحيازكم عن صفوفكم ، يَحُوزُكم الطُّغَاةُ الجُنَاقَةُ ، وأعرابُ أهل الشام ، وأنتم لهَامِيمٌ ^(١) العرب ، والسَّيْئَةُ الأعظم ، وُعُتَارُ الليل بتلاوة القرآن ، وأهل دعوة الحق إذ ضل الخاطئون . فلو لا إقبالكم بعد إيدباركم . وكرَّ كَمْ بعد انحيازكم وجب عليكم ما وجب على المُوَلَّى يوم الزحفِ دُبْرُهُ ، وكنتم من المالكين ، ولكن هَوْنٌ وَجَدِي ، وَشَقِيَّ بعضَ أحاحٍ ^(٢) نفسى ، أُنِّي رأيْتُكم بِأَخْرَةٍ ^(٣) حُزْنُهم كما حازوكم ، وأزَلُّهم عن مصافِّكم كما أزالوكم ، تَحْسُونَهُمْ ^(٤) بالسيوف تركب أولام أخرام كالإبل المطرودة المِمْ ^(٥) ، فالآن فاصبروا نزلت عليكم السكينة ، وثبتكم الله عزَّ وجلَّ باليقين ، وليعلم المنهزم أنه مُسْخِطٌ رَبَّهُ ، وَمُؤَيِّقٌ ^(٦) نفسه ، إن في القرار مَوْجِدَةً ^(٧) الله عزَّ وجلَّ عليه ، وَالذَّلَّ اللازم له ، والعارَ الباقي ، واعتصارُ النِّفْيِ من يده ، وفساد العيش عليه ، وإن الفارَّ لا يزيد القرار في عمره ، ولا يُرْضَى ربه ، فوْتُ المرءِ مُحْفَاً قبل إتيان هذه الخصال ، خير من الرضا بِالتَّلْبَسِ بِهَا وَالْإِصْرَارِ عَلَيْهِ » .

(تاريخ الطبري ١٣٠٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٨)

-
- (١) الهمم ، والهمم (بكسر اللام والميم فيما) : السابق الجواد من الخيل والناس .
 (٢) الأحاح : النيز وحرارة النعم . (٣) يقال جاء أعرة وأعرة محركين وقد يضم أولها أى آخرها . (٤) من الحس بالفتح : وهو القتل والاستتصال . (٥) الطاش : جمع أيم وهياء .
 (٦) مهلك . (٧) أى غصبه .

٢٥١ - خطبة خالد بن معمر

ولما وثى الإمام خالد بن معمر راية ربيعة ، وحل عليها أهل الشام حملة شديدة ، وانهزم ناس من قومه ، صاح بن انهزم ، وقال يومئذ :

« يا معشر ربيعة : إن الله عز وجل قد أتى بكل رجل منكم من منبته ، ومسقط رأسه ، فجمعكم في هذا المكان جما لم يجمعكم مثله منذُ نَشَرَكمُ في الأرض ، فإن تَمَسَّكُوا أيديكم وتَنَكَّلُوا^(١) عن عدوكم ، وتَزَوَّلُوا عن مَصَافِّكم ، لا يرض الله فَلَكم ولا تَعْدَمُوا من الناس مَعِيْراً يقول : فضحت ربيعةُ الدُّمار^(٢) ، وَحَاصَتْ^(٣) عن القتال ، وَأُتِيتْ مِنْ قِبَلِهَا الْعَرَبُ ، فإياكم أن تشام بكم العرب والمسلمون اليوم ، وإنكم إن تَمَضَوْا مُقْبِلِينَ مُقَدِّمِينَ ، وَتَصَبَرُوا مُحْتَسِبِينَ ، فإن الإقدام لكم عادة ، والصبر منكم سَجِيَّةٌ ، واصبروا ونيئتكم أن تُؤَجَّرُوا ، فإن ثواب مَنْ نوى ما عند الله شرف الدنيا وكرامة الآخرة ، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً . »

(تاريخ الطبري ٦ : ١٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٩٦)

٢٥٢ - خطبة عقبة بن حديد النمرى

وقال عَقْبَةُ بْنُ حَدِيدٍ النَّمَرِيُّ يوم صفين لأهله وأصحابه :

« أَلَا إِنَّ مَرَّعَى الدُّنْيَا قَدْ أَصْبَحَ هَشِيماً^(٤) ، وَأَصْبَحَ شَجَرُهَا خَضِيْداً^(٥) ، وَجَدِيدُهَا سَمَلاً^(٦) ، وَحُلُوْهُأ مَرًّا الْمَذَاقَ ، أَلَا وَإِنِّي أَنْبِشُكُمْ نَبَأَ امْرِئٍ صَادِقٍ : إِنِّي قَدْ سَمِيتُ الدُّنْيَا

(١) أى تنكسوا وتجنبوا . (٢) ما تجب حمايته وحفظه . (٣) هربت وفرت .

(٤) المشيم من النبات : اليابس المتكسر . (٥) مقطوعها ، خضده : كضربه ، فهو خضيد وخضود .

(٦) السمل : الخلق من الثياب .

وَعَزَّفَتْ^(١) نَفْسِي عَنْهَا ، وَقَدْ كُنْتُ أَتَمْنَى الشَّهَادَةَ ، وَأَتَعَرَّضُ لَهَا فِي كُلِّ جَيْشٍ وَغَارَةٍ ، فَأَبَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَنْ يُبَلِّغَنِي هَذَا الْيَوْمَ ، أَلَا وَإِنِّي مُتَعَرِّضٌ لَهَا مِنْ سَاعَتِي هَذِهِ ، قَدْ طَمِعْتُ أَلَّا أَحْرَمَهَا ، فَمَا تَنْتَظِرُونَ ، عِبَادَ اللَّهِ ، بِجِهَادٍ مِّنْ عَادِي اللَّهِ ، أَخَوْفَا مِنَ الْمَوْتِ الْقَادِمِ عَلَيْكُمْ ، الْذَاهِبِ بِأَنْفُسِكُمْ لَا مَحَالَةَ ؟ أَوْ مِنْ ضَرْبَةِ كَفٍّ بِالسَّيْفِ ؟ أَنْتَبِدِلُونَ الدُّنْيَا بِالْغُظْرِ فِي وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمِرَاقَةِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ ، وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي دَارِ الْقَرَارِ ؟ مَا هَذَا بِالرَّأْيِ السَّيِّدِ ! » .

ثم مضى فقال : « يَا إِخْوَتِي إِنِّي قَدْ بَسْتُ هَذِهِ الْمَدَارَ بِالتِّي أَمَامَهَا ، وَهَذَا وَجَعِي إِلَيْهَا . لَا تُبْرِحْ وَجُوهَكُمْ ، وَلَا يَقْطَعْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجَاءَكُمْ » فَبَجَعَهُ إِخْوَتُهُ وَقَالُوا : « لَا نَطْلُبُ رِزْقَ الدُّنْيَا بِمَدِّكَ ، فَتَقْبَحَ اللَّهُ الْعَيْشَ بِمَدِّكَ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْتَسِبُ أَنْفُسَنَا عِنْدَكَ » فَاسْتَقْدَمُوا فَنَاقَلُوا حَتَّى قَتَلُوا . (تَارِيخُ الْعَلْبَرِيِّ ٦ : ١٥ ، شَرْحُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ١ ص ٤٩٠)

٢٥٣ — خُطْبَةُ خَنْزَرِ بْنِ عُبَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ

وَكَانَ مِنْ « مُحَارِبِ » رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ خَنْزَرُ بْنُ عُبَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ ، وَكَانَ مِنْ أَشْجَعِ النَّاسِ ، فَلَمَّا اقْتَتَلَ النَّاسُ يَوْمَ صَفِّينَ ، جَلَّ يَرَى أَصْحَابَهُ مِنْهُمْ مِيزِينَ ، فَأَخَذَ يَنَادِي :

« يَا مَعْشَرَ قَيْسٍ ، أَطَاعَ الشَّيْطَانُ آثَرَ^(٢) عِنْدَكُمْ مِنْ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ ؟ أَلَا إِنَّ الْفِرَارَ فِيهِ مَعْصِيَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَسُخْطُهُ ، وَإِنْ الصَّبْرَ فِيهِ طَاعَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرِضْوَانُهُ ، أَتُخْشَعُونَ سَخَطَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى رِضْوَانِهِ ، وَمَعْصِيَتَهُ عَلَى طَاعَتِهِ ؟ أَلَا إِنَّمَا الرَّاحَةُ بَعْدَ الْمَوْتِ لِمَنْ مَاتَ مُحَاسِبًا نَفْسَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

لَا وَالَّتِ نَفْسُ امْرِئٍ وَلِيَّ الدُّبُرِ^(١) أَنَا الَّذِي لَا يَنْتَفِي وَلَا يَفِرُّ
وَلَا يُرَىٰ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْقُدُّرِ^(٢)

(تاريخ الطبري ٦ : ١٨ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٩٥)

٢٥٤ - تحريض معاوية أيضا

وخطب معاوية الناس بصفتين فقال :

« الحمد لله الذي دنا في علوه ، وعلا في دنوه ، وظهر وبطن ، وارتفع فوق كل ذي منظر ، هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، يقضى فيفصل ، ويقدر فيغير ، ويفعل ما يشاء ، إذا أراد أمرا أمضاه ، وإذا عزم على شيء قضاه ، لا يؤامر^(٣) أحدا فيما يملك ، ولا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ، والحمد لله رب العالمين على ما أحببنا وكرهنا » .

وقد كان فيما قضاه الله أن ساقننا المقادير إلى هذه البقعة من الأرض ، ولَقَّت بيننا وبين أهل العراق ، فنحن من الله بمنظر ، وقد قال الله سبحانه وتعالى : « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّاكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُفَعِّلُ مَا يُرِيدُ » انظروا يا أهل الشام ، إنكم غدا تلقون أهل العراق ، فكونوا على إحدى ثلاث خصال : إما أن تكونوا طلبتم ما عند الله في قتال قوم بغيرنا عليكم ، فأقبلوا من بلادهم حتى بزوا في بيضيتكم^(٤) ، وإما أن تكونوا قوما يطلبون بدم خليفتم وصهر نبيكم ، وإما أن تكونوا قوما تذبون عن نساءكم وأبنائكم ، فليكن بقوى الله والصبر الجليل ، واسألوا الله لنا ولكم النصر ، وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وهو خير الفاتحين » .

(شرح ابن أبي الحديد ١١ ص ٤٩٧)

(١) وال : طلب النجاة ، وخلص . (٢) للملائكة : جمع مزال بكسر اللام ، وهو الضعيف الأحق (ومن لا سلاح معه ، ومن يعتزل أهل الميسر لوما) ، والتندر : جمع غنود مبالغة من غادر . (٣) أي لا يشاور . (٤) ساحم .

٢٥٥ - ماخاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد

في وقعة صفين

وقف النعمان بن بشير الأنصاري بين الصّفين بصّفين فقال :

« يَا قَيْسُ بْنُ سَمْدٍ ، أَمَا أَنْصَفَكُمْ مِنْ دَعَاكُمْ إِلَى مَا رَضَى لِنَفْسِهِ ؟ إِنْكُمْ يَا مُشْرِ
الْأَنْصَارِ ، أَخْطَأْتُمْ فِي خَذَلِ عُمَانَ يَوْمَ الدَّارِ ، وَقَتَلْتُمْ أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَلِ ، وَإِقْحَامَكُمْ^(١)
عَلَى أَهْلِ الشَّامِ بِصَفِينِ ، فَلَوْ كُنْتُمْ إِذْ خَذَلْتُمْ عُمَانَ خَذَلْتُمْ عَلِيًّا ، كَانَ هَذَا بِهِذَا ، وَلَكِنْ كُنْتُمْ
خَذَلْتُمْ حَقًّا ، وَنَصَرْتُمْ بَاطِلًا ، ثُمَّ لَمْ تَرْضُوا أَنْ تَكُونُوا كَالنَّاسِ ، شَعَلْتُمْ^(٢) الْحَرْبَ ،
وَدَعَوْتُمْ إِلَى الْبِرَازِ ، فَقَدْ وَافَقَهُ وَجَدْتُمْ رِجَالَ الْحَرْبِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ سَرِيعًا إِلَى بَرَازِكُمْ ،
غَيْرَ أَنْكَاسٍ^(٣) عَنْ حَرْبِكُمْ ؛ ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ بِعَلِيٍّ أَسْرَقَطُ إِلَّا هَوْنَتْ عَلَيْهِ الْمَصِيبَةُ ، وَوَعَدْتُمُوهُ
الظَّفَرَ ، وَقَدْ وَافَقَهُ أَخْلَفْتُمُوهُ ، وَهَانَ عَلَيْنَا بِأَسْكُمْ ، وَمَا كُنْتُمْ لِتُخْلَوْا بِهِ أَنْفُسَكُمْ مِنْ شِدَّتِكُمْ
فِي الْحَرْبِ ، وَقَدَّرْتُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ أَذِلَّاءَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، لَا يَرْوُونَ
حَرْبَكُمْ شَيْئًا ، وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ مِنْهُمْ عِدْدًا وَمَدَدًا ، وَقَدْ وَافَقَكُمْ كَانُورُكُمْ بِالْقِلْعَةِ ، فَكَيْفَ
لَوْ كَانُوا مِثْلَكُمْ فِي الْكَثَرَةِ ، وَافَقَهُ لَا تَزَالُونَ أَذِلَّاءَ فِي الْحَرْبِ بَعْدَهَا أَبَدًا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ
مَعَكُمْ أَهْلُ الشَّامِ ، وَقَدْ أَخَذَتْ الْحَرْبُ مِنَّا وَمِنْكُمْ مَا قَدَرْتُمْ ، وَنَحْنُ أَحْسَنُ بَقِيَّةً ،
وَأَقْرَبُ إِلَى الظَّفَرِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الْبَقِيَّةِ » فَضَحِكَ قَيْسٌ وَقَالَ :

(١) قسم في الأمر : ومضى بنفسه فيه من غير رواية ، وأضحت الفرس النهر : أدخلته فيه فالتحم

واقحم . (٢) شمل النار ، وأشعلها : ألهبها . (٣) أنكاس : جمع تكس (بالكسر) ،

وهو الضميف المقتصر .

٢٥٦ - جواب قيس بن سعد

« والله ما كنت أراك يا نعمان تجترى على هذا المقام ، أما المنتصف الحق فلا ينصح أخاه من غش نفسه ، وأنت والله العاش لنفسه ، المبطل فيما نصَحَ غيره ، أما ذكر عثمان فإن كان الإيجاز يكفيك فخذ ، قَتَلَ عثمانَ من لستَ خيراً منه ، وخذله من هو خير منك . وأما أصحاب الجبل فقاتلناهم على التَّكث . وأما معاوية ، فلو اجتمعت العرب على بيئته لقاتلهم الأنصار . وأما قولك إنا لسنا كائنات ، فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله ، نلقى السيوف بوجوهنا ، والرماح بنحورنا ، حتى جاء الحق ، وظهر أمر الله وهم كارهون ، ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقاً أعرابياً ، أو يمانياً مُتَدَرِّجاً^(١) ، وانظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان ، الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ثم انظر هل ترى مع معاوية غيركَ وَصُوحَيْكَ^(٢) ، ولستما والله بدريتين ولا عقبيتين^(٣) ، ولا لسكما سابقة في الإسلام ، ولا آية في القرآن . »

(الإمامة والسياسة ١ : ٨٣)

(١) استدرجه : خدعه وأدناه . (٢) أراه يعني به عمرو بن العاص ، وقد كان أكبر أموان معاوية ونصرائه ، عاقده على نصرته ، على أن يجعل له مصر طعمة . (٣) أى لا من حضروا وقعة بدر مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا من يأيموه في العقبة .

خطب الشيعيات في وقعة صفين

٢٥٧ - خطبة عكرشة بنت الأطرش

دخلت عكرشة بنت الأطرش على معاوية متوكئة على عكاز ، فسلت عليه بالخلافة ثم جلست ، فقال لها معاوية : الآن يا عكرشة صرت عندك أمير المؤمنين ؟ قالت نعم ، إذ لا على شيء ، قال : ألسنت المتقلدة حائل السيوف بصفين ، وأنت واقفة بين الصفين تقولين :

« أيها الناس : عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ، إن الجنة لا يبرح حل من أوطئها ، ولا يهزم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها ، وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم ، مستظهرين ^(١) بالصبر على طلب حقهم ، إن معاوية دلف ^(٢) إليكم بمعجم العرب ، غلف ^(٣) القلوب ، لا يفتقرون الإيمان ، ولا يدرون الحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه ، واستدعاهم إلى الباطل فلبّوه ، فآله الله عباد الله في دين الله ، إياكم والتواكل فإن ذلك ينفق عرا الإسلام ، ويؤطي نور الحق ، هذه بذر الصغرى ، والعقبة ^(٤) الأخرى ، يا معشر المهاجرين والأنصار ،

(١) مستبين . (٢) دلف : مشى مشى المقيّد ، وفي التعبير به إيماء إلى ضعف معاوية ووهن قوته .
(٣) جمع أغلف وقلب أغلف كأنما غشى يغلاف فهو لا يسي . (٤) تشير إلى بيعة العقبة (الأولى والثانية) حين بايع المسلمون الأولون من الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم بالعقبة على نصرته : أي إن هذه الموقعة دفاع عن الإسلام ونصرة له كذلك .

امضوا على بصيرتكم ، واصبروا على عزيبتكم ، فكأنى بكم غدا ، وقد لقيتم أهل الشام كالحر الناهقة ، تصقم^(١) صقم البير .

فكأنى أراك على عصاك هذه ، وقد انكفا عليك السكران ، يقولون هذه عكرشة بنت الأعرش بن رواحة ، فإن كدت لتفتلين أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فما حلاك على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين يقول الله جل ذكره : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ» الآية . وإن الليب إذا كره أمراً لا يحب إعادته ، قال صدقت ، فاذكرى حاجتك ، قالت : إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا ، فترد على فقرائنا ، وإننا قد فقدنا ذلك ، فما يُجبر لنا كبير ولا يُنقش لنا فقير ، فإن كان ذلك عن رأيك ، فتلك تنبه من النغلة ، وراجع التوبة ، وإن كان عن غير رأيك ، فما مثلك من استعانة بالخوانة ، ولا استعمال الظلمة ، قال معاوية : يا هذه إنه ينوبنا من أمور رعيقتنا أمور تنبت^(٢) ، وبحور تنفحق^(٣) ، قالت : يا سبحان الله ! والله ما فرض الله لنا حقاً ، فجعل فيه ضرراً على غيرنا ، وهو علام الغيوب . قال معاوية : يا أهل العراق ، نبهكم على بن أبي طالب ، فلم تطاقوا ، ثم أمر برد صدقاتهم فيهم ، وإنصافهم .

(المقد. الفريد ٢ : ١٣١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٥٣)

٢٥٨ — خطبة أم الخير بنت الحريش

كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سراقه البارق برحلهما ، وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيراً ، وبالشر شراً بقولها فيه ، فلما ورد عليه

(١) الصقم : رفع الصوت ، صقم بصوته : رفعه . وفي صبح الأعشى تقصص قصص البير . من قصص

الجميل يجرته ردماً إلى جوفه . (٢) انبتق : انفجر ، وانبتق السيل عليهم : أقبل ولم يحتسبوه .

(٣) تنفق : تنقص .

كتابه ، ركب إليها ، فأقرأها كتابه ، فقالت : أما أنا فخير زائنة عن طاعة ، ولا معتلة
بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين ، لأمر محتاج في صدري . فلما شيعها ،
وأراد مفارقتها ، قال لها : يا أم الخير إن أمير المؤمنين كتب إلى أنه مجازيني بقولك في
بالخير خيراً ، وبالشرّ شرّاً ، فإلى عندك ؟ قالت : يا هذا ، لا يُعطى بركي ، أن أسرك
بباطل ، ولا يؤبسك معرفتي بك ، أن أقول فيك غير الحق ، فسارت خير مسير ، حتى
قدمت على معاوية ، فأنزلها مع الحرّم ، ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه ، فقالت :
السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير ؟
بحقّ ما دعوتني بهذا الاسم ؟ قالت : مه يا أمير المؤمنين ، فإن بديهة^(١) السلطان
مدحضة^(٢) لما يجب عليه ، ولكل أحل كتاب ، قال : صدقت ، فكيف حالك يا خالة
وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت : لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية ، حتى صرت إليك ،
فأنا في مجلس أئيق ، عند ملك رفيق . قال معاوية : بحسن نوتى ظفرت بكم . قالت
يا أمير المؤمنين : يعيذك الله من دحّض^(٣) المقال ، وما تُردّي عاقبته ، قال : ليس هذا
أردنا ، أخبرينا كيف كان كلامك إذ قُتل عمار بن ياسر ؟ قالت : لم أكن والله زوّرت^(٤)
قبل ، ولا رويته بعد ، وإنما كانت كلمات نقشها لسانى عند الصدمة ، فإن أحببت أن
أحدث لك مقلاً غير ذلك فعلت ، فالتفت معاوية إلى جلسائه ، فقال : أياكم يحفظ
كلامها ؟ فقال جل منهم : أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين . قال : هات ؟ قال : كآنى
بها بين بردين زَبِيرَيْن^(٥) كشيقي النسبج ، وهى على جبل أرْمَك^(٦) ، وييدها سوط
منقشر الضفيرة ، وهى كالقفل يَهْدُر^(٧) في شِقْشِقْتِه تقول :

(١) البديهة : أول كل شيء وما يفجأ منه . (٢) المدحضة : الزلزلة . (٣) دحضت الحجة
دحضا من باب نفع : بطلت ورجله زلقت ، ومكان دحض زلق . (٤) زور الشيء : حسته وقومه وهذبه .
(٥) الزبير : ما يملأ الثوب الجديد كالذى تراه في القטיפه . وفي رواية أخرى : عليها برد زيبى نسبة
إلى زيبه (يفتح الزاى) بله باليمن . (٦) من الرمكة : بالنص ، وهى لون الرماد . (٧) يصوت .
والشققة : شيء كالقرفة يخرج من الجير من فيه إذا هاج .

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، إِنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَضَعَ لَكُمْ الْحَقَّ ، وَأَبَانَ الدَّلِيلَ ، وَبَيِّنَ السَّبِيلَ ، وَرَضَعَ الْعِلْمَ ، وَلَمْ يَدْعَمْ فِي عَمِيَاءِ مُذَلِّمَةٍ ، فَإِنْ تَرِيدُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ؟ أَفَرَأَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمْ فَرَارًا مِنَ الزَّحْفِ ، أَمْ رَغْبَةً عَنِ الْإِسْلَامِ ، أَمْ ارْتِدَادًا عَنِ الْحَقِّ ؟ أَمَّا سَمِعْتُمْ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَقُولُ : (وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ تَقُولُ : اللَّهُمَّ قَدْ عِيلَ الصَّبْرُ ، وَضَعُفَ الْيَقِينُ ، وَانْتَشَرَتِ الرِّغْبَةُ ، وَبِيدَكَ يَا رَبُّ أَمْرَةُ الْقُلُوبِ ، فَاجْعَلْ الْكَلِمَةَ عَلَى التَّقْوَى ، وَأَلْفَ الْقُلُوبِ عَلَى الْهُدَى ، وَارْجِعْ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ . هَلُمُّوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى الْإِمَامِ الْعَادِلِ ، وَالرَّضِيِّ النَّقِيِّ ، وَالصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ ، إِنَّهَا إِحْنٌ ^(١) بِدَرِيَّةٍ ، وَأَحْقَادُ جَاهِلِيَّةٍ ، وَضَمَانٌ أُحْدِيَّةٌ ^(٢) وَثَبَّ بِهَا مَعَاوِيَةُ حِينَ النِّفْلَةِ ، لِيَدْرِكَ نَارَاتُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ، ثُمَّ قَالَتْ : (قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُيُونَ) صَبْرًا يَامَعْشَرَ الْهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، قَاتِلُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَثَبَاتٍ مِنْ دِينِكُمْ ، فَكَأَنِّي بِكُمْ غَدَا ، وَقَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ كَحُمُرٍ مُسْتَفْرَةٍ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ^(٣) ، لَا تَدْرِي أَيْنَ يُسَلِّكُ بِهَا مِنْ فُجَاجِ الْأَرْضِ ، بَاهُوا الْآخِرَةَ بِالْدُّنْيَا ، وَاشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى ، وَعَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ، حِينَ تَحُلُ بِهِمُ النَّدَامَةُ ، فَيُطْلَبُونَ الْإِقَالَةَ ، وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ ، إِنَّهُ مِنْ ضَلٍّ وَاللَّهُ عَنِ الْحَقِّ وَقَعَ فِي الْبَاطِلِ . أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ اسْتَقْصَرُوا عَمْرَ الدُّنْيَا فَرَفَضُوهَا ، وَاسْتَطَابُوا الْآخِرَةَ فَسَمَّوْا لَهَا ؛ فَاللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ ، قَبْلَ أَنْ تَبْطُلَ الْحَقُوقُ ، وَتَعَطَّلَ الْحُدُودُ ، وَتَقْوَى كَلِمَةُ الشَّيْطَانِ ، فَإِلَى ابْنِ تَرْبِيدُونَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَنْ ابْنِ عَمٍّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصِهْرِهِ ، وَأَبَى سَيْبِطِهِ ، خُلِقَ مِنْ طِينَتِهِ ، وَتَفَرَّعَ مِنْ تَبَعَتِهِ ^(٤) ،

(١) جمع إحنة : وهي الضغينة والحقد ، تؤمى إلى ما كان من قتل على يوم بدر أمعا معاوية (حنظلة ابن أبي سفيان) وجهه لأمه (عتية بن ربيعة) وغاله (الوليد بن عتبة) . (٢) تشير إلى ما حدث من هتد زوج أبي سفيان (أم معاوية) في غزوة أحد ، إذ بقرت بطن حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم بعد قتله وأخذت كبده لتأكلها فلاكتها ثم أرسلتها . (٣) الأسد والرماة من الصيادين ، والواحد قسور . (٤) النبتة في الأصل واحدة النبع : شجر القسي والسهام .

وجعله باب دينه ، وأبان بينضه للناقضين . وهاهو ذا مُفَلِّقُ المام ، ومكسر الأصنام ، صلى
والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزى بدر ،
وأفنى أهل أحد ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خير ، وفرق به جمع هوازت ؛
فيا لها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقاً ، وَرَدَّةً وشقاقاً ، وزادت المؤمنين إيماناً ؛
قد اجتهدت في القول ، وبالنسب في النصيحة ، وبالله التوفيق . والسلام عليكم
ورحمة الله .

فقال معاوية : يا أم الخير ، ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى ، ولو قتلناك ما حرجت^(١)
في ذلك . قالت : والله ما يسوءني يا بن هند أن يجرى قتلى على يدي من يُسعدني الله بشقائه .
قال : هيبك يا كثيرة الفضول ! ما تقولين في عثمان بن عفان رحمه الله ؟ قالت : وما عسيت
أن أقول في عثمان ؟ استخلفه الناس وهم به راضون ، وقتلوه وهم له كارهون . قال معاوية :
يا أم الخير هذا ثناؤك الذي تُثنين ؟ قالت لكن الله يشهد ، وكفى بالله شهيداً ، ما أردت
بثمان نقصاً . ولقد كان سبباً إلى الخيرات ، وإنه لرفيع الدرجة غداً . قال : فما تقولين في
طلحة بن عبيد الله ؟ قالت : وما عسى أن أقول في طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ، وأتى من
حيث لم يحذر . وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة . قال : فما تقولين في الزبير ؟
قالت : وما أقول في ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه^(٢) . وقد شهد له
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . وأنا أسألك بحق الله يامعاوية (فإن قريشاً تحدثت
أنك أحلها) أن تُفني من هذه المسائل ، وتسألني عما شئت من غيرها . قال : نعم
ونعمة^(٣) عيني ، قد أعفيتك منها ، ثم أمر لها بمجازة رفيعة ، وردها مكرمة .

(المقد الفريد ١ : ١٣٢ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤١ . وصحيح الأعمش ١ : ٢٤٨)

(١) أتمت . (٢) الحواري : الناصر ، أو ناصر الأنبياء . (٣) أى أفضل ذلك إنساناً لعينك

٢٥٩ - خطبة الزرقاء بنت عدى الحمدانية

وَدُّ كَرَّتِ الزَّرْقَاءُ بِنْتَ عَدَى بْنِ قَيْسِ الْحَمْدَانِيَّةِ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ يَوْمًا ، فَقَالَ لَجُلَسَائِهِ :
 أَيَكُم مَحْفَظُ كَلَامِهَا ؟ قَالَ بَعْضُهُمْ : نَحْنُ نَحْفَظُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَأَشِيرُوا عَلَيَّ فِي
 أَمْرِهَا ، فَأَشَارَ بَعْضُهُمْ بِقَتْلِهَا ، فَقَالَ : بَيْتُ الرَّأْيِ ، أَيَحْسَنُ بِمَنْثَلِي أَنْ يَقْتُلَ امْرَأَةً أَتَمَّ كَتَبَ إِلَى
 عَامِلِهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ يُوَفِّدَهَا إِلَيْهِ مَعَ ثِقَةٍ مِنْ ذَوِي مَحَارِمِهَا ، وَعِدَّةٍ مِنْ فَرَسَانِ قَوْمِهَا ، وَأَنْ يَمْدُ
 لَهَا وَطَاءً ^(١) لَيْتًا ، وَيَسْتُرَهَا بِسِتْرِ خَصِيفٍ ^(٢) ، وَيُوسِعَ لَهَا فِي النِّفْقَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا ، فَأَقْرَأَهَا
 الْكِتَابَ ، فَقَالَتْ : إِنْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ جَمَلَ أَنْلِيَارٍ إِلَيَّ فَإِنِّي لَا آتِيهِ ، وَإِنْ كَانَ حَتْمٌ فَالطَّاعَةُ
 أَوَّلَى لِحَمَلِهَا وَأَحْسَنُ جِهَانِزَمًا ، عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ . فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَى مَعَاوِيَةَ . قَالَ : مَرْحَبًا بِكَ وَأَهْلًا !
 قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَافِدٌ ، كَيْفَ حَالُكَ ؟ قَالَتْ : بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَدَامَ اللَّهُ لَكَ النِّصَةَ .
 قَالَ : كَيْفَ كُنْتَ فِي مَسِيرِكَ ؟ قَالَتْ : رَبِيبَةً بَيْتٍ ، أَوْ طِفْلًا مُتَّهِدًا . قَالَ : بِذَلِكَ أَمْرُنَا ،
 أَنْتَ دَرِينٌ فِيمَ بَعَثْتَ إِلَيْكَ ؟ قَالَتْ : وَأَنْتَ لِي بِعِلْمٍ مَا لَمْ أَعْلَمْ ؟ قَالَ : أَلَسْتَ الرَّابِكَةَ الْجَمْلَ الْأَحْمَرَ ،
 وَالرَّاقِصَةَ بَيْنَ الصَّفِينِ بِصَفِّينَ ، تَحْضِيضُ عَلَى الْقِتَالِ ، وَتُوقِدِينَ الْحَرْبَ ؟ فَمَا حَالَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟
 قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَاتَ الرَّأْسُ وَبُقِيَ الذَّنْبُ ، وَلَنْ يَعُودَ مَا ذَهَبَ ، وَالْدَهْرُ ذُو غَيْرٍ ^(٣)
 وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ ، وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بِمَدَّةِ الْأَمْرِ ، قَالَ لَهَا مَعَاوِيَةُ : أَعْمُظَايُنَ كَلَامُكَ يَوْمَئِذٍ ؟
 قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ لَا أَحْفَظُهُ ، وَلَقَدْ أُسَيِّتُهُ . قَالَ : لَكِنِّي أَحْفَظُهُ ، اللَّهُ أَبُوكَ حِينَ تَقُولِينَ :
 « أَهِيَ النَّاسُ : ارْعَوْرُوا وَارْجِعُوا ، إِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي فِتْنَةٍ عَشْتُمْ جَلَّابِيبَ الظُّلَمِ ،
 وَجَارَتْ بِكُمْ عَنْ قَصْدِ الْمَحَجَّةِ ^(٤) . فَيَا لَهَا فِتْنَةُ عَمِيَاءَ سَمَاءَ بِكَاءَ لَا تَسْمَعُ لِنَاعِهَا ، وَلَا تَنْسَاقُ

(١) الفرائش . (٢) أصله من خصف النمل ينصفها كضرب : ظاهر بعضها على بعض وغرزها وهي نمل خفيف ، وكل ما طورق بعضه على بعض فقد خصف . (٣) أحداث ، جمع شيرة بالكسر أو مفردة وجمعه أغيار . (٤) جادة الطريق .

قائدُها ، إن المصباح لا يضيء في الشمس ، ولا تنير الكواكب مع القمر ، ولا يقطع الحديد إلا الحديد . ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه . أيها الناس : إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها ، فصبراً يامشر المهاجرين والأنصار على المصمِّ ، فكان قد اندمل شَعْبُ الشُّنَات ، والتأمت كلمة الحق ، ودمغ الحق الظلَّة ، فلا يجهلن أحد فيقول : كيف وأنى ؟ ليقض الله أمراً كان مفعولاً . ألا وإن خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجال الدماء ، ولهذا اليوم ما بعده . والصبر خير في الأمور عواقباً :

لَيْسَ^(١) في الحرب قُدُماً ، غير نا كصيف ، ولا متشا كسين .

ثم قال لها : والله يازرقاء لقد شرَّكت علياً في كلِّ دم سفكه . قلت : أحسن الله بشارتك ، وأدام سلامتك ! فثلك بَشْرٌ بخيرٍ وسرٍّ جليسه . قال : أويسرُك ذلك ؟ قالت نعم . والله لقد سُرِّرت بآخِزٍ فأنى لي بتصديق الفعل ! فضحك معاوية ، وقال : والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب من حبكم له في حياته ، اذكري حاجتك . قالت : يا أمير المؤمنين آليت على نفسي ألا أسأل أميراً أعنت عليه أبداً ، ومثلك أعطى عن غير مسألة ، وجاد عن غير طلبية . قال : صدقت ، وأمر لها ولذَيْن جاءوا معها بجوائز وكفا .

(المقد الفريد ١ : ١٣٠ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٥٢)

(١) لَيْسَ : كلمة زجر بمعنى حسبك (ولله بالكسر متونة وغير متونة كلمة استراحة واستعطاق) والقدم :

المضي أمام ، وهو يمضي القدم : إذا مضى في الحرب ، ورجل قدم : أى شجاع . وفي الحديث « طوبى لبيد مغبر قدم في سبيل الله » القدم : الإقدام ، أقدم على قرته إقداماً وقدماً : تقدم عليه بجرأة صدر .

اختلاف أهل العراق في المواقعة

وذكروا أنه لما اشتد الأمر ، واستمرّ القتال ، قال رأسٌ من أهل العراق لعلّ : إن هذه الحرب قد اكثتنا ، وأذهبت الرجال ، والرأى للمواقعة . وقال بعضهم : لا ، بل نقاتلهم اليوم على ما قاتلناهم عليه أمس ، وكانت الجماعة قد رضيت للمواقعة ، وجنّحت إلى الصلح والمسألة ، فقام على خطيباً ، فقال :

٢٦٠ - خطبة الامام عليّ كرم الله وجهه

« أيها الناس : إنه لم أزل من أمرى على ما أحب ، حتى قدّحتكم الحرب ، وقد والله أخذت منكم وتركت ، وهي لمدوكم أنّك ، وقد كنتُ بالأمس أميراً ، فأصبحت اليوم مأموراً ، وكنت ناهياً ، فأصبحت اليوم منهيّاً ، فليس لى أن أحلّمك على ما سكرهون . »

٢٦١ - خطبة كردوس بن هانيّ

وقام كردوس بن هانيّ ، فقال .

« إنه والله ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه ، ولا تبرأنا من عليّ منذ توليناه ، وإن قتيلنا لشهيد ، وإن حيّنا لغائر ، وإن عليّاً على بينة من ربه ، وما أجاب القوم إلا بإنصافاً ، وكلُّ مُحِقٍّ مُنْصِفٌ ، فمن سلّمَ له نجاً ، ومن خالفه هوى . »

٣٦٢ - خطبة سفيان بن ثور

وقام سفيان بن ثور ، فقال :

« أيها الناس : إنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله ، فردوه علينا فقاتلناهم ، وإنهم دعونا إلى كتاب الله ، فإن رددناه عليهم ، حلّ لهم منا ما حلّ لنا منهم ، ولنا نخاف أن يحيف الله علينا ورسوله ، وإن علينا ليس بالراجع الفاكس ، وهو اليوم على ما كان عليه أمس ، وقد أكلتنا هذه الحرب ، ولا نرى البقاء إلا في المروءة » .

٣٦٣ - خطبة حريث بن جابر

ثم قام حُرَيْثُ بْنُ جَابِرٍ فقال :

« إِنَّ مَلِيًّا لَوْ كَانَ خِلَافًا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ لَكَانَ الْمَرْجِعُ إِلَيْهِ ، فَكَيْفَ وَهَوَافُنَا وَسَاقَتُهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ مَا قَبِلَ مِنَ الْقَوْمِ الْيَوْمَ إِلَّا الْأَمْرَ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ أَمْسَ ، وَلَوْ رَدَّ عَلَيْهِمْ كُنْتُمْ لَهُ أَعْيَبَ ، وَلَا يُلْجِدُ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا رَاجِعٌ عَلَى عَقِبَيْهِ ، أَوْ مُسْتَدْرِجٌ مَفْرُورٌ ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَنْ طَعَنَ عَلَيْنَا إِلَّا السِّيفُ » .

٣٦٤ - خطبة خالد بن معمر

ثم قام خالد بن معمر فقال :

« يا أمير المؤمنين : إنا والله ما أخرجنا هذا اللقاء أن يكون أحد أولى به منا ، ولكن قلنا أحب الأمور إلينا ما كفيتمنا مؤنته ، فأما إذ استغفينا ، فإننا لا نرى البقاء إلا فيما دعاك القوم إليه اليوم ، إن رأيت ذلك ، وإن لم تره فأريك أفضل » .

٢٦٥ - خطبة الحصين بن المنذر

ثم قام الحصين بن المنذر وكان أحدث القوم سنًا ، فقال :

« إِنَّمَا بُنِيَ هَذَا الدِّينَ عَلَى التَّسْلِيمِ ، فَلَا تَدْفَعُوهُ بِالْقِيَّاسِ ، وَلَا تَهْدِمُوهُ بِالشُّبْهَةِ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَوَ أَنَا لَا تَقْبَلُ مِنَ الْأُمُورِ إِلَّا مَا نَعْرِفُ ، لِأَصْبَحَ الْحَقُّ فِي الدُّنْيَا قَلِيلًا ، وَلَوْ تَرَكْنَا وَمَا نَهَوْنِي ، لِأَصْبَحَ الْبَاطِلُ فِي أَيْدِينَا كَثِيرًا ، وَإِن لَنَا رَاعِيًا قَدْ حَدَّثَنَا وَرَزَدَهُ وَصَدَّرَهُ ، وَهُوَ الْمَأْمُونُ عَلَى مَا قَالَ وَفَعَلَ ، فَإِن قَالَ لَا . قُلْنَا لَا ، وَإِن قَالَ نَعَمْ ، قُلْنَا نَعَمْ . »

٢٦٦ - خطبة عثمان بن حنيف

ثم قام عثمان بن حنيف ، وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عاملًا لملى على البصرة وله فضل ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : أَتَيْتُمَا رَأْيَكُمْ ، فَقَدْ وَاللَّهِ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحُدَيْبِيَّةِ يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ ^(١) ، وَإِنَّا لَنُرِيدُ الْقِتَالَ إِنْ سَكَرَ لِلصَّلَاحِ حَتَّى رَدَّنا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ

(١) هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو . وقصته : أنه لما كانت غزوة الحديبية (ستة ست الهجرة) بعثت قريش من قبلها سهيل بن عمرو ليكلم الرسول صلى الله عليه وسلم في المصالحة ، وقد جرى بينهما الصلح وكتبت صحيفته ، وكان من شروطه ، وضع الحرب عن الناس عشر سنين يكف بعضهم عن بعض هل أن أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا عن مع محمد لم يردوه عليه ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف في الحديدة قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان المسلون حين خرجوا لا يشكون في الفتح لرؤيا رأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع دخل عليهم من ذلك أمر عظيم ، ولما رأى سهيل ابنه أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتليبيه « يفتح التاء : ما في موضع الحب (إلى النحر) من الثياب » ثم قال : يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال صدقت ، -

صلّى الله عليه وسلم ، وإن أهل الشام دعونا إلى كتاب الله اضطراباً ، فأجبتهم إليه إغذاراً ،
فلسنا والقوم سواء ، إنا والله ما عدلنا الحى بالحى ، ولا القتل بالقتل ، ولا الشأى بالمراق ،
ولا معاوية بعلّى ، وإنه لأمر منته غير نافع ، وإعطاؤه غير ضار ، وقد كلّت البصائر التى
كنا نقاتل بها ، وقد حمل الشكّ اليقين الذى كنا نتول إليه ، وذهب الحياء الذى كنا
نمارى به ، فاستظلوا فى هذا النّية^(١) ، واسكنوا فى هذه العافية ، فإن قلّم قاتل على ما كنا
نقاتل عليه أمس ، فهبات هبات ذهب والله قياس أمس وجاء غد .

— فبصل يثّره بتليبيه ويجره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعل صوته : يامشر المسلمين أأرد
إلى المشركين يفتنون فى ديني ؟ فزاد الناس إلى ما بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل
اصبر واحسب فإن الله جاعل لك ولن ملك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم
صلحاً ، وأعطيناكم على ذلك وأعطينا عهد الله وإنا لا نغدر بهم ، ووثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشى
إلى جنبه ويقول : اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون . وإنما دم أحدهم دم كلب . ويدنى قائم السيف منه .
قال عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيشرب به أباه ففطن الرجل بأبيه ونفذت القضية .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد وكان من حبس بمكة ، فبثت
قريش فى أثره رجلين يطلبان تسليمه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير إنا قد أعطينا القوم
ما قد علمت ، ولا يصلح لنا فى ديننا التفر ، وإن الله جاعل لك ولن ملك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً .
فانطلق إلى قومك . قال : يا رسول الله أأردق إلى المشركين يفتنون فى ديني ؟ قال : يا أبا بصير انطلق ،
فانطلق معهما حتى إذا كان فى بعض الطريق عدا على أحدهما فقتله وهرب الآخر ، ورجع أبو بصير إلى
المدينة ، فقال : يا رسول الله وقت دنك ، وأدى الله عنك ، أسلمتني ورددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم ،
وخرج أبو بصير إلى ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا يأغلون عليها إلى الشام ، وخرج المسلمون
الذين كانوا حبسوا بمكة إليه ، وانفلت إليه أبو جندل بن سهيل ، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً منهم
وضيقوا على قريش ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم غير إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قريش
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم ، فأواهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة . (١) لقوه : ما كان شمساً فينسخه الظل .

٢٦٧ - خطبة عدى بن حاتم

ثم قام عدى بن حاتم فقال :

« أيها الناس : إنه والله لو غيرُ عليّ دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه ، ولا وقع بأمر قط إلا ومعه من الله برهان ، وفي يديه من الله سبب ، وإنه وقَفَ عن عثمان بشبهة ، وقاتل أهل الجبل على التَّكْتِ ، وأهل الشام على البغي ، فانظروا في أموركم وأمره ، فإن كان له عليكم فضل فليس لكم مثله . فسلموا له وإلا فنازعوا عليه ، والله لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنة إنه لأعلم الناس بهما ، ولئن كان إلى الإسلام إنه لأخو نبيِّ الله والرأس في الإسلام ، ولئن كان إلى الزهد والعبادة إنه لأظهر الناس زهداً ، وأنهم عبادة ، ولئن كان إلى العقول والذِّهْنِ^(١) إنه لأشدَّ الناس عقلاً ، وأكرمهم نخبة ، ولئن كان إلى الشرف والنبذة إنه لأعظم الناس شرفاً ونبذة ، ولئن كان إلى الرضا لقد رضى عنه المهاجرون والأنصار في سُورَى عمر رضى الله عنهم ، وبايعوه بعد عثمان ونصروه على أصحاب الجبل وأهل الشام ، فما الفضل الذي قرَّكم إلى الهدى ، وما النقص الذي قرَّبه إلى الضلال ؟ والله لو اجتمعت جميعاً على أمر واحد ، لأتاحت الله له من يقاتل لأمر ماض ، ككتاب سابق » .

فاعترف أهل صفين لعدى بن حاتم بعد هذا المقام ، ورجع كلٌّ من تشب على عدى رضى الله عنه .

٢٦٨ - خطبة عبد الله بن حجل

ثم قام عبد الله بن حجل ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إنك أمرتنا يوم الجمل بأمر مختلف ، كانت عندنا أمراً واحداً ، فقبلناها بالتسليم ، وهذه مثل تلك الأمور ، ونحن أولئك أصحابك ، وقد أكثر الناس في هذه القضية ، وإيم الله ما أكثر المنكر بأعلم بها من المقل المتترف ، وقد أخذت الحرب بأفاسنا ، فلم يبق إلا رجاء ضيف ، فإن تجب القوم إلى مادعوك إليه ، فأنت أولنا إيماناً ، وآخرنا بنبي الله عهداً ، وهذه سيوفنا على أعناقنا ، وقلوبنا بين جوانحننا ، وقد أعطيناك بقيتنا ، وشترحت بالطاعة صدورنا ، ونفذت في جهاد عدوك بصيرتنا ، فأنت الوالى المطاع ، ونحن الرعية الاتباع . أنت أعلمنا بربنا ، وأقربنا بنبينا ، وخيرنا في ديننا ، وأعظمنا حقاً فينا ، فسدد رأيك تتبعك ، واستخر الله تعالى في أمرك ، واعزم عليه برأيك ، فأنت الوالى المطاع » .

فسر على كرم الله وجهه بقوله ، وأثنى خيراً .

٢٦٩ - خطبة صعصعة بن صوحان

ثم قام صعصعة بن صوحان فقال :

« يا أمير المؤمنين : إنا سبقنا الناس إليك ، يوم قدوم طلحة والزبير عليك ، فدعانا حكيم^(١) إلى نصرة عاملك عثمان بن حنيف^(٢) فأجبناه ، فقاتل عدوك ، حتى أصيب في قوم من بني عبد قيس عبدوا الله حتى كانت أكتفهم مثل أكتف الإبل ، وجباهم مثل

(١) هو حكيم بن حبل . (٢) كان عامل على حل البصرة ، وقد نشب القتال بينه وبين أصحاب

عائشة حين قدموا البصرة .

رُكِبَ الْمَرْزُ ، فَأَسْرَحْنِي ، وَسَلِّبِ الْقَتِيلَ ، فَكُنَّا أَوَّلَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ ، ثُمَّ رَأَيْتُ بِلَادَنَا
بَصْفَيْنِ ، وَقَدْ كَلَّتِ الْبِصَافُ ، وَذَهَبَ الصَّبْرُ ، وَبَقِيَ الْحَقُّ مَوْفُورًا ، وَأَنْتَ بِالْمَعْدِ بِهَذَا حَاجَتِكَ
وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ مَا أَرَاكَ اللَّهُ فَمَرُّنَا بِهِ .

٢٧٠ - خطبة المنذر بن الجارود

ثم قام المنذر بن الجارود فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَرَى أَمْرًا لَا يَدِينُ لَهُ الشَّامُ إِلَّا بِهْلَاكِ الْعِرَاقِ ، وَلَا يَدِينُ لَهُ
الْعِرَاقُ إِلَّا بِهْلَاكِ الشَّامِ ، وَلَقَدْ كُنَّا نَرَى أَنْ مَا زَادَنَا نَقْصَهُمْ ، وَمَا نَقَصْنَا أَضْرَمَ ، فِإِذَا فِي
ذَلِكَ أَمْرَانِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ غَيْرَهُ ^(١) فَفِينَا وَاللَّهُ مَا يُقَالُ بِهِ الْحَدُّ ^(٢) وَبُرْدُ بِهِ الْكَلْبُ ^(٣) ،
وَلَيْسَ لَنَا مَعَكَ إِيرَادٌ وَلَا صَدْرٌ .

٢٧١ - خطبة الأحنف بن قيس

ثم قام الأحنف بن قيس ، فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنْ النَّاسَ بَيْنَ مَاضٍ وَوَاقِفٍ ، وَقَاتِلٍ وَسَاكِتٍ ، وَكُلٌّ فِي
مَوْضِعِهِ حَسَنٌ ، وَإِنَّهُ لَوْ نَسَّكَلَ الْآخِرَ عَنِ الْأَوَّلِ لَمْ يَقْلُ شَيْئًا ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ الْيَوْمَ
مَا قَدْ قِيلَ أَمْسَ ، وَلَكِنَّهُ حَقٌّ يُقْضَى ، وَلَمْ نَقَاتِلِ الْقَوْمَ لَنَا وَلَا لَكَ ، إِنَّمَا قَاتَلْنَاهُمْ لِلَّهِ ، فَإِنْ
حَالَ أَمْرُ اللَّهِ دُونَنَا وَدُونَكَ فَاقْبَلْهُ ، فَإِنَّكَ أَوْلَى بِالْحَقِّ ، وَأَحَقُّنَا بِالتَّوْفِيقِ ، وَلَا أَرَى
إِلَّا الْقِتَالَ »

(١) أى فإن رأيت غير رأيي وهو الذى عبر عنه بقوله : إني أرى أمرا . . . الخ « وفي الأصل
« غيرك » وأراه محرفا . (٢) أى ففينا من البأس « أيقل به حد الأعداء وقوتهم . (٣) الكلب : داء
يشبه الجنون يأخذ الكلاب فتحقر الناس ويمتري الناس أيضا من عضها ، وقد استعاره هنا لطعن الأعداء
فيهم وغارتهم عليهم .

٢٧٢ — خطبة عمير بن عطار

ثم قام عُمَيْرُ بْنُ عَطَّارٍ ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن طلحة والزبير وعائشة كانوا أحب الناس إلى معاوية ، وكانت البصرة أقرب إلينا من الشام ، وكان القوم الذين وثبوا عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خيراً من الذين وثبوا عليك من أصحاب معاوية اليوم ، فوالله ما متعنا ذلك من قتل المحارب ، وعَيِّبَ الواقف ، فقَاتِلِ القوم ، إِنَّا مَعَكَ » .

٢٧٣ — خطبة علي بن أبي طالب

ثم قام على خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنه قد بلغ بكم وبعدوكم ما قد رأيتم ، ولم يبق منهم إلا آخر نفس ، وإن الأمور إذا أقبلت اعتُبر آخرها بأولها ، وقد صَبَرْ لَكُمْ القوم على غير دين حتى بلغوا منكم ما بلغوا ، وأنا غَارٍ عليهم بنفسى بالنَّدَاةِ ، فأحَا كُهم بسببى هذا إلى الله » .

وأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يدعو علياً إلى تحكيم كتاب الله ، فأصبح أصحاب معاوية ، وقد رفعوا المصاحف على الرِّمَاح ، وقلدوها أعناق الخيل يقولون : « هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم » .

٢٧٤ — مقال عدى بن حاتم

فقام عدى بن حاتم ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن أهل الباطل ، لَا تُؤَوَّقُ أهل الحق ، وقد جَزَعَ القوم حين تَاهَبَت لِقَاتِلَ بِنَفْسِكَ ، ولبس بعد الجزع إلا ما تحب ، تَأْجِزُ القوم » .

٢٧٥ — مقال الأشر النخعي

ثم قام الأشر فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أجبناك لدنيا . إن معاوية لا خَلَفَ له من رجاله ، ولكن بحمد الله اخلَفُكَ ، ولو كان له مِثْلُ رجالك ، لم يكن له مِثْلُ صبرك ، ولا نصرتك ، فانرج^(١) الحديد بالحديد : واستعين بالله » .

٢٧٦ — مقال عمرو بن الحق

ثم قام عمرو بن الحق فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أجبناك لدنيا ، ولا نصرناك على باطل ، ما أجبناك إلا الله تعالى وما نصرناك إلا للحق ، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوتنا إليه ، لكفر فيه الججاج ، وطالت له النجوى^(٢) ، وقد باغ الحق مقطعه ، وليس لنا معك رأى » .

٢٧٧ — مقال الأشعث بن قيس

ثم قام الأشعث بن قيس فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إننا لك اليوم على ما كنا عليه أمس ، ولست أدري كيف يكون غداً ، وما القوم الذين كلوك بأحد لأهل العراق مني ، ولا بأور^(٣) لأهل الشام مني ، فأجب القوم إلى كتاب الله ، فإنك أحق به منهم ، وقد أحب الله البُتيا » .

(١) أي شق سلاحهم ومزقه بسلاحك . (٢) للمساة . (٣) أي ولا أشد وتراً . من وتره إذا أدركه بمكره .

٢٧٨ - مقال عبد الرحمن بن الحارث

ثم قام عبد الرحمن بن حارث فقال :

« يا أمير المؤمنين ، امض لأمر الله ولا يَسْتَجِفِّكَ الَّذِينَ لَا يَوْقِنُونَ ، أَحْكَمْ بَعْدَ حَكْمِ
وَأَمْرٍ بَعْدَ أَمْرٍ ؟ مَضَتْ دِمَاؤُنَا وَدِمَاؤُهُمْ ، وَمَضَى حَكْمُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ . »

٢٧٩ - مقال عمار بن ياسر

فلما أظهر على أنه قد قبل التحكيم قام عمار بن ياسر فقال :

« يا أمير المؤمنين ، أما والله لقد أخرجنا إليك معاوية ببيضاء ، من أقر بها هلك ،
ومن أنكرها ملك ، مالك يا أبا الحسن ، شككتنا في ديننا ، ورددتنا على أعقابنا ، بعد
مائة أَلَفٍ قُتِلُوا مِنَّا وَمِنْهُمْ ، أَفَلَا كَانَ هَذَا قَبْلَ السَّيْفِ ، وَقَبْلَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ قَدْ
دَعَوْكَ إِلَى ذَلِكَ فَأَيَّتِ ، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ أَوْلَى بِالْحَقِّ ، وَأَنْ مَا خَالَفْنَا مِنْهُمْ ضَالٌّ حَلَالُ الدِّمِ
وَقَدْ حَكَّمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الْحَالِ مَا قَدْ سَمِعْتَ ، فَإِنْ كَانَ الْقَوْمُ كُفَرَاءَ مُشْرِكِينَ ، فَلَيْسَ لَنَا
أَنْ نَرْفَعَ السَّيْفَ عَنْهُمْ حَتَّى يَفِيضُوا ^(١) إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانُوا أَهْلَ فِتْنَةٍ فَلَيْسَ لَنَا أَنْ
نَرْفَعَ السَّيْفَ عَنْهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ، وَاللَّهُ مَا أَسْلَمُوا ،
وَلَا أَدَّاءَ الْجَزِيَّةِ ، وَلَا فَاوَدَا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وَلَا طَفِئَتْ ^(٢) الْفِتْنَةُ » فقال على : والله إني لهذا
الأمر كاره .

ثم كثر اللجاج والجدال في الأمر ، وجعل على يمين لهم أنها خُدعة ومكيدة يرام بها

توهين قوتهم ، ونشتيت جمعهم ، وهم لا يستمعون لقواه ، ولا يذعنون لنصحه ، وأقبل
الأسعث بن قيس في ناس كثير من أهل اليمن ، فقالوا لعلّ : « لا تردّ ما دعاك القوم إليه ،
قد أنصفك القوم ، والله لننّ لم تقبل هذا منهم لا وفاء معك ، ولا نرى معك بسهم ولا حبر ،
ولا نقف معك موقفاً » .

وغلا أنصار التحكيم في تطرفهم فقالوا « يا عليّ أجب إلى كتاب الله إذ دعيت إليه ،
وإلا نذفعك برؤمتك إلى القوم ، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان » فلم يردّها من الإذعان
وقبول التحكيم .
(الإمامة والسياسة ١ : ٨٩)

التحكيم بين علي ومعاوية

٢٨٠ - كلام عبد الله بن عباس لأبي موسى الأشعري

ولما أجمع أهل العراق على طلب أبي موسى الأشعري وأحضروه للتحكيم على كُرُو
من علي عليه السلام ، أتاه عبد الله بن العباس ، وعنده وجوه الناس وأشرافهم ، فقال له :
« أبا موسى : إن الناس لم يَرْضُوا بك ، ولم يَحْتَمُوا عليك ، لفضل لا تُشَارِكُ فيه ،
وما أَكْثَرَ أَشْبَاهَكَ من المهاجرين والأنصار المتقدمين قَبْلَكَ ، ولكن أهل العراق أَبَوْا
إلا أن يكون الْحَكْمُ يَمَانِيَا ، ورأوا أن معظم أهل الشام يمانٍ ، وأيمُ الله إني لأظن ذلك
شَرًّا لك ولنا ، فإنه قد ضُمَّ إليك داهيةُ العرب ، وليس في معاوية خَلَّةٌ ^(١) يستحق بها
الخلافة ، فإن تَقَدَّفَ بِحَقِّكَ على باطله ، تُدْرِكُ حاجتك منه ، وإن يَطْمَعُ بِاطِلِهِ في حَقِّكَ
يُدْرِكُ حاجته منك ، واعلم يا أبا موسى أن معاوية طَلِيقُ الْإِسْلَامِ ، وأن أباه رأس الأحزاب ،
وأنه يَدْعِي الخلافة من غير مشورة ولا بَيْعَةٍ ، فإن زعم لك أن عمر وعثمان استتملاه ، فلقد
صدق ، استتمله عمر وهو الوالي عليه بمنزلة الطبيب يَحْمِيهِ ما يشتهي ، وَيُوجِرُهُ ^(٢)
ما يكره ، ثم استتمله عثمان برأى عمر ، وما أَكْثَرَ من استتملا ممن لم يَدْعِ الخلافة ،
واعلم أن لعمر ومع كل شيء يَسُرُّكَ خَبَأٌ ^(٣) يسوءك ، ومهما نَيْبْتَ فلا تَنْسَ أن علياً

(١) خصلة . (٢) وجره الدواء (كوعده) وأوجره إياه : جعله في فيه ، وأوجره الرمح :

طعنه ، ووجره : أسخمه ما يكره . (٣) الخبء : ما يخفى .

بابه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وأنها بيعةٌ هُدًى ، وأنه لم يقاتل إلا
الناصين والناكثين .

قال أبو موسى : « رحمك الله والله مالى إمام غير على ، وإنى لواقف عند ما رأى ،
وإن حق الله أحبُّ إلى من رضا معاوية وأهل الشام ، وما أنت وأنا إلا بالله . »
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٩٥)

٢٨١ — وصية شريح بن هانى لآبى موسى الأشعرى

ولما أراد أبو موسى السير ، قام إليه شريح بن هانى الحارثى ، فأخذ بيده وقال :
« يا أبا موسى : إنك قد نصبتَ لأمر عظيم لا يُجبرُ صدَّعهُ ، ولا تستَقَالَ فلتته ،
ومهما تَقُلْ من شيء لك أو عليك ، يَثْبُتَ حقُّهُ ، وَيُرَى صِحَّتُهُ وإن كَانَ باطلا ،
وإنه لا بقاء لأهل العراق إن ملكهم معاوية ، ولا بأس على أهل الشام إن ملكهم على ،
وقد كانت منك تَثْبِيطةٌ ^(١) أيام الكوفة والجل ، فإن تَشَقَّعَ بمثلها يكن الظن بك يقيناً ،
والرجاء منك يأساً ، ثم قال :

أبا موسى : رُميتَ بِشَرٍّ خَصِمٍ فلا تُضِعِ العراقَ (فَدَتِكَ نَفْسِ)
وَأَعْطِ الْحَقَّ شَاتِمَهُ وَخَذَهُ فإنَّ اليومَ فى مَهَلٍ كَأَنَّ
وإنَّ غَدًا يَجِئُ بما عليه كذاك الدهرُ من سَعْدٍ وَنَحْسِ
ولا يَجْدَعُكَ عمرو ، إن عمراً عَدُوُّ الله مَطْلَعُ كلِّ شمسٍ
له خُدْعٌ يحارُّ العقلَ منها مُمَوَّهَةٌ مزخرفةٌ يَلْبَسُ

(١) لى توفيق .

فلا تجمل معاوية بن حرب كشيخ في الحوادث غير نكس^(١)
 هداة الله للإسلام فردا سوى عرس^(٢) النبي، وأى عرس؟
 فقال أبو موسى: « ما ينبغي لقوم أنهموني أن يرسلوني لأدفع عنهم باطلا، أو أجزء
 إليهم حقا ». (شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٩٥ ، والإمامة والسياسة ١ : ٩٩)

٢٨٢ - وصية الأحنف بن قيس لأبي موسى الأشعري

ولما حُكِّمَ أبو موسى الأشعري أتاه الأحنف بن قيس ، فقال له :
 « يا أبا موسى ، إن هذا مسير له ما بعده ، من عز الدنيا أو ذلها آخر الدهر ،
 ادع القوم إلى طاعة علي ، فإن أبوا فادعهم أن يختار أهل الشام من قريش العراق من
 أحبوا ، ويختار أهل العراق من قريش الشام من أحبوا ، وإياك إذا لقيت ابن العاص
 أن تصافحه بنية ، وأن يُقِمَّكَ على صدر المجلس فإنها خديعة ، وأن يضمك وإياه بيت ،
 فيُكِنَّ لك فيه الرجال ، ودعه فليتكلم ، لتكون عليه بالخيار ، فالبادي مستفلق^(٣) ،
 والهجيب ناطق » .

فما عمل أبو موسى إلا بخلاف ما قال الأحنف ، وأشار به ، فكان من الأمر ما كان ،
 فلقبه الأحنف بعد ذلك ، فقال له : « أدخل وألفه قلميك في خُبِّ واحدة » .
 (نهاية الأرب ٧ : ٢٣٩ ، الإمامة والسياسة ١ : ٩٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٩٦)

(١) كشيخ : يريد به الإمام عليا ، والنكس : الضعيف والمقصر عن غاية الكرم . (٢) أى
 زوجه ، يريد السيدة خديجة رضي الله عنها ، وأى عرس : أى وأى عرس هى . استفهام المراد به
 النظام . (٣) أسله من قولهم : استفلق في يمينه : لم يجعل لي خيارا في رده : أى أن البادي ليس له
 الخيار في رد ما قال .

٢٨٣ - وصية معاوية لعمر بن العاص

وقال معاوية لعمر :

« إن أهل العراق أكرهوا علياً على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضون عنك ، وأرجو في دفع هذه الحرب قوة لأهل الشام ، وفرقة لأهل العراق ، وإمداداً لأهل اليمن ، وقد ضمُّ إليك رجل طويل اللسان ، قصير الرأي ، وله على ذلك دين وفضل ، فدعه يقول فإذا هو قال فاصمتُ ، واعلم أن حسن الرأي زيادةٌ في العقل ، إنَّ خوفك العراق بخوفه بالشام ، وإنَّ خوفك مصر بخوفه باليمن ، وإنَّ خوفك علياً ، فخوفه بمعاوية ، وإنَّ أذاك بالجيل فأتته بالجيل » .

٢٨٤ - رد عمرو بن العاص عليه

فقال عمرو :

« يا أمير المؤمنين . أقلل الاهتمام بما قبلي ، وأرج الله تعالى فيما وجهتني له ، إنك من أمرك على مثل حدِّ السيف ، لم تنل في حربك مارجوتَ ، ولم تأمن ما خفتَ ، ونحن نرجو أن يصنع الله تعالى لك خيراً ، وقد ذكرت لأبي موسى ديناً ، وإنَّ الدين منصور ، أرايت إن ذكر علياً وجاءنا بالإسلام والمجرة واجتمع الناس عليه ما أقول ؟ » .

٢٨٥ - مقال شرحيل بن السمط لعمر

ولما ودَّعه شَرْحِيلُ بْنُ السَّمْطِ قَالَ لَهُ :

« يَا عَمْرُو إِنَّكَ رَجُلٌ قَرِيشٌ ، وَإِنْ مَعَاوِيَةُ لَمْ يَبْشُكَ إِلَّا لِمَلِهِ أَنَّكَ لَا تُؤْتَى مِنْ عَجَزٍ

وَلَا مَكِيدَةٍ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وِطَاءَةَ هَذَا الْأَمْرِ لَكَ وَلِصَاحِبِكَ ، فَكُنْ عِنْدَ ظَنِّنَا بِكَ » .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٦ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٠)

٢٨٦ - خطبة أبي موسى الأشعري

ولما التقى الحسكان أبو موسى الأشعري وعمر بن العاص يدومة الجندل ، ودار

بينهما من الحوار ما دار ، أقبلوا إلى الناس وهم مجتمعون ، فتقدم أبو موسى ، فحمد الله عز

وجل وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ نَظَرْنَا فِي أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَلَمْ نَرِ أَصْلَحَ لِأَمْرِهَا ، وَلَا أَلَمَ لِسَعْيِهَا

مِنْ أَمْرٍ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيِي وَرَأْيُ عَمْرُو عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَنْ نَخْلَعَ عَلِيًّا وَمَعَاوِيَةَ ، وَنَسْتَقْبِلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ

هَذَا الْأَمْرَ ، فَيَقُولُوا مِنْهُمْ مَنْ أَحَبُّوا عَلَيْهِمْ ، وَإِنِّي قَدْ خَلَعْتُ عَلِيًّا وَمَعَاوِيَةَ ، فَاسْتَقْبَلُوا

أَمْرَكُمْ ، وَوَلُّوا عَلَيْكُمْ مَنْ رَأَيْتُمُوهُ لِهَذَا الْأَمْرِ أَهْلًا ^(١) » . ثُمَّ نَحَى .

(١) وفي رواية ابن تقيية في الإمامة والسياسة : « وَإِنِّي رَأَيْتُ وَعَمْرًا أَنْ نَخْلَعَ عَلِيًّا وَمَعَاوِيَةَ وَنَجْعَلَهَا

لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَبْسُطْ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ يَدًا وَلَا لِسَانًا » وفي رواية السعدي في مروج الذهب :

« وَقَدْ خَلَعْتُ عَلِيًّا كَمَا خَلَعْتُ عُمَارَتَهُ هَذِهِ (وَأَهْوَى إِلَى عَمَامَتِهِ فَمَخْلَعَهَا) وَاسْتَخْلَفْنَا رَجُلًا قَدْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ ، وَصَحِبَ أَبُوهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيُفَرِّزُ فِي سَابِقَتِهِ ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍ

وَأَطْرَاهُ وَرَغِبَ النَّاسُ فِيهِ » .

٢٨٧ - خطبة عمرو بن العاص

وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :
« إن هذا قد قال ما سمعتم ، وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت
صاحبي معاوية ، فإنه وليّ عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والطالب بدمه ، وأحق
الناس بمقامه » .

فقال أبو موسى : « مالك - لا وفقك الله - غدرت وفجرت ! إنما مثلك كمثل
الكلب إن تحمّل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث^(١) » قال عمرو : « إنما مثلك
كمثل الحمار يحمل أسفارا » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٤٠ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٩٨ ،
والإمامة والسياسة ١ : ١٠١ ومروج الذهب ٢ : ٢٢)

٢٨٨ - خطبة الامام علي بعد التحكيم

وخطب الإمام عليّ كرم الله وجهه بعد فشل التحكيم فقال :
« الحمد لله وإن أتى الدهر بالغلط القادح^(٢) ، والحادث^(٣) الجليل ، وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه
 وآله . أما بعد فلن مصيبة الناصح الشفيق العالم الجرب ، توريث الحنرة ، وتغيب
 الندامة ، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمرى ، ونخلت لكم مخزون رأى ، لو كان

(١) لث الكلب كقطع : أخرج لسانه من الفم أو التنب ، وكذا الرجل إذا أحمأ . (٢) من
 نفسه الذين : أى أتقوله . (٣) الحادث .

يُطَاعُ لِقَصِيرٍ^(١) أَمْرٌ ، فَأَيُّتُمْ عَلَى إِبَاءِ الْمُخَالِفِينَ الْجَفَاءَ ، وَلِلنَّافِذِينَ الْعَصَاةَ ، حَتَّى ارْتَبَتْ
النَّاصِحُ يَنْصَحُهُ ، وَصَنَّ الزُّنْدُ بِقَدْحِهِ ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ^(٢) :

أَمَرْتَكُمْ أَمْرِي بِمَنْعِ رَجِ الْوَيْ فَمَنْ تَسْتَبِينُوا النَّصِيحَ إِلَّا ضَعَى الْفَد

أَلَا إِنَّ هَذِينَ الرَّجُلِينَ الَّذِينَ اخْتَرْتُمُوهُمَا حَكَمَيْنِ قَدْ نَبَذَا حُكْمَ الْقُرْآنِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمَا ،
وَأَحْيَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ ، وَاتَّبِعْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا هَوَاهُ ، بَغِيرَ هُدًى مِنْ اللَّهِ ، فَحُكْمًا بِغَيْرِ
حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ ، وَلَا سُنَّةٍ مَاضِيَةٍ ، وَاخْتَلَفَا فِي حُكْمِهِمَا وَكَلَامِهِمَا لَمْ يَرْشُدْ ، فَبَرِئُ اللَّهِ مِنْهُمَا
وَرَسُولُهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ . اسْتَمِدُّوا وَتَاهَبُوا لِلسَّيْرِ إِلَى الشَّامِ » .

(نهج البلاغة ١ : ٤٤ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٤٣ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٥)

٢٨٩ — خطبة الحسن بن علي

وقال الإمام عليّ : قم يا حسن فتكلم في أمر هذين الرجلين أبي موسى وعمرو ، فقام
الحسن فتكلم فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ أَكْثَرْتُمْ فِي أَمْرِ أَبِي مُوسَى وَعَمْرُو ، وَإِنَّمَا بُعِثْنَا لِيُحْكِمَا بِالْقُرْآنِ
دُونَ الْهَوَى ، فَهَكَذَا بِالْهَوَى دُونَ الْقُرْآنِ ، فَمَنْ كَانَ هَكَذَا لَمْ يَكُنْ حَكَمًا ، وَلَكِنَّهُ
مُحْكَمٌ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ خَطَا أَبِي مُوسَى أَنْ جَعَلَهَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ ، فَأَخْطَأَ فِي ثَلَاثِ
خِصَالٍ : خَالَفَ (يَعْنِي أَبَا مُوسَى) أَبَاهُ عَمْرًا إِذْ لَمْ يَرْضَهُ لَهَا ، وَلَمْ يَرَهُ أَهْلًا لَهَا ، وَكَانَ أَبُوهُ
أَعْلَمُ بِهِ مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَا أَدْخَلَهُ فِي الشُّورَى إِلَّا عَلَى أَنَّهُ لَا شَيْءَ لَهُ فِيهَا ، شَرْطًا مُشْرُوطًا مِنْ

(١) قصير : هو مولد جذيمة الأبرش ، وكان قد أشار على سيده أن لا يأمن الزبراء ملكة الجزيرة ،
وقد دعت إليه ليتزوجها ، فخالفه وقصد إليها ، فقال قصير « لا يطاع لقصير أمر » فذهبت مثلاً .
(٢) هو دريد بن الصمة .

عمر على أهل الشورى ، فهذه واحدة . وثانية : لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار ، الذين يَقْدُونَ الإمامة ، ويحكمون على الناس . وثالثة : لم يستأمر الرجل في نفسه ، ولا عِلْمَ ماعنده من ردّ أو قبول » ثم جلس .

٢٩٠ — خطبة عيد الله بن عباس (توفي سنة ٦٨ هـ)

ثم قال على لعبد الله بن عباس : قم فتكلم ، فقام عبد الله بن عباس وقال :
« أيها الناس : إن الحق أناساً أصابوه بالتوفيق والرضا ، والناس بين راض به ، وراغب عنه ؛ وإنما سار أبو موسى يهدى إلى ضلال ، وسار عمرو بضلال إلى هدى ، فلما التقيا رجع أبو موسى عن هداه ، ومضى عمرو على ضلاله ، فوالله لو كانا حكماً عليه بالقرآن لقد حكما عليه ، ولئن كانا حكما بهواما على القرآن ، ولئن مسكا بما سارا به ، لقد سار أبو موسى وعلى إمامه ، وسار عمرو ومعاوية إمامه » ثم جلس .

٢٩١ — خطبة عبد الله بن جعفر

فقال على لعبد الله بن جعفر : قم فتكلم ، فقام وقال :
« أيها الناس : هذا أمر كان النظر فيه ليل ، والرضا فيه إلى غيره ، جثم بأبي موسى فقلتم قد رضينا هذا فارض به ، وإيم الله ما أصلحنا بما فعلنا للشأم ، ولا أفسدنا العراق ، ولا أمانا حقّ على ، ولا أحييا باطل معاوية ، ولا يذهب الحقّ قلّة رأى ، ولا نفخة شيطان ، وإنا لَمِليّ اليوم كما كنا أمس عليه » ثم جلس . (الإمامة والسياسة ١ : ١٠٢)

٢٩٢ - خطبة على

ولما نزل على النخيلة وأيس من الخوارج ، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
« أما بعد : فإنه من ترك الجهاد في الله ، وادّهن في أمره ، كاع على شفا هلكة ،
إلا أن يتداركه الله بنعمة ، فأتقوا الله ، وقاتلوا من حادّ الله ، وحاول أن يُعفى نور الله ،
فَاتِلُوا الخاطئين الضالين القاسطين المجرمين الذين ليسوا بقرّاء للقرآن ، ولا فقهاء في الدين ،
ولا علماء في التأويل ، ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام ، والله لو وُلّوا عليكم لعملوا
فيكم بأعمال كسرى وهرقل ، تيسروا ونهبوا للسير إلى عدوكم من أهل الغرب . وقد بعثنا
إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم ، فإذا قدّموا فاجتمعتم شخصنا إن شاء الله ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله » . (تاريخ الطبري ٦ : ٤٤)

٢٩٣ - خطبة عبد الله بن عباس

وكتب على إلى عبد الله بن عباس : « أما بعد : فإننا قد خرجنا إلى معسكرنا بالنخيلة ،
وقد أجمعنا على السير إلى عدونا من أهل الغرب ، فأشخص بالناس حين يأتيك رسول ،
وأقم حتى يأتيك أمرى والسلام » .

فلما قدم عليه الكتاب قرأه على الناس ، وأمرهم بالشخص مع الأنحف بن قيس ،
فشخص معه منهم ألف وخمسمائة رجل ، فاستقبلهم عبد الله بن عباس ، فقام في الناس
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد بأهل البصرة فإنه جاءني أمر أمير المؤمنين بأمرني بإشخاصكم ، فأمرتكم
بالنفي إليه مع الأنحف بن قيس ، ولم يشخص معه منكم إلا ألف وخمسمائة ، وأنتم ستون
ألفا سوى أبنائكم وعبيدائكم ومواليكم ألا اغروا مع جارية بن قدامة السمدى ،

ولا يحمل رجل على نفسه سيلا ، فإنى مَوْقِع بكل من وجدته متخطفا عن مكتبه ، عاصياً لإمامه . وقد أمرت أبا الأسود الغزالي بحشركم ، فلا يَلِ رجل جعل السبيل على نفسه إلا نفسه » (تاريخ الطبرى ٦ : ٤٤) .

٢٩٤ - خطبة على

فخرج جارية فسكر ، وخرج أبو الأسود فحشر الناس ، فاجتمع إلى جارية ألف وسبعمائة ، ثم أقبل حتى وافاه على بالنخيلة ، فلم يزل بالنخيلة حتى وافاه هذان الجيشان من البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فجمع إليه ردوس أهل الكوفة وردوس الأسباع وردوس القبائل ووجوه الناس .

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يا أهل الكوفة ، أنتم إخوانى وأنصارى وأعوانى على الحق ، وصحابتى على جهاد عدوى المُجَلِّين ، بكم أضربُ المذيرَ ، وأرجو تمام طاعة القبل ، وقد بشت إلى أهل البصرة فاستغفرتهم إليكم ، فلم يأتنى منهم إلا ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فأعينونى بمناحة جليلة خلية من الفس ، إنكم . . . (١) تخرجنا إلى صفين ، بل استجمعوا بأجمعكم ، وإنى أسألكم أن يكتب لى رئيس كل قوم مافى عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدرکوا القتال وعبدان عشيرته ومواليهم ، ثم يرفع ذلك إلينا » .

فقام سعيد بن قيس الهمداني فقال : يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة ووداً ونصيحة ، أنا أول الناس جاء بما سألت وبما طلبت ، وقام مَعْقِل بن قيس الرياحى فقال له نحواً من ذلك ، وقام عدى بن حاتم وزباد بن خصفة وحجر بن عدى وأشراف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك ، ثم إن الردوس كتبوا من فيهم ثم رفعوهم إليه . (تاريخ الطبرى ٤ : ٤٥)

٢٩٥ - خطبة على

وكتب على إلى سعد بن مسعود الثقفي ، وهو عامله على اللدائن : « أما بعد فإني قد بعثت إليك زياد بن خصفة فأشخص معه من قبلك من مقاتلة أهل الكوفة ، وعجل ذلك إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله »

وبلغ عليا أن الناس يقولون : لو سار بنا إلى هذه الحروية فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وجهنا ذلك إلى الحليين . فقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإنه قد بلغني قولكم : لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت عليه ، فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وجهنا إلى الحليين .

وأن غير هذه الخارجة أم إلينا منهم ، فدعوا ذكرهم ، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كما يكونوا جبارين ملوكا ، ويتخذوا عباد الله خولا^(١) » .

فتنادى الناس من كل جانب : سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت ، وقام إليه صفى ابن فسيل الشيباني فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن حزبك وأنصارك ، نمدى من عاديته ، ونشايع من أناب إلى طاعتك ، فسر بنا إلى عدوك من كانوا وأينا كانوا ، فإنك إن شاء الله لن تؤتى من قلة عدد ، ولا ضعف نية أتباع .

وقام إليه محرز بن شهاب التميمي من بني سعد فقال : يا أمير المؤمنين : شيعتك كقلب رجل واحد في الإجماع على بصرك ، والجد في جهاد عدوك ، فأبشر بالنصر ، وسر بنا إلى أي الفريقين أحببت ، فإننا شيعتك الذين نرجو في طاعتك ، وجهاد من خالفك صالح الثواب ، ونخاف في خذلانك والتخلف عنك شدة الوال (تاريخ الطبري ٦ : ٤٥)

٢٩٦ - خطبة لمعاوية

ولما فشل التحكيم بايع أهل الشام معاوية بالخلافة ، واختلف الناس بالعراق على عليّ
فما كان لمعاوية همّ إلا مصر ، فدعا أصحابه ليستشيرهم في أمرها ، وكان فيهم عمرو بن العاص
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد فقد رأيتم كيف صنع الله بكم في حربكم عدوّكم ، جاءكم وهم لا زوّن إلا
أنهم سيقبضون بِيَضْتِكُمْ^(١) ، ويخربون بلادكم ، ما كانوا يرون إلا أنكم في أيديهم ، فردم
الله بنيفظهم لم ينالوا خيراً مما أحبوا ، وحاكناهم إلى الله فحكم لنا عليهم ، ثم جمع لنا كلتنا
وأصلح ذات بيننا ، وجعلهم أعداء متفرقين يشهد بعضهم على بعض بالكفر ، ويسفك
بعضهم دم بعض ، والله إنّي لأرجو أن يتم لنا هذا الأمر ، وقد رأيت أن نحاول أهل مصر
فكيف ترون ارتقاء لها ؟ » .

وكان عمرو بن العاص قد صالح معاوية حين بايعه على قتال علي بن أبي طالب ، على أن
له مصر طعمة مابقى ، فقال لمعاوية : فإني أشير عليك كيف تصنع : أرى أن تبعث جيشاً
كثيفاً عليهم رجل حازم صارم تأمنه وتشق به ، فيأتي مصر حتى يدخلها . . . فسيروا إليها .
(تاريخ الطبري ٦ : ٥٦)

٢٩٧ - وصية معاوية لعمر وبن العاص

وجهز معاوية عمرو بن العاص ، وبسته في ستة آلاف رجل ، وخرج وودّعه ، وقال
له عند وداعه إياه :

(١) البيضاء : حوزة كل شيء .

« أوصيك يا عمرو بتقوى الله والرفق ، فإنه يُنَّ ، وبالمهل والتؤدة ، فإن المعجلة من الشيطان ، وبأن تقبل عن أقبل ، وأن تغفو عن أدبر ، فإن قيل فيها ونعمت ، وإن أبي فإن السطوة بعد المظرة أبلغ في الحجة ، وأحسن في العاقبة ، وادع الناس إلى الصلح والجماعة ، فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آثر الناس عندك ، وكل الناس فأول حسنا .
(تاريخ الطبري ٦ : ٥٧)

٣٩٨ — خطبة محمد بن أبي بكر

وقدم محمد بن أبي بكر مصر واليا عليها من قبل علي بن أبي طالب (سنة ٣٦ هـ) فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« الحمد لله الذي هدانا لهذا لمّا اختلف فيه من الحق ، وبصرنا وإياكم كثيرا بما عى عنه الجاهلون ، ألا إن أمير المؤمنين ولأني أموركم ، وعهد إلى ما قد صممتم ، وأوصاني بكثير منه مشافهة ، ولن آلوكم خيرا ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . فإن يكن ما ترون من إمارتى وأعمالى طاعة لله وتقوى ، فاحمدوا الله عز وجل على ما كان من ذلك ، فإنه هو الهادى . وإن رأيتم عاملالى عمل غير الحق زائفا ، فارفضوه إلى وعابى فيه ، فإنى بذلك أسعد ، وأنتم بذلك جدرون ، وقفنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته .
(تاريخ الطبري ٥ : ٢٣٢)

٣٩٩ — خطبة لمحمد بن أبي بكر

وأقبل عمرو بن العاص حتى قصد مصر ، فقام محمد بن أبي بكر في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه وصل على رسوله ثم قال :

« أما بعد معاشر المسلمين وللمؤمنين ، فإن النعم الذين كانوا ينتهكون الحرمه ،

وَيَنْفَعُونَ الضَّلَالَةَ ، وَيَشْبُونَ نَارَ الْفِتْنَةِ ، وَيَتَسَلَطُونَ بِالْجَبْرِ ، قَدْ نَصَبُوا لَكُمْ الْعِدَاةَ ، وَصَارُوا إِلَيْكُمْ بِالْجُنُودِ .

عباد الله فن أراد الجنة والمغفرة ، فليخرج إلى هؤلاء القوم ، فليجاهدكم في الله .
انتدبوا إلى هؤلاء رحيم الله مع كِنَانَةَ بْنِ بَشْرٍ ، ثُمَّ انْتَهَى الْأَمْرُ بِقَتْلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ .
(تاريخ الطبري ٦ : ٥٩)

٣٠٠ - خطبة لعلي وقد استصرخه محمد بن أبي بكر

ولما سیر معاوية عمرو بن العاص إلى مصر (سنة ٣٨ هـ) - وكان عليها محمد بن أبي بكر من قبل علي - بث ابن أبي بكر إلى علي يستصرخه ، فقام علي في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أما بعد ، فإن هذا صريح محمد بن أبي بكر ، وإخوانكم من أهل مصر ، قد سار إليهم ابن النابغة ، عدو الله ، وولي من عادى الله ، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت ، أشد اجتماعاً منكم على حقكم هذا ، فإنهم قد بدؤكم وإخوانكم بالنزول ، فاعملوا إليهم بالمؤااة والنصر .

عباد الله : إن مصر أعظم من الشام ، أكثر خيراً ، وخير أهلاً ، فلا تملبوا على مصر ، فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم ، وكنت لمدوكم ، اخرجوا إلى الجيرة بين الحيرة والكوفة ، فوافوني بها هناك غدا إن شاء الله » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٦١ وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ٣٤)

٣٠١ - خطبة عليّ حين بلغه مقتل محمد بن أبي بكر

ولما بلغ عليا مقتل محمد بن أبي بكر ، حزن عليه حتى رُئِيَ ذلك في وجهه وتبين فيه وقام في الناس خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال :
« ألا إن مصر قد افتتحتها الفجرة أولو الجور والظلم ، الذين صدّوا عن سبيل الله ،
وبنّوا الإسلام عوجا ، ألا وإن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله ، فبند الله نحسبه ،
أما والله إن كان - ما علمت - لَمَنٍ ينتظر القضاء ، ويعمل للجزاء ، ويبغض شكل الفاجر ،
ويحب هدى المؤمن .

إني والله ما أوم نفسي على التقصير ، وإني لِمُقاساة الحرب نجد^(١) خبير ، وإني لأُقدم
على الأمر وأعرف وجه الحزم ، وأقوم فيكم بالرأى المصيب ، فأستصرخكم مُمِلِّنا ، وأناديكم
نداء المستنثيث مُثَرِّبا ، فلا تسمعون لي قولا ، ولا تطيعون لي أمرا ، حتى تصيروا في الأمور
إلى عواقب الساءة ، فأنتم القوم لا يدرك بكم التَّأُرُّ ، ولا ينقض بكم الأوتار ، دعوتكم إلى
غيث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة ، ففجر جرتكم جرجرة^(٢) الجبل الأشدق ، وثاقلم
إلى الأرض تشاقل من ليس له نية في جهاد العدو ، ولا اكتساب الأجر ، ثم خرج إلى
منكم جُنَيْدٌ متذائب^(٣) كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، فأف لكم ، ثم نزل :
(تاريخ الطبري ٦ : ٦٢)

(١) التجرد : الشجاع للماضي فيما يمجز غيره . (٢) الجرجرة : صوت رده البعير في حنجرته ،

وأكثر ما يكون ذلك عند الإغماء والنسب . (٣) جنيد : تصغير جند ، متذائب : مضطرب . من
قولهم : تذاببت الرياح أي اضطرب هبوبها ، ومنه سمى اللثب ذئبا لاضطراب مشيته .

فتنة الخوارج

۳۰۲ - مناظرۃ عبد اللہ بن عباسؓ لہم

لما رجع الإمام عليّ كرم الله وجهه من صفين إلى الكوفة - بعد كتابة صحيفة التحكيم بينه وبين معاوية - اعتزله جماعة من أصحابه ممن رأوا التحكيم ضلّالاً ، ونزلوا حرّوراء^(١) في اثنى عشر ألفاً ، وأمرُوا على القتال شَبَثَ بن رِيبِيّ ، وعلى الصلاة عبد الله بن الكوّاء ، فبعث إليهم عليّ عبد الله بن عباس ، فقال : لا تسجل إلى جوابهم وخصوصتهم حتى آتيك ، فخرج إليهم حتى أنام ، فأقبلوا يكلمونه ، فلم يصبر حتى راجعهم فقال :

« مَا نَقِمْتُمْ مِنَ الْحَكَمِينَ ؟ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا » (٢) فكيف بأئمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت الخوارج : قلنا أَمَا مَا جَعَلَ حَكْمَهُ إِلَى النَّاسِ وَأَمَرَ بِالنَّظَرِ فِيهِ وَالْإِصْلَاحَ لَهُ ، فَهُوَ إِلَيْهِمْ كَأَمْرٍ بِهِ ، وَمَا حَكَمَ فَأَمَضَاهُ فَلَيْسَ الْعِبَادُ أَنْ يَنْظُرُوا فِيهِ ، حَكَمَ فِي الزَّانِي مِائَةَ جَلْدَةٍ ، وَفِي السَّارِقِ بَقْطَعِ يَدِهِ ، فَلَيْسَ الْعِبَادُ أَنْ يَنْظُرُوا فِي هَذَا ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : « يَحْكُمُ بِهِ »

(١) بظاهر الكوفة .

(٢) الآيۃ فی الصلح بین الزوجین (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْغُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ، إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا)

ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ^(١) ، فقالوا له : « أَوْ تَجْعَلُ الْحَكْمَ فِي الصَّيْدِ ، وَالْحَدَّثَ يَكُونُ بَيْنَ الرِّأَةِ وَزَوْجِهَا كَالْحَكْمِ فِي دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ؟ » وَقَالَتِ الْخَوَارِجُ قُلْنَا لَهُ : فَهَذِهِ آيَةُ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ ، أَعَدَّلَ عِنْدَكَ ابْنُ الْعَاصِ وَهُوَ بِالْأَمْسِ بِقَاتِلِنَا ، وَيَسْفِكُ دِمَاءَنَا ؟ فَإِنْ كَانَ عَدْلًا فَلَسْنَا بِمُدُولٍ ، وَنَحْنُ أَهْلُ حَرْبِهِ ، وَقَدْ حَكَّمْتُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ الرَّجَالَ ، وَقَدْ أَمْضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حُكْمَهُ فِي مَعَاوِيَةَ وَحِزْبِهِ أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يَرْجَعُوا^(٢) ، وَقَبِلْ ذَلِكَ مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَبَوْهُ ، ثُمَّ كَتَبْتُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ كِتَابًا ، وَجَعَلْتُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ الْمَوَادِعَةَ وَالِاسْتِغَاثَةَ^(٣) وَقَدْ قَطَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْإِسْتِغَاثَةَ وَالْمَوَادِعَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْحَرْبِ مِنْذُ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ ، إِلَّا مِنْ أَقْرَبِ الْجَزْيَةِ » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٣٦ ، والكمال للبرد ٢ : ١٢٠)

٣٠٣ - مناظرة الامام على لهم

ثم خرج إليهم على حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عباس ، فقال : انته عن كلامهم ألم أنهك رحك الله ؟

(١) الآية في حكم قاتل الصيد وهو محرم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَا مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) .

(٢) يشيرون إلى قوله تعالى (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

(٣) استغاض المكان استغاضة : اتسع ، وهي هنا مرادة للموادعة .

ثم تكلم محمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال :

« اللهم إن هذا مقام من أفلح ^(١) فيه كان أولى بالفلاح يوم القيامة ، ومن نطق فيه وأوعث ^(٢) فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ، ثم قال لهم : من زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكواء ، قال على : فما أخرجكم علينا ؟ قالوا حكومتكم يوم صقين . قال : أنشدكم بالله أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف ، فقلتم نجيبهم إلى كتاب الله ، قلت لكم إني أعلم بالقوم منكم ، إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، إني محبتهم وعرفتهم أطفالا ورجالا ، فكانوا شررا أطفال وشررا رجال ، امضوا على حكمكم وصدقكم ، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعة وإدهانا ^(٣) ومكيدة ، فرددتم على رأيي ، وقلتم لا بل نقبل منهم ، فقلت لكم اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إياي ، فلما أقيم إلا الكتاب ، اشتترطت على الحكيم أن يحيا ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فإن حكما بحكم القرآن ، فليس لنا أن نخالف حكما يحكم بما في القرآن ، وإن أبا فنحن من حكمهما برآء . قالوا له : فخبّرنا أترأ عدلا تحكيم الرجال في الدماء ؟ فقال : إنا لسنا حكمنا الرجال ، إنما حكمنا القرآن وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق ، إنما يتكلم به الرجال . قالوا : فخبّرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم ؟ قال : ليعلم الجاهل ، ويتثبت العالم ، ولعل الله عز وجل يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة ، ادخلوا مصركم رحمكم الله ، فدخلوا من عند آخرهم . »

(تاريخ الطبري ٦ : ٣٧ ، الكامل للبدر ٢ : ١٢٨)

(١) الفلاح والإفلاح : النطر والنور . (٢) أوعث : وقع في الوعث (الوعث بالسكون : المكان

السهل النعس قنيب فيه الأتعام والطريق السر) . (٣) الإدهان : القنش .

٣٠٤ - صورة أخرى

وروى صاحب العقد للناظرة بين علي وبين الخوارج بصورة أخرى وها كها :

« قالوا إن علياً لما اختلف عليه أهل النهران والقرى وأصحاب البرانس ، ونزلوا قرية يقال لها حروراء - وذلك بعد وقعة الجمل - رجع إليهم علي بن أبي طالب ، فقال لهم : يا هؤلاء من زعيمكم ! قالوا : ابن الكواء ، قال : فليبرز إلي ، فخرج إليه ابن الكواء ، فقال له علي : يا ابن الكواء ، ما أخرجكم علينا بعد رضاكم بالحكمين ، ومقامكم بالكوفة ؟ قال : قاتلت بنا عدوا لا نشك في جهاده ، فرزعت أن قتلانا في الجنة ، وقتلام في النار ، فبينما نحن كذلك إذ أرسلت منافقا ، وحكمت كافراً ، وكان من شكك في أمر الله أن قلت للقوم حين دعوتهم : كتاب الله بيني وبينكم ، فإن قضى علي بايعتكم ، وإن قضى عليكم بايتموني ، فلو لا شكك لم تفعل هذا ، وألحق في يدك . قال علي : يا ابن الكواء ، إنما الجواب بعد الفراغ ، أفرغت فأجيبك ؟ قال : نعم ، قال علي : أما قتلاك معي عدوا لا نشك في جهاده فصدقت ، ولو شككت فيهم لم أقاتلهم ، وأما قتلانا وقتلام ، فقد قال الله في ذلك ما يستغنى به عن قولي ، وأما إرسال المنافق وتحكمي الكافر ، فأنت أرسلت أبا موسى مبرئاً ، ومعاوية حَكَمَ عمرًا ، أتيت بأبي موسى مبرئاً ، قلت : لا رضى إلا أبا موسى ، فهلا قام إلى رجل منكم فقال : يا علي لا تعط هذه الدنية فإنها ضلالة ؟ وأما قولي لمعاوية : إن جرتني إليك كتاب الله تبيعتك ، وإن جرتك إلي تبتني . زعت أني لم أعط ذلك إلا من شك ، فقد علمت أن أوثق ما في يديك هذا الأمر ، فخذني ويحك عن اليهودي والنصراني ومشركي العرب ، أقم أقرب إلى كتاب الله أم معاوية وأهل الشام ؟ قال : بل معاوية وأهل الشام أقرب ، قال علي : أفرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوثق بما في يديه من كتاب الله أو أنا ؟ قال : بل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أفرأيت الله تبارك وتعالى حين يقول : (قُلْ فَأَتُوا

بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أُتِيْمَةٌ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .) . أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُوْتَىٰ بَكِتَابٍ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا فِي يَدَيْهِ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فِيمَ أَعْطَىٰ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَوْمَ مَا أَعْطَاهُمْ ؟ قَالَ : إِنْصَافًا وَحُجَّةً ، قَالَ : فَإِنِّي أَعْطَيْتُ الْقَوْمَ مَا أَعْطَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ ابْنُ الْكَوَّاءِ : فَإِنِّي أَخْطَأْتُ . هَذِهِ وَاحِدَةٌ . زِدْنِي ، قَالَ عَلِيٌّ : فَمَا أَعْظَمُ مَا نَقَمْتُمْ عَلَيَّ ؟ قَالَ : تَحْكِيمُ الْحَكَمَيْنِ ، نَظَرْنَا فِي أَمْرِنَا ، فَوَجَدْنَا تَحْكِيمَهُمَا شَكًا وَتَبْذِيرًا ، قَالَ عَلِيٌّ : فَقِي سُمِّيَ أَبُو مُوسَى حَكَمًا ، حِينَ أُرْسِلَ ، أَوْ حِينَ حَكَمَ ؟ قَالَ : حِينَ أُرْسِلَ ، قَالَ : أَلَيْسَ قَدْ سَارَ وَهُوَ مُسْلِمٌ ، وَأَنْتَ تَرْجُو أَنْ يَحْكُمَ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ عَلِيٌّ : فَلَا أَرَى الضَّلَالَةَ فِي إِرْسَالِهِ ، فَقَالَ ابْنُ الْكَوَّاءِ ، سُمِّيَ حَكَمًا حِينَ حَكَمَ ، قَالَ : نَعَمْ إِذْنِ إِرْسَالِهِ كَانَ عَدْلًا ، أَرَأَيْتَ يَا ابْنَ الْكَوَّاءِ لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُؤْمِنًا إِلَى قَوْمٍ مُشْرِكِينَ يَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، فَارْتَدَّ عَلَى عَقِبِهِ كَافِرًا ، كَانَ يَضْرِبُ نَبِيَّ اللَّهِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ عَلِيٌّ : فَمَا كَانَ ذَنْبِي إِذْ كَانَ أَبُو مُوسَى ضَلَّ ، هَلْ رَضِيتُ حُكْمَهُ حِينَ حَكَمَ ، أَوْ قَوْلَهُ إِذْ قَالَ ؟ قَالَ ابْنُ الْكَوَّاءِ : لَا ، وَلَكِنَّكَ جَلَسْتَ مُسْلِمًا وَكَافِرًا يَحْكُمَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، قَالَ عَلِيٌّ : وَيَلِكُ يَا ابْنَ الْكَوَّاءِ ! هَلْ بَعَثَ عَمْرًا غَيْرُ مُعَاوِيَةَ ؟ وَكَيْفَ أُحْكِمُهُ وَحُكْمُهُ عَلَى ضَرْبِ عُنُقِي ، إِنَّمَا رَضِيَ بِهِ صَاحِبُهُ ، كَمَا رَضِيتَ أَنْتَ بِصَاحِبِكَ ، وَقَدْ يَجْتَمِعُ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ يَحْكُمَانِ فِي أَمْرِ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا مُؤْمِنًا تَزَوَّجَ يَهُودِيَّةً أَوْ نَصْرَانِيَّةً ، خَافَا شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ، فَفَزَعَ النَّاسَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، وَفِي كِتَابِهِ : (فَأَبْتَغُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِيهَا) فَبَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ ، أَوْ رَجُلٌ مِنَ النَّصَارَى ، وَرَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، الَّذِينَ يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يَحْكُمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ فَحَكَمَا . قَالَ ابْنُ الْكَوَّاءِ : وَهَذِهِ أَيْضًا ، أَمَلْنَا حَتَّى نَنْظُرَ ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ عَلِيٌّ .

فَقَالَ لَهُ صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَذُنُّ لِي فِي كَلَامِ الْقَوْمِ ، قَالَ : نَعَمْ مَا لَمْ تَبْسُطْ يَدًا ، فَغَادَى صَعْصَعَةُ ابْنَ الْكَوَّاءِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَقَالَ : أُنْشِدْكُمْ اللَّهُ يَا مُعَشِّرَ

الخارجين أن لا تكونوا عارًا على من يفرز لنيره^(١) ، وأن لا تخرجوا بأرض نسوّن بها
بعد اليوم ، ولا تستمجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل ، فقال له ابن الكواء :
إن صاحبك لَقَيْنَا بِأَمْرٍ ، قولك فيه صغيرٌ فأَمْسِك .

قالوا إن عليًا خرج بعد ذلك إليهم ، فخرج إليه ابن الكواء ، فقال له عليّ :
يا ابن الكواء : إنه من أذنب في هذا الدين ذنبًا يكون في الإسلام حَدَثًا ، اسْتَقْبَلَنَاهُ مِنْ
ذلك الذنب بعينه ، وإن توبتكَ أن تعرف هُدًى ما خرجت منه ، وضلال ما دخلت
فيه . قال ابن الكواء : إننا لا نسكر أَمَا قَدْ فَتِنَا ، فقال له عبد الله بن عمرو بن جُرْمُوز :
أَدْرَكْنَا وَاللَّهِ هَذِهِ الْآيَةُ (الْم ، أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آتَيْنَا مِنْهُمْ
لَا يُفْتِنُونَ) - وكان عبد الله من قراء أهل حرّوراء ، فرجموا فَصَلُّوا خَلْفَ عَلِيٍّ الظَّهْرَ ،
وانصرفوا معه إلى الكوفة ، ثم اختلفوا بعد ذلك في رجسهم ولام بعضهم بعضًا ،
ثم خرجوا على عليّ ، فقتلهم بالنَّهْرَوَان . (المقد الفريد ٢ : ٢٤٠)

٣٠٥ - مناظرة ابن عباس لهم

فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن عليًا رجع عن التحكيم ، وتاب منه ، ورآه ضلالا ،
فأتى الأشعث بن قيس عليًا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الناس قد تمدّثوا أنك رأيت
الحكومة ضلالا ، والإقامة عليها كفرًا وتبّت ، فخطب على الناس فقال :
« من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب ، ومن رآها ضلالا فهو أضلُّ منها ،
فخرجت الخوارج من المسجد فحكّت ، قليل لعلّ لهم خارجون ، فقال : لا أقاتلهم حتى
يقاتلوني ، وسيقتلون ، فوجه إليهم عبد الله بن العباس .
فلما سار إليهم رحبوا به وأكرموه ، فرأى منهم جباها قَرِحَتْ لَطُولُ السُّجُود ،

(١) أي لنيره مضته الشخصية بل لم يمت المسلمين وجمع كلمتهم يعني عليا وأصحابه .

وأيديا كَفَنَتَا^(١) الإبل ، وعليهم قُمْصٌ مُرَحَّصَةٌ^(٢) وم مشرّون . قالوا : ما جاء بك يا بن عباس ؟ قال : جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ، وأعلننا بر به وستة نبير ، ومن عند المهاجرين والأنصار ، فقالوا : إنا أتينا عظيما حين حكنا الرجال في دين الله ، فإن تاب كما تبنا ، ونهض لمجاهدة عدونا رجنا ، فقال ابن عباس : نَشَدْتُمْ الله إلّا ما صدّقتم أنفسكم . أما علمتم أن الله أمركم بتحكيم الرجال في أرب تساوئ ربع درهم تصاد في الحرم ، وفي شقاق امرأة ورجلها ، فقالوا : اللهم نعم ، قال : فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال ، للهدنة بينه وبين الحُدَيْبِيَّةِ^(٣) ، قالوا : نعم ولكن عليا محبا نفسه من خلافة المسلمين ، قال ابن عباس : أذاك يزيلها عنه ؟ وقد محبا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة ، قال سُهَيْل^(٤) بن عمرو : لو علمت أنك رسول الله ما حاربتك ، فقال للكتاب^(٥) : اكتب محمد بن عبد الله وقد أخذ على الحكيم أن لا يمحورا ، فلى أولى من معاوية وغيره ، قالوا : إن معاوية يدعى مثل دعوى على . قال : فأيهما رأيتموه أولى فقولوه ، قالوا : صدقت ، قال ابن عباس : ومتى جار الحكمان فلا طاعة لهما ، ولا قبول لقولهما .

فانبعه منهم ألقان وبقي أربعة آلاف ، فلم يزالوا على ذلك حتى اجتمعوا على البيعة

(المقد الفريد ١ : ٢١٢)

لعبد الله بن وهب الراسي .

(١) ثفة البحر : ركة . (٢) قم جمع قميص ، ورحض الثوب : غسله .

(٣) أي وبين أهل الحديبية . والحديبية بئر قرب مكة ، وكانت غزوة الحديبية سنة ست هجرية .

(٤) النائب عن قريش في عقد الصلح مع المسلمين . (٥) وكان على بن أبي طالب كرم الله وجهه .

٣٠٦ - خطبة يزيد بن عاصم المحاربي

وخرج الإمام على كرم الله وجهه ذات يوم بخطب ، فإنه لنى خطبته ، إذ حكّت^(١) المحكمة فى جوانب المسجد ، قال على : الله أكبر ، كلمة حق يراد بها باطل : إن سكتوا عمنام ، وإن تكلموا حججناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم ، فوثب يزيد ابن عاصم المحاربي فقال :

« الحمد لله غير مؤدع^(٢) ربنا ولا مستغنى عنه ، اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدينية^(٣) فى ديننا ، فإن إعطاء الدنيا فى الدين إذهان^(٤) فى أمر الله عز وجل ، وذلل راجع بأهله إلى سخط الله ، يا على أياقتل تخوفاً ؟ أما والله إني لأرجو أن تضربكم بها عما قليل غير مصفحات^(٥) ، ثم لتعلن أئتنا أولى بها صلياً^(٦) . »

ثم خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هورابهم ، فأصيبوا مع الخوارج بالنهر ، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالثخيلة .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٤١)

٣٠٧ - خطبة عبد الله بن وهب الراسبي

ولما بث الإمام على أبا موسى الأشعري لإنفاذ الحكومة ، لقيت الخوارج بعضها بعضاً ، فاجتمعوا فى منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(١) أى قالوا لاحكم إلا الله ، ويسمى الخوارج المحكمة : أى الذين يمتنعون التحكيم . (٢) أى غير متروك ولا مقطوع : أى هذا دائماً . (٣) يريد بها قبول التحكيم . (٤) الإذهان والمداهة : إظهار غير ما يضر . (٥) أى تضربكم بحدادها لا بمرضها ، ضربه بالسيف مصفحاً : أى بمرضه . (٦) صل النار وبها صلياً : قاسى حرها .

« أما بعد : فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن ، ويُنبِئون إلى حكم القرآن ، أن تكون هذه الدنيا - التي الرضا بها والركون إليها ، والإيثار إليها عَنَاءً وَتَبَارُكٌ ^(١) - آتَرَ عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقول بالحق ، وإن من ^(٢) وضرر ، فإنه من يُؤْمِنُ وَيُغْفِرُ في هذه الدنيا ، فإن ثوابه يوم القيامة رضوان الله عز وجل ، والخلود في جناته ، فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالِم أهلها ، إلى بعض كُور ^(٣) الجبال ، أو إلى بعض هذه المدن ، منكرين لهذه البِدْعِ المُنْصَلَةِ » .

٣٠٨ - خطبة حرقوص بن زهير السعدي

فقام حُرْقُوصُ بن زُهَيْرِ السَّعْدِيُّ فقال :

« إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وَشِيكٌ ^(١) ، فلا تدعوا نَسَمَ زِينَتِهَا ، ووجهها إلى المقام بها ، ولا تَلَفَّتَنَّكُمْ عن طلب الحق ، وإنكار الظلم ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْصِنُونَ » .

٣٠٩ - خطبة حمزة بن سنان الأسدي

فقام حمزة بن سنان الأسدي فقال :

« يا قوم إن الرأي ما قد رأيتم ، والحق ما قد ذكرتم ، فولوا أمركم رجلا منكم فإنه لا بد لكم من عِمَادٍ وَسِنَادٍ ، ورأية تَحْفُوتُ بها ، وترجعون إليها » .
فرضوها على زيد بن حصين الطائي فأبى ، وعلى حرقوص بن زهير فأبى ، وعلى

(١) هلاك . (٢) أي قطع وهجر . (٣) جمع كورة بالضم ، وهي المدينة والصنع .

(٤) سريع .

حمزة بن سنان ، وشريح بن أوفى العبسي فأيا ، وعلى عبد الله بن وهب فقال : « ها توها ، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ، ولا أدعها فرقا^(١) من الموت » فبايعوه (لعشر خلون من شوال سنة ٢٧ هـ) .

٣١٠ - خطبة شريح بن أوفى العبسي^(٢)

ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي ، فقام شريح فقال .

« إن الله أخذ عهدنا ومواثيقنا على الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والقول بالحق ، والجهاد في تقويم السبيل ، وقد قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام : « يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ » وقال : « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » فاشهدوا على أهل دَعْوَتَنَا أَنْ قَدِ اتَّبَعُوا الْهَوَىٰ ، وَتَبَذُّوا حُكْمَ الْقُرْآنِ ، وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ وَالْعَمَلِ ، وَأَنْ جِهَادَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَرَضَ ، وَأَقْسَمَ بِالَّذِي تَمْنُو^(٣) لَهُ الْوُجُوهُ ، وَتَمْنَعُ دُونَهُ الْأَبْصَارَ ، لَوْلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ عَلَى تَمْيِيرِ الْمُنْكَرِ ، وَقِتَالِ الْقَاسِطِينَ^(٤) مُسَاعِدًا ، لَقَاتَلْتَهُمْ وَحْدِي فَرَدًّا حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ رَبِّي ، فِيرَى أَنَّى قَدْ غَيَّرَتْ (إِرَادَةُ رِضْوَانِهِ) بِلِسَانِي ، يَا إِخْوَانَنَا ، اضْرِبُوا جِهَادَهُمْ وَوُجُوهُهُمْ بِالسَّيْفِ ، حَتَّى يُطَاعَ الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنْ

(١) جزعا وخوفا . (٢) قال ابن تقيية في الإمامة والسياسة : « ثم اجتمعوا في منزل زفر بن حصين الطائي ، فقالوا : إن الله أخذ عهدنا ومواثيقنا . . . إل آخر الخطبة ، ولم يذكر قائلها . وذكر الطبري في تاريخه : أنهم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي ، وذكر القفقرات الأخيرة من هذه الخطبة وعزاها إلى شريح » . (٣) تلك وتمنع . (٤) الجائرين .

يُطْعِمُ اللَّهُ كَمَا أَرَدْتُمْ أَنَابِكُمْ ثَوَابَ الطَّيِّعِينَ لَهُ الْأَمْرِينَ بِأَمْرِهِ ، وَإِنْ قُتِلْتُمْ فَأَيُّ شَيْءٍ أَكْثَرُ
 مِنَ السَّيْرِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ ؟ وَاعْلَمُوا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ خَرَجُوا لِإِقْصَاءِ حُكْمِ الضَّلَالَةِ ،
 فَأَخْرَجُوا بَنِي آلِ بَلَدٍ تَتَمَدَّدُ فِيهِ الْأَجْمَاعُ مِنْ مَكَانَتِنَا هَذَا ، فَإِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَةِ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ
 أَهْلُ الْحَقِّ بَيْنَ الْخَلْقِ ، إِذْ قَلَّمْ بِالْحَقِّ ، وَصَحَّحْتُمْ لِقَوْلِ الصِّدْقِ ، فَأَخْرَجُوا بَنِي آلِ
 « لِلدَّائِنِ ^(١) » نَسَكْنَهَا فَنَأْخُذُ بِأَبْوَابِهَا ، وَنُخْرِجُ مِنْهَا سَكَنَهَا ، وَنَبْثُ إِلَى إِخْوَانِنَا مِنْ
 أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَيَقْدَمُونَ عَلَيْنَا .

٣١١ - مقال زيد بن حصين الطائي

قال زيد بن حصين الطائي :

« إِنَّكُمْ إِنْ خَرَجْتُمْ مَجْتَمِعِينَ أَتَيْتُمْ ، وَلَكِنْ أَخْرَجُوا وَحِدَانَا مُسْتَخْفِينَ ، فَأَمَّا
 لِلدَّائِنِ ، فَإِنْ بِهَا قَوْمًا يَمْنُونُكُمْ مِنْهَا ، وَيَمْنُونَهَا مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ اكْتُبُوا إِلَى إِخْوَانِكُمْ مِنْ
 أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَأَعْلِمُوهُمْ بِمُخْرُوجِكُمْ ، وَسِيرُوا حَتَّى تَنْزِلُوا جِسْرَ النَّهْرَوَانِ ^(٢) » .

قَالُوا : هَذَا هُوَ الرَّأْيُ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى ذَلِكَ ، وَكُتِبُوا بِهِ إِلَيْهِمْ .

(تاريخ الطبري ٥ : ٤٢ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٤)

(٢) النهروان : بليدة بالقرب من بغداد ، نحو أربعة فراسخ .

(١) حل نهر دجلة شرقا .

٣١٢ - خطبة علي في تخويف أهل النهر وآن

فلما نزلوا بالنهر وآن ، وأتوا بها ما أتوا من الأحداث ^(١) ، أئام الإمام علي كرم الله وجهه ، فوقف عليهم فقال :

« أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء والجاجة ، وصدها عن الحق الموصى ، وطمع بها النزيق ^(٢) وأصبحت في اللبس والخطب العظيم ، إني نذير لكم أن تضيقوا تليفكم الأمة غدا صرعى بأناء ^(٣) هذا النهر ، وبأعضام ^(٤) هذا الغائط ^(٥) ، على غير بينة من ربكم ، ولا سلطان مبين معكم ، وقد طوحت بكم الدار ، واحتبسكم ^(٦) للقدار .

ألم تعلموا أني نهيتكم عن الحكومة ، وأخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم دهن ^(٧) ومكيدة لكم ؟ وثبأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأني أعرف بهم منكم ؟

- (١) من ذلك أنهم لقوا عبد الله بن خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه امرأته وهي حبل سم (أي دنا ولدها) فقالوا : ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى عليهما خيرا ، قالوا : ماتقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها ؟ قال : إنه كان محققي أولها وفي آخرها ، قالوا : فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده ؟ قال : إنه أعلم بآفة منكم وأشد توتيا على دينه وأنفذ بصيرة ، فقالوا : إنك تتبع الهوى ، وتوالي الرجال على أسماها لامل أمهالها ، ثم تربوه إلى شاطئ النهر فذبحوه ، وسال دمه في الماء ، وبقروا بطن امرأته ، وقتلوا ثلاث نسوة من طيئه ، وقتلوا أم ستان الصيداوية ، وأصابوا مسلما ونصرانيا ، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني خيرا ، وقالوا : احفظوا ذمة فيكم ، وأرسل إليهم على رسولا ينظر فيما بلغه عنهم فقتلوه ، فبمث إليهم أن اذفوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى أتى أهل الشام ، فلعل الله يقلب قلوبكم ويردكم إلى خير ما أنتم عليه من أمركم ، فبعثوا إليه ، فقالوا كلنا قتلهم ، وكلنا فستحل دماهم ودماكم . (٢) الطيش . (٣) جمع في بالكسر : أي متعلقاته . (٤) جمع هضم (بالفتح ويكسر) وهو المطنن من الأرض . (٥) الغائط : للطمنن الواسع من الأرض . (٦) أوقمكم في الحبانة . (٧) دهن الرجل : إذا فاق .

(عرقهم أطفأوا ورجالا ، فهم أهل للسكر والنذر) وأنكم إن قارقم رأي جانبهم الحزم ؟ فصيتوني وأكرهتموني حتى حكمت ، فلما أن فعلتُ شرطتُ واستوتقتُ ، فأخذتُ عَلَى الحكيم أن يُجيبني ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة ، وَعَمِلَا بِالْهَوَى ، فَنَبَذْنَا أَمْرَهُمَا ، وَنَحْنُ عَلَى أَمْرِنَا الْأَوَّل ، فما الذي بكم ، ومن أين أتيتُم ؟ » .

قالوا : إنا حكمنا ، فلما حكمنا أئمتنا ، وكنا بذلك كافرين ، وقد تبنا ، فإن ثبت كما تُبنا ، فنحن منك ومعك ، وإن أبيتَ فَأَعْتَزَلْنَا ، فإنا منابذك عَلَى سِوَاهُ ^(١) إِنْ أَفْهَ لَا يَحِبُّ الْخَائِنِينَ .

فقال عَلَى : « أصابكم حَاصِبٌ ^(٢) ، وَلَا يَبْقَى مِنْكُمْ وَابِرٌ ^(٣) ، أَبْنَدُ إِيْمَانِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَجَرْتَنِي مَعَهُ ، وَجَاهَدِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ ؟ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذْنُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ، فَأَوْبُوا شَرًّا مَآبٍ ^(٤) ، وَارْجِعُوا عَلَى آثَرِ الْأَعْقَابِ ^(٥) أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا ، وَسَيْفًا قَاطِعًا ، وَآثَرَةً ^(٦) يَتَخَذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً » .

(١) هو من قوله تعالى (وَإِنَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سِوَاهِ إِنْ)
 اللَّهُ لَا يَحِبُّ الْخَائِنِينَ) ومعناه إذا حدثت قوما فعلت منهم انتفض العهد ، فلا توقع بهم سابقا إلى انتفض حتى تعلمهم أنك نقضت العهد ، فتكونوا في علم انتفض مستوين لئلا يتهموك بالنذر . ثم أوقع بهم . (٢) الحاصب : الريح الشديدة تثير اخصياء (الخصي) ، وحصبه : رماء بالخصياء . (٣) أي أحد . وروى آبر ، وهو الذي يأبر النخل أي يصلحه . وروى آثر ، وهو الذي يأثر الحديث أي يرويه ويحكيه . وروى آبر ، وهو الواجب . (٤) أي ارجعوا شَرًّا مرجع . (٥) الأعقاب جمع عقب (بكسر القاف) : وهو مؤخر القدم ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : « وَتُرْجَى عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاكُمْ » يدور عليهم بانكسار حلقهم وارتدادهم وعودهم من النذر إلى الذل . (٦) أي استبدادا عليكم بالنزول .

٣١٣ - صورة أخرى

وفي رواية أخرى أن علياً قال لأهل النهر :

« يا هؤلاء : إن أنفسكم قد سَوَّلت لكم فراق هذه الحكومة ، التي أنتم ابتدأتموها
وسألتموها^(١) وأنا لها كاره ، وأنباتكم أن القوم سَأَلُوا كُومَهَا مَكِيدَةً وَدَهْنًا ، فَأَيُّنِمَ عَلَى
إِبَاءِ الْمُخَالِفِينَ الْمُتَابِذِينَ ، وَعَدَلْتُمْ عَلَى عَدُولِ النُّكْدَاءِ^(٢) الْعَاصِينَ ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي
إِلَى رَأْيِكُمْ ، وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مَعَاشِرُ أَخِفَاءِ الْمَأْمَرِ^(٣) ، سَقَمَاءُ الْأَحْلَامِ ، فَلَمْ آتِ (لَا أَبَا لَكُمْ)
بِجُبْرٍ^(٤) ، وَلَا أَرَدْتُ بِكُمْ ضُرًّا ، وَاللَّهِ مَا خَبَلْتُمْكُمْ^(٥) عَنْ أُمُورِكُمْ ، وَلَا أَخْفَيْتُ شَيْئًا
مِنْ هَذَا الْأَمْرِ عَنْكُمْ ؛ وَلَا أَوْطَأَنْكُمْ عُشْوَةً^(٦) ، وَلَا دَنَيْتُ^(٧) لَكُمْ الضَّرَاءَ ، وَإِنْ
كَانَ أَمْرُنَا لِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ظَاهِرًا ، فَأَجْمَعُ رَأْيَ مَلَيْتِكُمْ عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ ، فَأَخْذَنَا
عَلَيْهِمَا أَنْ يَحْكُمَا بِنَا فِي الْقُرْآنِ وَلَا يَمْدُؤَاهُ ، فَتَاهَا^(٨) وَتَرَكَ الْحَقَّ وَهَمَا يُبْصِرَانِهِ ، وَكَانَ
الْجَوْرُ هَوَاهُمَا (وَقد سَبَقَ اسْتِثْنَاءُ قُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ) وَالصَّدْقُ لِحَقِّ بَسْوَةِ رَأْيِهِمَا
وَجَوْرِ حُكْمِهِمَا ، وَالثَّقَةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنفُسِنَا حِينَ خَالَفْنَا سَبِيلَ الْحَقِّ ، وَأَتَيْنَا بِمَا لَا يَعْرِفُ ،
فَيَنْتَوُوا لَنَا بِمَاذَا تَسْتَحِلُّونَ قِتَالَنَا ، وَالْخُرُوجَ مِنْ جَمَاعَتِنَا ؟ أَنْ اخْتَارَ النَّاسُ رَجُلَيْنِ^(٩) أَحَلَّ
لَكُمْ أَنْ تَضْمُوا أَسْيَافَكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ ، ثُمَّ نَسْتَعْرِضُوا النَّاسَ تَضْرِبُونَ رِقَابَهُمْ ، وَتَسْفِكُونَ

(١) المراد : سألتهم أن أجيب إليها . (٢) رجل نكد (بكسر الكاف وفتحها وسكونها)
وأنكد أى صر ، وقوم أنكداء ومنأكيد ، ولم أرفى كتب اللغة جمعه على نكداء . (٣) أخفاء : جمع
خفيف ، والمأم : الرؤس ، وهو كناية من قلة العقل . (٤) البجر ، بالضم والفتح : الشر والأمر
العظيم ، ويرى حراما . (٥) منعتكم وحبستكم . (٦) العشوة مثقلة : ركوب الأمر على غير
بيان ، وبالفتح الظلمة ، ويقال : أوطأته عشوة ، أى شرهته وحلته على أن يركب أمرا غير مستبين الرشد ،
فربما كان فيه عطية . (٧) دناء وأدناه : قربه . (٨) ضلا . (٩) همزة الاستفهام
مقدرة قبل أن : أى هل اختار الناس رجلين أحل لكم ذلك ؟

دعاهم ؟ إن هذا هو الخسران للبين ، والله لو قتلتم على هذا دجاجة لَعَلَّكُمْ عند الله قتلها ، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام ؟ » .

فتنادوا لا تخاطبوهم ولا تكلموهم ، وَهَيَّئُوا لِقَاءَ الرَّبِّ ، الرَّوَاحِ الرَّوَاحِ إِلَى الْجَنَّةِ ، فزحف عليهم على أفانهم ، وقتل ابن وهب في المعركة ، ولم يُبْقِ مِنْهُمْ إِلَّا عَشْرَةٌ (وكان ذلك سنة ٣٧ ، وقيل سنة ٣٨ هـ) .

(تاريخ الطبري ٦ : ٤٧ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٩ ونهج البلاغة ١ : ٤٤ - ٥٤)

٣١٤ - خطبة المستورد بن علفه

واجتمع بعد وقعة النهروان بالنخيلة جماعة من الخوارج ، ممن فارق عبد الله ابن وهب ، ومن لجأ إلى راية أبي أيوب^(١) ، ومن كان أقام بالكوفة فقال : لا أقاتل علياً ولا أقاتل معه ، فتواصوا فيما بينهم وتماضدوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم ، فقام منهم قائم يقال له المستورد بن علفه من بني سعد بن زيد مناة ، فحيد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ثم قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالمدل تخفّق راياته ، مُعلنًا مقاتلته ، مُبَلِّغًا عن ربه ، ناصحاً لأُمته ، حتى قبضه الله مُحَيَّرًا غَتَارًا ، ثم قام الصديق فَصَدَّقَ عن نبيه ، وقاتل من ارتدّ عن دين ربه ، وذكر أن الله عز وجل قرّن الصلاة بالزكاة ، فرأى أن تعطيل إحداهما طعن على الأخرى ، لا بل على جميع منازل الدين ، ثم

(١) وذلك أن الإمام قبل أن يزحف عليهم في وقعة النهروان نصب لهم راية أمان مع أبي أيوب الأنصاري ، فتأدهم أبو أيوب : « من جاء هذه الراية منكم لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن . ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن ، وخرج من هذه الجماعة فهو آمن ، إنه لا حاجة لنا به أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دماكم » .

خور أصحاب الإمام

وتقاعسهم عن نصرته

٣١٥ - خطبة عبد الله بن عباس في أهل البصرة

ورأى الإمام عليّ كرم الله وجهه بعد فشل التحكيم أن يمضى لمناجزة معاوية وأهل الشام ، فكتب إلى عبد الله بن عباس - وكان على البصرة - أن يشخص^(١) إليه من قبله من الناس . فأمرهم ابن عباس بالشغوص مع الأحنف بن قيس ، فشخص معه منهم ألف وخمسمائة رجل ، فاستقلهم ابن عباس ، فقام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أهل البصرة : قد جاءني كتاب أمير المؤمنين يأمرني بإشغاصكم ، فأمرتكم بالمسير إليه مع الأحنف بن قيس ، فلم يشخص إليهم منكم إلا ألف وخمسمائة ، وأنتم في الديوان^(٢)

(١) شخص كنع شخصوا : خرج من موضع إلى غيره ، وأشخصته أنا .

(٢) الديوان : الكتاب الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل السطاء ، وهو فارسي معرب . قال القلقشندي في صبح الأعي ١ : ٩٠ د وقد حكى الماوردي في الأحكام السلطانية في سبب تسميته بذلك وجهين : أحدهما أن كسرى ذات يوم أطلع على كتاب ديوانه في مكان لهم ، وهم يحسبون مع أنفسهم فقال « ديوانه » أي مجائين فسمى موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ ، ثم حذفت الهاء من آخره لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقيل ديوان ، والثاني : أن الديوان بالفارسية اسم الشياطين ، وسمى الكتاب بذلك لحقهم بالأمور ، ووقفهم على الجمل منها والحق « اه ، ومنه ترى أن الديوان كان يطلق في الفارسية على موضع الكتاب الحاسبين وعلى جماعة الكتاب ، وقد أطلق في العربية على جريدة الحساب ، ثم أطلق على الحساب ، ثم على موضع الحساب ، =

ستون ألفاً ، سوى أبنائكم وعبيدكم^(١) ومواليكم ، ألا فانفروا^(٢) ،
ولا يَجْمَلِ امرؤ على نفسه سيلاً ، فإنى موقعٌ بكل من وجدته تخلف عن دعوته ،
عاصياً لإمامه ، حزنًا يُقَبِّبُ ندما ، وقد أمرت أبا الأسود بحشدكم ، فلا يَلْمُ امرؤ
جبل السيل على نفسه إلا نفسه .

(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٦ ، تاريخ الطبري ٦ : ٤٤)

٣١٦ - خطبة الإمام وقد أراد الانصراف من النهروان

ولما أراد الإمام الانصراف من النهروان ، قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
« أما بعد ، فإن الله قد أحسن بلاءكم وأعز نصركم ، فتوجهوا من فوزكم هذا إلى
معاوية وأشياعه ألقاطين ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، « واشتروا به ثمناً
قليلاً » ف « ينس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

٣١٧ - مقال الأشعث بن قيس

فقال الأشعث بن قيس فقال :

« يا أمير المؤمنين : نددت نبالنا ، وكلت سيوفنا ، ونصّلت^(٣) أسنة رماحنا وعاد

— ثم على طائفة الكتاب ، وكان ذلك عهد في عصر للدولة العباسية ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أول
من دون اللواوين في الحرب سنة ٢٣ أى رتب الجرائد للعمال ورجال الجيش فيها أسماءهم ومراتبهم فى النسب
وأرزاقهم (انظر تاريخ الطبري ٥ : ٢٣) . (١) جمع عبد . (٢) نفر إلى الشيء :
أسرع إليه . (٣) سقطت .

أَكْثَرَهَا قَصِيدًا^(١) فَارْجِعْ بِنَا إِلَى مِصْرِنَا ، فَلَنَسْتَمِدَّ بِأَحْسَنِ عُدَّتِنَا ، وَلِلَّهِ أَمِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ زَيْدٌ فِي عُدَدِنَا مِثْلَ مَنْ هَلَكَ مِنَّا ، فَإِنَّهُ أَقْوَى لَنَا عَلَى عَدُونَا .

فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى نَزَلَ بِالنَّخِيلَةِ^(٢) ، ثُمَّ دَخَلَ الْكُوفَةَ .

(الامامة والسياسة ١ : ١١٠ ، وقاربخ الطبري ٦ : ٥١ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٧٩ .)

٣١٨ - خطبة الإمام بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج

يَسْتَنْقِرُ النَّاسُ انْتِثَالَ مَعَاوِيَةَ

وخطب الناس بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَمِدُّوا لِقِتَالِ عَدِيٍّ ، فِي جِهَادِهِمُ الْقُرْبَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَدَرْكُ الْوَسِيلَةِ عِنْدَهُ ، قَوْمٌ حَيَّارٌ عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ ، مُؤَزَّعِينَ^(٣) بِالْجَوْرِ وَالظُّلْمِ لَا يَبْغِضُونَ بِهِ ، جُمُاعًا عَنِ الْكِتَابِ ، نُكَبٌ^(٤) عَنِ الدِّينِ ، يَتَمَهَّوْنَ^(٥) فِي الطَّغْيَانِ وَيَتَسَكَّمُونَ^(٦) فِي غَمْرِ الضَّلَالِ ، فَذُاعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَقْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطٍ^(٧) الْخَيْلِ - وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ ، وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَكِيلًا .

-
- (١) رجع قصد ، وقصد ، واقتصد : أى متكرر . (٢) وعسكر بها حين زلما ، وأمر الناس أن يلزموا معه مصكرهم ، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يلقوا من زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسيروا إلى عدوهم من أهل الشام . فجمعوا يتسللون ويدخلون الكوفة ، حتى تركوه وما معه إلا نفر من وجوه الناس يسير ، وبقي المصكر خاليا ، فلا من دخل الكوفة خرج إليه ، ولا من أقام معه صبر ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة . (٣) أوزعه بالشئ : أغراه فأوزع به بالضم . (٤) من نكب عن الطريق : أى عدل ومال . (٥) من القمه (بحركة) : وهو التحير والت تردد في الضلال . (٦) تسكع : شئ مشيا متصفا ، وتحير . (٧) اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ، فعال بمعنى مفعول أو مصدر مسمى به كالمرابطة أو جمع رباط قيل بمعنى مفعول .

فَا فَرُّوا وَلَا تَيْسَرُوا ، فَتَرْكُهُمْ أَيَّامًا حَتَّى إِذَا أَيْسَ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوا دَعَا رُؤَسَاءَهُمْ
وَوُجُوهُهُمْ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ رَأْيِهِمْ ، وَمَا الَّذِي يُنْظَرُ مِنْكُمْ^(١) ، فَفَهُمُ الْمَعْتَلَّ ، وَمِنْهُمْ الْمُسْكِرَةُ ،
وَأَقْلَهُمْ مَنْ نَشِطَ ، فَقَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا فَقَالَ :

(شرح ابن أبي الحلبيد ١ : ص ١٧٩ ، والامامة والسياسة ١ : ١١٠ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥١)

٣١٩ - خطبة له أيضاً في استنفارهم لقتال معاوية

« عِبَادَ اللَّهِ : مَا لَكُمْ إِذَا أَمَرْتُمْ أَنْ تَنْفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا قُلْتُمْ^(٢) إِلَى الْأَرْضِ
أَرْضِيئُكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ بَدَلًا ، وَبِالذَّلِّ وَالْهُوَانِ مِنَ الْمَرْخَلِ خَلْقًا ؟ أَوَكُلَّمَا نَذَرْتُمْ
إِلَى الْجِهَادِ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ ، كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي سَكْرَةٍ ، وَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ^(٣) فَأَنْتُمْ
لَا تَعْقِلُونَ ، وَكَأَنَّ أَبْصَارَكُمْ كُمَةٌ^(٤) فَأَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ ؛ اللَّهُ أَنْتُمْ أَمَا أَنْتُمْ إِلَّا أَسْوَدُ
الشَّرِّ^(٥) فِي الدَّعَةِ^(٦) ، وَثَعَالِبُ رَوَاغَةٍ حِينَ تُدْعَوْنَ إِلَى الْبَأْسِ أَمَا أَنْتُمْ لِي بِتَقَرٍّ
سَجِيسَ الْيَلَالِ^(٧) ، مَا أَنْتُمْ بِرَكَبٍ يُصَالُ بِكُمْ ، وَلَا ذِي عِزٍّ يُعْتَمَصَمُ إِلَيْهِ ، لَعَمْرُ اللَّهِ لَبِئْسَ
حُشَّاشٌ^(٨) الْحَرْبِ أَنْتُمْ ، إِنَّكُمْ تَكَاذِبُونَ وَلَا تَكِيدُونَ ، وَتُنْقَصُ أَطْرَافَكُمْ
وَلَا تَحَاشَوْنَ^(٩) ، وَلَا يَنْتَهِمُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ ، إِنْ أَخَا الْحَرْبِ الْيَقْظَانُ
ذُو الْعَقْلِ ، وَبَاتَ لَذْلًا مِنْ وَادَعٍ ، وَغُلِبَ الْمُتَخَاذِلُونَ ، وَالْغُلُوبُ مَقْهُورٌ وَمَسْلُوبٌ ،
ثُمَّ قَالَ :

-
- (١) يُؤْخِرُهُمْ . (٢) تَنَاقَلْتُمْ . (٣) مِنَ الْأَلْسِ : كَشَمْسٍ ، وَهُوَ الْجَنُونُ وَاجْتِلَاطُ الْعَقْلِ ،
الْأَسْ (كُفَى) فَهُوَ مَأْلُوسٌ . (٤) كَهْ : جَمْعُ أَكْهَ مِنْ كَهَ بِصَرِّهِ (كَفْرَح) اعْتَرَتْهُ ظُلْمَةٌ تَطْلُسُ عَلَيْهِ .
(٥) الشَّرِّ : مَوْضِعٌ تَنْسَبُ إِلَيْهِ الْأَسَدُ ، قِيلَ هُوَ شَرُّ الْفَرَاتِ وَنَاحِيَتِهِ وَبِهِ غِيَاضٌ وَأَجَامٌ وَمَأْسَلَةٌ .
(٦) أَى فِي وَقْتِ الدَّعَةِ وَالْخَفْضِ . (٧) يَقَالُ : لَا آتِيكَ سَجِيسَ الْيَلَالِ : أَى أَبَدًا .
(٨) جَمْعُ حَاشٍ اسْمُ فَاعِلٍ ، مِنْ حَشَّ النَّارَ : أَى أَوْقَدَهَا . (٩) أَى وَلَا يَتَّقُونَ عَنْ ذَلِكَ وَتَتَلَاوَنَهُ
بِالْفِعَالِ مِنْهَا ، مِنْ حَاشِيَةِ الشَّيْءِ وَهِيَ نَاحِيَتُهُ كَمَا تَقُولُ تَنْحَى عَنْهُ : أَى تَبَاعَدُ عَنْهُ مِنَ النَّاحِيَةِ .

« أما بعد : فإن لي عليكم حقاً ، وإن لكم عليّ حقاً ، فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم ما صحتكم ، وتوفير فينكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقى عليكم ، فالوفاء بالبيعة والنصح لى فى الغيب والشهد ، والإجابة حين أَدعوكم ، والطاعة حين آمرُكم ، فإن يرد الله بكم خيراً تنزعوا عما أكره ، وترجموا إلى ما أحب ، تنالوا ما تطلبون ، وتدرّكوا ما تأملون »

(تاريخ الطبري ٦ : ٥١ ، الإمامة والسياسة ١ : ١١٠)

وروى الشريف الرضى هذه الخطبة فى نهج البلاغة بصورة أخرى وهى :

٣٢٠ - صورة أخرى

« أف لكم ، لقد سئمت عتابكم ، أرَضِيتُمُ بالحياة الدنيا من الآخرة حِوَصاً ، وبالذل من العز خَلَقاً ؟ إذا دعوتكم إلى جهادِ عدوكم دَارَتِ أعينُكم ، كأنكم من الموت فى غَمْرَةٍ ^(١) ، ومن الدُّهول فى سَكْرَةٍ ، يُرْتَجُّ ^(٢) عليكم حِوَارى فَتَمْتَمُونَ ! فكَأَنَّ قلوبكم مَأْلُوسَةٌ فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ ! ما أنتم لى بشقّةٍ سَجِيسٍ الِيبَالِ ، وما أنتم بركن يُمَالُ بِكُمْ ^(٣) ، ولا زَوَافِرٍ ^(٤) عِزٍّ يُفَقِّرُ إِلَيْكُمْ ، ما أنتم إلّا كَالْبِلِّ ضَلَّ رِعَاهُهَا ، فكلما جُمِعت من جانب انشرفت من آخر ، لبئس لمرءٍ اللهُ سَتَرٌ ^(٥) نَارُ الحرب أنتم ، تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ ، وَتَنْتَقِصُ أطرافكم فلا تَمْتَمِضُونَ ^(٦) ، لَا يُنَامُ عنكم وأنتم فى غَفْلَةٍ سَاهُونَ ، غَلِبَ وَاللهُ الْمُتَخَاذِلُونَ ، وَانْتَمَّ اللهُ إِنْى لِأُظَنَ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَسَّ ^(٧) الْوَقْفَى ،

(١) الغمرة : الشدة . (٢) يفلق ، والحوار : المحاوره . (٣) أى يستند إليكم ويمال على

العدو يقوتكم . (٤) جمع زافرة ، والزافرة من البناء : ركنه ، ومن الرجل : عشيرته .

(٥) من سمر النار والحرب : كنع أوقتها مصدر بمعنى اسم الفاعل ، أو هو جمع ساعر ، كقولهم : قوم

ككلم لتنيط جمع كاظم . (٦) أى فلا تنمضون . (٧) اشد ، وكذا استمر ، وأصل الوقى :

الصوت والجلبة ، ثم سميت الحرب ونحو لما فيها من الأصوات والجلبة .

وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتَ ، قَدْ انْفَرَجَتْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، انْفِرَاجَ الرَّاسِ ^(١) ، وَاللَّهُ إِنْ أَمَرَ
يُمْكِنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَمُوتُ ^(٢) لِحُجَّتِهِ ، وَيَهْتِمُ عَظَمَتُهُ ، وَيَغْزِي ^(٣) جَلَدَهُ ، لِعَظِيمِ
عَجْزِهِ ، ضَعِيفُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ ، أَنْتَ فَكُنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ ^(٤) فَأَمَّا أَنَا :
فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالشَّرَفِيَّةِ ^(٥) تَطِيرُ مِنْهُ قَرَّاشٌ ^(٦) الْهَامِ ، وَتَطْلِيحُ
السَّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بِدَلِكِ مَا يَشَاءُ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ لِيَ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ
وَتَوْفِيرُ فَيْتِكُمْ عَلَيْكُمْ ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا ، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا ، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ
بِالْبَيْعَةِ ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الشَّهَادَةِ وَالْمَغِيبِ ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ ، وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمْرُكُمْ .
(نهج البلاغة : ١ : ٤٢)

وزاد ابن قتيبة في الإمامة والسياسة :

« وَاللَّهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، مَا أَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ إِلَّا ظَاهِرِينَ ^(٧) عَلَيْكُمْ ،
فَقَالُوا : أَيْعَلِمُ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ » فَقَالَ :

« نَعَمْ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَرَأَى النَّسَمَةَ ، إِنْ أَرَى أُمُورَهُمْ قَدْ عَلَتْ ، وَأَرَى أُمُورَكُمْ
قَدْ خَبَتْ ^(٨) ، وَأَرَامَ جَادِينَ فِي بَاطِلِهِمْ ، وَأَرَامَ وَانِينَ ^(٩) فِي حَقِّكُمْ ، وَأَرَامَ مُجْتَمِعِينَ ،
وَأَرَامَ مُتَفَرِّقِينَ ، وَأَرَامَ لِصَاحِبِهِمْ مَعَاوِيَةَ مَطْعَمِينَ ، وَأَرَامَ لِي عَاصِينَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَنْ
ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ بَعْدِي ، لَتَجِدُنَّهُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ ، كَأَنَّهُمْ وَاللَّهِ عَنْ قَرِيبٍ قَدْ شَارَكُوكُمْ

(١) أي انفراجا لا لانتام بعده . (٢) حرق العظم عرقا . أكل ما عليه من اللحم ، كتمزقه .

(٣) يغزو . (٤) الخطاب عام لكل من أمكن عدوه من نفسه . (٥) السيوف ، نسبة إلى

مشارف الشام ، وهي قرى من أرض العرب تقنو من الريف . (٦) عظامها الرقيقة .

(٧) متصرون . (٨) من غيب النار ، أي سكنت وانطفأت . (٩) من وني : إذا قدر

في بلادكم ، وحملوا إلى بلادهم منكم ، وكأني أنظر إليكم تَكْشُونَ^(١) كَشَيْشِ الصَّبَابِ ، لا تأخذون لله حَقًا ، ولا تمنعون له حُرْمَةً ، وكأني أنظر إليهم يقتلون صلحاءكم ، ويخيفون علماءكم ، وكأني أنظر إليكم يَحْرِمُونَكم ويَجْبُونَكم ، ويُدْنُونَ الناس دونكم ، فلو قد رأيتم الحرمانَ ، ولقيتم الذل والموان ، ووقع السيفُ ، ونزل الخوفُ ، لنَدِمْتُمْ وتعسرتُم على تفريطكم في جهاد عدوكم ، وتذكّرْتُم ما أنتم فيه من الخلفِ والعافية ، حين لا ينفعكم التَّذْكَارُ .

٣٢١ - خطبة أبي أيوب الأنصاري

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال :

« إن أمير المؤمنين - أكرمه الله - قد أسمع من كانت له أذن واعية ، وقلب حفيظ إن الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حق قبولها ، حيث نزل بين أظهركم ابنُ عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخير المسلمين وأفضلهم وسيدهم بعده ، يُفَقِّهكم في الدين ويدعوكم إلى جهاد المُحِلِّين ، فوالله لكانكم صُمٌّ لا تسمعون ، وقلوبكم غُلْفٌ^(٢) مطبوعٌ عليها ، فلا تستجيبون . عباد الله أليس إنما عهدُكم بالجُورِ والعدوانِ أمس ، وقد شمل العباد وشاع في الإسلام ، فذو حق محرومٌ مشتومٌ عِرضُهُ ، ومضروبٌ ظهرُهُ ، ومطلومٌ وجهه ، وموطوءٌ بطنه ، ومُلَّتْ بالترأسِ^(٣) ، فلما جاءكم أمير المؤمنين صدعَ بالحق ، ونشَرَ العدل ، وعَمِلَ بالكتاب ، فاشكروا نعمة الله عليكم ، ولا تتولوا تُجْرِمِينَ ، ولا تكونوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ، اشحذوا السيوف ، وجددوا آلة الحرب ، واستعدوا للجهاد ، فإذا دُعِيتُم فأجيبوا ، وإذا أمرتُم فأطيعوا ، تكونوا بذلك من الصادقين » .

(الإمامة والسياسة ١ : ١١٢)

(١) كش الصب كشيشا : صوت . (٢) جمع أغلف ، وقلب أغلف كأنما غشى غلافا فهو

لا يرى . (٣) التراء : القضاء لا يستقر فيه شيء .

٣٢٢ - خطبة الامام وقد أغار النعمان بن بشير على عين التمر

وفي سنة ٣٩ هـ فرق معاوية جيوشه في أطراف على ، فبث النعمان بن بشير الأنصارى في ألفين ، فأتوا عين التمر^(١) فأغاروا عليها ، وبها عامل لعل في ثلثائة ، فكتب إلى على يستمده ، فأمر الناس أن ينهضوا إليه فتناقلوا ، فصمد الخير فتشهد ثم قال :

« يا أهل الكوفة : كلما تميمتم بمفسر^(٢) من مناسر أهل الشام أظلكم ، انبحر^(٣) كل امرئ منكم في بيته ، وأغلق بابه ، انبحر الصب في جحره ، والصبغ في وجارها^(٤) ، المنور من غررعه ، ولئن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب ، لا أحرار عند النداء ، ولا إخوان ثقة عند النجاء^(٥) ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! ماذا منيت به منكم ؟ عني لا تبصرون ، وبكم لا تنطقون ، وصم لا تسمعون ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! » .
(تاريخ الطبري ٦ : ٧٧)

وروى الشريف الرضي في نهج البلاغة هذه الخطبة بصورة أخرى وهي :

٣٢٣ - صورة أخرى

منيت^(٦) بمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت ! لا بألكم ، ما تنتظرون بنصركم ربكم ؟ أمادين يجمعكم ، ولا حجة تحمىكم^(٧) ؟ أقوم فيكم مستصرخا ، وأنادىكم متوئعا^(٨) ، فلا تسمعون لي قولا ، ولا تطيعون لي أمرا ، حتى تكشف الأمور

(١) بلد على الفرات شمال الكوفة . (٢) المفسر : قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير .

(٣) من انبحر الصب : أي دخل جحره . (٤) الوجار بالكسر والفتح : جحر الضيق وغيرها .

(٥) النجاء : السرعة في السير ، نجوت مجاه أي أسرعت وسبقت ، وقالوا : النجاء النجاء ، والنجاء النجا

فدوا وقصروا . (٦) بليت . (٧) تنضجكم . (٨) قاتلا واغوثا .

عن عواقب المساء ؟ فما يدرك بكم نأر ، ولا يُبلغ بكم مَرَام ؟ دَعَوْتُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ ، فَجَزَّجَرْتُمْ ^(١) جَزْجَرَةَ الْجَلَلِ الْأَسْرَى ^(٢) وَتَنَاقَلْتُمْ تَنَاقُلَ النَّضْوِ ^(٣) الْأَذْبَرِ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَعَكُمْ جُنَيْدٌ مَتَذَائِبٌ ^(٤) ضَعِيفٌ ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ .
(نهج البلاغة ١ : ٤٦)

٣٢٤ - خطبة الامام وقد أغار الضحّاك بن قيس على الحيرة ^(٥)

وجه معاوية الضحّاك بن قيس فأغار على الحيرة وغنم أموال أهلها ، وبلغ ذلك عليّاً فاستصرخ الناس ، فتمعّدوا عنه ، فقام فيهم خطيباً فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ الْجَمْعَةُ أَبْدَانُهُمْ ، الْمُخْتَلَفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ، كَلَامُكُمْ يُؤْهِى الْعُمْمَ ^(٦) الصَّلَابَ ، وَفُضْلُكُمْ يُطْمِئِنُّ فِيكُمْ الْأَعْدَاءُ ، تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْتَ وَكَيْتٌ ^(٧) ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قَلِمَ حَيْدِي حَيَادٍ ^(٨) ، مَا عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ ، وَلَا اسْتَرَحَ قَلْبٌ مِنْ قَلَاكُمْ ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلٍ ^(٩) ، دَفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ ^(١٠) ، هَيْهَاتَ لَا يَمْنَعُ الضَّمِيمَ الذَّلِيلُ ، وَلَا يُدْرِكُ

(١) الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته ، وأكثر ما يكون ذلك عند الإعياء والتعب .

(٢) المصاب بداء السرور (بالتحريك) ، وهو وجع في الكركرة (دعى زور البعير) .

(٣) النضو : البعير المهزول ، والأذبر : المدهور أي المجرّوح . (٤) جنيد : تصغير جند ،

ومتدائب : أي مضطرب من قولهم : تذاببت الرياح ، أي اضطرب هبوبها ، ومنه سمى الذئب ذئباً لاضطراب

مشيته . (٥) ثمال الكوفة . (٦) يوهى : يشق ويحرق ، والصمم : جمع أصم ، وهو الحجر

الصلب ألصمت . (٧) يفتح آخرهما ويكسر : أي كذا وكذا . (٨) حيدى حياذ : كلمة يقولها

المارب الفار ، من حاد حيدانا بمعنى مال وانحرف ، أي ابعثى وتحنى حتى أيتها الحرب ، وهي نظيرة قولهم

(فيحى فياح) أي اتسعى . (٩) الأضاليل : جمع أضلولة بالضم ، وهي الضلال ، وفي كتب اللغة :

العلالة « بالضم) والعللة (كتحية) ، والعللة (بالفتح) ما يتعلل به » ولم أجد فيها كلمة أعاليل ولا مفرداتها

ولا يد أن تكون جمع أضلولة بالضم : كأضاليل وأعاجيب والأعييب . . الخ . والمعنى إن أموالكم هذه تملل

بأباطيل لا جدوى لها . (١٠) مبالغة في محال .

الحق إلا بالجدِّ ، أئى دار بعد داركم تمنعون ؟ ومع أى إمام بمدى تقاتلون ؟ للفرور والله من غَرَرتموه ، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأخبب ، ومن رعى بكم فقد رعى بأفوق ناصِل^(١) ، أصبحتُ والله لا أصدق قولكم ، ولا أطعم فى نصركم ، ولا أُوعد العدو بكم ، ما بالكم ؟ ما دراؤكم ؟ ما طِبكم ؟ القومُ رجالُ أمثالكم ! أقولاً بغير علم ، وغفلة من غير ورع ، وطمعاً فى غير حق ! » .

وزاد ابن فُتَيْبَةَ فى الإمامة والسياسة :

« فَرَّقَ اللهُ بينى وبينكم ، وأعقبنى بكم من خيرٍ لى منكم ، وأعقبكم بمدى من شرِّ لكم منى ؛ أما إنكم ستلقون بمدى ذلاً شاملاً ، وسيفاً قاتلاً ، وأثرة يتغذى الظالمون بمدى فىكم سُنَّةً ، تفرِّقُ جماعتكم ، وتبسِّك عيونكم ، وتدخل الفقر بيوتكم ، تمننونَ والله عندها أن لورايتمونى ونصرتمونى ، وستعرفون ما أقول لكم عمَّا قليل .

استغفرتكم فلم تنفروا ! ونصحتُ لكم فلم تقبلوا ! وانتمتكم فلم تموتوا ، فأنتم شهود كأغياب ، وصمُّ ذوو أسماع ، أنلو عليكم الحكمة ، وأعظمكم بالموعظة النافعة ، وأحشكم على جهاد المُحلِّين^(٢) ، الظَّلَّةِ الباغين ، فأتى على آخر قولى ، حتى أراكم متفرقين ، وإذا تركتكم عدتم إلى مجالسكم حَلَقاً^(٣) عزَّين^(٤) ، تضربون الأمثال ، وتناشدون الأشعار ، تربت^(٥) أيديكم ، وقد نسيت الحرب واستعدادها ، وأصبحت قلوبكم فارغة عن ذكرها ، وشغلتوها بالأباطيل والأضاليل . » .

(نهج البلاغة : ١ : ٣٩ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١١١ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢٦)

(١) سهم أفوق مكسور الفوق (يضم الفاء) والفوق : مدخل الوتر من السهم ، والناصل : العارِى من النصل . (٢) أى الذين خرجوا على إمامهم واستطاعوا قتاله . (٣) الحلق : مجموعة جمع حلقة (يسكون اللام) وحلقة القوم : الذين يجتمعون مستديرين . (٤) جمع عزة (بالكسر) : وهى الطائفة من الناس . (٥) دماء عليهم : أى خسرتهم ولا أصيبت خيرا ، وأصله من ترب الرجل : أى اختصر كأنه لصق بالتراب .

٣٢٥ - خطبة الإمام

وقد أغار سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار

وجه معاوية سفيان بن عوف الغامدي في جيش ، فأغاروا على الأنبار^(١) وقتلوا عامل على عليها وهو حسان بن حسان البكري ، واحتملوا ما كان في الأنبار من الأموال وأموال أهلها ، واتفق الخبر إلى عليّ فخرج مُغْضِبًا حتى أتى النخيلة ، واتبعه الناس فرقَ رِبَاوَة^(٢) من الأرض ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودَرِيعُ الله الحصينة ، وَجَنَّتُهُ^(٣) الوَيْقَةُ ، فمن تركه رغبة عنه ، ألبسه الله ثوبَ القتل ، وشبهه البلاء ، ودَيْتُ^(٤) بالصغار والعَمَاءَ^(٥) ، وَضُرِبَ على قلبه بالإسهاب^(٦) ، وأُذِلَّ^(٧) الحقُّ منه بتضييع الجهاد ، وسِمَ الخُصْفُ^(٨) ، وَمُنْعَ النِّصْفِ^(٩) ، ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم أغزوم من قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى قوم قطُّ في عُمُرٍ^(١٠) دارهم إلا ذُلُّوا ، فتخاذلتم

(١) بلد على الفرات . (٢) الربوة والرباوة مثلثين : ما ارتفع من الأرض . (٣) وقايته . (٤) ذل ، وأصله من داث الشيء من باب باع : لأن وسهل ومنه الديوث ، وهو الرجل الذي لاغيرة له على أهله ، والصغار : الذل . (٥) فأ : كجمع وكرم ، قامة : ذل وصغر . (٦) هكذا في رواية ابن أبي الحديد ، من أسهب بالضم : أي ذهب عقله ، وفي نهج البلاغة : (طبع الشام) بالأسناد . (٧) من أداله الله من عدوه : أي نصره عليه ، والباء في قوله « بتضييع الجهاد » للمبينة . (٨) أي أول الذل والقسيم ، وفي رواية المبرد « وسيم الخسف » بالإضافة ، والسي : العلامة . قال المبرد : هكذا حدثونا وأظنه سيم الخسف ، من قول الله عز وجل « يَسْؤِمُونَكَمُ سُوءَ الْعَذَابِ » (٩) النصف بالكسر ويثقل ، والنصف والنصفة محركين الإتصاف . (١٠) وسطها وأصلها .

وتوا كلمتُم وتُمل عليكم قولي ، واتخذتموه وراءكم ظهيرياً ، حتى شنت^(١) عليكم الغارات ، ومُلكت عليكم الأوطانُ ، هذا أخو غامد^(٢) قد وردت خيله الأنبار ، وقتل حسان ابن حسان البكرى ، ورجالاً منهم كثيراً ونساء ، وأزال خيلكم عن مسالمتهم^(٣) .

والذى نفسى بيده ، لقد بلغنى أنه كَان يُدْخِل على المرأة المسلة ، والأخرى المعاهدة^(٤) ، فَيَنْزِعُ حِجْلَهَا^(٥) وَقُابَهَا^(٦) ، وَقَلَانِدَهَا وَرُعْثَهَا^(٧) ، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع^(٨) والاسترحام ، ثم انصرفوا وافرین^(٩) ، مانال رجلا منهم كلم^(١٠) ، ولا أريق لهم دم ؛ فلأن امرأ مسلماً مات من دوز هذا أسفاً ، ما كَانَ عندى فيه ملوماً ، بل كَانَ به عندى جديراً .

يَا عَجَباً كُلَّ الْعَجَبِ ! عَجَبٌ يُمِيت القلب ، وَيَشْفِلُ القهم ، وَيُكْثِرُ الأحران ! من تَصَافَرُ^(١١) هؤلاء القوم على باطلهم ، وفشلكم عن حَقِّكم ، حتى أصبحتم غَرَضاً^(١٢) تُرْمَوْنَ وَلَا تُرْمَوْنَ ، وَيُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُتَغِيرُونَ ، وَيُعْصَى أَمْرُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيكُمْ وَتَرْضَوْنَ ، إِذَا قُلْتُمْ لَكُمْ اغْزَوْمُ فِي الشَّتَاءِ ، قُلْتُمْ هَذَا أَوْانُ قَرِيٍّ^(١٣) وَصَبْرٌ ، وَإِنْ قُلْتُمْ لَكُمْ اغْزَوْمُ

(١) شن الغارة عليهم : صباها من كل وجه ، من شن الماء على رأسه إذا صبه .

(٢) يزيد مقيان بن عوف الغامدى قائد الحملة على الأنبار . (٣) جمع مسلحة بالفتح : وهى الفر .

(٤) المعاهدة : ذات العهد ، وهى النعمة . (٥) الحجل بالكسر والفتح : الخلخال ؛ وسمى التقيد

حجلاً لأنه يكون مكان الخلخال . (٦) القلب : سوار المرأة . (٧) الرعثة بالفتح : القروط ،

والجمع رعاث بالكسر ، وجمع الجمع رعث بضمين . (٨) قول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٩) أى تامين ، وفى رواية المبرد : « موقورين » أى لم ينل أحدا منهم بأن يرزأ فى بدن ولا مال .

(١٠) جرح . (١١) تعاون وتناصر . (١٢) وفى رواية نهج البلاغة : « فقبحا لكم وترحاً

حين صرتم غرضاً يرمى » وزادت رواية الجاحظ بعد ذلك : « وفيها يهب » والترح : محركة لهم ،

والغرض : الحذف . (١٣) القر مثلثة القاف : البرد ، والصر : شدة البرد . وفى النهج : « وإذا

أمرتكم بالسير إليهم فى الشتاء ، قلتم هذه صبارة القر ، أمهلنا : ينسلخ عنا البرد » وصبارة الشتاء بتشديد

الراء : شدة برده .

في الصيف ، قلم هذه حماره^(١) القَيْظ ، أَنْظِرْنَا^(٢) يَنْصَرِمِ الحر عنا ، فإذا كُنتم من الحر والبرد تفرّون ، فأنتم والله من السيف أفرّ ! يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا طغاة^(٣) الأحلام ! ويا عقول ربّات الحجال^(٤) ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرْكَمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ ، مَعْرِفَةُ اللَّهِ جَرَّتْ نَدْمًا ، وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا^(٥) ! فأنلكم الله ! لقد ملأتم قلبي قيحًا^(٦) ، وشحنتم صدرى غَيْظًا ، وَجَرَّ عَثْمُوْنِي نُعْبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا^(٧) ، وأفسدتم على رأبي بالعصيان والخذلان ، حتى لقد قالت قريش : إن ابن أبي طالب رجل شجاع ، ولكن لا رأى له في الحرب ! لله درهم^(٨) ! ومن ذا يكون أعلم بها مني ، أو أشدّ لها مِرَاسًا ؟ فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، ولقد نَيْفْتُ^(٩) اليوم على السنين ، ولكن لا رأى لمن لا يُطاع (يقولها ثلاثًا) .

فقام إليه رجل ومعه أخوه^(١٠) فقال :

« يا أمير المؤمنين أنا وأخي هذا ، كما قال الله تعالى : (رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي

- (١) شدة الحر . (٢) أي أمهلنا حتى ينسلخ الحر ، وفي رواية التهج « أمهلنا سيخ عنا الحر » بتشديد الباء المفتوحة : أي يخف ويسكن ، وكل من خفف عنه شيء فقد سيخ عنه ، ومنه قولهم : اللهم سيخ عنى الحمى : أي خففها . (٣) أوغاد الناس ومن لا عقل له ولا معرفة عنده . والأحلام المقول : جمع حلم بالكسر ، ويجمع أيضا على حلوم ، وفي رواية التهج : « حلوم الأطفال » . (٤) الحجال : جمع حجلة بالتحريك ، وهى اللقبة ، وموضع يزين بالستور والثياب للبروس - كناية عن النساء . (٥) السدم : الهم ، أو مع ندم ، أو غيظ مع حزن . (٦) القيح : ما يكون في القرحة من صديدها ، وشحنتم : ملأتم ، وفي رواية الكامل : « ولقد ملأتم جوفى غيظا » . (٧) النعب : جمع نعبة بالفتح والضم ، وهى الجرعة ، والتهام : الهم ، وأنفاسا أى جرعة بعد جرعة ، يقال : اكرع فى إلتناء نفسين أو ثلاثة . (٨) لله دره : أى عمله ، والبر أيضا : اللبن ، أى لله اللبن الذى رضعه ، وهو متجب أريد به التهنيت ، وفي رواية التهج : « لله أبوم » ! (٩) نيفت : زدت ورواية التهج : « وهأنذا قد ذرفت على السنين » أى زدت أيضا . (١٠) الرجل وأخوه : يعمران بابن عفيف من الأنصار .

وَأَخِي (فَمَوَّنَا بِأَمْرِكَ ، فَوَافَقَ كَلْمَتَهُنَّ إِلَيْهِ ، وَلَوْ حَالُ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُ جَرُّ الْقَضَاءِ ^(١)) ، وَشَوْكُ الْقِتَادِ ^(٢) » فَعَدَا لَهَا بِخَيْرٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : « وَأَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ ؟ » ثُمَّ نَزَلَ .

(نهج البلاغة : ١ : ٣٥ ، الكامل المبرد : ١ : ١١ ، البيان والتبيين : ٢ : ٢٥ ، والأغانى : ١٥ : ٤٣)

٣٢٦ — خطبة للحسن بن علي في يوم الجمعة

اعتلَّ الإمام علي كرم الله وجهه يوماً ، فأمر ابنه الحسن رضي الله عنه أن يصلي بالناس يوم الجمعة ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« إِنْ اللَّهُ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا اخْتَارَ لَهُ نَفْسًا وَرَهْطًا وَبَيْتًا ، فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ ، لَا يَنْتَقِصُ مِنْ حَقِّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَحَدٌ ، إِلَّا نَقَصَهُ اللَّهُ مِنْ عَمَلِهِ مِثْلَهُ ، وَلَا يَكُونُ عَلَيْنَا دَوْلَةٌ إِلَّا وَتَكُونُ لَنَا الْعَاقِبَةُ ، وَكَتَمْنَا نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ » . (مروج الذهب : ٢ : ٥٣)

٣٢٧ — خطبة معاوية وقد بلغه هلاك الأشتر

ولما نَمَى إِلَى مَعَاوِيَةَ هَلَاكُ الْأَشْطَرِ النَّخَعِيِّ ^(١) ، قَامَ فِي النَّاسِ خُطْبِيًّا ، فَحَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ :

(١) شجر جمره يبق طويلا . (٢) شجر صلب له شوك كالإبر .

(٣) هو هالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي توفى سنة ٣٨ هـ . روى المؤرخون أنه مات مسموماً سمه معاوية ، وذلك أن الإمام علياً كان قد ولي على مصر محمد بن أبي بكر ففسدت عليه ، وغرقت عليه بها خوارج ، فبعث إليها الأشتر وأتت معاوية عيونه فأخبروه بولاية الأشتر ، فغضب ذلك عليه ، وقد كان طمع في مصر ، فلم أنه إن قدمها كان أشد عليه من ابن أبي بكر ، فبعث إلى الجليستان (رجل من أهل الخراج) ، فقال له : إن الأشتر قد ولي مصر ، فإن أنت كفيته لم آخذ منك خراجاً ما بقيت ، (وقيل قال له أنك خراجك عشرين سنة) فاحتل له بما قدرت عليه ، وغرج الأشتر من العراق إلى مصر ، فلما انتهى =

« أما بعد : فإنه كانت لعل بن أبي طالب يدان يمينان ، قُطِعَت إحداهما يوم صفين
(يعنى عمار بن ياسر) ، وقُطِعَت الأُخرى اليوم (يعنى الأُشتر) . »

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥٤)

« إلى القلزم استقبله الجايستار ، فقال : هذا منزل وهذا طعام وعلف ، وأنا رجل من أهل الخراج ، فنزل به
الأشتر ، وسأل الدهقان : أى الطعام والشراب أحب إليه ؟ قيل للسل ، فأهدى له صلا قد جعل فيه سما
وقال : إن من شأنه كذا وكذا ، فتناول منه شربة ، فا استقرت في جوفه حتى ثلث ، وأق من كان معه
على الدهقان ومن معه ، فبلغ ذلك عليا ، فقال : « اليلين والقم » وبلغ معاوية ، فقال : « إن لله جنودا
منها السل » . »

فتنة البصرة

تسيير معاوية عبد الله بن عامر الحضرمي إليها ومقتله

لما قُتل محمد بن أبي بكر بمصر وظهر معاوية عليها (سنة ٤٣٨ هـ) دعا عبد الله ابن عامر الحضرمي ، فقال له : « سِرْ إِلَى الْبَصْرَةِ فَإِنَّ جُلَّ أَهْلِهَا يَرُونَ رَأْيَنَا فِي عُمَانَ ، وَيُظْلِمُونَ قَتْلَهُ ، وَقَدْ قُتِلُوا فِي الطَّلَبِ بَدْمَهُ ، فَهُمْ مَوْتُورُونَ حَتْفُونَ لِمَا أَصَابَهُمْ ، وَذَوَا لَوْ يَجِدُونَ مِنْ يَدْعُوهُمْ وَيَجْمَعُهُمْ ، وَيَنْهَضُ بِهِمْ فِي الطَّلَبِ بَدْمَ عُمَانَ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابًا ، وَأَمْرَهُ إِذَا قَدِمَ أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ^(١) ، فَمَضَى حَتَّى نَزَلَ الْبَصْرَةَ فِي بَنِي تَيْمٍ ، فَسَمِعَ بِقُدُومِهِ أَهْلَ الْبَصْرَةِ ، فَجَاءَهُ كُلُّ مَنْ يَرَى رَأْيَ عُمَانَ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ رَهْوسُ أَهْلِهَا .

(١) وكان الذي سدد لمعاوية رأيه في تسيير ابن الحضرمي كتاب كتبه إليه عباس بن صهار العبدي ، وفيه : « أما بعد : فقد بلغنا وقمتك بأهل مصر الذين بغوا على إمامهم ، وقتلوا خليفتهم طعماً وبغياً ، فقررت بذلك الميرون ، وشفيت بذلك النفوس ، وبردت أفتنة أقوام كانوا لقتل عثمان كارهين ، ولعدوه مفارقين ، ولسك موالين ، وبك راضين ، فإن رأيت أن تبث إلينا أميراً طيباً ذكياً ذا عفاف ودين إلى الطلَبِ بَدْمَ عُمَانَ فَعَلْتُ ، فَإِنِّي لَا إِخَالَ النَّاسِ إِلَّا بِمَجْمَعٍ عَلَيْكَ ، وَإِنْ ابْنُ حِجَاسٍ غَائِبٌ عَنِ الْمَصْرِ وَالسَّلَامُ » فكتب إليه معاوية « أما بعد : فقد قرأت كتابك ، فعرفت نصيحتك ، وقبلت مشورتك . وحك الله وسدك ، أثبت هناك الله على رأيك الرشيد ، فكأنك بالرجل الذي سألت قد أتاك ، وكأنك بالجيش قد أهل عليك ، فسررت وحييت والسلام » .

٣٢٨ - خطبة عبد الله بن عامر الحضرمي

نحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس : فإن إمامكم إمام المدي عثمان بن عفان ، قتله على بن أبي طالب ظلماً ، فطلبتم بدمه ، وقتلتم من قتله ، فجزاكم الله من أهل مصر خيرًا ، وقد أصيب منكم الملاء الأخيار ، وقد جاءكم الله ياخوان لكم ، لهم بأسٌ يُتَّقَى ، وعددٌ لا يُحصى ، فلقوا عدوكم الذين قتلواكم ، قبلوا الناية التي أرادوا صابرين ، ورجعوا وقد نالوا ما طلبوا ، فالنوم^(١) وساعدوهم ، وتذكروا ثأركم ، لينشؤوا صدوركم من عدوكم . »

٣٢٩ - خطبة الضحّاك بن عبد الله الهلالي

فقام إليه الضحّاك بن عبد الله الهلالي فقال :

« قَبِّحَ اللهُ مَا جِئْنَا بِهِ ، وما دعوتنا إليه ، جئنا والله بمثل ما جاء به صاحبك : طلحة والزبير ، أتينا وقد بايعنا علياً واجتمعنا له ، فكلّمنا واحدة ، ونحن على سبيل مستقيم ، فدعوانا إلى الفرقة ، وقامنا فيها بِرُخْرُفِ القول ، حتى ضربنا بِمَقْصَنَا يعض هُدُونًا وظلمًا ، فاقبلنا على ذلك ، وإيم الله ما سلّمنا من عظيم وبالٍ ذلك ، ونحن الآن مُجْمِعُونَ على بيعة هذا العبد الصالح ، الذي أقال الثمرة ، وعَفَا عن السوء ، بأخذ بيعة غائبنا وشاهدنا ، أفتأمرنا الآن أن نختلج أسيافتنا من أعنابها ، ثم يضربَ بعضنا بعضاً ، ليكون معاوية أميراً ، وتكون له وزيراً ، ونُغْدِلَ بهذا الأمر عن علي ؟ والله لَيَوْمٌ من

(١) ساعدوهم .

أيام على مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، خير من بلاء معاوية وآل معاوية ، لو بقوا في الدنيا ، ما الدنيا باقية^(١) .

قام عبد الله بن حازم الثعلبي ، قال للضحاك : « اسكت فلت بأهل أن تتكلم في أمر العاتة » ثم أقبل على ابن الحضرمي ، قال : « نحن يدك وأنصارك . والقول ما قلت ، وقد فهمنا عنك ، فاذعنا أني شئت » قال الضحاك لابن حازم : « يا ابن السوداء^(٢) ، والله لا يمر من نصرت ، ولا يذل يخذلناك من خذلت » فثابما .

٣٣٠ - خطبة عبد الرحمن بن عمير القرشي

قام عبد الرحمن بن عمير بن عثمان القرشي التميمي فقال :

« عباد الله : إننا لم ندعكم إلى الاختلاف والفرقة ، ولا نريد أن تقتتلوا وتتنازوا^(٣) ولكننا إنما ندعوكم إلى أن تجمعوا كلتكم ، وتوازرُوا إخوانكم الذين هم على رأيكم ، وأن تلقوا شعثكم ، وتصلحوا ذات بينكم ، فهلاً مهلاً رحمكم الله ، استمعوا لهذا الكتاب ، وأطيعوا الذي يقرأ عليكم . »

فلما قرئ عليهم الكتاب ، قال معظمهم : « سمعنا وأطعنا » وقال الأحنف بن قيس : « أما أنا فلا ناقة لي في هذا ولا جبل^(٤) » ، واعتزل أمرهم ذلك ، وقال عمرو بن مرحوم من عبد القيس : « أيها الناس ، الزموا طاعتكم ، ولا تنكثوا بيعتكم ، ففتح

(١) ما : ظرفية ، أي مادامت الدنيا باقية . (٢) وكانت أمه سوداء حبشية يقال لها حبل .

(٣) التنازع : معركة للقب ، والتنازع : التنازع بالانقلاب . (٤) أصل للتل الحارث

ابن عباد البكري حين قتل جاس بن مرة كلياً : وهاجت الحرب بين بكر وتلب (حرب البسوس) وكان الحارث قد اعتزلهما ، والقصة مشهورة .

بكم واقعة ، وتصيبكم قارعة^(١) ، ولا يكن بسدها لكم بقية ، ألا إني قد نصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين .

ثم إن الناس أقبلوا إلى ابن الحضرمي وكثر تبسه - وكان الأمير بالبصرة يومئذ زياد ابن أبيه استخلفه عبد الله بن عباس وقدم الكوفة على علي عليه السلام يعزيه عن محمد ابن أبي بكر - فأفزع ذلك زيادا وهاله ، وخنلى قصر الإمارة ، واستجار بالأزد فأجاروه ، وكتب إلى ابن عباس بالأمر ، وطلب إليه أن يرفع ذلك إلى أمير المؤمنين ، ليرى فيه رأيه ، وغلب ابن الحضرمي على ما يليه من البصرة وجباها ، وأجمت الأزد على زياد ، وأعدوا له منبراً وسريراً وشروطاً .

٣٣١ - خطبة زياد بن أبيه

فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا مشير الأزد : إنكم كنتم أعدائي ، فأصبحتم أوليائي وأولى الناس بي ، وإني لو كنت في بني تميم ، وابن الحضرمي فيكم ، لم أطمع فيه أبداً ، وأنتم دوني ، فلا يطع ابن الحضرمي فيّ وأنتم دوني ، وليس ابن آكلة الأكباد - في بقية الأحزاب وأولياء الشيطان - بأدنى إلى القلبة من أمير المؤمنين في المهاجرين والأنصار ، وقد أصبحت فيكم مضموناً ، وأمانة مؤداة ، وقد رأينا وقتكم يوم الجمل ، فاصبروا مع الحق صبركم مع الباطل ، فإنكم لا تتمدون إلا على النجدة ، ولا تتمدون على الجبن . »

٣٣٢ - خطبة شيان الأزدي

فقام شيان الأزدي - ولم يكن شهد يوم الجبل وكان غائباً - فقال :

« يا معشر الأزد : ما أبقت عواقب الجبل عليكم إلا سوء الذكر ، وقد كنتم أميس على علي عليه السلام ، فكونوا اليوم له ، واعلموا أن إسلامكم^(١) له ذل ، وخذلانكم إياه عار ، وأنتم حتى مضاركم الصبر ، وعاقبتكم الوفاء ، فإن سار القوم بصاحبهم فسيرُوا بصاحبكم ، وإن استمدُّوا معاوية فاستدُّوا علياً عليه السلام ، وإن وادعوك فوادعوم » .

٣٣٣ - خطبة صبرة بن شيان

ثم قام صبرة ابنه ، فقال :

« يا معشر الأزد : إنا قلنا يوم الجبل نمنع مصرتنا ، ونطبع أمتنا ، ونطلب دم خليفتنا المظلوم ، نجددنا في القتال ، وأقننا بعد انهزام الناس ، حتى قُتِل منا من لا خير فينا بعده ، وهذا زياد جاركم اليوم ، والجار مضمون ، ولسنا نخاف من علي ما نخاف من معاوية ، فهبُّوا لنا أنفسكم ، وامنموا جاركم ، أو فأبلفوه مأمنه » .
فنالت الأزد : إنما نحن لكم تبع فأجبروه .

٣٣٤ - خطبة الإمام علي

واستنفر علي بن تميم أياماً لينهض منهم إلى البصرة من يكفيه أمر ابن الحضرمي ، ويرد عادية بني تميم الذين أجاروه بها ، فلم يجبه أحد فخطبهم وقال :

« أليس من العجب أن يعصرني الأزدي ^(١) ، وَتَحْدَثُنِي مُضَرٌّ ؟ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ تَقَاعُدُ تَيْمِ الْكُوفَةِ بِي ، وَخِلَافُ تَيْمِ الْبَصْرَةِ عَلَيَّ ، وَأَنْ أَسْتَعِجِدَ بِطَائِفَةٍ مِنْهَا تَشْغَصُ إِلَى إِخْوَانِهَا فَتَدْعُوهُمْ إِلَى الرَّشَادِ ، فَإِنْ أَجَابَتْ وَإِلَّا قَالَتُنَابِذَةٌ وَالْحَرْبُ ، فَكَأَنِّي أَخَاطِبُ صُبَّانًا بِكُفَا ، لَا يَفْقَهُونَ حِوَارًا ، وَلَا يُجِيبُونَ نَدَاءَ ، كُلُّ هَذَا جُنُبًا عَنِ الْبَاسِ ، وَحُبًّا لِلْحَيَاةِ ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا ، وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا ^(٢) ، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ، وَمُضِيًّا عَلَى الْأَمْرِ ^(٣) ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُونَا يَتَصَاوَلَانِ ^(٤) تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ ^(٥) أَنْفُسُهُمَا ، أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ ، فَرَّةٌ لَنَا مِنْ عَدُونَا ، وَمَرَّةٌ لِعَدُونَا مِنَّا ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُونَا الْكَبْتَ ^(٦) ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ ^(٧) ، وَمَتَّبِعُونَا أَوطَانَهُ ، وَلَمْعَرَى لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ ، وَلَا اخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ ، وَإِيمَ اللَّهُ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَمًا ^(٨) ، وَلَتَقْتُلُنَّهَا نَدْمًا » .

فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْيُنُ بْنُ ضُبَيْعَةَ الْمُجَاشِعِيُّ ^(٩) فَقَالَ :

« أَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَكْفَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْخَطْبُ ، وَأَتَكْفِلُ لَكَ بِقَتْلِ ابْنِ الْخَضِرِيِّ ، أَوْ إِخْرَاجِهِ عَنِ الْبَصْرَةِ » فَأَمَرَهُ بِالْهَيْؤَةِ لِشَخْصٍ ، فَشَخَصَ إِلَى الْبَصْرَةِ .

-
- (١) هم من العرب اليمانيين . (٢) قتلهم الأقارب في ذات الله كثير ، قتل على عليه السلام الجهم الغفير من بني عبد مناف وبني عبد الدار في يوم بدر واحد وهم عشيرته وبنو عمه ، وقتل عمر بن الخطاب يوم بدر خاله العاص بن هاشم بن المغيرة ، وقتل حمزة بن عبد المطلب شبيهة بن ربيعة يوم بدر وهو ابن عمه ، ومثل ذلك كثير مذكور في كتب السيرة . (٣) لقم الطريق : المجادة الواضحة منها . (٤) التصاول : أن يصول كل من القوتين على صاحبه . (٥) التخالس : التناوب ، أي يفتي كل أن يسلب روح الآخر . (٦) الإذلال . (٧) جران البعير : مقدم عنقه ، وهو كناية عن التمكن كالبعير يلقى جراته على الأرض . (٨) يقال لمن أسرف في الأمر : تحتلبن دما ، وأصلها اللقاة يفترط في حلها فيحلب الخالب الدم . (٩) مجاشع بن دارم : أبو قبيلة من تميم ، وأعين بن ضبيعة ، هو الذي عقر الجمل الذي كانت عليه مائسة يوم الجمل .

٣٣٥ - خطبة أعين بن ضبيعة

فلما قدما دخل على زياد ، وهو بالأزد مقيم فأخبره بأمره ، ثم خرج فأتى رَحْله ،
فجمع إليهم رجالا من قومه ، فحَدَّثَ الله وأثنى عليه ثم قال :

« يا قوم : على ماذا تقتلون أنفسكم ، وتَهْرِيقُونَ دماءكم ، على الباطل مع السفهاء
الأشرار ؟ وإنى والله ما جئكم حتى عُيِّيتَ إليكم الجنود ، فإن تُنْبِئُوا إلى الحق يُقْبَلْ
منكم وَيُكَفَّ عَنْكُمْ ، وإن أبيتُمْ فهو والله استئصالكم وبواركم » .

فقالوا بل نسع ونطيع ، فهض بهم إلى جماعة ابن الحضرمي ، فخرجوا إليه مع
ابن الحضرمي وواقعهم عامة يومه يناشدهم الله ويقول : « يا قوم لا تنكثوا بيبسكم ،
ولا تخالفوا إمامكم ، ولا تجملوا على أنفسكم سبيلا ، فقد رأيتم وجرّبتم كيف صنع الله بكم
عند نكثكمُ بيبسكم وخلافكم » .

فكفوا عنه وهم في ذلك يشتمونه وينالون منه فانصرف عنهم ، فلما أوى إلى رحله
تبعه عشرة قَرَّ يظن الناس أنهم خوارج فقتلوه ، وكتب زياد إلى الإمام بذلك ،
فأشخص إليهم جارية بن قدامة .

٣٣٦ - خطبة جارية بن قدامة

فلما دخل البصرة بدأ بزياد ، فواجهه ساعة وساءله ، ثم خرج من عنده ، فقام
في الأزد فقال :

« جزاكم الله من حَيٍّ خَيْرًا ، ما أعظم غناءكم ^(١) ، وأحسن بلاءكم ، وأطوعكم

(١) أي كفايتكم وقسمكم .

لأميركم ، لقد عرفتم الحق إذ ضيَّعُ من أنكره ، ودعوتهم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه «
ثم قرأ عليهم كتاب عليّ عليه السلام ، فقام صَيِّدَة بن شيان ، قال : « سمعنا وأطعنا ،
ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حَرْبٌ ، ولن سالم سَلِمٌ ، إن كفيت يا جارية قومك بقومك
فذاك ، وإن أحببت أن تنصرك نصرناك » وقام وجوه الناس فكلّموا بمثل ذلك ، فلم
يأذن لأحد منهم أن يسير معه ، ومضى نحو بني تميم .

٣٣٧ - خطبة زياد

قام زياد في الأزد قال :

« يا مشر الأزد : إن هؤلاء كانوا أمسِ سلا ، فأصبحوا اليوم حربا ، وإنكم
كنتم حربا فأصبحتم سلا ، وإنى والله ما اخترتكم إلا على التجربة ، ولا أقت فيكم إلا
على الأمل ، فما رَضِيتُم أن أجرتموني ، حتى نَصَبْتُم لى مِنبراً وسريراً ، وجعلتم لى شُرطاً
وأعواناً ، ومُنَادياً وَجْعةً ، فما قُدتُ بحضرتكم شيئاً إلا هذا الدرهم لا أجبيه اليوم ، فإن لم
أُجِبِ اليَوْمَ أجِبُهُ غداً إن شاء الله ، واعلموا أن حربكم اليوم معاويةَ أيسرُ عليكم في الدنيا
والدين من حربكم أمسِ عليّاً ، وقد قَدِمَ عليكم جاريةُ بن قُدّامة ، وإنما أرسله على لِيَصْدَعَ
أمر قومه ، والله ما هو بالأمير الطاع ، ولو أدرك أَمَلُهُ في قومه لرجع إلى أمير المؤمنين ، ولكن
لى تَبَعاً ، وأنتم المائتَةُ العظى ، والجمرة الحامية ، قَدَّمُوهُ إلى قومه ، فإن اضطرُّ إلى
نصركم ، فسيروا إليه إن رأيتم ذلك » .

٣٣٨ - خطبة أبي صبرة شيان

قام أبو صبرة شيان فقال :

« يا زياد ، إني والله لو شهدت قومي يوم الجمل رجوت ألا يقاتلوا علياً ، وقد مضى الأمر بما فيه ، وهو يوم بيوم ، وأمر بأمر ، والله إلى الجزاء بالإحسان أسرع منه إلى الجزاء بالسّيِّ ، والتوبة مع الحق ، والعفو مع الندم ، ولو كانت هذه فتنةً لدعونا القوم إلى إبطال الدماء ، واستئناف الأمور ، ولكنها جماعةٌ ، دماؤها حرام ، وجروحها قصاصٌ ونحن معك نخبٌ ما أحببت . »

فمجب زياد من كلامه ، وقال : « ما أظنُّ في الناس مثل هذا . »

٣٣٩ - خطبة صبرة بن شيان

ثم قام صبرة ابنه فقال :

« إنا والله ما أصبنا بمصيبة في دين ولا دنيا ، كما أصبنا أمس يوم الجمل ، وإنا لندرجو اليوم أن يُنَحَّصَ^(١) ذلك بطاعة الله وطاعة أمير المؤمنين . وأما أنت يا زياد ، فوالله ما أدركت أملك فينا ، ولا أدركنا أملنا فيك ، دون ردك إلى دارك ، ونحن راؤوك إليها غداً إن شاء الله تعالى ، فإذا قتلنا فلا يكن أحد أولى بك منا ، فإنك إلّا تفعل لم تأت ما يُشبهك ، وإنا والله نخاف من حرب علىّ في الآخرة ، ما لا نخاف من حرب معاوية في الدنيا ، فقدّم هواك ، وأخر هوانا ، فنحن معك وطوئُك . »

(١) من حصّ الذهب بالنار كقطع : أغلصه ما يشوبه .

٣٤٠ - خطبة خنفر الحمانى

ثم قام خنفر الحمانى فقال :

« أيها الأمير : إنك لو رضيت منا بما ترضى به من غيرنا ، لم نرض ذلك لأنفسنا ، سربنا إلى القوم إن شئت ، وإيم الله ما لقينا يوماً قط إلا اكتفينا بعقوبنا^(١) دون جُهدنا ، إلا ما كان أمس . »

أما جارية فإنه كلم قومه فلم يجيبوه ، وخرج إليه منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه ، فأرسل إلى زياد والأزد يستصرخهم ، فسارت الأزد بزياد ، وخرج إليهم ابن الحضرمي وعلى خيله عبد الله بن حازم السلى ، فاقتتلوا ساعة ، فالتبثوا بنى تميم أن هزموم ، وحصرُوا ابن الحضرمي في إحدى دور البصرة ، في عِدَّة من أصحابه ، وحرقت جارية الدار عليهم ، فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلاً ، وسارت الأزد بزياد حتى أوطنوه قصر الإمارة معه بيت المال ، وقالوا له : هل بقي علينا من جوارك شيء ؟ قال : لا ، فانصرفوا عنه ، وكتب زياد بذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام .

(شرح ابن أبي الحديد : ١ ص ٣٤٨ ، ونهج البلاغة : ١ : ٥٣)

٣٤١ - صعصعة بن صوحان ومعاوية

أرسل على تكريم الله وجهه إلى معاوية بالشام كتاباً صُحِّبَ صعصعة بن صوحان ، فسار به حتى أتى دمشق ، فأتى باب معاوية ، فقال لِأَزْنِهِ ، استأذن لرسول أمير المؤمنين على بن أبي طالب . وبالباب جماعة من بنى أمية - فاخذته التمال والأيدى ، لقوله « أمير المؤمنين » ، وكثرت عليه الجلبة ، فاتصل ذلك بمعاوية ، فأذن له ، فدخل عليه ،

(١) العقوب : الزيادة .

فقال : السلام عليك يا بن أبي سفيان ، هذا كتاب أمير المؤمنين ، فقال معاوية : أما إنه لو كانت الرسل تُقْتَلُ في جاهلية أو إسلام لقتلتك ، ثم اعترضه معاوية في الكلام ، وأراد أن يستخبره ، ليعرف طبعاً أو تكلفاً ، فقال له من الرجل ؟ قال من زرار ، قال وما كان زرار ؟ قال كان إذا غزا انكش^(١) ، وإذا لقي افرش^(٢) ، وإذا انصرف افرش^(٣) ، قال فمن أي أولاده أنت ؟ قال من ربيعة ، قال وما كان ربيعة ؟ قال : كان بطيل النجد^(٤) ، ويعول العباد ، ويضرب بيقاع الأرض العِمَادَ . قال فمن أي أولاده أنت ؟ قال من جديلة ، قال وما كان جديلة ؟ قال كان في الحرب سيفاً قاطعاً ، وفي المسكرات غيثاً نافقاً ، وفي القاء لهما ساطعاً ، قال فمن أي أولاده أنت ؟ قال من عبد القيس ، قال وما كان عبد القيس ؟ قال كان حسنًا أبيض^(٥) ومهاجياً ، يقدم لضيفه ما وجد ، ولا يسأل عما قَدَّ ، كثير المرق ، طيب المرق ، يقوم للناس مقام النيث من السماء ، قال ويمحك يا بن صوحان ! فارتكت لهذا الحي من قريش مجدًا ولا خسرًا ؟ قال بلى والله يا بن أبي سفيان ؟ تركت لهم ما لا يصلح إلا لهم ، تركت لهم الأحمر والأبيض والأصفر^(٦) ، والسرير والمنبر^(٧) ، وللك إلى المحشر . ففرح معاوية ، وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها ، قال : صدقت يا بن صوحان ، إن ذلك لكذلك ، فرف صمصة ما أراد ، فقال : ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد^(٨) ، بعدتم عن أنف^(٩) للرعي ، وعلوتم عن عذب الماء ، قال ولم ذلك ؟ ويلك يا بن صوحان ! فقال الويل لأهل النار ،

(١) انكش وتكش : أسرع ، والكيش : الرجل السريع . (٢) افرش فلانا : غلبه وصره . (٣) افرش الشيء : جمعه وكسبه . (٤) حائل السيف ، وهو كناية عن طول القامة . (٥) أي أبيض اللون كناية عن أنه حر لا رقيق ، أو أبيض العرض فقيه . (٦) الأحمر : الذهب ، والأبيض : الفضة (والسيف أيضا) والأصفر : الذهب . كناية عن الثنى والثروة (وقد كان لقريش في الجاهلية مركز تجاري هام) . (٧) كناية عن الملك والمقدرة الخالية . (٨) أورد إليه الله وأصدرها : ردّها وأرجعها . (٩) دوسة أنف : لم ترع .

ذلك لبني هاشم ، قال قم ، فأخرجوه . فقال صمصمة : الوعد بيني وبينك لا الوعيد ، من أراد المناجزة ، يقبل المناجزة^(١) ، فقال معاوية لشيء ما سؤده قومه ، ودِدْتُ أنى من صلبه ، ثم التفت إلى بني أمية فقال : هكذا فلتكن الرجال !
(صبح الأعشى ١ : ٢٥٤ ، ومروج الذهب ٢ : ٧٧)

٣٤٢ - صورة أخرى

وروى أبو علي القالى هذا الخبر فى الأمالى بصورة أخرى ، قال :
« دخل صمصمة بن صوحان على معاوية أول ما دخل عليه - وقد كان يبلغ معاوية عنه فقال معاوية : بمن الرجل ؟ فقال رجل من يزّار ، قال وما زار ؟ قال : كان إذا غزا انحوش^(٢) ، وإذا انصرف انكش ، وإذا لقي افتش ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من ربيعة ، قال : وما ربيعة ؟ قال كان يغزو بالليل ، ويُغير بالليل ، ويجود بالنّيل ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من أمهر^(٣) ، قال : وما أمهر ؟ قال : كان إذا طلب أنفى^(٤) ، وإذا أدرك أرضى ، وإذا آب أنفى^(٥) ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من جديلة قال : وما جديلة ؟ قال : كان يطيل النّجاد ، ويعدّ الجياد ، ويحمّد الجِلاد ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من دُعِي ، قال : وما دُعِي ؟ قال : كان ناراً ساطعاً ، وشرّاً قاطعاً ، وخيراً نافعاً ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من أنفى

(١) وفى مروج الذهب : « من أراد المشاجرة قبل المحاربة » والوارد فى الأمثال : « المناجزة قبل المناجزة » أى المسألة قبل المماثلة فى القتال ، يضرب لمن يطلب الصلح بعد القتال . (٢) لم أجده هذه الكلمة فى كتب اللغة ، وأرى أنها محرقة عن (احترش) كما ورد فى رواية صبح الأعشى ، وإن اختلف تأليف الجمل فى الروايين . (٣) وفى نسخة : « من أسد ، قال وما أسد ؟ » . (٤) أنفى إل لشيء : وصل إليه . (٥) أنفى بغيره : هزله ، وأنفى للثوب : أهله .

قَالَ : وَمَا أَفْصَى ؟ قَالَ كَانَ يَنْزِلُ الْقَارَاتُ ^(١) ، وَيَكْثُرُ الْغَارَاتُ ، وَيَحْمِي الْجَارَاتُ ، قَالَ :
فَنِ أَيْ وَلَدَهُ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ : وَمَا عَبْدُ الْقَيْسِ ؟ قَالَ : أَبُطَالُ ذَادَةُ ^(٢) ،
جَبَّاحِيَّةُ ^(٣) سَادَةُ ، صَنَادِيدُ قَادَةُ ، قَالَ : فَنِ أَيْ وَلَدَهُ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أَفْصَى ، قَالَ : وَمَا
أَفْصَى ؟ قَالَ : كَانَتْ رَمَاهُمْ مُشْرَعَةً ^(٤) وَقُدُورُهُمْ مُتْرَعَةً ^(٥) ، وَجِفَانُهُمْ مُفْرَعَةً ، قَالَ :
فَنِ أَيْ وَلَدَهُ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ لُكَيْزٍ ، قَالَ : وَمَا لُكَيْزٌ ؟ قَالَ : كَانَ يَبَاشِرُ الْقِتَالَ ،
وَيَمَانِقُ الْأَبْطَالَ ، وَيُبَدِّدُ الْأَمْوَالَ ، قَالَ : فَنِ أَيْ وَلَدَهُ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ عِجْلِ ، قَالَ :
وَمَا عِجْلٌ ؟ قَالَ : الْبَيْوْتُ الضَّرَاغَةُ ^(٦) ، الْمُلُوكُ الْقَصَافَةُ ^(٧) ، الْقُرُومُ الْقَشَاعَةُ ^(٨) ، قَالَ :
فَنِ أَيْ وَلَدَهُ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ كَعْبٍ ، قَالَ : وَمَا كَعْبٌ ؟ قَالَ : كَانَ يُسَعِّرُ ^(٩) الْحَرْبَ ،
وَيُجِيدُ الضَّرْبَ ، وَيَكْشِفُ الْكَرْبَ ، قَالَ : فَنِ أَيْ وَلَدَهُ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ مَالِكٍ ،
قَالَ : وَمَا مَالِكٌ ؟ قَالَ : هُوَ الْهَبَامُ لِلْهَمَامِ ، وَالْقَمَقَامُ لِلْقَمَامِ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ . مَا تَرَكْتُ لِهَذَا
الْحَيِّ مِنْ قَرِيضٍ شَيْئًا ، قَالَ : بَلْ تَرَكْتُ أَكْثَرَهُ وَأَحَبَّهُ ، قَالَ : وَمَاهُو ؟ قَالَ : تَرَكْتُ لَهُمُ
الْوَبَرَ وَالْمَدَرَ ^(١٠) وَالْأَبْيَضَ وَالْأَصْفَرَ ، وَالصَّفَا وَالْمُشَمَّرَ ^(١١) ، وَالْقَبَةَ وَالْمَفْخَرَ ، وَالسَّرِيرَ
وَالْمَنْشِيرَ ، وَالْمُلْكَ إِلَى الْمَحْشَرِ ، قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ يَسُوءُنِي أَنْ أَرَاكَ أَسِيرًا قَالَ : وَأَنَا
وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ يَسُوءُنِي أَنْ أَرَاكَ أَمِيرًا ، ثُمَّ خَرَجَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ ، فَرُدَّ ، وَوَصَلَهُ وَأَكْرَمَهُ .

(الأمال ٢ : ٢٣٠)

* * *

(١) القارات : جمع قارة ، وهي الجبل الصغير . (٢) جمع ذائد ، وهو المدافع .

(٣) جمع جيجيج : وهو السيد ، كالجيجاج . (٤) مسددة . (٥) ملوذة ،

(٦) جمع ضرغام ، وهو الأسد . (٧) جمع ققام بالفتح ويضم ، وهو السيد .

(٨) القروم ، جمع قرم : كشهم ، وهو السيد ، والقشاعة : جمع قشعم ، كجعفر ، وهو الرجل

المسن (كناية من كثرة التجربة) والأسد . (٩) سمر الحرب : كنع ، وسمرها : أوقدها .

(١٠) كناية من البادية ، والمدن : المدن والحضر . (١١) شمار الحج بالكسر : مناسكه وعلاماته ،

والشعيرة والشمازة بالفتح ، والمشمع موضعها ، والمشمع الحرم : بالمزدلفة .

وروى المسعودى فى مروج الذهب قال :

« قال معاوية يوماً وعنده مصصة ، وكان قدّم عليه بكتاب علىّ ، وعنده وجوه الناس : « الأرض لله ، وأنا خليفة الله ، فما آخذ من مال الله فهو لى ، وما تركت منه كان جائزاً لى » فقال مصصة :

نُفْسُكَ مَالاً يَكُونُ جَهْلًا ، مُعَاوِيَ لَا تَأْتِمُرُ

فقال معاوية : يا مصصة تملّكت الكلام ، قال : العلم بالعلم ، ومن لا يعلم يجْهَلُ ، قال معاوية : ما أحوجك إلى أن أذيقَكَ وَبَالَ أَمْرِكَ ، قال : ليس ذلك بيدك ، ذلك بيد الذى لا يُؤَخَّرُ نفساً إذا جاء أجلها ، قال : ومن يحول بينى وبينك ؟ قال : الذى يحول بين المرء وقلبه ، قال معاوية : اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير لشعره ، قال : اتسع بطن من لا يشبع^(١) ، ودعا عليه من لا يجمع^(٢) .
(مروج الذهب ٢ : ٧٩)

(١) يمرض بمعاوية إذا كان مبطانا (أى أكولا) وكان أيضا بطينا (أى عظيم البطن) ، وقد قال فيه سينا هل فى رقعة صفين :

أضربهم ولا أرى معاوية الجاحظ العين العظيم الخاوية

(والخواوية ماتحوى من الأسماء أى العظيم البطن) .

(٢) دعا عليه : مطوف هل لايشع : أى اتسع بطن من دعا عليه من لا يجمع ، والمراد بمن لا يجمع النسي عليه الصلاة والسلام ، وقد دعا على معاوية بالهم وعدم الشج ، ومعنى لا يجمع أى لا يجمع الدنيا ولا يجمع إليها . وهو تعريض آخر بمعاوية . أما دعاء رسول الله عليه فقد روى ابن الأثير فى أسد الغابة — ٤ : ٣٨٦ — قال : « من ابن عباس رضى الله عنه قال : « كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواريت خلف باب ، قال فجاء ، فطاف حطة — والحطو : تحريك الشيء مزعزعا — وقال اذهب فادع لى معاوية ، قال فجئت فقلت هو يأكل ، ثم قال : اذهب فادع لى معاوية ، قال : فجئت فقلت هو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه » أخرج مسلم هذا الحديث بهيمة لمعاوية .

٣٤٣ - تمة في الحكم^(١)

من كلام أبي بكر الصديق رضى الله عنه :

« إِنْ أَفْهَقَ قَرَنَ وَعَدَهُ بِوَعِيدِهِ لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا رَاهِبًا . لَيْسَتْ مَعَ الْمَرْءِ مُصِيبَةٌ . الْمَوْتُ أَهْوَنُ مِمَّا يَمُدُّهُ وَأَشَدُّ مِمَّا قَبْلَهُ . ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ : الْبَنَى ، وَالنَّكْتُ ، وَاللَّكْرُ . ذَلَّ قَوْمٌ أَسْنَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ ، لَا يَكُونُ قَوْلُكَ لَنَفْسِكَ فِي عَفْوٍ وَلَا عَقوبة . إِذَا فَاتَكَ خَيْرٌ فَأَدْرِكْهُ ، وَإِنْ أَدْرَكَكَ شَرٌّ فَاسْتَيْقِمْ . إِنْ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ عَيْونًا تَرَكَ . أَحْرِمْ عَلَى الْمَوْتِ تَوَهَّبْ لَكَ الْحَيَاةَ - قَالَ لَخْلَافُ بْنُ الْوَلِيدِ حِينَ بَمَتْهُ إِلَى أَهْلِ الرَّدَّةِ - رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً أَعَانَ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ . أَلْطَوَعَ النَّاسُ لِلَّهِ أَشَدَّ مِنْ بَضْأٍ لِمَعْصِيَتِهِ . إِنْ اللَّهُ يَرَى مِنْ بَاطِنِكَ مَا يَرَى مِنْ ظَاهِرِكَ ، إِنْ أَوَّلَى النَّاسُ بِاللَّهِ أَشَدَّ مِنْ تَوَلَّيَا لَهُ . لَا تَجْعَلْ سِرَّكَ مَعَ عَلَانِيَتِكَ ، فَيَمْرُجَ^(٢) أَمْرُكَ ، خَيْرُ الْخَصْلَتَيْنِ لَكَ أَنْ يَنْضَحَا إِلَيْكَ . صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقَى مَصَارِعَ السُّوءِ » .

ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

« مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ فِي يَدِهِ . أَشَقَى الْوَلَاءُ مِنْ شَقِيَّتِ بِهِ رَعِيَّتِهِ . اتَّقُوا مَنْ تَبَنَّى قُلُوبَكُمْ . أَعْقَلَ النَّاسُ أَعْذَرَهُمُ لِلنَّاسِ . لَا تُؤْجَلْ عَمَلُ يَوْمِكَ لِنَدِّكَ . مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ كَانَ جَدِيرًا أَنْ يَقَعَ فِيهِ . مَا الْخَيْرُ حَيْرَةً إِلَّا بِأَذْهَبَ الْمَقُولُ مِنَ الطَّمَعِ . قَلْبًا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ . مَرُّ ذَوَى الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا ، تَحْضُ عَنْ الدُّنْيَا عَيْنُكَ وَوَلَّ عَنْهَا قَلْبُكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُهْلِكَ كَمَا أَهْلَكَتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَصَارِعَهَا ،

(١) في كتب الحديث الشريف مأثور أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه ، وفي نهج

البلاغة ، وشرح ابن أبي الحديد عليه وغيرهما كثير من حكم الإمام علي كرم الله وجهه قاتر الله هنالك .

(٢) يفسد ويختلط .

وعاينت سوء آثارها على أهلها ، وكيف عَمِيَ من كُت ، وجاع من أطعمت ، ومات من أحييت . احتفظ من النعمة احتفاظك من العصية ، فوالله لى أخوفها عندي عليك أن تستدرجك وتغدعك . الدنيا أمل مخترم وأجل منتقص ، ويلاغ إلى دار غيرها ، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج ، فرحم الله امرأ فكر في أمره ، ونصح لنفسه ، وراقب ربه واستقال ذنبه . إياكم والبطنة فإنها مَكْنَنَة عن الصلاة ، مَفْسَدَة للجوف ، مؤدية إلى السقم . رحم الله امرأ أهدي إلى عيوى ، أفلح من حُفَظ من الطمع والغضب والهوى نفسه .

ومن كلام عثمان رضى الله عنه :

« مَا يَزَعُ ^(١) الله بالسلطان أكثر مما يَزَعُ بالقرآن . يكفيك من الحاسد أنه يغم وقت سرورك . أنتم إلى إمام قَمَال أحوج منكم إلى إمام قَوَال - قاله يوم صعد المنبر فأرتج عليه . »

ومن كلام ابن عباس رضى الله عنه :

« صاحب المعروف لا يقع ، فإن وقع وجد مُتَكَا . الحُرمان خير من الامتنان . مِلَاك أمركم الدين ، وزينتكم العلم ، وحصون أعراضكم الأدب ، وعزكم الحلم . وجليتكم الوفاء . القربة تُقَطِّع . والمعرف يُكْفِّر . ولم ير كالمودة . لا تُتَمَار سفيها ولا حليما . فإن السفيه يؤذيكم . والحليم يُقَلِّبُكُم ^(٢) . واعمل عمل من يعلم أنه مجزى بالחסنات . مأخوذ بالسيئات . »

ومن كلام ابن مسعود رضى الله عنه :

« ما أُلْذِخان على النار بأدل من الصاحب على الصاحب ، الدنيا كلها غوم ، فما كان منها في سرور فهو ربح . »

ومن كلام المنيرة بن شُنبَة :

« إن المعرفة لتتفع عند الكلب المقور ، والجلس الصئول ^(١) ، فكيف بالرجل الكريم ! » .

ومن كلام أبي المزداء :

« الشودد اصطناع المشيرة ، واحتمال الجريرة ، والشرف كف الأذى ، وبذل الندى ، والنفي قلة التمني ، والفقر شره النفس » .

ومن كلام أبي ذر :

« إن لك في مالك شريكين : الحذثان ^(٢) والوارث ، فإن قدرت ألا تكون أحسن الشركاء حفظاً فافعل » .
(مجمع الأمثال الميداني ٢ : ٢٧٦ ، ونهاية الأرب ٣ : ٤)

(١) صئول الجمل : وائب الناس أو صار يقتلهم ويمدو عليهم . (٢) حذثان الدهر : غوبه وأحداثه .

سقطت هذه الخطب سهوا في أثناء الطبع
فلأوردناها في آخر الجزء وما هي ذى :

خطب الوفود

بين يدي عمر بن الخطاب

لما قدمت الوفود على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قام هلال بن بشر^(١) فقال :

٢٤٤ — خطبة هلال بن بشر

« يا أمير المؤمنين : إنا غرة من خلقنا من قومنا ، وسادة من ورأنا من أهل مصرنا
وإنك إن تصرفنا بالزيادة في أعطياتنا ، والفرائض لِمِعالِئنا ، يَرَدُّ بِذلك الشريفُ
تأميلا ، وتسكن لهم أبا وصولا ، وإن تكن مع ما نمت به^(٢) من وسائلك ، ونُدلي به
من أسبابك ، كالحدل^(٣) ، لا يحل ولا يُرَحَّلُ ، نَزَجِيعُ بأنوف مصلومة^(٤) ، وجدود

(١) في البيان والبيان : ابن وكيع . (٢) نتوسل به . (٣) في البيان والبيان « كالجد »
وفي نهاية الأرب « كالجدل » ولا معنى لها هنا ، وأرى أن صوابه « كالحدل » بجاء مفتوحة ودال مكسورة ،
وصف من الحدل بفتحين : وهو الذي أشرف أحد عاتقيه على الآخر ، أو المائل العنق من خلقة أو وجع لايمك
أن يقيمه . وارتحل البعير ورحله : حط عليه الرجل ، وإذا كان البعير حذلا فهو لا يرتحل لعدم توازن
المدلين عليه ، وكذا لا يحل من مبركه لا يرتحل فهو إذن لا يستخدم ولا يتنفع به ، فالمعنى أنك إن لم تعطنا تكن
كالبعير الحدل العديم الجدوى . (٤) المقطوعة من أصلها .

عائرة، ففحنا^(١) وأهالينا بسجل مُترَع^(٢) من سِجَالِك المترعة .

٣٤٥ — خطبة زيد بن جبلة

وقام زيد بن جبلة فقال :

« يا أمير المؤمنين ، سوّد الشريف ، وأكرم الحبيب ، وازرع عندنا من أياديك ما تسدّ به الخصاصه ، وتطرد به الفاقة ، فإننا يقف^(٣) من الأرض يابس الأكناف ، مُشَمِّر الدُرّوة ، لا مُتَجَرّ ولا زرع ، وإنا من العرب اليوم إذ أتيناك بمرأى ومسمع . »

٣٤٦ — خطبة الأحنف بن قيس

فقام الأحنف فقال :

« يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيد الله ، والحرصُ قائدُ الحرمان ، فاتق الله فيما لا يُغني عنك يوم القيامة قِيلا ولا قالا ، واجمل بينك وبين رعيتك من العدل والإنصاف شيئا يكفيك وقادة الوفود ، واستباحة الممتاح^(٤) ، فإن كل امرئ يجمع في وشائه إلا الأقل ممن عسى أن تقتحمه الأعين فلا يُؤفدُ إليك . »

(نهاية الأرب ٧ : ٢٣٩ ، والبيان والتهيين ٢ : ٧١)

(١) الميخ : الإعطاء . (٢) المترع : الدلو الطيخة مملوءة (مذكر) ومترع : مملوء . (٣) ما ارتفع

من الأرض كالقفقة . (٤) استباحه : سأله العطاء . والامتياح : الإعطاء .

٣٤٧ - خطبة الأخنف بن قيس

بين يدي عمر بن الخطاب

قدم الأخنف بن قيس التيمي على عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أهل البصرة وأهل الكوفة ، فتكلموا عنده في أنفسهم ، وما ينوب كل واحد منهم ، وتكلم الأخنف فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن مفاتيح الخير، بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق ، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزّلوا منازل الأم الخالية ، والملوك الجبارة ، ومنازل كسرى وقيصرو بنى الأصفر ، فهم من المياه العذبة ، والجنان الخُصِيّة في مثل حِوَلَاء السِّلَى^(١) وحَدَقَةِ البعير الفاسقة^(٢) ، تأتبهن ثمارهم غَصّة قبل أن تتغير ، وإنّا معشر أهل البصرة نزّلنا أرضاً سَبْعَةَ هَشَاشَةٍ ، زَعِقَةَ نَشَاشَةٍ^(٣) ، طَرَف في فلاة ، وطَرَف في ملح أجاج^(٤) ، جانبٌ منها منابت القصب ، وجانب سَبْعَةَ نَشَاشَةٍ لا يحف ترابها ، ولا ينبت مرعاها ، تأتيننا منافعها في مثل مَرَى النعام ، يخرج الرجل الضعيف منا يَسْتَعْذِب^(٥) الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة بمثل ذلك ، تُرَنِّق^(٦) ولدها ترنيق العنز تخاف عليه العدو والسبع ، دارنا فِغْمَةً^(٧) ، ووظيفتنا ضيقة ، وعددنا كثير ، وأشرافنا قليل ، وأهل البلاء فينا كثير ، ودرهمنا كبير ، وقفيزنا^(٨) صغير ، وقد وسع الله علينا وزادنا

(١) الحولاء : جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد فيها أغراس وعطوط حر وخضر ونزّلوا

في مثل حِوَلَاء الناقة . يريدون الخصب وكثرة الماء والخضرة ، والسبل جلدة فيها الولد (من الناس والمواشي) .

(٢) السوداء . (٣) هَشَاشَة : يسيل ماؤها . سبعة نَشَاشَة : لا يحف ترابها ولا ينبت مرعاها ، والسبعة

بفتح الباء وسكونها أرض ذات نز وملح . (٤) ملح مر . (٥) استعذب : استق عذبا .

(٦) الترنيق : إدلّة النظر . (٧) بمثلثة (أى بساكنها) . (٨) مكيال .

في أرضنا ، فوسّع علينا يا أمير المؤمنين ، وزدنا وظيفة توظف علينا ونميش بها ، فلا ترفع
خريستنا^(١) وتُنشِ رَكِستنا^(٢) وتَجْبُرَ فافتنا وزد في عيالنا عيالا ، وفي رجالنا رجالا ،
وتُصَفِّرَ^(٣) درهمنا ، وتكبر قفيزنا ، وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء ، هلكنا » .

قال عمر : هذا والله السيد ، هذا والله السيد . قال الأحنف : فما زلت أسميها بعدها .

(المقدم الفريد ١ : ١١٦ ، وشرح العميد ٦٨ وتاريخ الطبري ٤ : ٢٠٩)

انتهى الجزء الأول

ويليه

الجزء الثاني وأوله : الباب الثالث في خطب ووصايا

العصر الأموي

(١) رفعت من غميته : فطت به فلا فيه رفته . (٢) الركن : قلب أول الشيء على آخره ،
وارتكس : انعكس ووقع . (٣) صفره : صبغه بصفرة ، أي تيدنا بالدرهم الأبيض ديناراً أصفر
وتجمل ففتنا ذهباً .

فهرس

الجزء الأول

من جمعة خطب العرب

الباب الأول

الخطب في العصر الجاهلي

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
إصلاح مرثد الخير بين سبيع بن الحارث وبين ميثم بن ثوب	٩	
مقال مرثد الخير .	١	١٠
سبيع بن الحارث .	٢	١١
ميثم بن ثوب .	٣	١١
مرثد الخير .	٤	١٢
طريف بن العاصي والحارث بن ذبيسان يتفاخران عند بعض	٥	١٣
مقاول حمير .		
وفود العرب يعززون سلامة ذا قاتش بابن له مات	١٧	
خطبة الملبب بن عوف .	٦	١٧
جماعة بن أفلح .	٧	١٨

الخطبة أو القصة	رقم الخطبة	ورقم الصفحة
تساؤل عامر بن الظرب وحمدة بن رافع عند أحد ملوك حمير .	٨	١٨
خطبة عامر بن الظرب العدواني وقد خطبت ابنته :	٩	١٩
حديث بعض مقاول حمير مع ابنه ومادار بينه وبينهما من المساءلة حين كبرت سنه .	١٠	٢٠
إحدى ملكات اليمن وخاطبوها .	١١	٢٥
رواد ملحج يصفون ما ارتادوا من المراسي .	١٢	٢٦
مادار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر وبين عامر بن جويرن الطائي .	١٣	٢٧
قيس بن رفاعه والحارث بن أبي شمر الغساني .	١٤	٣٢
قيس بن خفاف البرجمي وحاتم طي .	١٥	٣٢
مقال قبيصة بن نعيم لامرئ القيس بن حجر .	١٦	٣٤
رد امرئ القيس عليه .	١٧	٣٦
خطبة هاني بن قبيصة الشيباني .	١٨	٣٧
خطبة عمرو بن كلثوم .	١٩	٣٧
أ كثم بن صيفي يعزى عمرو بن هند عن أخيه .	٢٠	٣٧
خطبة قس بن ساعدة الإيادي .	٢١	٣٨
قس بن ساعدة عند قيصر .	٢٢	٣٩
خطبة المأمون الحارثي .	٢٣	٣٩
بين مهلهل بن ربيعة ومرة بن ذهل بن شيبان .	٢٤	٤٠
منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين .	٢٥	٤١
أشراف العرب بين يدي كسرى		٤٦
مقال حذيفة بن بدر الفزاري .	٢٦	٤٦
مقال الأشعث الكندي .	٢٧	٤٧
مقال بسطام الشيباني .	٢٨	٤٧
مقال حليج بن زرارة .	٢٩	٤٨
مقال قيس بن عاصم السعدي .	٣٠	٤٩

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
وفود العرب على كسرى	٥٠	
خطبة النعمان بن المنذر .	٥١	٣١
خطبة أكم بن صبيح .	٥٦	٣٢
خطبة حاجب بن زرارة .	٥٧	٣٣
خطبة الحارث بن عباد .	٥٧	٣٤
خطبة عمرو بن الشريد .	٥٩	٣٥
خطبة خالد بن جعفر الكلاني .	٦٠	٣٦
خطبة علقمة بن علاثة العامري .	٦٠	٣٧
خطبة قيس بن مسعود الشيباني .	٦١	٣٨
خطبة عامر بن الطفيل العامري .	٦٢	٣٩
خطبة عمرو بن معد يكرب الزبيدي .	٦٣	٤٠
خطبة الحارث بن ظالم المري .	٦٣	٤١
عزالس بن مزاحم وقاصر بن سلمة عند النعمان بن المنذر .	٦٤	٤٢
ضمرة بن ضميرة عند النعمان بن المنذر .	٦٦	٤٣
ليبد بن ربيعة يصف بقلته .	٦٧	٤٤
كلمات هند بنت النخس الإيادية .	٦٨	٤٥
خطبة كعب بن لؤي .	٧٣	٤٦
خطبة هاشم بن عبد مناف .	٧٤	٤٧
خطبة هاشم بن عبد مناف في قریش وخزاعة .	٧٥	٤٨
خطبة عبد المطلب بن هاشم .	٧٦	٤٩
خطبة أبي طالب في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة	٧٧	٥٠
خطب الكهان	٧٨	
الكاهن الخزاعي ينقر هاشم بن عبد مناف على أمية بن عبد شمس .	٧٨	٥١
عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بمقتل حجر بن الحارث .	٧٩	٥٢
كاهن بن الحارث بن كعب يحذرهم غزو بني تميم .	٨٠	٥٣

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
أحمد كهان اليمعن يفصل في أمر هند بنت عتبة .	٥٤	٨١
خمسة نفر من طيئ يمتحنون سواد بن قارب الدوسي .	٥٥	٨٢
حديث مصاد بن مذعور القيني .	٥٦	٨٦
حديث خنافر بن التوعم الحميري مع رثيه شصار .	٥٧	٨٨
شافع بن كليب الصدفى يتكهن بظهور النبي صلى الله عليه وسلم	٥٨	٩٠
سطيح الذئبي يعبر رؤيا ربيعة بن نصر اللخمي :	٥٩	٩١
شق أنمار يعبر رؤيا ربيعة بن نصر أيضا .	٦٠	٩٣
وفود عبد المسيح بن بقيقة على سطيح :	٦١	٩٤
شق وسطيح ينبئان بأصل ثقيف .	٦٢	٩٧
تنافر عبد المطلب بن هاشم والثقفين إلى عزى سلمة الكاهن :	٦٣	٩٨
متافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية .	٦٤	١٠٠
ما أمر به عبد المطلب بن هاشم ، في منامه من حفر زمزم :	٦٥	١٠١

خطب الكواهن

الشعناء الكاهنة تصف سبعة إخوة .	٦٦	١٠٣
طريقة الخير تتكهن بسبل العرم وخراب سد مأرب .	٦٧	١٠٥
حديث زبراء الكاهنة مع بنى رثام بن قضاة .	٦٨	١١٠
كاهنة ذى النخلصة تتكهن بما فى بطن رقية بنت جشم .	٦٩	١١٢
رأى سلمى الهمدانية فى حرم المرادى .	٧٠	١١٣
تنافر العجفاء بنت علقمة وصواحيباتها إلى الكاهنة السعدية :	٧١	١١٤
عفراء الكاهنة تعبر رؤيا مرثد بن عبد كلال .	٧٢	١١٥

الوصايا

وصية أوس بن حارثة لابنه مالك .	٧٣	١١٩
وصية ذى الإصبع العدواني لابنه أسيد .	٧٤	١٢٠
وصية عمرو بن كلثوم لبنيه .	٧٥	١٢١

المخطبة أو الوصية	رقم المخطبة	تم الصفحة
وصية الحرث بن كعب لبيه .	٧٦	١٢٢
وصية عامر بن الظرب لقومه .	٧٧	١٢٣
وصية دويد بن زيد لبيه .	٧٨	١٢٤
وصية زهير بن جناب الكلبي .	٧٩	١٢٦
وصية النعمان بن ثواب العبدى لبيه .	٨٠	١٢٦
وصية قيس بن زهير لبني النمر بن قاسط .	٨١	١٢٧
وصية حصن بن حذيفة لبيه .	٨٢	١٢٩
وصية لأكرم بن صيني .	٨٣	١٣٠
وصية أكرم بن صيني لطي .	٨٤	١٣٣
وصية أكرم بن صيني لبيه ورهطه .	٨٥	١٣٤
نصيحة أكرم بن صيني لقومه .	٨٦	١٣٥
أمثال أكرم بن صيني وبرز جهمر الفارسي .	٨٧	١٣٦
نصيحة الجمانة بنت قيس بن زهير لجدها الربيع بن زياد .	٨٨	١٤١
وصف عصام الكندي أم إياس بنت عوف بن محم الشيباني .	٨٩	١٤٢
وصية أمامة بنت الحرث لابنتها أم إياس .	٩٠	١٤٥

الباب الثاني

الخطب والوصايا

في عصر صدر الإسلام

خطب النبي صلى الله عليه وسلم وما يتبعها	١٤٧
١ أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه .	١٤٧
٢ أول خطبة خطبها بالمدينة .	١٤٨
٣ خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة .	١٤٨

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطبة له يوم أحد .	١٤٩	٤
خطبته بالخيف .	١٥١	٥
خطبة له عليه الصلاة والسلام .	١٥١	٦
خطبة له عليه الصلاة والسلام .	١٥٢	٧
خطبة له عليه الصلاة والسلام .	١٥٢	٨
خطبة له عليه الصلاة والسلام .	١٥٣	٩
خطبة له عليه الصلاة والسلام .	١٥٣	١٠
خطبته يوم فتح مكة .	١٥٤	١١
خطبته في الاستسقاء .	١٥٤	١٢
خطبته في حجة الوداع .	١٥٥	١٣
خطبته في مرض موته .	١٥٨	١٤
خطبة أكرم بن صفي يدعو قومه إلى الإسلام .	١٥٩	١٥
وصية أبي طالب لوجوه قريش عند موته .	١٦١	١٦
خطب الوفود بين يديه صلى الله عليه وسلم	١٦٣	
خطبة عطار بن حاجب بن زرار بن يدي النبي صلى الله عليه وسلم .	١٦٣	١٧
خطبة ثابت بن قيس بن الشماس .	١٦٣	١٨
عمرو بن الأهمم والزبرقان بن بدر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم .	١٦٤	١٩
خطبة طهفة بن أبي زهير التهمدي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم .	١٦٥	٢٠
رده صلى الله عليه وسلم .	١٦٦	٢١
خطبة ظبيان بن حداد بين يديه صلى الله عليه وسلم .	١٦٧	٢٢
خطبة مالك بن نمط بين يديه صلى الله عليه وسلم .	١٦٨	٢٣
سفانة بنت حاتم بين يديه صلى الله عليه وسلم .	١٦٩	٢٤
وصية دريد بن الصمة .	١٧٠	٢٥
وصية عمير بن حبيب الصحابي لبنيه .	١٧١	٢٦
وصية قيس بن عاصم المصقرى لبنيه .	١٧١	٢٧

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطبة يوم السقيفة	١٧٣	
خطبة سعد بن عباد .	١٧٣	٢٨
خطبة أبي بكر رضى الله عنه .	١٧٤	٢٩
نص آخر لخطبة أبي بكر يوم السقيفة .	١٧٥	٣٠
خطبة الحباب بن المنذر .	١٧٦	٣١
خطبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .	١٧٦	٣٢
خطبة أخرى للحباب بن المنذر .	١٧٧	٣٣
خطبة بشير بن سعد .	١٧٧ ✓	٣٤
خطبة أبي بكر الصديق ووصاياه	١٧٩	
خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم .	١٧٩ ✓	٣٥
خطبته بعد البيعة .	١٨٠	٣٦
خطبة أخرى له بعد البيعة .	١٨١	٣٧
خطبة أخرى .	١٨٢	٣٨
خطبة له .	١٨٣	٣٩
خطبة له .	١٨٤	٤٠
خطبة له .	١٨٥	٤١
خطبة له في الأنصار .	١٨٦	٤٢
وصيته لأسامة بن زيد .	١٨٧	٤٣
وصيته لعمر بن العاص والوليد بن عتبة .	١٨٨ ✓	٤٤
خطب الفتوح في عهد أبي بكر	١٨٨	
وصيته لخالد بن الوليد .	١٨٨	٤٥
خطبة خالد بن الوليد	١٨٨	٤٦
خطبة لأبي بكر في ندب الناس لفتح الشام .	١٨٩	٤٧
فتح الشام — خطبة أبي بكر .	١٩٠	٤٨

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطبة عمر	١٩٠	٤٩
خطبة عبد الرحمن بن عوف	١٩١	٥٠
خطبة أبي بكر —	١٩٢	٥١
خطبة خالد بن سعيد بن العاص	١٩٢	٥٢
خطبة ذى الكلاع .	١٩٣	٥٣
وصية خالد بن سعيد بن العاص لأبي بكر .	١٩٤	٥٤
وصية أبي بكر لخالد بن سعيد بن العاص :	١٩٥	٥٥
وصية أبي بكر لعمر بن العاص .	١٩٥	٥٦
وصية أخرى .	١٩٦	٥٧
وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان .	١٩٦	٥٨
وصية أخرى ليزيد بن أبي سفيان .	١٩٧	٥٩
دعاء أبي بكر .	١٩٩	٦٠
وصيته لشرحبيل بن حسنة .	١٩٩	٦١
وصيته لأبي عبيدة بن الجراح .	٢٠٠	٦٢
وصيته لأبي عبيدة بن الجراح أيضا .	٢٠٠	٦٣
خطبة أبي بكر .	٢٠١	٦٤
وصية أبي بكر لمائم بن عتبة .	٢٠١	٦٥
خطبة خالد بن الوليد يوم اليرموك .	٢٠٢	٦٦
خطبة أبي عبيدة في وقعة اليرموك .	٢٠٣	٦٧
قصص معاذ بن جبل .	٢٠٤	٦٨
خطبة عمرو بن العاص .	٢٠٤	٦٩
خطبة أبي سفيان بن حرب .	٢٠٥	٧٠
وصية أبي بكر لعمر رضى الله عنهما عند موته :	٢٠٥	٧١
كلامه لعبد الرحمن بن عوف في علته التي مات فيها :	٢٠٦	٧٢
خطبة السيدة عائشة في الانتصار لأبيها .	٢٠٧	٧٣
رثاؤها لأبيها	٢١٠	٧٤

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٢١١	
خطبته حين ولي الخلافة	٢١١	٧٥
خطبة أخرى .	٢١١	٧٦
خطبة له .	٢١٢	٧٧
خطبة له .	٢١٢	٧٨
خطبة أخرى .	٢١٣	٧٩
خطبة له .	٢١٤	٨٠
خطبة له .	٢١٥	٨١
خطبة له .	٢١٧	٨٢
خطبة له .	٢١٧	٨٣
خطبة له .	٢١٨	٨٤
خطبة له .	٢١٨	٨٥
خطبته عام الرمادة :	٢٢٠	٨٦
خطبته وقد بلغه أن قوما يفضلونه على أبي بكر .	٢٢١	٨٧
خطب الفتوح في عهد عمر	٢٢٢	
في فتح فارس		
خطبة المنفي بن حارثة الشيباني .	٢٢٢	٨٨
خطبة عمر .	٢٢٢	٨٩
خطبة له وقد شيع جيش سعد بن أبي وقاص .	٢٢٣	٩١
وصيته لسعد بن أبي وقاص .	٢٢٤	٩٢
وصيته لسعد بن أبي وقاص أيضا .	٢٢٤	٩٣
وصية أخرى كتبها إلى سعد بن أبي وقاص .	٢٢٥	٩٤
وصيته للمجاهدين .	٢٢٧	٩٥
وصية عمر ليعلى بن أمية في إجلاء أهل نجران .	٢٢٨	٩٦
خطبة لعمر .	٢٢٨	٩٧
خطبة جرير بن عبد الله البجلي .	٢٢٩	٩٨

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة سعد بن أبي وقاص يوم أرمات .	٩٩	٢٢٩
خطبة عاصم بن عمرو .	١٠٠	٢٣٠
خطبة طليحة بن خويلد الأسدي .	١٠١	٢٣٠
الخنساء تخرص أولادها على القتال .	١٠٢	٢٣١
خطبة عتبة بن غزوان .	١٠٣	٢٣٢
خطبة لسعد بن أبي وقاص .	١٠٤	٢٣٣
خطبة عمر .	١٠٥	٢٣٣
خطبة لعل .	١٠٦	٢٣٤
خطبة طلحة بن عبيد الله .	١٠٧	٢٣٥
خطبة عثمان بن عفان .	١٠٨	٢٣٥
خطبة علي بن أبي طالب .	١٠٩	٢٣٦
خطبة النعمان بن مقرن .	١١٠	٢٣٧
خطب رجال من الفاتحين		٢٣٩
بين يدي يزدرج ملك الفرس وقواده		
خطبة النعمان بن مقرن .	١١١	٢٣٩
خطبة المغيرة بن زرار .	١١٢	٢٤٠
مقال ربيع بن عامر عند رستم قائد جيش الفرس .	١١٣	٢٤٢
خطبة المغيرة بن شعبة في حضرة رستم .	١١٤	٢٤٢
خطبة المغيرة بن شعبة في حضرة بندگان .	١١٥	٢٤٣
خطبة عمر .	١١٦	٢٤٤
خطبة عثمان بن أبي العاص في فتح الشام :	١١٧	٢٤٤
بين الروم ومعاذ بن جبل .	١١٨	٢٤٦
بين أبي عبيدة ورسول الروم .	١١٩	٢٤٩
بين باهان وخالد بن الوليد .	١٢٠	٢٥٠

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	الصفحة
جواب خالد	١٢١	٢٥٠
خطبة عمرو بن العاص .	١٢٢	٢٥٤
خطبة عمر .	١٢٣	٢٥٥
خطبة عمر .	١٢٤	٢٥٥
خطبة عمر .	١٢٥	٢٥٦
خطبة عمر .	١٢٦	٢٥٦
وصية أبي عبيدة للمسلمين وقد أصابه طاعون عمواس .	١٢٧	٢٥٧
خطبة معاذ بن جبل .	١٢٨	٢٥٨
رثاء معاذ بن جبل لأبي عبيدة .	١٢٩	٢٥٨
ابن العاص ومعاذ والطاعون .	١٣٠	٢٥٩
وصية لمعاذ بن جبل .	١٣١	٢٥٩
وصية لمعاذ بن جبل أيضا .	١٣٢	٢٦٠
خطبة عبادة بن الصامت .	١٣٣	٢٦١
خطبة شداد بن أوس .	١٣٤	٢٦١
خطبة أبي الدرداء .	١٣٥	٢٦٢
خطبة يزيد بن أبي سفيان .	١٣٦	٢٦٢
وصية العباس بن عبد المطلب .	١٣٧	٢٦٣
وصية عمر للخليفة من بعده .	١٣٨	٢٦٣
خطب يوم الشورى		٢٦٦
خطبة عبد الرحمن بن عوف .	١٣٩	٢٦٦
خطبة عثمان بن عفان .	١٤٠	٢٦٧
خطبة الزبير بن العوام .	١٤١	٢٦٧
خطبة سعد بن أبي وقاص .	١٤٢	٢٦٨
خطبة علي بن أبي طالب .	١٤٣	٢٦٩

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطب عثمان بن عفان رضي الله عنه		٢٧٠
خطبته حين بايعه أهل الشورى .	١٤٤	٢٧٠
خطبته بعد البيعة .	١٤٥	٢٧١
خطبة أخرى .	١٤٦	٢٧١
خطبة لعثمان .	١٤٧	٢٧١
خطبة لعثمان .	١٤٨	٢٧٢
خطبته حين تقم عليه الناس .	١٤٩	٢٧٣
خطبته التي نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة .	١٥٠	٢٧٤
خطبته في الرد على الثوار .	١٥١	٢٧٥
خطبته وقد اشتد عليه الحصار .	١٥٢	٢٧٦
آخر خطبة خطبها عثمان .	١٥٣	٢٧٦
خطبة الوليد بن عقبة .	١٥٤	٢٧٧
خطبة سعيد بن العاص حين قدم الكوفة واليا عليها .	١٥٥	٢٧٨
خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية .	١٥٦	٢٧٨
خطبة عبد الله بن مسعود .	١٥٧	٢٨٠
أبو زيد الطائي يصف الأسد .	١٥٨	٢٨١
خلافة الإمام علي كرم الله وجهه		٢٨٥
وصية علي لقيس بن سعد .	١٥٩	٢٨٥
خطبة لقيس بن سعد .	١٦٠	٢٨٥
فتنة أصحاب الجمل		٢٨٦
خطبة طلحة .	١٦١	٢٨٦
خطبة السيدة عائشة بالمربد .	١٦٢	٢٨٦
خطبة لعلي .	١٦٣	٢٨٧
خطبة لعلي .	١٦٤	٢٨٨

الخطبة او الوصية	رقم الخطبة	الصفحة
خطبة اعلی .	١٦٥	٢٨
خطبة عدی بن حاتم .	١٦٦	٢٨
خطبة زفر بن زید :	١٦٧	٢٩٠
خطبة علی بالربذة :	١٦٨	٢٩١
خطبة سعید بن صید الطائی .	١٦٩	٢٩٢
خطبة الحسن بن علی .	١٧٠	٢٩٣
خطبة الحسن بن علی .	١٧١	٢٩٣
خطبة عمار بن یاسر .	١٧٢	٢٩٤
خطبة أنى موسى الأشعری .	١٧٣	٢٩٥
صورة أخرى .	١٧٤	٢٩٦
صورة أخرى .	١٧٥	٢٩٧
خطبة زید بن صوحان .	١٧٦	٢٩٧
خطبة القعقاع بن عمرو .	١٧٧	٢٩٨
خطبة سیحان بن صوحان .	١٧٨	٢٩٨
خطبة الحسن بن علی .	١٧٩	٢٩٩
وفادة القعقاع بن عمرو لى أصحاب الجمل .	١٨٠	٢٩٩
خطبة علی بن أبی طالب .	١٨١	٣٠١
خطبة علی بن أبی طالب .	١٨٢	٣٠٢
خطبة علی .	١٨٣	٣٠٣
خطبة الأشتر .	١٨٤	٣٠٤
خطبة السيدة عائشة .	١٨٥	٣٠٥
خطبة علی .	١٨٦	٣٠٥
خطبة السيدة عائشة يوم الجمل .	١٨٧	٣٠٦
خطبة زفر بن قیس .	١٨٨	٣٠٧
خطبة جریر بن عبد الله البجلي .	١٨٩	٣٠٨

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة زياد بن كعب .	١٩٠	٣٠٨
خطبة الأشعث بن قيس .	١٩١	٣٠٩
خطبة جرير بن عبد الله البجلي .	١٩٢	٣٠٩
خطبة معاوية .	١٩٣	٣١٠
— فتنة معاوية		٣١٢
استطلاع الإمام على كرم الله وجهه آراء أصحابه وقد أراد المسير إلى الشام		
خطبة الإمام على .	١٩٤	٣١٢
خطبة هاشم بن عتبة .	١٩٥	٣١٢
خطبة عمار بن ياسر .	١٩٦	٣١٣
خطبة قيس بن سعد بن عبادة .	١٩٧	٣١٣
خطبة سهل بن حنيف .	١٩٨	٣١٤
خطبة الإمام على .	١٩٩	٣١٤
خطبة الأشتر النخعي .	٢٠٠	٣١٥
مقال من ثبطوه عن المسير .	٢٠١	٣١٦
رد الإمام عليهم .	٢٠٢	٣١٦
خطبة عدى بن حاتم الطائي .	٢٠٣	٣١٧
خطبة زيد بن حصين الطائي .	٢٠٤	٣١٨
خطبة أبي زينب بن عوف .	٢٠٥	٣١٨
خطبة زيد بن قيس الأرحبي .	٢٠٦	٣١٩
خطبة زياد بن النضر .	٢٠٧	٣١٩
خطبة عبادة بن بديل بن ورقاء الخزاعي .	٢٠٨	٣٢٠
أدب الإمام على وكرم خلقه .	٢٠٩	٣٢١
مقال عمرو بن الحمق .	٢١٠	٣٢١

رقم الصفحة	رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
٣٢٢	٢١١	مقال حجر بن عدي .
٣٢٢	٢١٢	مقال هاشم بن عتبة .
٣٢٤	٢١٣	خطبة الإمام علي .
٣٢٥	٢١٤	خطبة الحسن بن علي .
٣٢٥	٢١٥	خطبة الحسين بن علي .
٣٢٦	٢١٦	خطبة عبدالله بن عباس .
٣٢٧	٢١٧	خطبة معاوية .
٣٢٨		وفد عليّ على معاوية
٣٢٨	٢١٨	خطبة بشير بن عمرو .
٣٢٩	٢١٩	خطبة شبيب بن ربعي .
٣٢٩	٢٢٠	خطبة معاوية .
٣٣١		وفد عليّ على معاوية .
٣٣١	٢٢١	خطبة عدي بن حاتم .
٣٣١	٢٢٢	جواب معاوية .
٣٣٢	٢٢٣	خطبة يزيد بن قيس .
٣٣٢	٢٢٤	خطبة معاوية .
٣٣٥		وفد معاوية إلى علي
٣٣٥	٢٢٥	خطبة حبيب بن مسلمة :
٣٣٦	٢٢٦	خطبة علي بن أبي طالب .
٣٣٨		التحريض على القتال من قبل معاوية
٣٣٨	٢٢٧	خطبة عمرو بن العاص .
٣٣٨	٢٢٨	خطبة أخرى .
٣٣٩	٢٢٩	خطبة معاوية يحرض أهل الشام .
٣٤٠	٢٣٠	خطبة ذى الكلاع الحميري .
٣٤٣	٢٣١	خطبة يزيد بن أسد البجلي .

خطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
التحريض على القتال من قبل الإمام على	٣٤٥	
خطبة الإمام على .	٣٤٥	٢٣٢
خطبة أخرى له .	٣٤٦	٢٣٣
ومن كلام له كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين .	٣٤٧	٢٣٤
خطبة أخرى للإمام على .	٣٤٨	٢٣٥
خطبة للإمام على .	٣٤٩	٢٣٦
خطبة أخرى له .	٣٥٠	٢٣٧
خطبة عبد الله بن عباس .	٣٥٠	٢٣٨
خطبة عبد الله بن بديل الخراسي .	٣٥٢	٢٣٩
خطبة أبي الحيثم بن النيهان .	٣٥٢	٢٤٠
خطبة للإمام على —	٣٥٣	٢٤١
خطبة سعيد بن قيس .	٣٥٤	٢٤٢
خطبة يزيد بن قيس الأرحبي .	٣٥٥	٢٤٣
خطبة هاشم بن عتبة المرقالي .	٣٥٦	٢٤٤
خطبة عمار بن ياسر .	٣٥٧	٢٤٥
خطبة الأشعث بن قيس .	٣٥٨	٢٤٦
خطبة الأشتر النخعي .	٣٥٩	٢٤٧
خطبة الأشتر النخعي في المنهزمين من الميمنة .	٣٦٠	٢٤٨
خطبة أخرى له فيهم .	٣٦١	٢٤٩
خطبة على فيهم وقد عادوا إلى مواقعهم .	٣٦٢	٢٥٠
خطبة خالد بن معمر .	٣٦٣	٢٥١
خطبة عقبة بن حديد النمرى .	٣٦٣	٢٥٢
خطبة خشر بن عبيدة بن خالد .	٣٦٤	٢٥٣
تحريض معاوية أيضا :	٣٦٥	٢٥٤
ماخطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد في وقعة صفين .	٣٦٦	٢٥٥

رقم الصفحة	رقم الخطبة	الخطبة أو القصة
٣٦٧	٢٥٦	جواب قيس بن سعد .
٣٦٨		خطب الشيعيات في وقعة صفين
٣٦٨	٢٥٧	خطبة عكرشة بنت الأطرش .
٢٦٩	٢٥٨	خطبة أم الخير بنت الحريش .
٢٧٣	٢٥٩	خطبة الزرقاء بنت عدى الهمدانية .
٣٧٥		اختلاف أهل العراق في المواعدة
٣٧٥	٢٦٠	خطبة الإمام على ؓ
٣٧٥	٢٦١	خطبة كردوس بن هاني .
١٧٦	٢٦٢	خطبة سفيان بن ثور .
٣٧٦	١٦٣	خطبة جريث بن جابر .
٣٧٦	٢٦٤	خطبة خالد بن معمر .
٣٧٧	٢٦٥	خطبة الحصين بن المنذر .
٢٧٧	٢٦٦	خطبة عثمان بن حنيف .
١٧٩	٢٦٧	خطبة عدى بن حاتم .
٣٨٠	٢٦٨	خطبة عبدالله بن حجبل .
٣٨٠	٢٦٩	خطبة صعصعة بن صوحان .
٢٨١	٢٧٠	خطبة المنذر بن الجارود .
٢٨١	٢٧١	خطبة الأحنف بن قيس .
٢٨٢	٢٧٢	خطبة عمير بن عطار .
٣٨٢	٢٧٣	خطبة على بن أبي طالب .
٣٨٢	٢٧٤	مقال عدى بن حاتم .
٣٨٣	٢٧٥	مقال الأشتر النخعي .
٣٨٣	٢٧٦	مقال عمرو بن الحمق .
٣٨٣	٢٧٧	مقال الأشعث بن قيس .
٣٨٤	٢٧٨	مقال عبد الرحمن بن الحارث .
٣٨٤	٢٧٩	مقال عمار بن ياسر .

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
التحكيم بين عليّ ومعاوية	٣٨٦	
كلام عبدالله بن عباس لأبي موسى الأشعري .	٢٨٠	٣٨٦
وصية شريح بن هانئ لأبي موسى الأشعري .	٢٨١	٣٨٧
وصية الأخنف بن قيس لأبي موسى الأشعري .	٢٨٢	٣٨٨
وصية معاوية لعمر بن العاص .	٢٨٣	٣٨٩
رد عمرو بن العاص عليه .	٢٨٤	٣٨٩
مقاله شرجيل بن السمط لعمر بن .	٢٨٥	٣٩٠
خطبة أبي موسى الأشعري .	٢٨٦	٣٩٠
خطبة عمرو بن العاص .	٢٨٧	٣٩١
خطبة الإمام بعد التحكيم .	٢٨٨	٣٩١
خطبة الحسن بن علي .	٢٨٩	٣٩٢
خطبة عبدالله بن عباس .	٢٩٠	٣٩٣
خطبة عبدالله بن جعفر .	٢٩١	٣٩٣
خطبة علي .	٢٩٢	٣٩٤
خطبة عبد الله بن عباس .	٢٩٣	٣٩٤
خطبة علي .	٢٩٤	٣٩٥
خطبة علي .	٢٩٥	٣٩٦
خطبة لمعاوية .	٢٩٦	٣٩٧
وصية معاوية لعمر بن العاص .	٢٩٧	٣٩٧
خطبة محمد بن أبي بكر .	٢٩٨	٣٩٨
خطبة محمد بن أبي بكر .	٢٩٩	٣٩٨
خطبة علي وقد استصرخه محمد بن أبي بكر .	٣٠٠	٣٩٩
خطبة علي وقد بلغه مقتل محمد بن أبي بكر .	٣٠١	٤٠٠

رقم الصفحة	رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
٤٠١		فتنة الخوارج
٤٠١	٣٠٢	مناظرة عبد الله بن عباس لم .
٤٠٢	٣٠٣	مناظرة الإمام على لم .
٤٠٤	٣٠٤	صورة أخرى .
٤٠٦	٣٠٥	مناظرة ابن عباس لم .
٤٠٨	٣٠٦	خطبة يزيد بن عاصم المحاربي .
٤٠٨	٣٠٧	خطبة عبد الله بن وهب الراسبي .
٤٠٩	٣٠٨	خطبة حرقوص بن زهير السعدي .
٤٠٩	٣٠٩	خطبة حمزة بن سنان الأسدي .
٤١٠	٣١٠	خطبة شريح بن أوفى .
٤١١	٣١١	مقال زيد بن حصين الطائي .
٤١٢	٣١٢	خطبة على في تخويف أهل النهروان .
٤١٤	٣١٣	صورة أخرى .
٤١٥	٣١٤	خطبة المستورد بن علفة .
٤١٧		خور أصحاب الإمام وتقا عسهم عن نصرته
٤١٧	٣١٥	خطبة عبد الله بن عباس في أهل البصرة .
٤١٨	٣١٦	خطبة الإمام وقد أراد الانصراف من النهروان .
٤١٨	٣١٧	مقال الأشعث بن قيس .
٤١٩	٣١٨	خطبة الإمام على بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج يستنفر الناس لقتال معاوية .
٤٢٠	٣١٩	خطبة له أيضا في استنفاذهم لقتال معاوية .
٤٢١	٣٢٠	صورة أخرى .
٤٢٣	٣٢١	خطبة أبي أيوب الأنصاري .
٤٢٤	٣٢٢	خطبة الإمام وقد أغار النعمان بن بشير على عين التمر .
٤٢٤	٣٢٣	صورة أخرى .

خطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطبة الإمام وقد أغار الضحاك بن قيس على الخيرة .	٤٢٥	٢٢٤
خطبة الإمام وقد أغار سفيان بن حوف الغامدي على الأنبار :	٤٢٧	٣٢٥
خطبة للحسن بن علي في يوم الجمعة .	٤٣٠	٣٢٦
خطبة معاوية وقد بلغه هلاك الأشتر .	٤٣٠	٣٢٧
فتنة البصرة	٤٣٢	
خطبة عبدالله بن عامر الحضرمي .	٤٣٣	٣٢٨
خطبة الضحاك بن عبد الله الهلالي :	٤٣٣	٣٢٩
خطبة عبد الرحمن بن عمير القرشي .	٤٣٤	٣٣٠
خطبة زياد بن أبيه .	٤٣٥	٣٣١
خطبة شيان الأزدي .	٤٣٦	٣٣٢
خطبة صبرة بن شيمان .	٤٣٦	٣٣٣
خطبة الإمام علي .	٤٣٦	٣٣٤
خطبة أعين بن ضبيعة .	٤٣٨	٣٣٥
خطبة جارية بن قدامة .	٤٣٨	٣٣٦
خطبة زياد :	٤٣٩	٣٣٧
خطبة أبي صبرة شيمان .	٤٤٠	٣٣٨
خطبة صبرة بن شيمان .	٤٤٠	٣٣٩
خطبة خنفر الحماني .	٤٤١	٢٤٠
صمصعة بن صوحان ومعاوية .	٤٤١	٣٤١
صورة أخرى .	٤٤٣	٣٤٢
تتمة في الحكم .	٤٤٦	٣٤٣
خطب الوفود بين يدي عمر بن الخطاب	٤٤٩	
خطبة هلال بن بشر :	٤٤٩	٣٤٤
خطبة زيد بن جبلة .	٤٤٩	٣٤٥
خطبة الأحضب بن قيس .	٤٥٠	٣٤٦
خطبة الأحنف بن قيس .	٤٥٠	٣٤٧

فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع اتباع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

الأحف بن قيس : ٣٨٨ - ٣٨١ - ٤٥٠	(١)
الأشتر النخعي : ٣٠٤ - ٣١٥ - ٢٥٩	أبو أيوب الأنصاري : ٤٢٣
٣٨٣ - ٢٦١ - ٣٦٠	أبو بكر الصديق رضي الله عنه : ١٧٤ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١
الأشعث بن قيس الكندي : ٤٧ - ٣٠٩	١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
٢٥٨ - ٣٨٣ - ٤١٨	١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩
أعين بن ضبيعة : ٤٣٨	١٩٠ - ١٩٢ - ١٩٥ - ١٩٦
أكثم بن صفى : ٣٧ - ٥٦ - ١٣٠	١٩٧ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١
١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٢٦	٢٠٥ - ٢٠٦
١٥٩	أبو زيد الضائى : ٢٨١
أمامة بنت الحرث : ١٤٥	أبو الدرداء : ٢٦٢
أم الخير بنت الحريش : ٢٦٩	أبو زئب بن عوف : ٣١٨
امرؤ القيس : ٣٦	أبو سفیان : ٢٠٥
أوس بن حارثة : ١١٩	أبو طالب بن عبدالمطلب : ٧٧ - ١٦١
(ب)	أبو عبيدة بن الجراح : ٢٠٣ - ٢٤٩ - ٢٥٧
بسطام الشيباني : ٤٧	أبو موسى الأشعري : ٢٩٥ - ٢٩٦
بشير بن سعد : ١٧٧	٢٩٧ - ٢٩٠
بشير بن عمرو : ٣٢٨	أبو الهيثم بن التيمان : ٣٥٢

(ث)

ثابت بن قيس بن الشماس : ١٦٣

(ج)

جارية بن قدامة : ٤٣٨

جرير بن عبد الله البجلي : ٢٢٩ -

٣٠٨ - ٣٠٩

جعادة بن أفلح : ١٨

الجمانة بنت قيس : ١٤١

(ح)

حاجب بن زرارة : ٤٨ - ٥٧

الحارث بن ذبيان : ١٣ - ١٦

الحارث بن ظالم المري : ٦٣

الحارث بن عباد : ٥٧

الحارث بن كعب : ١٢٢

الحجاب بن المنذر : ١٧٦

حبيب بن مسلمة : ٢٣٥

حجر بن عدي : ٣٢٢

حذيفة بن بدر الفزاري : ٤٦

حرب بن أمية : ١٠٠

حرقوص بن زهير : ٤٠٩

حريث بن جابر : ٣٧٦

الحسن بن علي : ٢٩٣ - ٢٩٩ - ٣٢٥ -

٣٩٢ - ٤٣٠

الحسين بن علي : ٣٢٥

حصن بن حذيفة : ١٢٩

الحصين بن المنذر : ٣٧٧

خزعة بن سنان : ٤٠٩

همة بن رافع الدوسي : ١٨

(خ)

خالد بن جعفر الكلبي : ٦٠

خالد بن سعيد بن العاص : ١٩٢ - ١٩٤

خالد بن معدن : ٣٦٣ - ٣٧٦

خالد بن الوليد : ١٨٨ - ٢٠٢ - ٢٥٠ -

٢٥٢

خنافر بن التوعم : ٨٨

خنفر بن عبيدة : - ٣٦٤

الخنساء : ٢٣١

خنفر الحداني : ٤٤١

(د)

دريد بن الصمة : ١٧٠

دويد بن زيد : ١٢٤

(ذ)

ذوالأصبع العدواني : ١٢٠

ذوالكلاع الحميري : ١٩٣ - ٣٤٠

(ر)

ربيع بن عامر : ٢٤٢

(ز)

زبراء الكامنة : ١١٠

الزبير بن العوام : ٢٦٧

الزرقاء بنت عدي : ٣٧٣

زفر بن زيد : ٢٩٠

زفر بن قيس : ٣٠٧

زهير بن جثاب الكلبي : ١٢٦

زياد بن أبيه : ٤٣٥ - ٤٣٩

زياد بن كعب : ٣٠٨

زياد بن النضر : ٣١٩

زيد بن جبلة : ٤٤٩

زيد بن حصين الطائي : ٣١٨ - ٤١١

زيد بن صوحان : ٢٩٧

(م)

سبيع بن الحرث : ١١

سطيح الذنبي : ٩١ - ٩٤ - ٩٧

سعد بن أبي وقاص : ٢٢٩ - ٢٣٣ - ٢٦٨

سعد بن عبادة : ١٧٣

سعيد بن العاص : ٢٧٨

سعيد بن عبيد الطائي : ٢٩٢

سعيد بن قيس : ٣٥٤

سفانة بنت حاتم : ١٦٩

سفيان بن ثور : ٣٧٦

سلمى الهمدانية : ١١٣

سهل بن حنيف : ٣١٤

سواد بن قارب : ٨٢

سيحان بن صوحان : ٢٩٨

(ش)

شافع بن كليب الصدفى : ٩٠

شيث بن ربيع : ٣٢٩

شداد بن أوس : ٢٦١

شرحبيل بن السمط : ٣٩٠

شريح بن أوفى : ٤١٠

شريح بن هاني : ٣٨٧

الشعثاء الكاهنة : ١٠٣

شق أنمار : ٩٣ - ٩٧

شيمان الأزدي : ٤٣٦ - ٤٤٠

(ص)

صبرة بن شيمان : ٤٣٦ - ٤٤٠

صمصعة بن صوحان : ٣٨٠ - ٤٤١ - ٤٤٣

٤٤٣

(ض)

الضحاك بن عبد الله الهلالي : ٤٣٣

ضمرة بن ضمرة : ٦٦

(ط)

طريف بن العاصي : ١٣ - ١٦

طريقة الكاهنة : ١٠٥

طلحة بن عبيد الله : ٢٣٥ - ٢٨٦

طليحة بن خويلد الأسدي : ٢٣٠

طهفة بن أبي زهير النهدي : ١٦٥

(ظ)

ظبيان بن حداد : ١٦٧

(ع)

عائشة رضى الله عنها : ٢٠٧ - ٢١٠ - ٢٨٦

٢٨٦ - ٣٠٥ - ٣٠٦

عاصم بن عمرو : ٢٣٠

عامر بن جوين : ٢٧

عامر بن الطفيل : ٤١ - ٦٢

عامر بن الظرب : ١٨ - ١٩ - ١٢٣

عبادة بن الصامت : ٢٦١

العباس بن عبد المطلب : ٢٦٣

عبد الرحمن بن الحرث : ٣٨٤

عبد الرحمن بن عمير : ٤٣٤

عبد الرحمن بن عوف : ١٩١ - ٢٦٦

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : ١٤٧ -

١٤٨ - ١٤٩ - ١٥١ - ١٥٢ -

١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٨ -

١٦٦

غالب بن مزاحم : ٦٤

مرة بن ذهل : ٤٠

مرند الخيزر : ١٠ - ١٢

المستورد بن علفة : ٤١٥

مصاد بن ملخور القيني : ٨٦

معاذ بن جبل : ٢٠٤ - ٢٤٦ - ٢٥٨ -

٢٥٩ - ٢٦٠

معاوية بن أبي سفيان : ٣١٠ - ٣٢٧ -

٣٢٩ - ٣٣١ - ٣٣٩ - ٣٦٥ -

٣٨٩ - ٣٩٧ - ٤٣٠

المغيرة بن زوارة : ٢٤٠

المغيرة بن شعبة : ٢٤٢ - ٢٤٣

الملب بن عوف : ١٧

المنذر بن الجارود : ٣٨١

مهلهل بن ربيعة : ٤٠

ميثم بن مثوب : ١١

(ن)

النعمان بن بشير : ٣٦٦

النعمان بن ثواب العبدى : ١٢٦

النعمان بن مقرن : ٢٣٧ - ٢٣٩

النعمان بن المنذر : ٥١

نفيل بن عبد المزى :

عمير بن حبيب : ١٧١

عمير بن عطارد : ٣٨٢

عوف بن ربيعة الأسدى : ٧٩

(ق)

قاصر بن سلمة : ٦٤

قيصة بن نعيم : ٣٤

قس بن ساعدة : ٣٨ - ٣٩

القمقاع بن عمرو : ٢٩٨ - ٢٩٩

قيس بن خفاف البرجمي : ٣٢

قيس بن رقاعة : ٣٢

قيس بن زهير : ١٢٧

قيس بن سعد بن عبادة : ٢٨٥ - ٣١٣ -

٣٦٧

قيس بن عاصم السعدى : ٤٩

قيس بن عاصم المقرئ : ١٧١

قيس بن مسعود الشيباني : ٦١

(ك)

كاهن بن الحارث بن كعب : ٨٠

كاهن ذو الخلصة : ١١٢

الكاهن الخزاعي : ٧٨

الكاهن القيني : ٨١

كردوس بن هاني : ٣٧٥

كعب بن لؤي : ٧٣

(ل)

ليبد بن ربيعة : ٦٧

(م)

المأمون الحارثي : ٣٩

مالك بن نط : ١٦٨

المنفى بن حارثة الشيباني : ٢٢٢

محمد بن أبي بكر : ٣٩٨

(و)

الوليد بن عقبة : ٢٧٧

(ى)

يزيد بن أبي سفيان : ٢٦٢

يزيد بن أسد البجلي : ٣٤٣

يزيد بن عاصم المحاربي : ٤٠٨

يزيد بن قيس : ٣١٩ - ٣٣٢ - ٣٥٥

(هـ)

هاشم بن عبد مناف : ٧٤ - ٧٥

هاشم بن عتبة : ٣١٢ : ٣٢٢ - ٣٥٦

هانيء بن قبيصة الشيباني : ٣٧

هلال بن بشر : ٤٤٩

هند بنت الحس الإيادية : ٦٨

